

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université Mustapha Stambouli

Mascara



جامعة مصطفى اسطمبولي

معسكر

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مخبر: الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث /دكتوراه علوم

تخصص: تاريخ حديث

فرع: علوم إجتماعية/ علوم إنسانية

العنوان:

الأهمية الثقافية والدينية للمخطوطات الجزائرية بإيلك الغرب أنموذجا

تقديم الطالبة: خاتمة فاطمة الزهراء

لجنة المناقشة:

رئيسا	- معسكر -	جامعة مصطفى اسطمبولي	- أ.د/ سيدهم فاطمة الزهراء
مشرفا ومقررا	- معسكر -	جامعة مصطفى اسطمبولي	- أ.د/ درعي فاطمة
مناقشا	- معسكر -	جامعة مصطفى اسطمبولي	- أ.د. بونقاب مختار
مناقشا	- معسكر -	جامعة مصطفى اسطمبولي	- د. بوجلال قدور
مناقشا	- سعيدة -	جامعة مولاي الطاهر	- أ.د. دلباز محمد
مناقشا	- سعيدة -	جامعة مولاي الطاهر	- دة. قراوي نادية

السنة الجامعية: 2024 / 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فالإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض، ولكنه لا

يبقى إنساناً بعد الروح والفكر!.

سيّد قطب

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك جلّ جلالك.
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

إلى من أحمل اسمه بافتخار والذي -رحمه الله-، الذي كان يتمنى ويمنى النفس أن يرى ثمرة هذا العمل الذي حان وقت قطافها بعد طول الإنتظار، وستبقى كلماته نجوما أهتدي بها اليوم وغدا وإلى الأبد... والذي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان، إلى بسمتي وسرّ وجودي، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي أُمي الحبيبة.
"نن عالما، وإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحبّ العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"...أخصّ بالتقدير والشكر الأستاذة: "درعي فاطمة".

إلى الروح التي سكنت روحي إلى صاحب القلب الطيب والنوايا الصادقة، إلى الذي هو سكني وزوجي: "أمير".

إلى بناتي: رحاب، خديجة، عائشة، دعاء.

إلى من أرى التفاؤل في أعينهم والسعادة في ضحكتهم إلى شعلة الذكاء والنور إخوتي: حبيب، أحمد، مختارية، فائزة، أمينة، إلى كل من نسيهم قلبي ولم ينساهم قلبي، إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي ومثابرة عملي.

حناءة فاطمة الزهراء.

شكر وعرفان

أحمد الله حمد الشاكرين وإن كنت من المقصرين على ما منّ علينا من تسهيل درب العلم وسبله. إنّي لأجدُ العبارات تضيق عن المقام إيفاء حقّ وإتمام ووصفٍ لفضل الأستاذ المشرف علي، فقد كان أحرص من نفسي على إنجازي، وفي كنف علمه نشأت ومن مائدة أدبه وفضله تزوّدت، فلا أجد له غير قول القائل:

ولا عيب في معرُوفهم عَيْرٌ **** أنه يُبينُ عجزَ الشاكرين عن الشكر.

ثم إن هذا الدراسة وصاحبه ليشرفان أيّما شرف بالهيئة العلمية المناقشة للبحث، فلهم منا الشكر والتقدير والعرفان بالجميل وعند الله أحاسب أجرهم وثوابهم. وأشكر كل من أمدّنا بعلمه ومعرفته ونصحه وتوجيهاته القيّمة التي أفادتنا في أطروحتنا، ونخص بالذكر المشرف : الأستاذة درعي فاطمة.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

أ- باللغة العربية:

تر: الترجمة.

ط: الطبعة.

مج: المجلد.

ج: الجزء.

[د.ط]: دون طبعة.

[د.م]: دون مكان النشر.

[د.ت]: دون تاريخ.

[د.ن]: دون ناشر.

= : تابع الهامش في الصفحة الموالية.

ص: الصفحة.

ع: العدد.

س: السنة.

م: التاريخ الميلادي.

هـ: التاريخ الهجري.

ت: توفي.

ق: القرن.

تح: تحقيق.

ب- باللغة الفرنسية:

المصدر أو المرجع السابق: Op.cit

المصدر أو المرجع نفسه: Ibid

P: الصفحة: page

من الصفحة كذا... إلى الصفحة كذا P P

العدد: NuméroN°

المجلد: V: Volume

T : Tome :

المجلة الإفريقية: R.A: Revue Africaine

مَقْدَمَةٌ

تعتبر فترة التواجد العثماني في بلاد المغرب، من أهم الفترات التي خصّها المؤرخون بمخطوطات في شتى الميادين الثقافية والدينية، والحديث عن المخطوطات يعنى بالتاريخ والفكر والثقافة، كون المخطوط لازال مصدر الإطلاع ووعاء التثقيف، ووسيلة تحريك الفكر، وتعزيز الوصول إلى المعرفة باعتبارها جامعة الإسهامات الدينية، العملية، الأدبية، والاجتماعية التي تركها الأولون للأجيال اللاحقة.

يعود إختياري لموضوع "الأهمية الثقافية والدينية للمخطوطات الجزائرية خلال العهد العثماني - بايلك الغرب أنموذجاً-" إلى عدة أسباب نذكر منها:

- ✓ إظهار أهمية الفترة العثمانية في تاريخ الجزائر الحديث.
- ✓ الرغبة الشخصية في معالجة موضوع يتعلق بالرقعة الجغرافية التي ننتمي إليها وهي الجهة الغربية للجزائر، وعليه فهو الفضول في معرفة تاريخ بايلك الغرب من الناحيتين الثقافية والدينية.
- ✓ الإطلاع على المخطوطات والتعرّف على أماكن حفظها، سواء كانت عامة أو خاصة، بالإضافة إلى دراسة طبيعتها ونوعية الورق المستخدم فيها.
- ✓ إثراء المكتبات الجامعية بمثل هذه المواضيع، بما يتيح الإفادة منها على الصعيدين التاريخي والثقافي، وتسليط الضوء على البُعد الديني والثقافي لبايلك الغرب، اعتماداً على مصادر عايشت تلك المرحلة الزمنية.
- ولفهم الموضوع أكثر طرحنا الإشكالية التالية:

❖ فيم تتمثل الأهمية الدينية والثقافية للمخطوطات الجزائرية ببايلك الغرب خلال الفترة العثمانية، من حيث ما نقلته من معارف دينية وتقاليدي فكرية، وكيف أسهمت في تشكيل الهوية المحلية وحفظ التراث العلمي والثقافي للمنطقة من خلال ما عكسته من تفاعلات حضارية؟.

وتتدرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات جاءت كالآتي:

✓ إلى أي مدى أسهم العلماء الجزائريون في إثراء الحياة الثقافية؟

✓ ما المنهج المعتمد والأسلوب المتبع لدى أصحاب المخطوطات الجزائرية في تصنيف مؤلفاتهم وتناول موضوعاتهم؟

✓ فيم تمثلت أهم المصنفات الدينية ببايلك الغرب ؟.

✓ ما الدور الذي اضطلع به أصحاب المخطوطات في إبراز ملامح التفاعل الثقافي، من خلال ما تضمنته مخطوطاتهم النفيسة من معارف ورؤى؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية، تمّ اعتماد المنهج التاريخي، بالإستناد إلى معظم المعلومات ذات الصلة بالجانبين الثقافي والديني من مصادرها الأصلية، وفي مقدّمها المخطوطات، التي قدّمت صورة واضحة ومعمّقة عن موضوع الدراسة بمختلف أبعاده. كما تمّ توظيف المنهج المقارن، من خلال مراجعة بعض المؤلفات المرجعية، وعلى رأسها كتب أبو القاسم سعد الله حول التاريخ الثقافي للجزائر، ومقارنة الوقائع والأحداث التاريخية التي أوردها بالمضامين المستخلصة من المخطوطات المتوفرة بين أيدينا، لاسيما في جانبها الديني.

إلى جانب ذلك، تمّ اعتماد المنهج الإحصائي، حيث تمّ جرد عدد معتبر من المخطوطات الجزائرية التي تناولت بايلك الغرب، فضلاً عن إحصاء المخطوطات التي تناولت علماً بعينه أو تخصصت فيه، بهدف إبراز التنوّع المعرفي الذي تزخر به هذه المادة التراثية.

وبما أنه يستحيل دراسة كل المخطوطات المؤلفة خلال العهد العثماني، فقد قمنا بدراسة بعضا منها في موضوع المؤسسات الثقافية والعلوم. أما الجانب الديني فوقع إختيارنا على أربعة نماذج تغطي جانبا كبيرا من الفكر الديني كيف ذلك، وهي تختص في الفقه والحديث والتفسير والتصوّف. كما اعتمدنا على نسخ أصلية والبعض منها محقّقة.

المصادر:

✓ "مخطوط فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختارها الشيخ المجاجي للصحيح البخاري" لصاحبه المجاجي، وهو من المؤلفات التي لازالت مخطوطة ضمن مكتبة تقي الدين

.....
بوكعبير حيث زودنا ببعض الورقات التي تتناول موضوع الحديث باعتبار أن هذا المخطوط قيد التحقيق، وهو ما صعب علينا مهمة رصده كاملا، وقد تمّ الاعتماد عليه - المذكور سابقاً- في الجانب الديني، وبالأخص في علم الحديث، حيث تناول الموضوع بشكل واسع ومستفيض الشيخ المجاجي.

✓ "مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير" لأبي رأس الناصري وهو مخطوط محقق، لكن اعتمدنا على النسخة الأصلية التي زودنا بها الدكتور تقي الدين بوكعبير، واستندنا به للتعريف بعلم التفسير، حيث يعتبر من أهم المصادر التفسيرية للقرآن الكريم، في الوقت الذي انتقل فيه الشيخ أبو رأس الناصري من دور المؤرخ إلى دور المفسر، وقد فسر القرآن الكريم تفسيراً أعجب به كل علماء عصره، والنسخة التي بين أيدينا هي تفسير لسورتي الفاتحة والبقرة.

✓ "مخطوط حاشية الرماصي على سيدي خليل" للشيخ مصطفى الرماصي وهو مخطوط محقق، وتجدر الإشارة أن هذا المخطوط، قد بلغنا منه نسختين، واحدة تمّ الحصول عليها من طرف الزميل "تني أسامة" والذي بدوره قد تحصّل عليها من طرف زواية الشيخ مغوفل بمارونة، والنسخة الثانية قد وصلت إلينا من طرف عائلة بوكعبير حيث أفادنا هذا المخطوط في التعريف بالفقه المالكي ودوره وقيّمته في بابلك الغرب. واعتمد الرماصي في هذا المؤلف على الشيوخ من المشرق والمغرب الإسلاميين، وهو مخطوط موسوعي في الفقه، ويعتبر مرجعا لكل باحث في الفقه في بابلك الغرب.

✓ "مخطوط إتحاف المريدين" للعلامة الشيخ محي الدين وهو مخطوط زودنا به الباحث بن نعم صلاح الدين الذي حصل على نسخة مصوّرة من العلامة جعفر الجزائري، حين انتقل إلى سوريا، كما أفادني هذا المخطوط في التعرف على التصوّف وبعض أمور العقيدة عن بابلك الغرب.

كما تمّ الاعتماد على بعض الوثائق المخطوطة التي قدّمها لنا الباحث بوكعبير تقي الدين، منها إجازات الشيخ أبي رأس الناصر وتقاريط وتقاييد ورسائل مخطوطة. فحديثنا عن المخطوطات وأهميتها الدينية، اقتصر على نماذج منها فقط، وذلك اعتباراً أن أغلب المخطوطات كان حجمها

.....
كبيراً تتناول قضايا عديدة ومتفرقة، فقد حاولت ضمن الوقت والجهد المتاحين، التركيز بشكل أساسي على القضايا الدينية التي تمثل صلب موضوع الدراسة، كالفقه المالكي خاصة والحديث والتفسير والتصوّف. واستناداً على بعض النقاط البارزة التي وقّع الاختيار عليها لمدى أهميتها في تلك الفترة، كالتقاريط، والإجازات، وغيرها من المواضيع، وبعض المراجع ككتاب أبي القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - بأجزائه وبعض الكتب بالفرنسية دون أن ننسى كتاب غايتان الذي حقّق من طرف الدكتور **تقي الدين بوكعبّر**، وعليه بعض تعليقات **محمد الحرشوي** الذي ساعدنا كثيراً في موضوع العلوم الفكرية والعقلية والنقلية وكذا أسماء المخطوطات في الدراسة.

استدعت الإشكالية المطروحة الإلتزام بالتركيز على ما توافر من مادة علمية في تقسيم بحثنا هذا إلى مدخل تمهيدي وأربعة فصول وهي كالتالي:

المدخل: خصصنا هذا الجزء للحديث عن الإطار الجغرافي والتاريخي لبابلك الغرب استناداً إلى المخطوطات الجزائرية، حيث أوردت بعضها الحدود الجغرافية لبابلك والوضع السياسي السائد في تلك الفترة.

الفصل الأول: جاء بعنوان: "واقع المخطوطات الجزائرية بابلك الغرب"، حيث حاولت من خلال هذا الفصل معالجة بعض القضايا من بينها التعريف بمصطلح المخطوط، مشيراً إلى أهم القضايا التي تناولتها المخطوطات في جانبها العلمي والثقافي، وكذلك أبرز العوامل والأسلوب والمنهج المعتمد في كتاباتهم، هذا بالإضافة إلى أننا حاولنا رصد دور الخزائن العامة والخاصة في الحفاظ على هذا الإرث المخطوط ببابلك الغرب، وأتممتها بعنوان فرعي آخر وهو: "مخطوطات بين الضياع والفقْدان: "درة الشقاوة"، "أنوار البرجيس في شرح العقد النفيس أنموذجاً".

أما الفصل الثاني الموسوم بـ: "المؤسسات الثقافية ببابلك الغرب على ضوء تراث المخطوط" حيث رصدنا فيه أهم المؤسسات الثقافية مثل المساجد، المدارس، الكتاتيب وكذا المؤسسات الوقفية.

.....:

أما الفصل الثالث والذي جاء بعنوان: " التراث الفكري السائد في بايلك الغرب من خلال المخطوطات " والذي بدوره عالجنّا فيه الواقع الاجتماعي، وكذا الإقتصادي والعسكري الذي تناولته المخطوطات في بايلك الغرب خلال العهد العثماني، هذا بالإضافة إلى أننا حاولنا الوقوف على أهم العلوم العقلية وكذا العقلية، حيث حاولنا تسليط الضوء على مختلف الإسهامات العلمية للعلماء في مختلف المجالات. هذا وقد ختمنا الفصل بالتطرق إلى التصوّف كفكر ديني عند علماء بايلك الغرب وذلك من خلال قراءة على ضوء مخطوط : " كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي ، وبعض أصحابه الأخيار " .

أما الفصل الرابع، فقد خُصص لدراسة: "واقع الحياة الدينية في بايلك الغرب من خلال المخطوطات الجزائرية"، والتي تبين أن معظمها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجوانب الدينية. وبالنظر إلى إتساع الموضوع وتشعبه، وقع اختيارنا على أربعة نماذج من هذه المخطوطات لتكون محوراً للدراسة، مع التركيز على بعض القضايا الدينية المحددة التي برزت ضمنها، وذلك نظراً لضخامة المادة العلمية التي تحتويها هذه المصادر، لاسيما مخطوط مصطفى الرماصي.

جاء المخطوط الأول بعنوان: "مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير" لأبي رأس الناصري، حيث تطرّفنا إلى التعريف بصاحب المخطوط، ومحتواه، مع رصد مظاهر الحياة الدينية في ضوء ما ورد فيه.

أما المخطوط الثاني فقد تناول "مخطوط حاشية الرماصي على سيدي خليل" للشيخ مصطفى الرماصي، وقد سلّطنا فيه الضوء على شخصية الرماصي، ومضمون النسخة، وأبعاد الحياة الدينية التي عكستها.

تناولنا مخطوط "مخطوط فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختارها الشيخ المجابي لصحيح البخاري"، باعتباره أنموذجاً لمساهمة العلماء في خدمة الحديث الشريف. ثم ختم الفصل بمخطوط الموسوم بـ: "مخطوط إتحاف المريدين" للعلامة محي الدين، حيث تمّ التعريف بالشيخ ومضمون مخطوطه، وتحليل واقع الحياة الدينية من خلال ما ورد فيه.

لم تكن الإجابة عن أسئلة البحث بالأمر السهل، إذ عايشنا صعوبات كثيرة نذكر منها:

- أولاً: صعوبة التوصل إلى أغلب المخطوطات باعتبار أن أغلبها متفرقة ما بين المكتبات الخاصة والعامة، مع الإشارة إلى أن معظم هذه المخطوطات تُعد في حكم المفقود، مما أشكل تحدياً في عملية التوثيق والإطلاع المباشر عليها. يُضاف إلى ما سبق تعذر السفر إلى الخارج للإطلاع على بعض المخطوطات أو مقارنتها بما هو متاح لدينا، بسبب القيود التي فرضتها جائحة كورونا وما ترتب عنها من غلق للمجال الجوي. كما واجهنا صعوبات أخرى تمثلت في تحفظ العديد من العائلات التي تحتفظ بمخطوطات خاصة، ورفضها تزويدنا بها باعتبارها ملكاً عائلياً لا يُسمح بالاطلاع عليه بسهولة.

- ثانياً: تمثلت إحدى أبرز الصعوبات التي واجهناها في إستقراء المخطوطات في صعوبة التعامل مع الخطوط، خاصة وأنها المرة الأولى التي نتعامل فيها مع هذا النوع من المصادر، نظراً لكون التخصص في مرحلة الماستر كان موجّهاً نحو الجوانب الإقتصادية والإجتماعية. أما في الطور الثالث، فقد انصبّ التخصص على الحياة الثقافية، دون إمتلاك خلفية كافية في مجال المخطوطات، باستثناء قراءات سطحية سابقة. وقد شكّل ذلك تحدياً كبيراً أثناء قراءة النصوص الخطية وفهمها. ومع ذلك، سعيتُ إلى تجاوز هذه العقبة باللجوء إلى بعض الشيوخ وطلبة الزوايا من حفظة القرآن الكريم، للمساعدة في قراءة المخطوطات وفك رموز الخط، وهو ما تطلّب وقتاً وجهداً كبيرين.

لا ندعي الكمال في هذا العمل، فالكمال لله وحده، وإنما بذلنا ما في وسعنا، ضمن ما توفر لنا من وقت وجهد، لتقديم تصوّر واضح حول المخطوطات الجزائرية، وإبراز أهميتها الثقافية والدينية في بابلك الغرب خلال العهد العثماني.

مدخل: الإطارين الجغرافي والتاريخي لبائلك الغرب من
خلال التراث المخطوط.

– أولاً: الإطار الجغرافي.

– ثانياً: الإطار التاريخي.

- أولا: الإطار الجغرافي:

لقد رأينا أنه من الضروري، قبل الخوض في غمار هذه الأطروحة، أن نخصّص فصلاً تمهيدياً يتناول الإطارين الجغرافي والتاريخي لبائلك الغرب. وذلك من أجل تقريب الصورة للقارئ حول هذا الإطار الجغرافي من حيث التقسيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني. وقد اعتمدنا في تحديد ذلك على المصادر المخطوطة التي تناولت هذا الموضوع.

يمتد البائلك الغربي جغرافياً من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الأغواط جنوباً، ومن الحدود الغربية غرباً إلى بايلك التيطري ودار السلطان شرقاً. يكتسي هذا الموقع أهمية بالغة¹، حيث يفتح على جبهات وكيانات وتجمّعات بشرية، منها المغرب الأقصى، وأوروبا، والمناطق الصحراوية من خلال القوافل التجارية والبيليكات. وهذا سياسياً، وإقتصادياً، وحتى ثقافياً وتعتبر مدينة وهران من أهم مدن بايلك الغرب، وهذه المدينة ذكرها ابن خليكان أنه: "بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الواو، وبعد الألف نون وقال فهي مدينة كبيرة بينها وبين تلمسان يومان، بنيت سنة سبعين مائتان"². ويوصفها الوزان: "أنها مدينة كبيرة فيها ستة ألف كانوا بناها الأفارقة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بعيدة بنحو 40 ميل من تلمسان"³.

تميّزت الجهة الغربية إلى جانب ما سبق، بمكانة بارزة ودور تاريخي مهم، استمدته من جملة العوامل المتداخلة التي ساهمت في بلورة خصوصيتها الحضارية، أبرزها الموقع الجغرافي المهم، الذي جعلها تتبوأ مكانة مرموقة داخل الإيالة، وهذا الموقع المميز جنبها مواجهة المصاعب الإقتصادية والإجتماعية، نظراً لإنتشار الزراعة عبر سهولها⁴.

من المدن الغربية نجد أيضاً مدينة معسكر والتي تعدّ من أهم المدن البائلك الغربي، حيث وصفها تيدينا: "بأنها تتميز بسهول واسعة وخصبة، وبها أنهار عديدة"⁵. وقد شكّلت لفترة طويلة

1- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر إسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر، تر: يحيى بوعزيز، ج.1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص210.

2- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي بوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي، سلسلة التراث، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 122.

3- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1933، ص 30.

4-Louis Rinn, le Royaume d'Alger sous le dernier Dey, Adolphe Jourdan Imprimer Libraire Editeur, Alger, 1900, p51.

5-عميراي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدينا نموذجاً، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص 86.

نقطة عبور للطريق الكبير الذي يربط بين المغرب الأقصى وتونس، مروراً بعدة مدن هامة. إضافةً إلى ذلك، فهي تتربع على سهول والتي تؤدي بسهولة إلى منطقة السهوب العليا الغربية، وتعدّ جبال الظهرة جزءاً من السلسلة التلية، التي تمتد على منطقة واسعة تتشكل من كتل جبلية. وقد أثارت الجهة الغربية إعجاب العديد من الجغرافيين فيذكرها الإدريسي قائلاً: "... ذات أميال واسعة، وأنهار، ومزارع، وبساتين، وأسواق، وعامرة بالسكان، من أحسن البلاد بقعة، وأكثرها فواكهاً، وألباناً، وسمناً، وعسلاً"¹.

علاوة على ذلك، فإن سهول غريس تعتبر من أهم الأشكال التضاريسية في البابلك الغربي، فهي أغنى وأخصب السهول في الإيالة، تقع شمال مدينة معسكر، بينما تقع المدينة على وادي تودمان²، حيث تتميز مدينة معسكر بأهمية موقعها الإستراتيجي، فهي تتحكم في المسالك التجارية، وتحيطها قبائل بني راشد التي عرفت بتقريبها من الحكام العثمانيين³.

المسلم به تاريخياً هو أنّ قبائل بني شقران وأرض الحشم في منطقة معسكر لم تتعرض أوطانها لمصاعب إقتصادية أو مجاعات، وذلك بفضل إنتشار الزراعة عبر سهولها.

تتميز المنطقة بتضاريس متنوعة تجمع بين الجبال والسهول والهضاب، ومن بين أبرز هذه التضاريس هي تلك الواقعة بين معسكر والبرج، والتي يقدر علوّها بـ 910 متر، كجبل تامدرارة بارتفاع 729 متر، أما السهول فأشهرها سهل غريس، الممتد على مسافة 55 كلم، ويعرض 20 كلم، ويرتفع عن سطح البحر ما بين (450 و 500 متر)، ويأتي هذا السهل في المرتبة الثانية من حيث الإتساع بعد سهل متيجة، وهذا الموقع الجغرافي أكسبها أهمية جغرافية⁴.

من مدن البابلك مدينة مستغانم وهي أيضا بناها الأفارقة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أراضيها خصبة جديدة للزراعة، ودورها جميلة وسقيتها عديدة⁵، ومن المدن الغربية

¹ - الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مج.2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 45.

² - وادي تودمان : هو واد يمر بمدينة معسكر، يغذي سكانها بالمياه الصالحة للشرب، ويقسم المدينة إلى شطرين: شرقي وغربي. يخفي الوادي بعد ذلك في أسفل المدينة، حيث يمر بغار عميق وضيق يُعرف باسم "وادي عين السلطان". ينظر: الموقع الإلكتروني:

<https://mascara.mta.gov.dz/fr> تم الإطلاع عليه : 2025/08/10 الساعة 02 : 09.

³ - أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم : 1473، ورقة، 24، ظ.

⁴ - ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 79.

⁵ - حسن الوزان، المصدر السابق، ص 32.

جاء ذكر حواضر الغرب الجزائري على لسان هنري ليون¹، حيث قال: "مازونة مدينة صغيرة تقع بين مستغانم وتونس، كانت مقراً مانعاً منذ بداية 1563 لبابليك الغرب"².

وصفها الرحالة هاينرش فون مالستان³، عند توقفه في مازونة خلال رحلته لزيارة المغرب، وذكر عنها أشياء كثيرة قائلاً: "عندما كنت راجعاً من تنس إلى مدينة الشلف في شهر ماي، كان الجو جميلاً للسفر. اتجهت إلى مازونة، عاصمة الظهرة، وهي مدينة عربية الأصل، سهولها واسعة، وأنهارها جميلة، أما سكانها فيرتدون البرانس، جالسين أمام منازلهم"⁴.

من أهم مدن البابليك مستغانم وتلمسان ووهران، فمدينة وهران اكتست شهرة واسعة يحدّها من الغرب جبل مرجاجو، الذي يفصلها عن منطقة المرسى الكبير، ومن الجنوب تحدها منطقة السانية بهضبة مولاي عبد القادر الكيلاني، أما من الجنوب الغربي، فتحدّها سبخة كبيرة، وبير الجير هي إحدى ضواحيها⁵.

تتمتع المدينة وضواحيها بمناخ متوسطي، حيث يكون الصيف جافاً، والشتاء معتدلاً، والسماء صافية ومشرقة، وتتمتع بمنتجاتها الزراعية الوفيرة، التي كانت تُصدّر في الغالب إلى الدول المجاورة، بالإضافة إلى وفرتها على منتجات العسل، والسمن، واللحم، وهذا يعود إلى اهتمامها بتربية النحل والمواشي⁶.

¹- هنري ليون : عالم ومكتشف فرنسي، وُلد لعائلة بسيطة وعانى من مشاكل صحية. التحق بدار المعلمين العليا عام 1894م، ومن أهم إنجازاته أبحاثه في نظرية تكامل المجموعات. ينظر: موريس شريل، موسوعة المكتشفين والمخترعين، دار الكتب العلمية، لبنان، [د.س.]، ص 330.

2- Henry Léon Fey : Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole, Oran Typography Adolphe perrier Editeur, 1858, p29.

³- هاينرش فون مالستان: وُلد هاينرش فون مالستان في مدينة درسدن بتاريخ 6 سبتمبر 1826م، وهو الابن الأكبر للبارون هاينرش كارل فرانتس أدولف فون مالستان. درس الحقوق، وإلى جانبها تعلم اللغات الشرقية. قام برحلة إلى عدة مدن عربية، من ضمنها الجزائر، حيث تعلم اللهجة الجزائرية. أصدر فون مالستان عدة كتب، من أشهرها "ثلاث سنوات في ضواحي شمال غرب إفريقيا"، والذي تحدث فيه عن الجزائر.. ينظر: موريس شريل، المرجع السابق، ص 6-8.

⁴- هاينرش فون مالستان، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ج.1، شركة دار الامة، الجزائر، 2008م، ص 129-131.

⁵- أحمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص 92.

⁶- أبو العباس أحمد المقرئ، رحلة المقرئ، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم: 3191، مخ، و، 40. المخطوط خالي من ذكر إسم الناسخ، وتاريخ ومكان النسخ، وهذا بسبب النقص الموجود في أول وآخر المخطوطة، وغياب المقدمة والخاتمة. لكن التوضيح مكتوب باللغة الفرنسية على الصفحة الخارجية من طرف جورج ديلفان يفيد أن المخطوط لابن خليل وهو ناسخه، وهذا كل ما نعرفه عن الناسخ، يقع المخطوط في 66 ورقة مكتوب بخط مغربي واضح.

- ثانيا الإطار التاريخي:

كان لضعف دولة بني زيان تأثير سيئ على أوضاع الجزائر، فانقسمت على نفسها إلى إمارات صغيرة مفككة متناحرة، مثل إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل، والإمارة الحفصية بقسنطينة، وإمارة بني يزناس¹ بالحدود الغربية. وقد شجع هذا التفكك الإسبان على غزو موانئها ومدنها الساحلية والسيطرة عليها واحدة بعد الأخرى².

جاء الاحتلال الإسباني عقب سقوط غرناطة سنة 1492م، وهو الحدث الذي شجع بداية إحتلال إسبانيا لشمال إفريقيا، وعقب ذلك وجه الإسبان أنظارهم نحو الجهة الغربية، وهنا تم الإستجداد بالعثمانيين، وربطت الجزائر بالدولة العثمانية، ونجح العثمانيون في قهر القوات الإسبانية، وبذلك وضعوا مكانة داخل التراب الجزائري³.

في الجانب الإداري، قُسمت الجزائر إلى أربع بايليات منظمة على النحو التالي: دارالسلطان - بايلك الشرق - بايلك التيطري - بايلك الغرب.

- **بايلك الغرب***: يعود تاريخ ظهوره كتقسيم إداري وسياسي إلى النصف الأول من القرن 16م، حيث تم تقسيم البلاد إلى أربعة بايليات تسهила للحكم، وقد حدث ذلك خلال حكم حسن باشا ابن خير الدين (1540-1552م)، وهكذا في سنة 1563 م، أصبحت مازونة عاصمة البايالك، وعين ابن خديجة بايا عليها، واختار هذا الأخير مازونة عاصمة للبايلك نتيجة لموقعها، حيث أنها كانت تتوسط القبائل الواقعة مابين مستغانم وتتس القريبة من الشلف ويوضح صاحب مخطوط "أنيس الغريب والمسافر"، جدول بايات المقاطعة الغربية سواء في مازونة بدءا من الباي حسن ابن خير الدين باشا، أبو خديجة، وغيرهم من البايات ثم ينتقل إلى بايات تلمسان وأشهرهم

¹ - **بني يزناس**: تُعد قبيلة بني يزناس من أقدم الشعوب التي سكنت السلسلة الجبلية. تقع منطقتهم على الحدود بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى. يعود أصل التسمية إلى اللغة الأمازيغية، حيث تعني "الزنايتون" أي المنتمون إلى قبيلة زناتة الأمازيغية. للمزيد أكثر حول المنطقة ينظر: عبد الله لحسايني، بنو يزناس: القصة الكاملة، ط. 1، مكتبة الطالب، [د.م]، 2020م، ص 15.

2- محمد بن أحمد الحلفاوي، شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2521، ورقة 3، و.

3- المخطوط نفسه، ورقة 4، ط.

*- كان مقر الباي للإيالة الغربية، إبان الإحتلال الإسباني لمدينة وهران، لينتقل من مستغانم، إلى مازونة، إلى قلعة بني راشد، ثم معسكر، ولما فتحت وهران للمرة الأولى، وغادرها الإسبان نقل إليها المقر الباي مصطفى أبي الشلاغم، ولما استرجعها الإسبان، نقل مقرها إلى مدينة مستغانم، ثم فتحها الباي محمد الكبير ونقل إليها مقر الإيالة بصفة نهائية. ينظر: ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، نج: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 16.

الباي عثمان، ويوسف المسراتي ، كما يتطرق الى عواصم الإيالة بدءا من قلعة بني راشد، وإنهاء من مدينة وهران حيث يفصل في ذكر البايات بدأ من مصطفى بوشلاغم ، وغيره من البايات، حيث عرفهم وقدم إنجازاتهم العسكرية، والعمرانية، والعلمية¹.

شكلت كل من المدن التالية عواصم وقواعد هامة في المرحلة الأولى قبل القرن الثامن عشر شكلت مازونة عاصمة البابيك، وتلمسان قاعدته الهامة، ثم تغير الوضع السياسي في القرن الثامن عشر، وأصبحت معسكر العاصمة سنة 1701 م، ثم وهران في الفتح الأول سنة 1708 م، ثم مستغانم سنة 1732 م ، وبعد ذلك عاد المقر إلى معسكر سنة 1737 م، وأخيرا انتقل إلى وهران بعد الفتح الثاني سنة 1792 م².

لم تكن عاصمة البابيك الغربي مستقرة في مكان واحد، فقد انتقلت من مدينة إلى أخرى. ففي البداية كانت مازونة مقراً لها، وخلال تولي مصطفى بوشلاغم* هذه الإيالة، لجأ إلى الجمع بين مدينة مازونة في شرق المقاطعة ومدينة تلمسان في غربها، وخلال عام 1701 م، أصبحت معسكر عاصمته، ثم انتقل لمحاصرة وهران وتمكن من تحريرها في عهد الداوي محمد بكداش، لكن حكمه لم يستمر طويلاً، حيث استعادها الإسبان، مما جعله ينتقل إلى مستغانم، متخذاً منها عاصمة لبابيك الغرب، واستمر بها حتى وفاته. ثم انتقل المقر مرة أخرى إلى مدينة معسكر، ولعل أسباب إختيار هذه المدينة كعاصمة للبابيك يرجع بالدرجة الأولى إلى الأهمية الإستراتيجية لها، حيث أنها تتحكم في المسالك التجارية، وتحيط بها قبائل بني راشد التي تميزت بتقربها من الحكم العثماني. بالإضافة إلى ذلك، قربها من وهران بعد الفتح الثاني سنة 1792 م في عهد الباي محمد الكبير* .

1- المسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر ، تح: رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983م، ص ص 18-30.

2- المصدر نفسه، ص 19.

*- وصفه المازري بأنه "أول بايات وهران، مصطفى بوشلاغم بن يوسف المسراتي، الذي جمع بين الإيالتين الشرقية والغربية. تولى الباشوية على مازونة وتلمسان، وهو أول من توحدت تحت حكمه الإيالة الغربية بالكامل سنة 1089هـ. قام بنقل عاصمة الحكم من مازونة إلى القلعة، ثم إلى معسكر". ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص ص 15-16.

**-كان عالماً من علماء الدين في الجزائر العثمانية، وكان إنساناً محباً للعلماء والصالحين. ينظر: المصدر نفسه، ص 25.

.....: طار الجغرافي والتاريخي لبائلك الغرب من خلال التراث

مما تقدّم، يتبيّن أن بايلك الغرب قد اختلف عن كلّ من بايلك التيطري وبائلك الشرق، وتميّز عنهما بسبب غياب الإستقرار في تحديد مقرّ العاصمة، الأمر الذي أضفى عليه خصوصية إدارية واضحة.

الفصل الأول: واقع المخطوطات الجزائرية ببايلك الغرب الجزائري.

- أولاً: المخطوط مفاهيم ومصطلحات.
- ثانياً: الجانب العلمي والثقافي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني - ببايلك الغرب-.
- ثالثاً: الأسباب والعوامل المساهمة على تأليف المخطوطات ببايلك الغرب.
- رابعاً: المنهج التأليف التاريخي من خلال مخطوطات بايلك الغربي.
- خامساً: نماذج لاعلام المخطوطات.
- سادساً: المصادر والمراجع المعتمدة من خلال تأليف المخطوط ببايلك الغرب.
- سابعاً: علاقة أصحاب المخطوطات بالدولة العثمانية.
- ثامناً: دور الخزائن العامة والخاصة في الحفاظ على المخطوط في بايلك الغرب.
- تاسعاً: وصف ببيلوغرافي لبعض مؤلفات بايلك في العهد العثماني.
- عاشراً: مخطوطات بين الضياع والفقدان درء الشقاوة وكتاب انوار

تُعدّ المخطوطات من المخلّفات المادية التي تركها الإنسان شاهدةً على حياته العلمية . وقد حظيت باهتمام كبير في بايلك الغرب خلال العهد العثماني، سواء من حيث جمعها أو حفظها أو صيانتها أو تحقيقها . فهي تمثل المصدر الأساسي الذي يمدّ الباحثين بالمعلومات والحقائق، مما يفتح المجال للنقد ومعالجة المواضيع التاريخية في شتى المجالات. انطلاقاً من هذا، تُطرح الأسئلة التالية: ما هو المخطوط؟ كيف يتم التعامل معه؟ ما هي أهم المصادر المخطوطة التي تركها مؤرخو بايلك الغرب بالجزائر خلال الفترة العثمانية؟.

- أولاً: المخطوط مفاهيم ومصطلحات:

1- دلالة المخطوط وتاريخه:

إنّ البحث في لفظ المخطوط في اللغة الفرنسية (Manuscrite) نجد أنه استعمل لأول مرة في أحد هذه نصوص هذه اللغة في سنة 1594م، أي نهاية القرن السادس عشر للميلاد وعلى الرغم من أنّ هذا اللفظ لاتينيا (Manuscryption) فإنّ الفرنسيين استعاروه من اللغة الإيطالية التي عرفت استعمال اللفظ قبل فرنسا بحكم سبق النهضة الحديثة، وقد أطلقوا على المخطوط (Libri) اللاتيني في مقابل مطبوع منذ بداية الطباعة. أما اللفظ المتداول الذي ظلّ طوال العصر الوسيط يطلق على الكتاب الذي لم يكن إلا مخطوطاً فهو الكراس أو (Codex) وهو لفظ لاتيني ويعني "كتاب"¹.

2- بداية ظهور المصطلح: لو بحثنا في دواوين الشعر والنثر القديمة منذ الفترة الإسلامية لا نجد أثراً لهذه الكلمة باستثناء ما جاء في كتاب أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) وتاج العروس للزبيدي (ت1205هـ)، حيث نجد في الأول خطّ الكتاب بخطه وكتاب مخطوط أما الثاني كتاب مخطوط أي مكتوب فيه².

¹- أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيلوغرافي، ط1، المطبعة والورقة الوطنية الحي المحمدي، مراكش، 1993، ص 14.

²- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1979م، ص 168. ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج10، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م، ص 552.

فالعرب سمو الكتاب المخطوط تسميات عديدة تختلف باختلاف العصور، فقد أُطلق عليه في القرن الأول الهجري الرقيم الزبور (المصحف) بفتح الميم السفر، الرسالة، الكراسة، المجلد الجزء، المجلدة، الكناش أو الكناشة، وغيرها¹.

3- المخطوط لغة:

المخطوط لفظ مشتق من الفعل خطَّ يخطُّ بالقلم أي كتب أو صَوَّر اللفظ بالحروف الهجائية، ويعد من الألفاظ العربية المتأخرة، فيقولون عن الكتاب مخطوط لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا،² فالمخطوط هو الكتاب المكتوب بالخط لا بالمطبعة وجمعه مخطوطات، وهو لفظ محدث ارتبط وجوده بظهور الطباعة وانتشارها، لهذا لا نجد استخداما لهذه الكلمة في كلام المتقدمين ولا في كتاباتهم فأصبحت حينئذ الكتب نوعان: كتب مخطوطة وأخرى مطبوعة فما كان منها مكتوبا بخط اليد سمي مخطوطا وما طبع منها بالآلة سمي مطبوعا تمييزا له عن الأول³.

4- المخطوط اصطلاحاً: أُطلق على المخطوط عدة تعريفات تختلف من حيث اللفظ والبناء المعرفي للمصطلح لكنها تتفق من حيث المعنى والمفهوم فنجد سعد الهجري يقول كل: " كل ما كتب بالمداد على الورق سواء أكان الورق مصنوعا من قراطيس البردي أم من الرقوق أو الكاغد على شكل لفائف أو كراريس أو أوراق محفوظة بين دفتين "⁴.

أما عبد الستار الحلوجي في قوله: " هو كتاب المخطوط بخط سواء أكان في شكل لفائف أو في شكل مصحف ضخم ضم بعضها على بعض على هيئة دفاتر أو كراريس "⁵.

¹-شعبان عبد العاطي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة شروق الوطنية، ط.4، 2004، ص244.

²-بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م، ص 246.

³-أحمد شوقي بنين ومصطفى الطوي، معجم مصطلحات المخطوط العربي قاموس كود يكلوجي، المطبعة والوراقة الوطنية، ط.1، مراكش، 2003م، ص 1212.

⁴- سعد الهجري، مصطلحات المكتبات والمعلومات، البيت العربي للمعلومات، القاهرة، 1988م، ص 44.

⁵-عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ط.2، مكتبة مصباح، السعودية، 1998م، ص 41.

أما جاك لومير¹ فقد استوعب الصورة الأثرية لعلم المخطوطات فركّز على الجانب المادي أو الصناعي في تعريفه لهذا العلم قائلاً: " ... يجب أن يهتم بهذا العلم في نظرنا بدراسة مختلف مظاهر الصناعة المادية الأولية للكراس قبل أن يهتم بأي شيء آخر².

يُضيف علم المخطوطات، إلى جانب إسهامه في تقديم معارف دقيقة حول تقنيات صناعة المخطوط، بُعداً معرفياً مهماً، إذ يزودنا بمعلومات ثمينة عن مصير الكتاب وتداوله عبر الزمن، وحول طبيعة المكتبات التي يسرت نقله إلينا. وبهذا الشكل يعتبر علم المخطوطات علماً مساعداً للتاريخ، لكنّ على غرار ذلك فعلم المخطوطات القديمة هو علم مستقل وسند ملهم لكل بحث فيلولوجي أو تاريخي حول حضارة العصور الوسطى³.

أما ألبرت دولرز يذهب إلى أنّ علم المخطوطات قبل كل شيء هو مجال تاريخي وأنّ الكوديكولوجيا (Codicologie) أو أركيولوجيا (Archéologie) الكتاب المخطوط هو المجال التاريخي الذي يدرس الكتاب المخطوط بوصفه موضوعاً " مادياً" أو بعبارة أحسن بوصفه وعاء النصوص⁴.

من هنا يتبيّن أنّ علم المخطوط هو العلم الذي يتناول الكتاب المخطوط من حيث مكونات الورق أو المادة المكتوب فيها، والطبي وصناعة الكرايس ، والترتيب (أيّ مسألة كتابة النص في علاقته الزمنية بطي الفرخة أو صناعة الكراسية وتركيب الصفحات) أو دراسة التناسبات الممكنة بين درج أو إدراج النص وطرز الصفحة والحزم والتسطير، والنممة والزخرفة ، والتذهيب والتفسير أو التجليد، ومن جهة أخرى هو العلم الذي يعني بالنيساخة في المخطوط (Transcription) بكل ما تحمله من معاني (بداية النص، نهاية النص، جرد المتن، والوقف، والإجازة، والقراءة، وقيد التملك، وقيد البيع، الشراء، والأدعية والعبارات الشاردة، والفوائد، وقيد الصيانة، والفضاءات

¹ - جاك لومال : وُلد عالم المخطوطات جاك لومال عام 1946م. يُعتبر من أبرز الباحثين الأوروبيين في دراسة المخطوطات الغربية، حيث ساهم في تطوير منهجية تحليل المكونات المادية للمخطوط، مثل الورق، التجليد، والخط. أشهر أعماله هو كتاب Introduction à la codicologie، الذي أصبح مرجعاً أساسياً في هذا المجال. ينظر :

Lemaire jacques , introduction à la codicologie, louvain la neuve institit d'etide , 1980, p 07.

² - جاك لومال، مدخل إلى علم المخطوط، تر: مصطفى الطوبي، ط.1، مطبعة الأوراق الوطنية ، مراكش، 2006م، ص ص 26-27.

³ - المرجع نفسه، ص 36.

⁴ - مصطفى الطوبي، مقالات في علم المخطوطات، ط.1، دار القلم للطباعة والنشر، الرباط، 2000م، ص 81.

الإستهلاكية المزخرفة والمكتوبة، عناوين الأبواب والفصول، وأنواع الترقيم والحك والمحو، والطلس والإحالة، والتشطيب وما إلى ذلك ¹.

5- المخطوطات في الجزائر:

في ضوء هذه المعطيات شهدت الجزائر كغيرها من البلاد العربية الإسلامية اهتماما كبيرا بالمخطوطات تأليفا ونسخا، وعرفت بمراكز ومخازن جمع التراث المخطوط في مختلف فنون المعرفة الإنسانية من فقه وعقيدة، وتفسير، وفلسفة، وتصوف، وبلاغة، وحساب وطب، وزراعة، وكيمياء ... ²، وازدهرت خلال الفترة العثمانية بالحركة العلمية بفضل رجالها وعلمائها. فإذا كانت الدراسة التاريخية للمخطوط الجزائري تمثل الركن الأول من أركان علم المخطوطات، فإن الركن الثاني هو دراسة المخطوط باعتباره وعاءً من أوعية المعلومات، أو بالأحرى هو دراسة الحالة المادية. مم صنع؟، على أي شيء كتب؟ وبماذا كتب؟ وما الذي أضيف إليه من وسائل الإيضاح ومظاهر التجميل؟ وكيف استوى في صورته النهائية التي وصلت إلينا؟.

أ- مواد الكتابة:

أتاح لنا هذا البحث فهماً أعمق لأسس صناعة الكتب، من خلال التعرف على نوعية الورق، وأصناف الحبر، وأشكال الخطوط، وأساليب التجليد، بفضل إحتكاكنا المباشر بالمصادر المخطوطة في بايلك الغرب، وبتعاون المهتمين بهذه النفائس العلمية الثمينة.

1- الورق: إذا كان الورق يشكّل الخامة الأساسية في تكوين الكتب ومعظم المخطوطات فمم يتكون هذا الورق؟ وهل يوجد ورق مقاوم وورق غير مقاوم؟ وأي نوع من الورق استخدم في المخطوطات المؤلفة في بايلك الغرب خلال العهد العثماني؟.

¹ - مصطفى الطوبي، من أجل دراسة حفرية المخطوطات العربية محاولات تطبيقية في علم المخطوطات، مركز نجباويه للبرمجة الدراسات والطباعة والنشر، مصر، 2010م، ص ص 20-21.

² - مختار بونقاب، " واقع المخطوطات الجزائرية دراسة المخطوطات في الخزائن الخاصة والمكتبات العامة "، مجلة الحوار المتوسطي، ع. 15، مارس 2017م، ص 532.

:.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

حتى نتعرف على الورق المستخدم في مؤلفات العهد العثماني، يجدر بنا أولاً أن نتعرف على تركيبته. حيث يتركب الورق من ألياف السيلولوز التي تحدد دومان الورق¹.

من هنا تبين أن الورق المصنوع يدوياً من القماش (القطن أو التيل) يعتبر أقوى أنواع الورق وأكثرها دواماً ومقاومة لعوامل الزمن، عكس الورق المصنوع آلياً، والذي يدخل في تركيبة نشارة الخشب. وهذا عن الورق بصفة عامة، أما الورق المستخدم في مخطوطات بايلك الغرب خلال الفترة العثمانية يبدو أنه ورق مقاوم لعوامل الزمن من جهة، ومن جهة أخرى يظهر أنه ورق مصنوع من القماش، وهذا الورق متنوع الأحجام والخشونة والملاسة. وهناك أوراق كبيرة وصغيرة، ملساء، خشنة فبخصوص أشكال الأوراق، فالنوع الذي عثرنا عليه في هذه المخطوطات هو الذي يكون فيه إرتفاع الورقة أكثر من عرضها، وهذا النوع هو الشكل المألوف في جميع كتب العهد العثماني².

لا تختلف هذه الأوراق في الشكل فقط، بل في الخشونة والألوان، فمن بين الكتب التي كانت أوراقها خشنة كتاب "الرحلة القمرية" لابن زرفة، فورقه خشن، وأحرش ومصفر، في حين نجد نسخة من نسخ "نفخ الطيب" للمقري ملساء ناعمة صفراء³ اللون ومصقولة، كذلك الحال بالنسبة لمخطوط عجائب الأسفار لأبي رأس الناصر فهو أملس وأوراقه بيضاء، والظاهر أن الأوراق الملساء تغطي بالصمغ ثم تصقل وتلمع⁴.

2- الحبر:

¹ - محمد فريد محمود عزت، قاموس المصطلحات الإسلامية، دار الشروق، جدة ، [د.س]، ص 273.

² - يُعرف هذا الشكل بالشكل الفرنسي (La forme française)، وهو النمط المألوف في جميع كتب العهد العثماني، وإن اختلفت أحجامها.

من الأمثلة على ذلك كتاب أبي أرس: عجائب الأسفار، والذي توجد منه نسختان:

• النسخة الأولى: رقمها 1633، وقياس ورقتها (21 × 15.6 سم).

• النسخة الثانية: رقمها 1633، وقياس ورقتها (21 × 15.6 سم).

جميع المخطوطات مختلفة الأحجام، ويمكن الرجوع إلى الوصف البيبليوغرافي للمخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية لتتضح الصورة. وتجدر الإشارة إلى أننا عايناه هذه الخصائص من خلال احتكاكنا المباشر بتلك المخطوطات.

³ - بالنسبة للأوراق البيضاء، لا يُضاف إليها شيء. أما الأوراق الصفراء فيُضاف إليها الشاي ليكسبها هذا اللون. وقد أخبرني بذلك الباحث في علم المخطوطات، صلاح الدين بن نعوم، الذي أذن لي بالحديث عن ذلك.

⁴ - لوسيان فاقر وهنري جان مارتان، ظهور الكتاب، تر: اللواء محمد سميج السيد، ط.4، دار طلال، دمشق، 1988م، ص 16.

نجد أن أغلب المخطوطات التي إطلعنا عليها يستعمل أصحابها الحبر الأسود لمخالفته بياض الورقة، وحتى يعطي منظرا جميلا للكتابة وعلى رأي القلقشندي:

رُبْعُ الْكِتَابَةِ فِي سَوَادٍ مَدَادِهَا *** وَالرُّبْعُ فِي صِنَاعَةِ الْكُتُبِ¹.

أما عن تراكيب الحبر فقد حاولت معرفتها من خلال الإستعانة بعمال المخبر في المكتبة الوطنية، حيث كانوا في هذه الأثناء يقومون بترميم المخطوطات وإعادة إستتساخ بعضها بنفس الشكل والورق والكتابة، لكن لم أصل إلى نتيجة لأن ذلك يحتاج إلى مختصين في الكيمياء، وكان هدفي من ذلك هو معرفة ما إذا كان الحبر المستعمل خلال الفترة العثمانية هو نفسه الحبر المستعمل حاليا. وللإشارة فإن طريقة صنع الحبر عند العرب، لا يزال البعض يستعملها الآن حيث توجد تراكيب خاصة للأحبار لا يزال بعض الخطّاطين يستعملونها وأشهرها المتخذ من سواد برز الفجل، والكتان حين يوضع وضعها في مسارج توقد، ويجمع سوادهما ثم يخلط بالصمغ العربي والماء، ويدقّ لعدة ساعات² فلربما تكون الطريقة نفسها التي صنع بها الحبر الذي يكتب به خلال العهد العثماني، أو كانوا يستعملون آخر مصنوع بطريقة أخرى، ولم يكتف المؤرخون خلال العهد العثماني على إستعمال الحبر الأسود والبني فقط، بل كان البعض منهم يستعمل الألوان في كتاباته³ حتى تعطي منظرا جميلا ومنظما، ومن بين هذه الألوان البنفسجي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، وهذه الألوان عادة ما تستعمل في العناوين، ووضع النقاط بين العمل كما هو الحال في رحلة ابن زرفة.

3- الخط:

قبل الحديث عن الخط المستعمل في كتابة المخطوط نرجع إلى الأداة التي ساهمت في بروز الخطّ ألا وهي القلم، فهو أشرف أدوات الكتابة وأعلاها رتبة، فقد أقسم الله عز وجل به تعظيما له

¹ - أحمد القلقشندي أبي العباس، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ج.1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ص 473.

² - محمد السعيد الشريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاش، الشركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1982م، ص 217.

³ - هناك مخطوطات استعمل في كتابتها جميع الألوان: الحلل الحريرية... لأبي رأس الناصري فقد استعمل فيها جميع الألوان، المذهب، الأحمر، الأزرق، البنفسجي، الأصفر، الأخضر، زيادة على الأسود. - حسب إطلاعنا - على المخطوط التي وقع بين أيدينا .

ولما فيه من البيان في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾¹ وورد له عدّة تسميات منها اليراع والمزير والمذبر، ويقال زيرت أي كتبت ويسموه قلما لأنه قلم أي قطع وسوى كما يقلم الظفر².

استخدم مؤرخو الفترة العثمانية أقلاما عديدة على غرار قلم السعف، قلم العاج، قلم القصب، قلم الريشة وأشهرها قلم البوص المصنوع من قصب وذلك لسهولة بري ريشته، فهل أتقن الجزائريون خلال العهد العثماني الخط؟ وهل هناك من احترف الخط كحرفة؟ وأي أنواع الخطوط استعملوا في كتاباتهم؟.

أشارت بعض المصادر المؤلفة خلال العهد العثماني إلى وجود عدد من المهتمين بفن الخط في الجزائر آنذاك، ومن بين أبرزهم عبد الله بن العطار، الذي عُرف بجودة خطّه حتى قيل أنه فاق ابن مقلة³ شهرةً في هذا المجال. كما اشتهر بحرفة النسخ أيضاً إبراهيم الحركاتي⁴، الذي كان يُدرّس هذه الصنعة، وقد شهد له بذلك العلامة الفكون، إذ قال: " ... وممن تعاطوا التدريس أبو إسحاق إبراهيم الحركاتي ببلد ميلة وكان نساخا ذا خط إتقان فيه...".

يتضح هنا أن الخط له دور كبير في تقريب بعض العلماء والمفكرين من السلطة العثمانية، حيث عُينوا في مناصب هامة، وفي هذا الصدد وبالبابيك الغربي نجد صاحب " الثغر الجماني" يقول: " ثم وَجّه لملك المغرب هدية مع قاضي محلته، وكاتبه الأديب الماهر محبنا السيد أحمد بن الهطال أبقاها الله ... أمرهما بشراء ما يجدانه ببيع من ذلك، وذهب كاتبه إلى جبل طارق فبقي مدة إلى أن رجع إليه بمئتي قنطار وخمسين من البارود⁵.

¹-سورة القلم، الآية 01.

²-الفلقشندي، المصدر السابق، ج.2، ص 431، البطلوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد، الإقتضاب في شرح أدب الكاتب، تح: مصطفى السقا حامد عبد المجيد، ج.1، ط.1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ص 161.

³- ابن مقلة: وُلد ابن مقلة في بغداد عام 272هـ. لُقّب بـ "شيخ الخطاطين العرب" لأنه كان وزيرا وخطاطا بارزا. يُعرف بأنه واضع قواعد خط النسخ الذي أسماه "البديع"، ويُعد من أشهر الخطاطين في العصر العباسي. ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.15، [د.د.ش.، [د.س.، ص 225.

⁴-إبراهيم الحركاتي: "، كان من أبرز الدارسين في مدينة ميلة. اشتهر بأنه ناسخ متقن، خطه واضح، وكان متدينا وورعا. للمزيد ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1987م، ص 115.

⁵- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 147.

بالرغم من أن أغلب المخطوطات كانت مغربية محضة، وكان الخطّ البارز على جلّ مخطوطات بابيك الغرب مغربي، إلا أننا نجد بعض المصنفات كتبها أصحابها بالخط الأندلسي والذي قال عنه ابن خلدون: "... وغلبته على خطوط إفريقيا"¹.

4- صناعة الكتاب المخطوط:

نستهل هذا العنصر بقول شو (Shaw): " أن الجزائريين لا يستعملون الأوراق، وإنما لكل واحد لوحة من الخشب سهلة المسح²، ومن خلال هذا القول، يُستشف أن صناعة الكتب في الجزائر خلال تلك الفترة كانت ضعيفة الحضور، وربما شبه منعدمة، مما يعكس محدودية إنتشار هذه الحرفة مقارنة بمناطق أخرى، وقد كنت أظن أن الورق المستخدم في الكتب التي ألفها الجزائريون خاصة بالبابيك الغربي إما أنها مجلوبة من بلاد المشرق، أو أن المؤرخين الجزائريين ألفوا كتبهم بالمشرق على اعتبار أن أغلبهم رحل إلى المشرق طلبا للعلم أو الحجّ، ثم إن العثمانيين³ لم يهتموا بالثقافة ولا بوسائلها، زيادة على ذلك فهذه الصناعة لا تجلب المال.

يتبين من هنا أن عملية نشر الكتب تتم عن طريق النسخ، وغالبا ما تكون النسخة الأولى للمؤلف مكتوبة بخطّه أو عن طريق إملائها على أحد الخطّاطين، وتوزع هذه النسخة بين الطلبة والناس، وكان كلّ من يعجبه الكتاب ينسخه بنفسه، أو يكلف بعض الخطّاطين بنسخه، وهناك بعض المؤلفين من كان يطلب من بعض الخطّاطين بنسخ كتابه أكثر من مرة، وذلك من أجل أن يهديه إلى أحد العلماء، أو من أجل التقرب به إلى رجال السلطة ومن أجل بيعه⁴، على خلاف ما سبق، فإن الكتاب لم يلق صدى من الجميع، بل هناك طبقة مهتمة لأمره كالعلماء والطلبة الذين يريدون أخذ الإجازة من مؤلفه، وبعض محبي العلم ومستعمليهما فئة قليلة.

¹-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 321.

²-Shaw, Voyage de Mons^R show M,D, dans plusieurs provinces de la Barbarie et du Levant ,contenant des Obsevationes Geographique ,Physique,Philologiques,et Melees,sur Les Royaumes d'Alger Et du Tunis, la Syrie, l'Egypte et l'Arabie Petrée,avec des Cartes et Des Figures. traduits de l'anglais : Jean Neaulme , t.1, la laye , 1743, p338.

³- في الحقيقة أن الدولة العثمانية لم تهتم بالتدوين ولا بالحركة العلمية إلا أن هناك حقائق يجب أن لا نتغاضي عليها منها أن العثمانيين جاؤوا إلى البلاد العربية والإسلامية عامة ومجتمعاتها قد نخر في أساسها الضعف والتدهور . ينظر: عبد الحميد سليمان، "الحياة الفكرية في الولايات العربية"، المجلة التاريخية المغربية، ع 57، 58، زغوان -تونس، ص 46.

⁴- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.1، ص 292.

استناداً إلى هذه القناعة، بدأنا في تقصي صفحات المصادر المكتوبة لتعزيز هذا الرأي، فوجدنا بعد الإطلاع على بعض النصوص ما يشير إلى أن بالجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين في صناعة الكتب¹. بالمقابل فإن الإطار الجغرافي لدراستنا يقتصر على بابلك الغرب، أين برزت مدينة تلمسان، كمركز مهم في نشاط الوراقة. إذ كانت عملية نشر الكتب تتم أساساً عن طريق النسخ اليدوي، وغالباً ما تُكتب النسخة الأولى بخط المؤلف نفسه أو تُحرر بإملائه على أحد الخطّاطين، ثم تُوزع على الطلبة أو عامة الناس. وكان من يجد في الكتاب فائدة يقوم بنسخه بنفسه، أو يكلف أحد الخطّاطين بذلك. بل أن بعض المؤلفين كانوا يطلبون من الخطّاطين نسخ كتبهم أكثر من مرة، إما لهداياها إلى بعض العلماء، أو تقريباً بها إلى رجال السلطة، أو من أجل بيعه²، ومع ذلك فإن الكتاب لم يلق صدى من الجميع بل هناك طبقة معينة مهتمة لأمره كالعلماء والطلبة الذين يريدون أخذ الإجازة من مؤلفه أو بعض محبي العلم³.

5- سعر المخطوط:

عند التطرق إلى أسعار المخطوطات، لا بد من المرور بالجانب الإقتصادي السائد آنذاك، والذي كان يركز في جوهره على نظام الأسواق. ومن الطبيعي أن يتأثر السعر بمبدأ العرض والطلب، فكلما زاد الإقبال على سلعة ما، إرتفع سعرها، والعكس صحيح. ومن هذا المنطلق تطرح الإشكالية الآتية: ما المعايير التي كانت تُعتمد في تحديد أسعار المخطوطات؟ وهل كانت أسعار الكتب في ذلك الزمن مرتفعة أم منخفضة؟.

¹ - يُلاحظ أن أغلب المشتغلين في صناعة الكتب كانوا ينتمون إلى البابلك الشرقي. ففي منشور "الهداية"، ورد أن الطالب محمد النقاوسي كان سمساراً للكتب في قسنطينة. كما روى ابن حمادوش أنه كان يعمل في تجليد الكتب ونسخها، وكان يملك محلاً خاصاً لهذا الغرض مقابل الجامع الكبير. وقد ظهرت في بعض مناطق الجزائر أسواق خاصة بالخطّاطين، مثل سوق الوراقين، ومن خلال هذه الأسواق، تطورت مهنة الخط وأصبحت حرفة يمارسها الجزائريون. ومن أشهر الخطّاطين في تلك الفترة حسين الجزائري. ينظر: محمد الجليل بن علي المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، مج.1، ط.3، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1988م، ص 55.

² - أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، المرجع السابق، ص 292.

³ - يظهر ذلك عند دراستنا للإجازات العلمية، وسوف نتحدث على هذا الموضوع بشكل مفصل في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

ثم إن المصادر التي صادفناها سكنت في هذا الموضوع، ماهي إلاّ إشارات قليلة فقط لبعض المؤلفين¹ أدلت بتشجيع بعض البايات للتأليف في الجهة الغربية، فنجد الباي محمد الكبير يساهم في التشجيع على حركة التأليف والنسخ كوسيلة لإنتشار الكتب، ولقد عرّج ابن سحنون على هذا الجانب في قوله: "... الباي محمد الكبير الذي شجّع الطلبة وكتّابه على نسخ الكتب، وإختصار ما طال منها، وكان يكافئهم بسخائهم..."².

وركحا على ذلك، قام الباي محمد الكبير بتقريب العلماء والفقهاء إلى ديوانه ومجالسه، حيث كان يختار من جلسائه خاصة العلماء والأدباء والشعراء في المناسبات، وفي هذا المضمار يقول دائما كاتبه ابن سحنون: "... فإنه كان يعلم فيها الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين، المؤدبين والمدرسين"³، وهذا يدلّ على أنّ الباي الفاتح يحبّ الطلبة ويعظّم العلماء، وقد وضع لهم مرتبات زيادة على المنح والهدايا التي يفاجئهم بها، ويكفينا دليلا على ذلك ما ألفه علماء عصره من كتب نفيسة في أخلاقه ومدى تجاوبه مع العلماء، ومن هذه الكتب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي رأس الناصري و"الثغر الجماني" لابن سحنون و"الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية" لمصطفى بن عبد الله وغير ذلك⁴.

لا جرم أنّ الشعراء كان يجازيهم أحسن الجزاء ويجزل لهم العطاء، ونذكر أنّه أهدى إلى الحاج أحمد القرومي مائة محبوب ذهبا وإعطائه ألبسة تساوي خمسين محبوبا عندما مدحه بقصيدتين أولها في تشييده للمسجد الكبير بمدينة معسكر، وثانيهما بمناسبة فتحه لمدينة الأغواط وأحوازها، وذكر أبو رأس الناصري مدرستين من مدارس التعليم العالي في عهده، المدرسة القشاشية بمدينة الجزائر، وثانيهما المدرسة المحمدية في بايلك الغرب⁵. ولا يقتصر هذا الدعم على

¹ - نجد المؤلفين الجزائريين خارج البايك الذين تحدثوا عن الموضوع ابن حمادوش حيث يقول : " .. ويوم الخميس اشترت مقامات الحريري بخمسة اوراق موزونت ... " وقوله " اشترت شمائل الترميذي وشروحها لابن مخلص ، واشترت مفيد الأحكام لابن هاشم . ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش ، المصدر السابق، ص ص 70-71.

² -ابن سحنون ،المصدر السابق، ص 143.

³ - المصدر نفسه، ص 146.

⁴ - نفسه ، ص 65 بتصرف.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، "مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي ، أبو رأس الناصري" ، مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، ع.12، 1974م، ص 21.

:.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابيك الغرب

الباي محمد الكبير بل نجد كذلك عثمان باي¹ بن إبراهيم سنة 1791م، الذي كان يساهم في دعم العلماء سواء بالمال والهدايا أو بناء مؤسسات ثقافية على غرار الجامع الأعظم بمعسكر، وكذلك أبو إسحاق إبراهيم سنة 1765 م. فقل أنه كان محبا للعلماء ومعظما للصالحين ومآثره كثيرة².

كانت هذه الهدايا والمرتبات والمنح في حد ذاتها تمثل أعلى قيمة مادية يمكن أن ينالها أصحاب المخطوطات. ويمثل هذا الجانب محورا أساسيا في فهم العلاقة، فلعل أصحابها كانوا الممول الأول لهم. وهؤلاء البايات أخذهم الإهتمام من طرف نشاط عملية شرائهم للكتب، فقد روى ابن سحنون عن الباي محمد الكبير في قوله: "أما حبه للعلم وإحسانه إلى العلماء الأخيار فقد شاع ما يفني الأخبار، وكم من تأليف نشأ بأمره، فمنها أنه أمر بعض الطلبة سلفا بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك فجمع له من ذلك رسالة أثابه عليها سبعين من الدنانير، وجمع له بين كلام شارح السوانية في الباري وصاحب التذكرة في أقل من كراسته فأثابني بمائة سلطاني..."³.

عموماً، فإن هذه الكتب التي استشهد بها ليست تاريخية بالمعنى الدقيق، بل أوردت بهدف التعرف على بعض الكتب، والكتاب الوحيد الذي تم ذكر سعره هو "التحفة المرضية" فقد كتب على ظهر أول صفحة من المخطوط الذي يتواجد بالمكتبة الوطنية ما يلي: "هذا الكتاب اشتراه خليل بست ريالات دراهم صغار"⁴، وهي مجهولة النسخ فصناعة الكتب كانت متقنة ومكلفة من تصبيغ وبعدها تجليد الكتاب الذي يكون من الكاغد فيتحكم في سعر المخطوط، باعتبار أن المؤلف من خلال هذا يبذل جهدا عضليا فوق وسعر الكتاب يرتبط بقيمة المؤلف، فنجد العالم الحافظ الشيخ محمد الرماصي فقيه بلاد الراشدية المتوفى 1137هـ بالرغم من أن تأليفه قليلة إلا أن كتابه المسمى بـ "شرح خليل" تهافت عليه الطلبة بشكل كبير بسبب جودته وقيمته العلمية

¹-الباي الحاج عثمان ابن إبراهيم: حكم الباي الحاج عثمان بن إبراهيم بابيك الغرب في فترتين. في المرة الأولى بتلمسان، ثار عليه الباي المسراتي بن مصطفى بوشلاغم وأهالي المدينة، ما أجبره على الهرب إلى الجزائر العاصمة. عاد إلى الحكم للمرة الثانية عام 1747م، وتوفي عام 1756م. ينظر: يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويلييه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويلييه الساجد العتيقة في الغرب الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 57.

²-مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 20.

³-ابن سحنون، المصدر السابق، ص 146.

⁴-أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1223، ورقة 1، و.

والفقهية والأدبية والتاريخية¹. كما كان يؤخذ بعين الاعتبار شكل الكتاب باعتباره النسخة التي تعاملنا معها، فكانت ورقاته ملساء ومكسوة بالجلد ولعلّ هذا يعتبر عاملاً من عوامل المساعدة في إقتناء المخطوطات.

- ثانياً: الجانب العلمي والثقافي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني - بايلك الغرب -.

ما لا نستطيع أن نحيد القارئ عليه هو أنّ البحث في التاريخ الثقافي للجزائر والإطلاع الدقيق على الوثائق والنصوص التاريخية الأصلية، والمتمثلة في المخطوطات والوثائق الأرشيفية، يهدف إلى تسليط الضوء على الرصيد الثقافي والعلمي للمؤرخين الجزائريين، الذين برزوا في الجهة الغربية من البلاد. فقد كان لهؤلاء العلماء دور محوري خلال الحقبة العثمانية، من خلال نشر الثقافة الإسلامية، وإصدار الفتاوى، وتأليف القصائد الشعرية التي خدمت أغراضاً متعددة ومتنوعة.

امتاز علماء المنطقة الغربية بتسجيل تاريخ بلادهم فخطّوه بتأليف قيمة، حيث جاءت المخطوطات التاريخية لبعض العلماء في شكل كناشات²، ودواوين فإذا تصفحته تجد بين دفتيه مادة تاريخية متنوعة المواضيع تتخلّلها أشعار متنوعة وأجوبة على الرسائل، فالكناش عبارة عن مفكرة بالتعبير المعاصر، وفي المقابل نجد أن هذه النفائس المخطوطة تعالج موضوعاتها بالوصف والتحليل.

من هذا المنطلق، تتناول المخطوطات بعمق الجوانب الثقافية والعلمية لأصحابها، كاشفة عن دورهم الحيوي في إثراء التراث الفكري والعلمي، ومبرزة تأثيرهم العميق في مسيرة تطور المعرفة في عصرهم بالجزائر العثمانية، والتأليف لم يكن مهنة أو هواية، بل واجبا دينيا نبيلاً من قبل فريضة أو عملاً تقتضيه الدعوة³.

¹ - سوف نتطرق إليه في الجوانب الدينية الفصل الأخير من هذه الدراسة.

² - الكناشة: هي مذكرة يسجل فيها الشخص الأحداث التي عاينها وشهد عليها، ويدون فيها ما نظمته من أشعار ومناظرات علمية أو مساجلات أدبية. لقد صيغ هذا التعريف بناءً على ما اطلعنا عليه من الكناشات، وخاصة كناشة الباحث صلاح بنعوم، والتي سيقف ملحق خاص بها. ينظر ملحق رقم 01، ص344.

³ - الثابتي أحمد، مخطوط عبارة عن تعليقات، موجود بخزانة محمد بن نعوم معسكر، ورقة، 15، و.

الواقع العلمي يقصد به النشأة العلمية أي نوعية وأسلوب التكوين الذي تلقوه، فالتاريخ لم يرق إلى مستوى علم له ضوابطه التقنية والمنهجية، مثل ما هو عليه الحال، وقد يتساءل القارئ عن جدوى دراسته للواقع العلمي للمؤرخين.

الأمر الذي يدلّ على أنّ نوع التكوين وأطره له تأثير كبير على توجيه إهتمامات المؤرخ في تأليفه ومنهجه، حين يتلقى تكويناً أدبياً تكون لغته أرقى، ومن كان تكوينه دينياً يهتم لتراجم الأعلام، ورجالات التصوف والعلم الشرعي أكثر من إهتمامه بأصحاب العلوم الأخرى ومن نشأ على الأخبار والتاريخ مال في الغالب إلى التاريخ¹، فنجد أن أغلب المؤرخين أصحاب المخطوطات النفيسة من أسر علمية، حيث تلقوا العلم على يد آبائهم، فابن مريم احترف التعليم واشتغل بالتأليف، وقد ذكر في ترجمته لوالده سيدي محمد بن أحمد أنه احترف التعليم، وكان أول عهده بتعليم الصبيان، يوم خلف أباه عندما مرض مرض الموت، وقد حثّه والده على الستمرار في هذه المهنة².

كثيراً ما يوجد للفرد الواحد عدة كناشات لسعة إطلاعه ووفرة مباحثه، فأبو رأس الناصري في مؤلفه "فتح الإله" ومنته أنه أخذ العلم على يد والده، ثم رحل إلى فاس وبعدها عاد إلى الجزائر ليلزم شيخه عبد القادر المشرفي، أما عن أنواع التكوين أو العلوم التي تلقوها فأغلبها بالأحرى جلّها علوم دينية³.

لم يقتصر ذلك على معالم فقط، فكتاب بن ميمون "التحفة المرضية..."، بالرغم من أنه ذو مقامات أدبية إلا أنه يحوي التصوف الداعي إلى التسليم بما كان وسيكون، وهذا أبوراس الناصري بالرغم من أنه كان محباً للتاريخ كثيراً، واقتدائه بمن سبقه كالسيوطي إلا أنه ألف في علوم الدين 39 كتاباً من مجموع 137 في مختلف العلوم الأخرى⁴.

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، مخطوط مصور بالخزانة العامة بالرباط، ورقة 14، و.

² - ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بلمسان، مخطوط المكتبة الوطنية، رقم: 1736، ورقة 5، ظ.

³ - أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 32.

⁴ - ابن ميمون، التحفة المرضية...، المصدر السابق، ص 56.

فصاحب المخطوط كان يبدأ في الكتاب بإستظهار القرآن وبعضاً من صحيح البخاري، ومتون النحو والصرف، وعادة ما يبدأ المتعلم في صقل ملكته العلمية على أساس السماع والحفظ، بحيث يتقدم دور التدوين والكتب، وإذا تمّ للطالب إستظهار كتاب الله ينتقل من مرحلة إلى أخرى وكثيراً ما يكون الترحال بحثاً عن العلم هو الوسيلة الضرورية والأكثر علواً، وقد كانت القبلية لكل من تونس ومدن المغرب الأقصى ومصر والحجاز، ومن البابك للمدن الجزائرية كغرداية وقسنطينة وغيرها، حيث كان الطالب يلزم شيخه إلى أن يحصل منه على إجازة علمية مدونة، وقد تستمر الملازمة أشهراً عديدة بحضور جلّ المشاركات في الحلقات وجمع الشارد والوارد، وإثبات الطاعة والإعجاب، وكان المُجاز يأخذ شهادة تعطيه الحق في التدريس ورواية العلم الذي أجازه فيه المجيز، وهناك نوعين من الإجازات، إجازة مقيّدة ويحدّد المجيز في نصّها مجال العلوم الذي لقّنه للطالب، والكتب التي قرأها له¹. يعدّها واحدة واحدة²، أمّا الإجازات المطلقة فلا تقييد فيها ولا تحديد، يجيز فيها الشيخ للطالب تدريس ما أقرأه إياه، وكانت الإجازات العلمية إحدى أهمّ دواعي الرحلة في طلب العلم، فأغلب مؤرخي العهد العثماني تحصلوا على إجازات من شيوخهم فبالرغم من أنّ المصادر سكّنت عن الكثير من جوانب حياتهم، إلّا أنّ أغلبها تحدثت عن الإجازات، فأصحاب المخطوطات أنفسهم يذكرون ذلك في مؤلفاتهم لما لهذه المؤلفات من رفع قيمة المؤرخ أي الطالب الذي تحصل عليه. فابن سحنون يخبرنا بنفسه في مؤلفه عن إجازة بن عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن المشهور أبي جلال ويورد نصّ هذه الإجازة³.

إنحصرت الثقافة لدى مؤلفي غرب الإيالة في بعض التفسير والشروح والحواشي الفقهية العقائدية، أمّا الفلسفة فقد حرم بعض الفقهاء الخوض فيها وحذروا منها تلاميذهم ومنعوهم أن يتعلموها خوفاً عليهم من أن يتيهوا في درب الكفر والإلحاد⁴.

¹ - المغيلي العضوني التلمساني، شرح التلمسانية في الفرائض، مخطوط مصورة بالخرزانة تمكروت، ورقة 12، و.

² - محمد بن يوسف السنوسي الحسني التلمساني، تفسير ما تضمن كلمات خير البرية من غامض أسوار الصناعة الطبية، مخطوط مصور موجود بخرزانة القرويين، الورقة 8، و.

³ - ابن سحنون، المصدر السابق، ص230.

⁴ - محمد بن ميمون، التحفة المرضية...، مخطوط السابق، ورقة 23، و.

على إثر هذا، يذكر ابن ميمون أن منتوج العلماء الجزائريين غلب عليه التقليد الأعمى من حيث التفكير، تارة لعلماء المغرب الأقصى وتونس، وتارة لعلماء المشرق العربي، وبلاد الأندلس¹.

برع علماء الجهة الغربية في العلوم الدينية، فاستطاعوا أن يفسروا القرآن الكريم، وأن يقوموا بحلقات الدروس وسيطر على مجالسهم القرآن الكريم، والكتب المشبعة بالأفكار الدينية والأوراد مثل دليل الخيرات وتنبيه الأنام، ودرسوا النحو - بالآجرومية وألفية ابن مالك وشرحها للمكودي - أما الصّرف فحصلوه كثيراً بلامية الأفعال لابن مالك، وفقه اللغة والبلاغة بجوهرة الأخضرى، وحواشي السعد التفتازاني، أما العروض بالخرجية مع شرحها وبرعوا في الأدب والسيرة ثم الأخبار، أما العلوم المحصنة فأتقنوا المنطق وعلم الحساب والفرائض وعلم الفلك².

رغم سيطرة العلوم الدينية واللّغوية على التعليم، فإن بعض أصحاب النفائس الثمينة كانوا يهتمون بالعلوم المحصنة، فكان يدرس الحساب لفهم العمليات الأربعة وممارسة التجارة، والفرائض لمعرفة قسمة التركات ونحوها، والفلك لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة، والهلال ونحوه، والمنطق لعلاقته بالتوحيد.

هذا وقد تباينت آراء العلماء ومن الذين ذاع صيتهم ومكانتهم العلمية بالجهة الغربية سيدي بن يخلف³ الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى بمواهب جليلة وصفات كريمة عظيمة حتى كاد أن يتفرد بذلك، كونه وحيد زمانه لم يدر أحد في فضله وعلمه ممن عاصروه، فقد فاق غيره بمكانته العلمية وقد ورد هذا الكلام في تأليف شيخه عبد الرحمن المسمى "ياقوتة المرجان" الذي يؤكد فيه أنه كان من أفضل علماء زمانه في العلم والمعرفة والإخلاص، وأنه إمام صوفي صالح عابد له المعرفة الكاملة في التصوّف، وقد ساهم في نشر العلوم وإتساع المعارف والآداب، ومتابعة

¹ - محمد بن ميمون، التحفة المرضية ...، مخطوط السابق، الورقة 24، ظ.

² - تقيرض الشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف لكتاب واسطة عقد الحواشي للشيخ أبي راس، مخطوط موجود بالمكتبة بن نعم، معسكر. ينظر ملحق رقم 02، ص 345.

³ - تلقى سيدي بن يخلف بن علي امحمد بن سعيد بن أحمد الزحاف بن أحمد ابن يخلف بن علي بن يحيى بن راشد بن فرقان دراسته في زاوية والده، حيث حفظ القرآن الكريم والفقه والحديث والتفسير على يد شيخ من سحرارة. برع سيدي بن يخلف في العديد من الفنون، خاصة في قراءة القرآن الكريم ودراسة رسمه. كما حفظ عدداً كبيراً من الأحاديث النبوية، ومنها الصحيحان (البخاري ومسلم). أتم شرح صحيح البخاري على يد شيخه سيدي عبد الرحمن، الذي أكرمه في نهاية المطاف وأتاح له الفرصة لإجازة الطلاب. ينظر: لحرش عبد القادر، إفاة الأحاسيس عن ما جهل من علماء غريس، المصدر السابق، ورقة 5، و .

الطريقة القادرية فذاع صيته وقصده طلاب العلم وتخرج على يديه طلبة كثر منهم: الشيخ بن حواء، الشيخ سيدي العوني، سيدي حمزة العمراوي¹.

الراجح أن المصادر التاريخية أبرزت لنا الواقع العلمي في مخطوطات أصحابها، ويعدّ عبد القادر المشرفي من أبرز الشخصيات التي ذاع صيتها، حيث درس وتعلم علي يد والده أصول الشريعة الإسلامية المتجذرة²، فكان عالما ومحدثا أميناً³ من فقهاء المالكية⁴.

أشار أبي راس الناصري عنه في مخطوطه فتح الإله: "... ذو الرأي النير الصفي والمنصب الحقي والسر الخفي، أحد أعلام المنطقة الراشدية، ومن أبرز بيوتاتها العلمية الذين تولوا مناصب متعددة دينية علمية كالقضاء، الإفتاء والخطابة ...⁵. فيعتبر الراشد الجامع كبار المجاهدين كفاءة وفخراً⁶ حيث تلقى تعليماً وتكويناً فقهياً وأدبياً تماشياً وشروط الفقيه العالم، حيث كان كثير التنقل بين أهم المراكز العلمية في القطر الجزائري التحق الشيخ بكتاب بلدته، حين رحلته إلى المغرب، وكان حريصاً على كتبه رافضاً إعارتها كتأليفه: "درة الحواشي على شرح الشيخ الخرشي"⁷.

إن من التباين في الرواية ما نستشفه في قضية النسب التي ألف فيها كتابه "أنوار البرجيس في شرح عقد النفيس" أنه لا يمكن لأي شخص أن يطلب من أبي راس الناصري الإطلاع على مؤلفاته، فهذا إمتياز لقلّة من رجال العلم فقط ليتصفحوه، فما دهاك بإعارتها أو نسخها!.

من جهة أخرى يكشف المقال المذكور أن شهرة أبي راس الناصري إنتقلت إلى كتبه أيضاً، ليس في أعين العلماء والعامة فقط، بل حتى لدى السلطة العثمانية، التي كانت مستعدة لتسليط أقصى العقوبات على من يضع يده بسوء على شيء يخص الحافظ، وهذا ما حدث مع من أتلّفوا كتابه "أنوار البرجيس" رغم أن الحادثة كانت⁸ بعد وفاة الحافظ، ويدل ذلك على إستمرار الاحترام

¹ - لحرش عبد القادر، إفاقة الأحاسيس عن ما جهل من علماء غريس، المصدر السابق، ورقة 9، و.

² - قدور بوجلال، المرجع السابق، ص 161.

³ - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر...، المصدر السابق، ص 05.

⁴ - عادل النويهيض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، مؤسسة نويهيض الثقافة، بيروت، 1980م، ص 304.

⁵ - أبي راس الناصر، فتح الإله....، مخطوط السابق، ورقة 3، ظ.

⁶ - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى...، مخطوط السابق، ورقة 15، و.

⁷ - أبي راس الناصري، فتح الإله....، المخطوط السابق، ورقة 24، ظ.

⁸ - L.Guinn, Manuscrit d'Anwar Al-Barjis, **R. A**, N° 31, 1887, pp. 77-78.

:.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابيك الغرب

الاحترام والتقدير له ولتراثه، وليس قصدنا من هذا التفصيل إلاّ لنبيّن حجم هذا الإهتمام من الخاصة والعامة، فأعطي لتأليف الشيخ صبغة ميّزتها عن غيرها، خاصّة وأنّ أبا رأس الحفيد كذلك كان حريصا على إرث جده المذكور¹.

كانت مخطوطات البابيك الغربي قيمة ذات أهمية كبيرة، حيث نجد أن المخطوطات التي ألّفها أبو رأس الناصري كانت مطلوبة بشكل كبير، ويعزى ذلك لمستواه العلمي وحسن تحريره وضبطه وتحقيقه لكتبه، فيقول الراوي عن المجموع: "وهو كتاب عزيز مفيد حسن الترتيب مؤلفه صاحب باع طويل".

إنّ المتأمل في ذلك أيضا، هو حرص العلماء على إمتلاك نسخ من تأليف الشيخ أبي رأس مع الحفاظ على السرية في ذلك، وربما لتعذر إمتلاكه طلب الإطلاع عليه فقط، في الأخبار، يقول الراوي: " واطّلع علينا شيخنا المذكور مستكتما إياه أن يبيح به، وهو كتاب عزيز فاستكتامه إياه ما هو إلا لندرة التأليف، وربما النسخة مجموع على السواء يؤكد ذلك حين وصفه بكتاب عزيز.

تحيلنا هذه الجزئية إلى ما يماثلها من قضايا مشابهة، مما يفتح المجال للمقارنة والتحليل ضمن السياق ذاته عبر مؤلفات أبي رأس، ويظهر أنّ هذا الأخير في حدّ ذاته لا يمكن كتابا من كتبه إلا لمن كان من مقريه، وخاصة أصحابه أو من عرف أمانته أو كان من العلماء المشهورين العارفين بقيمة تأليفه، فمن ذلك ما ذكره أبو رأس نفسه في كتابه فتح الإله، ولقد ترك وراءه ثروة علمية ضخمة لأبناء الراشدية أودعها في مؤلفاته المفيدة التي كان معظمها حول التفسير والفقه والحديث والتصوّف، كتب عنه عدة رسائل علمية كلها أشادت له بعلمه وفضله، انتفع بها أبناء عصره وهناك رسائله الخاصة²، هي مقدمة تأليفه التي وضعها فاتحة لرأي المتصوفين، وقد عالج فيها موضوعات تروق لهم وتفيدهم في دينهم وديناهم، وتقربهم إلى أذهانهم أشياء قد يستصعبها العلماء وطلبة العلم.

¹ - ابن الأعرج السليمانى محمد، تقييد في تاريخ ...، المخطوط السابق، ورقة 925، و.

² - أبي رأس الناصري، نص إجازة العلامة الشيخ سيدي محمد أبي رأس المعسكري للشيخ عبد القادر بن عبد الله الدحاوي، وثيقة مخطوطة بخزانة تقي الدين بوكعبير، معسكر . ينظر: الملحق 03، ص 346.

أما مراسلات التّصوّف فيها يسلك طريق الواعظ الذي ينشد صلاح الناس، وتقوم عقائدهم وسيرتهم للعصاة والمنحرفين. ومن تراثه الفكري المخطوط يقول: " الحمد لله الذي جعل القراء حلية اوليائه ونورهم بأنوار معرفته ورحمته، وفجر ألسنتهم ينابيع حكمه وظهرهم من الناس بما احتماهم به من لطفه لقد قيّدت الكلام ورتّبت الألفاظ وفسّرت معناها، ومن فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى طول عمره ودوام منصبه¹. حظي بتقدير طلبته وإجلال عامّة الناس²، وإستطاع أن يتخرّج على يده مجموعة من الشخصيات المشهورة بالمنطقة نذكر منهم: الباي محمد الكبير الذي تولى إدارة بابيك الغرب، وأخذ عن العلامة أبي عبد الله محمد المنور التلمساني الكثير من الفقه والأصول والنحو والبيان وعلم الكلام.

مما يعزّز هذه المكانة العلمية التي تبوّأها له المشرفي في قصيدته الرائية التي وضعها أبو رأس الناصري، يرثي فيها أستاذه عبد القادر المشرفي بعد وفاته يوم الخميس 10 رمضان من سنة 1192هـ / 2 أكتوبر 1778م منها:

أَيَا تَرَى الْكَرْطَ وَرَيْتُ بِيَدَا *** مَآثِرَةَ مِثْلُ الْبَحَارِ الرَّوَاحِرِ
لَقَدْ حَلَّ فِيكَ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالتَّقَى *** فَحَسْبُكَ رَهْنًا مِنَ الْكَرِيمِ الْعَشَائِرِ
هُمَا تَوَى ضَحَى الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ *** مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْهَدَى وَالْمَغَافِرِ.
مِنْ سَنَةِ إِثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ قِيدُوا *** مِنْ بَعْدِ الْمِائَةِ أَلْفَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ.

ثالثا: الأسباب والعوامل المساهمة على تأليف المخطوطات ببابيك الغرب

ساهمت دوافع متباينة الطموح عند الكثيرين لطلب العلم ووضع المخطوطات على أنه ذو إمكانيات محدودة، فهناك من كان يؤلف لينشر العلم والثقافة في مجتمع، فأبو رأس الناصر قبل أن تكون له أسباب عارضة تدفعه للتأليف مثلا كان يطلب من أحدهم توضيح وتفصيل أمر كما هو مبسوط في بعض مؤلفاته، فهو يعتبر نفسه من الذين وجب عليهم تعليم الناس ونشر العلم والمعرفة في مجتمعه على ماتمليه عليه الشريعة، ففي خوضه في النسب يقول: " الحمد لله الذي

¹ - أبو رأس، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 120.

² - بولفاعة سارة، الكتابات التاريخية الجزائرية أواخر ق 18 وبداية القرن 19، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس، 2018-2019م، ص 24.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابلك الغرب

قيض لحفظ النسب الشريف أقواما بعد تطاول الدهور ومرورها حقبا¹. وسنيننا وأعواما بينوا ما دُرسو أوضح ما وقع فيه اللبس فهم الراجحون آراء وأحلاما، لا يطرقهم امتراء ولا افتراء ... فيكون أول أمره معتبرا من أهل التأليف ولكونه من أهل العلم فهو يجعل من العلم بالنسب الشريف فرضا حيث يقول: "والعلم ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه من فروض الإيمان".

من دوافع خوض الشيخ أبو راس أيضا في النسب والتاريخ قول النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان، فلا يكاد يتفق فيه إثنان حتى يقع إختلاف كثير في الأمة الواحدة لإختلاط الأنساب وإختلاط المذاهب وتباين الدعاوي ... فكتب رحمه الله في نسب أشرف غريس، وبعدها اتهم بالطعن في نسب بعضهم فتعرضت مؤلفاته للحرق². ومن بين المخطوطات "أنوار البرجيس وإيضاح الغميس في شرح عقد الجمان النفيس". ومخطوطه "مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف انتهى وذهب".

فالعامل الديني كان له دور كبير في تأليف هذه النفائس المخطوطة، فهو مبدأ أساس في عقيدة كل مسلم بصفة عامة والمؤرخ بصفة خاصة، فالقرآن الكريم حث الناس للنظر في أحوال الأمم السابقة لقوله تعالى: **الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31)** ³.

ثم إن العامل العقائدي في تأليف مخطوطات البابلك الغربي من الجزائر العثمانية بدا واضحا، فالمؤلفون استهلوا كلامهم في جلّ المخطوطات باسم الله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى⁴ ثم ينتقلون إلى بعض مظاهر القدرة الإلهية في الظاهرة التي يريدون دراستها في الكتاب لينتقل إلى الهدف من تأليف هذا الكتاب.

ومثال عن ذلك كتب محمد بن ميمون الجزائري (ت 1746م/1159هـ) موضّحا الهدف من تأليفه للتحفة المرضية... وذلك لتقديره ومحبهه للداي محمد بكداش ورغبته في التقرب إليه وهذا

¹ - أبو راس الناصري، فتح الإله ...، مخطوط السابق، ورقة 14، ظ.

² - نفسه، ورقة 16، و.

³ - سورة لقمان ، الآية: 31.

⁴ - تقييد الشيخ مصطفى المختاري، نسب سيدي أحمد بن علي ضمن مجموع عقائد في النسب ، مخطوطه بخزانة المشارف، تيزي . معسكر ، ورقة 13-14. و. ظ.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابلك الغرب

ماصرح به في المقدمة بقوله: نحمدك يا من جعل الأدب ريحانة للشم، ولقد أجياد البلغاء قلائد العقيان في النثر والنظم...وبعد. فإنني لما رأيت مولانا الإمام الذي أنام في ظل الأمانة... عالم الأمراء وأمير العلماء فخر الدولة العثمانية...أبو النصر محمد بكداش أثارت أنواره جميع البلدان... أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه المحتوى على نشر من السيرة المحمدية عليه... فوسمته باسمه وكسوته نور وسمه... ونسميه ب:"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"¹.

أما مخطوط "الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حينما أغارات عليها جنود الكفرة" لصاحبه محمد بن رقية الجديري التلمساني (ت1780م/1199هـ) تناول موضوع الجهاد والزاميته وترغيب وحث الناس عليه، حيث قال: " الحمد لله الذي وعد الموحدين بالغلبة والنصرة، وجزى المشركين بالخذلان... وبعد فهذه أوراق تحرّض على الجهاد... وسميتها بالزهرة النيرة... وسبب تحريره هذه الأوراق خير الخلق على الاطلاق.... عن إذن الأمير سيدي محمد باي نجل عثمان².

بناء على ما مرّ فإنّ مخطوط "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن" هو مخطوط يحتوي على نسختين وحقق في الآونة الأخيرة. ويدخل هذا المخطوط النفيس في إطار الرد على مقلدي الأئمة والدعوة إلى العمل بالحديث والقرآن وقد صنّفه الشيخ السنوسي في مقدمة ومقصد ثلاثة أبواب وخاتمة حيث تناول ستة مسائل هي:

1- بيان دلالة الكتاب والسنة.

2- وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بها.

3- وجوب إتباعهما وتقديمهما على رأي كل مجتهد.

4- عن رأيه في العمل بالحديث وفي رأي الفقهاء والمحدثين والأصوليين.

5- عن القول بالإجتihad ورده على ذلك الزعم القائل أن الإجتihad قد انقطع بالجماعة.

¹- محمد بن ميمون ، التحفة المرضية ...، مخطوط السابق ، 2، و .

²- محمد بن رقية الجديري ، الزهرة النيرة...، مخطوط السابق، ورقة 20 ، ظ.

6- عن التقليد وما ورد فيه من إبطال المذموم منه بالأدلة وماورد في أقوال العلماء في انحصار التقليد في الأئمة الأربعة¹.

خطّ محمد بن علي السنوسي كتابا يسمى "بغية المقاصد في خلاصة المراد" ويذكر الشيخ في أول كتاب سبب تأليفه للكتاب، فقد وصلته وهو بالمدينة المنورة أسئلة عديدة من أناس كثيرين خصوصا من أهل اليمن والمغرب، ومضمونها الإستفسار عن صحة مايقوله المعترضون عن إتباع الكتاب والسنة وخصوصا لما يتعلّق بأحوال الصلاة مع رفع اليدين وقبضهما والبسمة طالبين تحقيقها وإثبات أدلتها وذلك للرد على بعض المتفكّمين الذين تناولوا على العمل بالسنة.

وعلى عادته في تأليف كتاب "الإيقاظ" يبدأ كتاب المسائل العشر بمقدمة في جلال مقادير أئمة السلف ومن هذا حذوهم واعتصامهم بالكتاب والسنة². ومما سجّله في المقصد:

- في تحديد معاني المذهب والفتوى والقضاء.

- أن السلوك الخلقي القويم هو الذي يتقيّد بالكتاب والسنة.

- يتحدث مرة أخرى عن الاجتهاد والمجتهدين ويبطل إلزام انحصار التقليد في المذاهب الأربعة.

- يكرّر رأيه في الكلام عن المحدثين والأصوليين والفقهاء في العمل بالحديث وتفرّقهم شيعا.

- يشرح كيفية صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفروعها.

تبعاً للدراسة نجد أنّ بعض المؤلفين كتبوا مؤلفاتهم بدافع ذكر بايات بلادهم أو بسبب طلب هؤلاء البايات من المؤرخين تسجيل الأحاديث، فنجد مثلاً³ ابن سحنون الراشدي في مؤلفه "الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني" يخلّد مآثر الباي محمد الكبير ويشيد بمكانته وشجاعته وحبّه للعلم والعلماء، حيث يقول في هذا الصدد: " الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...قصّدت بذلك تخليد مآثره، وتدوين بعض محامده ومغافره... فقد أسدى الإسلام يدا بيضاء توجب له

¹- محمد بن علي السنوسي، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مخطوط مصوّرة بالخرزانة الرباط، تحت رقم: 720، ورقة 4-5-6-س، ظ، و .

²- محمد بن علي السنوسي، بغية المقاصد في خلاصة المراد، مخطوط مصورة بالخرزانة الرباط، تحت رقم: 723، ورقة 13، و .

³- مخطوط نفسه، ورقة 16، ظ .

الإحسان من كل إنسان، وتقضي له الشكر من الأحرار وتعيب من عاب مادحه بالإشتغال بذكر محاسنه لما جعل هذا الواجب أو عجز عن الورود من قراح مدحه وكيف يعاب من مدحه... وقد سميت هذا الصوان المحتوى على البائه المليح المشتمل بثيابه "الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني". ولما وقفنا على البيدرى سماه "الدرر والعسجد في مناقب الباى محمد"¹.

كما وضع مؤلف آخر سماه: "عقود المحاسن" يتكلم عن سيرة الباى محمد حيث ينتمي إلى ديوان الأدب، قال عنه أن الظروف لم تسمح بتقديمه إلى الباى، حيث يقول: "وقد كنت ألفت بإسمه كتاب في الأدب سميته عقود المحاسن"².

تجدر الإشارة إلى كتاب أبي رأس "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" والذي قسم إلى خمسة أبواب فكان الباب الأول متعلقا بحياة أبي رأس، حيث عنوانه: "في ابتداء أمري" والباب الثاني: "في ذكر شيوخه وسماه في ذكر أشياخ النافضين عن قشب أوساخي". في حين خصص الباب الثالث: "للحديث عن رحلته وهو بعنوان: "في رحلته إلى المشرق والمغرب وغيرهما"، ولقاء العلماء، حيث خصص الباب الرابع للمواضيع التي نوقشت في المجالس العلمية التي حضرها. والباب الأخير وصف الباى محمد الكبير وخصاله الحميدة³.

وجب علينا أن نتطرق إلى الرحلة، وكيف ساهمت في تدوين كم هائل من المخطوطات. حيث إهتم المسلمون بتدوين الرحلة ابتداء من القرن ثالث هجري، وكانت رحلاتهم إما حجازية نتيجة مقصد الحج فيها أو علمية لغاية طلب العلم عند المرتحل، ونجد رحلة أبي العباس أحمد المقري التلمساني الشهيرة بعنوان "رحلة في المشرق والمغرب"، وقد اهتم خلالها المقري بذكر المحطات التي زارها ومروره بالجزائر وخص هذا التأليف علاقته بالعلماء والأدباء الذين التقى بهم⁴.

قام محمد بن مسايب التلمساني بتأليف قصيدة شعرية سجل فيها رحلته من تلمسان إلى مكة عبر مدن وقرى الجزائر وذكر مرافقيه في رحلته وهما ابن التركي والزياني بالإضافة إلى نص

¹ - أحمد بن سحنون الراشدي، الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني، مخطوط مصورة بالملكية التيمورية بالقاهرة، تحت رقم: 2186، ورقة 3، و.

² - تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب في حكم المفقود، وقد أشار إليه سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي.

³ - أبو رأس، فتح الإله... المخطوط السابق، ورقة 35، و.

⁴ - أبو العباس أحمد المقري، رحلة إلى المشرق والمغرب، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 3191، 20، و.

إخبار الشيخ المناعي عن رحلة العلامة أبي رأس الناصري إلى تونس ومصر، حيث يتطرق النص إلى أن أبي رأس الناصري، قد زار تونس مرتين. يقول الشيخ المناعي: " كان وفد على تونس مرتين، مرة صادف فيها الشيخ سيدي صالح الكواش ... وصادف في الثانية شيخ سيدي¹ إبراهيم الرياحي فالرحلة الأولى جاءت سنة 1792م، حيث ماثل فتح وهران الثاني 1792م ويتطرق لها مخطوط " نبأ الإيوان" حيث يقول: "وإني قصدتها للزيارة سنة أربعة عشر ومائتين وألف 1214هـ/ 1792 م من المغرب الأوسط ... فدخلتها في السابع عشر من شهر شعبان.

إلا أنه من الراجح جدا زيارته أو عودته من الحج. مثل حجه عن الباي محمد بن عثمان الذي عاد منه سنة 1812م². والرحلات كانت عديدة وكان الإهتمام بها كبير من قبل المؤرخين لكشفها عن خيوط الثقافة التي نسجها العلماء عند إتصالهم بعلماء الأقطار. وأبو رأس كان له كم كبير من المؤلفات خاصة بالرحلات سواء التي سردها في شكل نصوص نثرية أو الشعرية³، بما فيها كتابه "حلتني ونحلتني في تعدد رحلتي"، حيث يسرد فيه رحلته إلى الحرمين الشريفين والبلاد المسلمة وسبقها بأحداث جرت في منطقة الغرب الجزائري، وأحوال العلم والثقافة لسكانة الجزائر، وتوجد أيضا رحلة لشيخ الجماعة الإمام العلامة محي الدين بن مصطفى المختاري الحسيني الجزائري، الذي كان له من العلم ماله، وقال عنه العلامة السليمانى ابن الأعرج العارف بالله الدال عليه، العالم العامل الورع الكامل سيدي محي الدين ... وفي تقرّظ الشيخ الطيب بن عبد الرحمان لكاتبه إرشاد المريدين، قال واصفا له: " الإمام الفاضل المبجل العامل خلاصة الزمان وقُدوة أهل الإيوان والمكان السيد محي الدين بن مصطفى الحسيني".⁴ وذكره كذلك صاحب اليواقيت الثمينة، حيث: " كان كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام"⁵.

¹ - أبو العباس أحمد المقرئ، المخطوط السابق، ورقة، 34، ظ.

² - أبو رأس الناصري، نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تح: محمد حبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس. 2012م، ص 82 .

³ - أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، مخطوط السابق، ورقة 19 ، و .

⁴ - ابن الأعرج، تسهيل المطالب ضمن مجموع النسب، المصدر السابق، ص 401 .

⁵ - الأزهرى محمد البشير ظافر، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب المدينة، المصدر السابق، ص 216 . مخلوف محمد، شجرة النور الزكية، ج 1 . ، المصدر السابق، ص 581 .

كما كانت منطقة غريس بالغرب الجزائري دافعا قويا وميدانا خصبا لبعض المؤلفين لعلمائها وأعيانها، إذ قام بوزيد بن عبد الرحمن التيجيني في القرن 11هـ بتراجم قصيرة لبعض أشرف غريس، فيما يُعرف بـ "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس"، حيث قام بشرحه أبو رأس الناصر في مؤلفه: "إيضاح الغميس وأنوار البرجيس في شرح عقد الجمان النفيس"، وتكمن أهميته في متنه واعتماده على مصادر أخرى....¹.

مما لا شكّ فيه أن الصراع الإسباني البرتغالي كان دافعا كبيرا في تأليف عدد كبير من المخطوطات حيث حظي بعدد هائل من الكتب، والتي جاء معظمها على شكل أبيات شعرية تغني من خلالها المؤرخون بهذا الإنجاز لكون الشعر كان يستعمل بغرض تدوين الأخبار والأحداث والوقائع. وكان للباي محمد الكبير دور كبير في تشجيع العلوم والكتابة والتاريخ بصورة أخص ومن المؤرخين الذين ذاع صيتهم في الجهة الغربية من الجزائر نجد العلامة أبا رأس الناصر الذي ألّف عددا كبيرا من الكتب المخطوطة حول فتح وهران ومن أهمها كتاب "عجائب الأسفار".

من منظور قولهم أنّ سبب تأليفه لهذا الكتاب هو الإشادة بالباي محمد الكبير وبالجهد والنصر، وبفتح وهران العظيم إذا يقول الحمد لله الذي خلق الإنسان نطفة أمشاج وأنشأه من تركيب ماء ومزاج والكتاب هو ذكر فتح وهران، ومدح الفاتح بها وهو نادرة الزمان....سيدي محمد بن عثمان باي الزحل من الملوك النور الباهي².

هذا ما لم يغفل عنه مصطفى بن زرفة، فقد كلّفه الباي بتسجيل الحوادث باعتباره كان مساعدا لرئيس رباط وهران، إذ يقول صاحب الثغر الجماني: "...وانتدبت لإملاء تلك السيرة المحمدية وترحيل قمرها بدار السعادة الأبدية وتحرير منازل القمرية، وسيرته مع العدو ... معلما أن الرحلة لا تحتمل التبويب والتفصيل..." حيث وضح صاحب المخطوط سبب تأليفه للكتاب

¹- محمد أبو رأس الناصري ، فتح الإله ومنته ... المخطوط السابق ، ورقة 64 ، ط.

²- محمد ابو راس الناصري، عجائب الأسفار ... المخطوط السابق، ورقة 01 و .

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

بقوله: " ...وبعد أن أولى ما أقتني في تحصيل من محاملي.. إستجابة إلى الأمر ونيل المجهود في تحصيل موجب المالك المعبود بامتثال أمره اللازم ...إذا طاعته كما قبل من طاعة الله ..."¹.

كما كتب عبد القادر المشرفي (ت 1778م / 1192 هـ) كتاب "بهجة الناظر... للتعريف بالتعاونين من الأعراب مع الإسبانين"، حيث يقول في مقدمة مؤلفه " الحمد لله وحده حق حمده وبعد فهذا التقيد سميته: " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت". ولاية الإسبانين بوهران من الإعراب كبني عامر"²، فلما استقر قدم الإسبانين إلى وهران، إنحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف إيمانهم ...، كما نجد عوامل أخرى بالإضافة إلى هذه التي ساهمت في النشر الكبير للمخطوطات في الجهة الغربية من الجزائر على غرار المخطوطات التي جاءت لتثبت فرع ما من الفروع.

من المخطوطات نذكر مخطوط "تنوير أهل التقوى والمعارف في نسب سادات غريس الموسومين بالمشارف" للشيخ محمد بن الحاج البيدي المدعو بن عبد الرحمان، الذي كان حياً حتى سنة (1179هـ/1766م)، حيث ذكر فيه المؤلف: " الحمد لله وجدت بخط فقهاء الراشدية المشهورين بالصلاح والهداية ...الحاصل أن المشارف من ذرية الشيخ المذكور سيدي يوسف"³.

في السياق نفسه جاءت مخطوطات للرد على ما ورد من كلام عن أبي رأس الناصر من قبل المشارف، كتقبيد الشيخ محمد بن محمد بن المصطفى المشرفي الذي بلغنا منه نص كلام أبي رأس، للإضافة إلى ماورد في كتاب: "السهام الصائبة في الرد على الدعاوي الكاذبة" لنفس المؤلفين ورد الشيخ العربي المشرفي على أبي رأس الناصر في قضية نسب المشارف⁴. بن عيسى البوخليلي شريف النسب..."⁵.

¹ - محمد بن زرفة الدحاوي ، الرحلة القمرية.... ، المخطوط السابق، ورقة 03، ظ.

² - أحمد بن سحنون الراشدي ، المخطوط السابق، ورقة 1 ، ظ

³ - أبو المكارم عبد القادر المشرفي، المخطوط السابق ، ورقة 12 ، ظ. .

⁴ - تقي الدين وكعب، تحقيق مخطوط رد الشيخ العربي المشرفي على أبي رأس الناصر في قضية نسب المشارف، رسالة ماجستير جامعة وهران، 2014.

⁵ - البيدي، تنوير أهل التقوى....، المخطوط السابق، ورقة 104 ، و.

وجدت دراسات حديثة رصدنا من خلالها بعض الأخطاء والهفوات التي وجب تصحيح بعضها والتنبيه عليها فقضية طعن أبي الراس الناصري في أشرف غريس من القضايا الشائكة التي شغلت المجتمع العسكري وأسالت الكثير من الحبر، أكثرها أقلام المشرفية في الرد على الشيخ المذكور، فتكون آثار عائلات المشارف الكرطية السبيل الموثق الوحيد والمتوفر لدينا للوقوف على حقيقة الأمر فممن تعرض لهذا الموضوع نذكر الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى الأحمر المشرفي العسكري¹ ثم الفاسي في تقييده ونجد أبا رأس قبل أن تكون له أسباب عارضة، في الطعن في أشرف غريس قد طعن في نسب المشارف وسيدي أحمد بن علي، وأولاد سيدي دحو بغرض التحقق في نسب هؤلاء الأشراف وغيرهم، وعدد فروعهم فأثبت من ثبت فيه الشرف وأقصى المدعين المنتسبين زورا إلى هؤلاء الأشراف، وأكثر هؤلاء المدعين ممن كانوا خداما للأشراف أو مجاورين لهم، لهذا نجد بعض العوائل والقبائل تكره الشيخ المذكور، وتتسج حوله الأباطيل والمنكرات، ثم ينقلها غيرهم جهلا أو عن غير قصد، فلما قرأوا كتابه أشاعوا القول أنه طعن في أشرف غريس المذكورين جملة وتفصيلا، وهذا بعيد عن الصحة، فيذكرون في إدعاء الطعن أهم أشهر من نار على علم بالشرف والعلم والفضل والجاه، واستنادا على ما سبق ذكره، فإن أبا راس الناصري لم يطعن في أشرف غريس وإنما أسيء فهمه في تحقيق النسب².

وعليه فإنه يتقرر على العكس مما أشيع في حق أبي راس الناصري على أنه ينوع ويعد في العلويين وفي علم النسب، كما تعمق في البحث في مصادره من خلال كثرة شروحه على كتب الأنساب بالراشدية معسكر فهو نسابة بلا شك، ولعل هذا ما يفسر تحامل وغضب الكثير عليه خاصة بعد وفاته وإتهامه بالطعن في الأنساب المشهورة، فالمتمعن في تراث الرجل يفند الشبهة

¹ - محمد بن محمد بن مصطفى الأحمر: أبو عبد الله محمد بن محمد مصطفى، المعروف بلقب الحاج المشرفي، هو عالم وفقه. ينحدر من منطقة غريس، وقد انتقل والده إلى فاس ثم توفي في مصر. كان والده عالما فاضلا، وابن عمه هو أبو حامد العربي المشرفي. من أهم مؤلفاته: كتاب في التعريف بالإمام أبي عبد الله ذنون، ومؤلف في الرد على أبي مهن، وآخر عن التوسل بالأنبياء والأولياء. توفي عام 1323 هـ ودفن بروضه المهاجرين والغرياء بجوار الشيخ أبي الحسن. ينظر: عبد الكبير الفاسي، مجمع الشيوخ المسمى رياض الجنة المدهش المطرب، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ص 146.

² - محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، تقييد نسب المشارف، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم: 13959، ورقة 3، ظ.

التي لحقت به فكيف له أن يطعن في نسب أشرف غريس¹. وهو الذي ترك مخطوطا حول شيخه عبد القادر المشرفي أثبت في عنوانه لفظة " شرف".

رابعاً: منهج التأليف التاريخي من خلال مخطوطات البابيك الغربي.

استقصاءً للتراث المخطوط بالغرب الجزائري وكشفاً من خيوط الثقافة التي نسجها العلماء من خلال رحلاتهم وإتصالهم بعلماء الأقطار متتلمذين ومناظرين ومجازين، كان الإهتمام بالمنهج الذي حفظته لنا مخطوطات هؤلاء الأعلام أمراً هاماً، فكان العلماء يسردون رحلاتهم ويصفون أحوال الأقطار والمدن بلسان صاحب الرحلة، كما هو الحال من خلال رحلة أبي رأس الناصري إلى المشرق، إلا أن إخبارنا هذا يطلعنا على هذه الرحلة برواية المستضيف للرحالة المعني، هذا الذي يعطي الصورة الكاملة لوجهة نظر الرحالة وأهل الضيافة على السواء مما يسمح لنا بالمقارنة بين روايتها وأخذ الصورة الصحيحة للإنطباع الذي تركته هذه الزيارة في كلا الطرفين².

لقد أحسن أصحاب المخطوطات ترتيب نصوصهم بطريقة سلسلة وعطف بعضها ببعض حتى لا يظهر التباين بينها، وفي نفس الوقت حرصوا على تقسيم مخطوطاتهم تقسيماً منهجياً يوافق ترتيب³ النصوص، وقد جرت عادة المؤلفين أن يفتتحوا مصنفاتهم بمقدمة تمهيدية، يبينون فيها سبب التأليف ويوردون جوابه، قبل الانتقال إلى معالجة صلب الموضوع تفصيلاً.

يتناول هذا التأليف للشيخ محمد المشرفي الحديث عن نسب أسرة المشارف، حيث استهل مصنفه بمقدمة، ثم عرض سبب التأليف، متبوعاً بجوابه حول نسب المشارف، وما نسب إلى أبي راس من طعن في نسب الأشرف، لينتقل بعد ذلك مباشرة إلى صلب الموضوع، مُدرجاً نصوص الأئمة المثبتة لنسب المشارف، وقد عدّها خمسة نصوص.

¹ - تقي الدين بوكعبر، مجموع تقايد ورسائل الشيخ ابي راس المعسكري الجزائري، ط.1، الفا للوثائق، الجزائر، 2024، ص 48.

² - أبو راس الناصري، نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تق، تع: محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية القيروان، تونس، 2012 م، ص 82 .

³ - هناك نوعين من الترتيب أحدهما شجري والثاني هجائي. فيخصوص الترتيب الشجري فيقصد به الترتيب القائم على ما يسمى بالأبواب والفصول. أما الترتيب الهجائي فهو الذي يقوم على حروف المعجم . ينظر: خليفة حمّاش، "أهداف البحث العلمي ومبادئ الكتابة عند المسلمين"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية، مج. 14، ع.1، 1999 م، ص 331.

إضافة إلى خبر الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التزاري المشرفي، ونص الشيخ ابن عبد الرحمان محمد اليبدي وأبي رأس الناصري، ثم قصيدة في مدح المشارف لسيدي السنوسي بن عبد القادر بن دحو، إلى أن ختم المخطوط في التذكير ببطلان ما ادّعه الشيخ أبو راس حسب قول المؤلف والدعوة إلى تقوى الله في الأشرف¹.

فإذا تعمّقنا في المنهج بالشكل العلمي الصحيح، نجد أن الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته لمشكلة ما لإكتشاف الحقيقة². بالعودة إلى فترة الدراسة، يتبين أن مؤلفي المخطوطات ذات الطابع النفيس اعتمدوا في تدوين مؤلفاتهم على مصادر مباشرة، حيث كانوا يحرصون غالباً على ذكر المراجع التي استندوا إليها. وفي المقابل، يلاحظ أن قلة منهم لم يُصرّحوا بمصادرهم، وهم أقل عدداً مقارنة بالفئة الأولى، مما يجعل من التوثيق قاعدة نسبية تختلف باختلاف المؤلفين.

أما ما يتعلّق بقاعدة الترتيب في التأليف، يُلاحظ أن غالبية المؤرخين لا يلتزمون بها في عرض مضامين مؤلفاتهم، مما يجعل هذا التراث يتسم بكونه مصنّفات تراكمية أكثر من كونه كتباً تحليلية ممنهجة. ويمكن الإستشهاد بعدد كبير من الأمثلة في هذا السياق، من بينها كتاب "الشجر الجمانى" لابن سحنون الراشدي، الذي يتألف من أربعة أقسام متداخلة تخلو من الترتيب المنهجي. ففي القسم الأول تناول حياة الحكام السابقين لمحمد الكبير، بينما خصّص القسم الثاني للتعريف بمدينة وهران منذ تأسيسها، مع ذكر أعلامها. أما القسم الثالث، فعاد فيه إلى تاريخ مدينة الجزائر، متناولاً قدوم عروج وأخيه وخوضهما الحروب ضد النصارى، في حين خرج في القسم الرابع عن الإطار الرئيس للكتاب - المتمثل في تاريخ وهران وتأثير حاكمها محمد الكبير - ليتناول موضوعات ذات طابع ثقافي ومعرفي عام، كالصيد والفلك وغيرهما.

ثم يعود إلى الحديث عن وهران وفتحها وتأثير منافس الباي وحساده عن النيشان الذي حصل عليه وإحتلال عروج للقلعة، وإنفصال باشوية الجزائر عن الخلافة وذكره لدخول الفرنسيين³.

¹ - محمد المشرفي، مخطوط تقييد نسب...، المخطوط السابق، ورقة 23، ظ.

² - عبد الرحمن البدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص 05.

³ - ابن سحنون الراشدي، الشجر الجمانى...، مخطوط السابق، ورقة 05، ظ.

من هنا يتّضح أنهم لا يتبعون منهجاً محدداً في الدراسة، فقد إعتادوا التأريخ بالتاريخ الهجري، الذي أطلقوا عليه إسم "العربي" - مثلاً: ابن مريم - ونادراً ما يستخدمون التأريخ الميلادي، الذي يسمّونه "الشرفي الفلاحي". وغالباً ما تُستخدم السنوات كأبواب وفصول للكتاب، ويبدل المؤلفون جهداً في صياغتها بشكل أفضل دون الخروج عن الفكرة الأصلية، فالزهارة مثلاً: يذكر السنة ويحشوها بالأخبار¹.

نجد أن منهج الوصف غلب على جلّ المخطوطات في الجهة الغربية، فكتاب محمد بن ميمون مثلاً جاء منسجماً، فقد تناول في سيرة الداوي محمد بكداش من حيث رأيه المصيب وأعماله المرضية، وقد ركّز على سرد سيرته قبل توليه الحكم وبعده، كما خصّص جزءاً كبيراً من الكتاب للفتح الأول لمدينة وهران على يد هذا الداوي وصهره "ازون حسن". وكل ذلك بعبارة واضحة وأسلوب جذاب، فمحقّق الكتاب نفسه محمد بن عبد الكريم يشهد أن لهذا الكتاب مزايا أربع هي: ميزة الصراحة التامة في مضمونه، ميزة الترتيب الزمني للمناصب العسكرية التي تقلّب فيها بكداش، ميزة الترتيب الزمني لفتح وهران وأبراجها، ميزة القصائد الشعرية².

تعتبر رحلة محمد الكبير من المؤلفات المتميّزة بالتسلسل في العرض والدقة في الوصف، حيث أنه حدّد سيرة المحلة باليوم والساعة، وضبط أسماء الأماكن ومواقع الآبار والعيون، وسجل بالأرقام ما تحصل عليه البايع من الغنائم، وما تسلمه من جبايات دون إهمال لحالة السكان ووضعية العمران، وعلاقة الرعية للحكام³.

يظهر المنهج الوصفي جلياً في مخطوط: "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" لابن زرفة، والذي يتكوّن من جزأين. فيتضمن الجزء الأول مقدمة وفصلاً أولاً سماه بـ "الترغيب في الجهاد والترهيب" موجهاً لمن تغافل عنه من العباد، مع ذكر نبذة مختصرة عن فضائل الجهاد

¹ - أحمد الزهارة، المصدر السابق، ص 04.

² - المصدر نفسه، ص 04.

³ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين....، المرجع السابق، ص 449.

ورصد بعض مراتب الشهيد وفضائله. أما الفصل الثاني، فقد تناول سبب غزو وهران مع ذكر نبذة من المرآي المبشرة بالفتح.

قدّم في الفصل الثالث نبذة عن فاتح وهران، الباي محمد بن عثمان، واصفاً إياه بالعلم الشجاعة والأدب وغيرها من الصفات. بينما عرّف في الفصل الرابع مدينة وهران، ومن غزاها في الجاهلية والإسلام، وأنهى هذا الجزء بخاتمة في الترغيب بالإقامة بوهـران وفضل الربط بها كسائر الثغور على مر الزمان¹.

مهما يكن فإن الرحلة التي ألّفها ابن زرفة تعد من المؤلفات النفيسة والنادرة، حيث جمع فيها بين النثر والشعر، وتذلّلتها حكايات وفوائد يتطلّبها المقام، وأضاف لها نماذج من الفتوحات الإسلامية، كأن فتح وهران ما هو إلا امتداد لها².

عند تصفّحنا للمخطوطات، وجدنا أن أصحابها اتبعوا منهج الشرح، حيث يرفقون الشرح لبیت شعري أو عدة أبيات، وعند الإنتهاء من الشرح يستدلّون بحجج متنوعة من آيات بيّنات، وأحاديث نبوية شريفة، وقصائد شعرية، وغيرها. ومن العلماء الذين ذاع صيتهم في هذا المجال نجد ابن سحنون الذي سمّى كتابه: "الأزهار الشقيقة" وهو عبارة عن مؤلف شرح فيه قصيدة العقيقة في مدح خير الأنام، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المخطوط لا يزال غير محقّق بعد، فهو في طي النسيان، ولم تتم دراسته بعد فلا نجد له نسخا بمكتباتنا أو بدور النشر الجزائرية³.

عند الحديث عن الأدب، لا بد من ذكر العلامة أبي رأس الناصري، الذي شهد له بالتعليق والشرح على بعض أعماله، مثل "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، و"غريب الأخبار عما كان بوهـران من الأندلس مع الكفار". ومن بين ما ذكره في كتابه "فتح الإله...".

¹ - ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية...، المخطوط السابق، ورقة 07، ظ.

² - المخطوط نفسه، ورقة 02، ظ.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 176 .

والم تأمل في قصيدته: "تفسير الجمان في فتح ثغر وهران" للمنصور بالله سيدي محمد بن عثمان يجد أنه اتبع طريقة الشرح التقليدية مضيفاً بعض التحديدات ليخرج عمله ممنهجاً ومرتباً، وذلك بشرح المفردات معتمداً على نفسه تارة وعلى المعاجم العربية القديمة تارة أخرى فمثلاً:

مُدَّة سِتِّ وَسِتِّ مِنْ إِمَارَتِهِ *** حَلَّ الْعَذَابِ بِأَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفَلْسِ

في هذا المثال، يذكر الشارح أنه أخذ من القاموس العربي القديم ليدعم شرحه اللغوي فلفظ البغي والفلس، يقصد بهما مستعمري وهران الكفار، فقد أشار إلى أنه اعتمد في شرحه على قاموس صحاح الجوهري¹. كما نهل أبو راس الناصر من السنة النبوية ودعم بها شروحه في مخطوط: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" وذلك باستشهاده بقول النبي عليه الصلاة والسلام لتدعيم شروحاته².

نجد هنا أن أبا راس الناصري اعتمد في شرحه على القرآن والسنة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان مثقفاً عالماً بأمور الدين حافظاً لما جاء عن الله ونبيه الكريم، ولم يقتصر على الشرح فحسب، بل قدم معاني الكلمات لغوياً ودلالياً، وأضاف إلى شرحه ذكر الأحداث التاريخية والتعريف بالأعلام والشخصيات والقبائل والأماكن، فاعتمد على أسلوب بسيط ولغة سهلة غير معقدة إضافة إلى توظيفه لبعض التعبيرات العامية والمفردات غير الفصيحة شأنه في ذلك شأن علماء عصره سواء في المغرب والمشرق³.

أما عن البيان والبدیع فقد نالت الإستعارات والسجوع ما نالت في المؤلف، لأن المؤلف شاعر جعلت منه الغيرة على أرضه جلاداً يكتب بالسَّوط موجّهاً كلماته الموجعة للكفار العاتين على وهران وأهلها.

¹ - أبي راس الناصري، الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية، ج.1 تح: الطيب بلعدل ، مؤسسة البلاغ للنشر والدارسات والبحوث، الجزائر، 2011م، ص46 .

² - أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار..، المخطوط السابق، ورقة 20، ظ.

³ - عبد القادر مرجاني، المصدر السابق، ص51 .

عند مقارنتنا لهذا المنهج، نلاحظ أن العربي المشرفي، أثناء تأليفه لكتابه "طرس الأخبار"، اعتمد على المشاهدة المباشرة ونقل أقوال معاصريه، كما استند إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ويتميز هذا المخطوط بذكر عدد كبير من الأعلام والأماكن، لا سيما تلك الواقعة في الغرب الجزائري، حيث يورد أسماء علماء ومرابطين بارزين. وقد انتهج المؤلف فيه الأسلوب التقليدي المعتمد على السجع، والجمال الطويلة، وتكرار المفاهيم العنيفة مثل: "الكافر"، و"العدو"، إلى جانب حضور قوي للمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والمأساوية، كالجوع، والهجرة، والتشرد.

كما ارتكز أيضاً على الأسلوب السردى القائم على المشاهدة والتجربة، مما يضيف على المخطوط قيمة علمية وتاريخية، باعتبار أن صاحبه قد عاصر الأحداث وعاينها عن قرب، غير معتمد على نصوص تاريخية من مؤلفات أخرى¹.

نجد أن بعض المصنّفات التي خطّها علماء الغرب تعتمد المنهج الإستدلالي بالدرجة الأولى كمخطوط: "إتحاف المريدين" للشيخ محي الدين، فقصده هو بيان جواز الأفراد الذي يقتضي إقامة الدليل من مختلف المصادر، فإن ترتيب جزئيات هذه الرسالة لا يظهر لنا من أول إطلاع، خاصة في غياب التبويب الذي يميز بين النصوص.

إلا أن تحليل الرسالة يكشف عن تباين واضح بين فقراتها، حيث بدأ المؤلف ببيان أصول الطريق، متناولاً التنزيه ومقام علم الباطن وأهله، ثم انتقل إلى الحديث عن الذكر وخصائصه ومراتبه وآثاره. بعد ذلك خصّص فصلاً للحديث عن حكم الذكر بعبارة "لا إله إلا الله" كمفردة، وهو المقصود الأساسي في الرسالة وختمها بتحذير من الغرور والتكبر. وقد اتسم أسلوبه بالتصرف المنصف مع النصوص، إذ نقلها مع إجراء بعض التلخيص والإسقاطات والإضافات، كما ظهر ذلك في نقله مثلاً عن الرندي بن عباد من كتبه: "غيث المواهب العلية"، أو عن ابن حجر:

¹ - العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، مخطوط مصور بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 1476م، ورقة 03، 10، ظ و .

في "فتح الباري" أو عن ابن زكري في: "شرح النصيحة" أو عن الهيثمي في: "الفتاوى الكبرى الفقهية"¹.

والراجح أنه كان يقتبس من النصوص محل الشاهد منها، فيسقط بعض العبارات والجمل ويشير إلى ذلك بقوله في آخر الإقتباس "انتهى بترك بعضه"، وفي مواضيع يزيد مستشهدا بالآيات والأحاديث ضمن النصوص المنقولة، وشارحا على طريقة المشاركة في الشرح بالمزاج، ومثال ذلك ما جاء في النصوص الآتية المنقول عن ابن حجر وابن زكري: "وليس هؤلاء مقلدين لأبائهم ولا لرؤسائهم، لأنهم لو كفر آبائهم ورؤسائهم لم يتبعوهم، بل يجدون النفر عن كل ماسمعه مما يخالف الشريعة، بل يقع بينهم التباغض، كما قال صلى الله عليه وسلم: "الأرواح جنود مجنّدة ماتعارف منها إئتلف وما تتأكر منها اختلف" والوجود يشهد لذلك لمن أنصف، وأنصاف تقوى الله تعالى". فما بين قوسين ساقط في فتح الباري وفي شرح النصيحة وهو إضافة من المصنف شارحا ومستشهد بالحديث الشريف².

عرفت المنطقة الغربية عروشا عدة، منهم عرش أولاد سيدي أحمد بن علي الذي رسخت لنا مخطوطاتهم إستمرار الرسالة الدينية وتبليغ الأمانة الشرعية في إطار منهج المجتمع المغاربي في الأصول والفروع، الذي حمل شعار في عقد الأشعري وفقه مالك، وفي طريقة الجنيد السالك، فقضى وسار أعيان وشيوخ العرش على هذا المنهج، وإن خرجوا إلى أقوال من المذاهب الثلاثة الأخرى فمن الضرورة التوسع في هذه المسألة كونه نقاش ساخن بين العلماء دون العامة، أما غير ذلك فكان اجتهاداً منهم فيما يعرف بفقہ النوازل، وكل هذا محقق في آثار سيدي سحنون، وسيدي الهاشمي بن علي، وسيدي عبد الله والشيخ أحمد وغيرهم، ممن لم يذكر اسمهم.

أما عقيدتهم فكانت على المذهب الأشعري، ولم يجد عنها أحد منهم، وظلّوا متمسكين بها في تحصيل العلم وتحقيق أصوله، فيما يخص التصوّف فقد بلغ فيه الرجال مبلغهم في العرفانية، ومن

¹ - محي الدين ، مخطوط السابق، ورقة 7 ، و .

² - نفسه، ورقة 9، ظ.

لم يصل لمقامهم من العلماء جعل التسليم سبيله¹. في جزء آخر من جهود هؤلاء العلماء في الحفاظ على مرجعيتنا الدينية السلمية، اعتمد البعض أسلوب الرد على المخالفين والمنكرين والتشجيع عليهم، وتبيان زورهم وبطلان دعاويهم، نذكر منهم العلامة الأصولي النوازي المفتي الشيخ سيدي بالهاشمي بكارة "بن بكار" المالكي المذهب الأشعري العقيدة، الصوفي طريقة وسلوكاً رحمه الله ومنهم فرقة الوهابية التي تدعى زورا بالسلفية، ونعت أتباعها المتطرفين، ورد عليها في كتابه: "مجموع النسب والحسب"، ومن تأليفه كتاب: "بلوغ الأمل في أدلة ماجرى به العمل"، وسبب تأليفه هو ظهور الفرقة المتطرفة كما سماها الشيخ المفتي في تأليفه، ويعني بها فرقة الوهابية، التي أنكرت على المسلمين الجزائريين ماجرى به عملهم في الدين². فالكتب المالكية كانت تحت على الجهاد والتشجيع عليه، فالعالم بن زرفة استعان بها خلال المشاركة في رباط وهران إلى جانب الطلبة بعد ماكلفه الباي محمد الكبير "...ولما عزمت على الإنطلاق وعقدت لتقيد الرحلة جبل النطاق دخلت إلى مجلسه وتصلّلت بإبقاء غصنه الرطيب، فكان من فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله، تعالى بطول عمره ودوام منصبه"³.

خامسا - نماذج لأعلام المخطوطات:

1 - الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد.

أ- مولده ونسبه:

أشار الشيخ بوعبدلي أنه ابن الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد⁴، وقال عنه تلميذه المزيلى: "فهو كما قيل إسم مطابق لما سماه أصحاب العقول الواقعة وتأليفه ذو النقوس النافرة، ولقد أعد من المواهب وطار في المشارق والمغارب"⁵. وذكر أبو راس الناصر أنه ينتسب لذرية أولاد سيدي العيد الماقتضي من ذرية العباس فقال: "الأشهر أنهم من بني العباس بن عبد المطلب، كان

¹ - الثابتي محمد ، تقعيد النسب أولاد سيدي علي ، مخطوط مصور بالخرزانة السيد أحمد الثابتي الحفيد، معسكر، ورقة 07 ، و .

² - مخطوط نفسه ، ورقة 55 ، ظ.

³ - أبي راس الناصري، فتح الاله...، المصدر السابق، ص 120.

⁴ - المهدي بوعبدلي، تاريخ المدن، جم: عبد الرحمن دوييه ، دار المعرفة الدولية الجزائري، الجزائر، 2013، ص 202.

⁵ - المزيلى، فتح الرحمن... ، المخطوط السابق، ورقة 1 ، و .

مشهورا بالشجاعة معروفا بالرماية وأخباره كثيرة، ومآثره في الحروب مع إسبانيا وقت إقامته بوهـران شهيرة¹.

تعلم على مشايخ عدة، منهم السيد السنوسي بن عمر، والسيد دحو بن زرفة، ويذكر المزيلى أن الشيخ عبد الرحمن التوجينبي انتفع كثيرا بتتلمذه على سيدي دحو، إذ قال: "وبه انتفع وعظم أمره، واطلع على أمور الغيوب لا تقع إلا من أرباب القلوب، فصار بها أفضل الخليفة وأحسنهم طريقة على الحقيقة، إختبر الأرض بأسمائها وإختبر الصاحب بالصاحب"².

ب - مؤلفاته ومكانته العلمية:

لقد أصبح أبو زيد قبلة لطلبة العلم من كل حدب وصوب، حيث قال عنه المزيلى: "... يحل رموز مشكلاته ويوضح معايين معضلاته"، ووصف بالفقيه المحدث الأديب الأصولي العروضي المنطقي الكلامي النحوي اللغوي.

لقد ترك مصنّفات عديدة منها:

- شرح الأجرومية بشرحين، كبير سماه "فتح القيوم في شرح ابن آجروم" وصغير جمع فيه تقارير شيخه عمرو بن عطية قريب لفهم المبتدأ.
- طورّر على توضيح الشيخ خليل.
- تقايد بهامش كتاب القاضي على البيضاوي.
- عقد الجمان النفيس في ذكر أعيان من أشرف غريس.
- قصيدته الميمية في مدح الشيخ زين العابدين ابن عباية المعروف بسيدي عابد، فهذه القصيدة تكلم عنها أبو راس الناصري، حيث ذكر أنها تدل على غزارة علمه وتمهره في اللغة والعروض وورد فيها:

¹ - الشيخ بن بكار، مجموع النسب والحساب...، المصدر السابق، ص 336.

² - أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن محمد، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، نسخة مصوّرة بالمكتبة الشيخ صلاح بن نعوم، معسكر، ورقة 4، و.

وَمَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَعْرِفَ قَدْرَهُ *** مَكَانَتِهِ فِي الْعِلْمِ كَيْفَ تَقَامُ.
تَعْمُ شَهْرَةُ الْأَثَارِ عَمَّتْ أَفْقَهُ *** بِأَنَّهُ قُطِبُ سَلَفِهَا وَإِمَامُ.¹

كانت له مكانة علمية لذلك تم تبجيله من قبل السلطة والعامّة، حيث يقول المزيلى: "تخضع بين يديه الملوك والجبابرة، ويقصد بالهدايا من كل ناحية"، ووصفه عبد القادر المشرفى حيث قال: "العلامة الولي الصالح أبي زيد بن عبد الله بن أحمد".²

أما المصادر الغربية قد تطرق الباحث الفرنسي قوين (Guin) أن الشيخ أبا الشيخ أبا الحسن التقى بالشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وتناظرا في العلوم كالفقه والحديث وغيره.³

2- سيدي عيسى بن موسى: هو ابن أبي بكر بن مسعود بن أبي بكر بن موسى التجيني أو التوجيني، نسبة إلى قبائل بني توجين البربرية، كما يتفق أغلب من ترجم له. ويقول عنه أبو رأس الناصر في مخطوطه: "الخبر المغرب" بنو توجين هؤلاء أصلهم من قبائل بني يادين أحد شعوب زناتة⁴، بينما ذكر الشيخ الجيلاني بن عبد الحكم في: "المرآة الجليلة"، "بأن سيدي عيسى بن موسى شريف النسب ومن الأشراف بواد الطاغية"⁵.

كما يذكر الحافظ أبو رأس الناصري أنه اطلع على كلام الشيخ سيدي عيسى بنفسه حول نسبهم فقال: "لقد رأيت للشيخ أبي المهدي عيسى بن موسى نفسه حول نسبهم فقال إنهم من نسل العباس بن مرداس السلمي، نسبه لسيلم أحد قبائل مضريين، تزار بن معيدبن عدنان"⁶.

أ- مولده ونشأته:

¹ - تعليقات العلامة محمد الثابتي، خزانه والد صلاح الدين بنعوم محمد . ينظر الملحق رقم 04 ، ص 347.

² - محمد المصطفى الدحاوي، تلخيص الجمان من حياة الحيوان دراسة تح: بوكعبر تقي الدين، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، أحمد بن بلة ، 2020، ص 89.

³ - يحي بوعزيز ،أعلام الفكر ... ، المرجع السابق، ص 230.

⁴ - أبو راس، الخبر المغرب... ، مخطوط مصور بالمكتبة بلقرد بوكعبر، معسكر، ورقة ، 50 ، و.

⁵ - الشيخ عتبه الجيلالي بن عبد الحكم، المرأة الجليلة، تح: حسين جيلالي بن فرح ، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 421.

⁶ - المهدي بوعبدلي، قسم التراجم، جمع : عبد الرحمن دويب ، ط.3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013م، ص 26.

حسب العلامة الحافظ أبو رأس الناصري في "الخبر المغرب" أنه من أهل القرن العاشر أي 900هـ، ويشير المهدي بوعبدلي أنه نشأ في منطقة غريس، حيث تعلم فيها مبادئ العلوم فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون في مسقط رأسه، بينما ورد في "طلوع سعد السعود" أن مسقط رأسه هو شرقي نهر الطاغية وهي المنطقة المعروفة اليوم بقرجوم، نشأ في أسرة علمية ولديه ولدين حسب اسمه المهدي لأن كنيته أبو المهدي، والآخر محمد الذي ألف حوله أشعار يرثيه فيها لأنه مات مقتولا".

ب- شيوخه ورحلاته:

سافر إلى المغرب لطلب العلم، حيث استقر بأهم حاضرة وهي مدينة فاس¹، فأخذ على علمائها ومشايخها، أمثال محمد المزيلى صاحب: "فتح الرحمن في شرح عقد الجمان"، كما يشير المهدي بوعبدلي بأنه أخذ على الشيخ ابن غازي وأنه لازمه طويلا وأجازه². يذكر أبو رأس أنه كان له كرامات، حيث أتت أمامه قنبرة وصارت تذري التراب وتصوت فأمر بالرحيل من حينه، ولما غادر علم أنه كان في حافة الواد جيش من الكفرة، وعندما لم يروا أحدا لم يعبروا النهر³.

ج- مؤلفات سيدي عيسى بن موسى:

بالرغم من الفترة التي عاشها المؤرخ سيدي عيسى، كانت تشهد كثرة التحرّشات الإسبانية على السواحل الجزائرية، إلا أنه أنتج رصيذاً معرفياً غنياً يدرس تاريخ البابلك الغربي. ومن بين التراث الذي تركه لنا هذا العلامة:

1- "عقد النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس"، أو "بغية الطالب في ذكر الكواكب" حيث علمنا أن هذه القصيدة محل تحقيق والبحث حيث تحتوي أسماء لمشاهير ذاع صيتهم في بابلك الغرب، وحسب الشيخ المهدي بوعبدلي فإنه ألفها بعد الغوثية¹.

¹- أبو رأس الناصري، الخبر المغرب...، المخطوط السابق، ورقة، 52، و.

²- المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 126.

³- أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق: ونج: محمد غالم، منشورات CRASC، الجزائر، [د.س.]، ص 125.

2- "غوثة سيدي عيسى بن موسى وشرحه لها":

ذكر أبو رأس الناصر أنه ألفها بعد مقتل ولده محمد سنة 960هـ وهذا جزء من القصيدة:

لَمَّا عَجَزْتُ فِي بِلَادِ الْجَوْرِ *** عَنْ أَخَذِ ثَأْرِي وَلَدِي بِالْفُورِ .
وَخَانَنِي فِي ذَلِكَ الْأَمِيرِ *** وَالْأَهْلَ وَالصَّاحِبَ وَالْعَشِيرِ .
نَادَيْتُ غَوْثًا يَا رِجَالَ الْحَقِّ *** يَا أَهْلَ بَدْرِ عَوْنِ الْخَلْقِ .
يَاسَادَةَ عَبِيدِكُمْ حَقِيرًا *** وَمَا لَهُ سِوَاكُمْ نَصِيرًا .

ومجموعة أشعار ذكر بعضها الشيخ أبو رأس الناصر في شرحه على الغوثة منها:

وَكَيْفَ تَنْتَزِلُ رَحْمَةُ إِلَهِ عَلَى *** أُمِّ الْعَسَاكِرِ دَارَ الظُّلُمِ وَالْفَجْرِ .
وَمَنْ أَجَرَهُ فِي الْمَنْجَلِ مَقْوَسَ الظُّهْرِ *** مَشْقُوقَ الصَّدْرِ لَايِبْلِيهِ بِهِ إِلَى مَنْ كَفَرَ

كما له أبيات شعرية² مدح فيها أرض حسناء واقعة بمنطقة البنيان حاليا: .

وَمَا سَمَّيْتُ حَسَنًا إِلَّا لِحُسْنِهَا *** هَوَاءَ وَنَارَ وَاللِّحَاءِ فِيهَا دَائِمٌ .
بِلَادٌ كَجَوْفِ الطَّيْرِ وَمَوْضِعِ *** الصَّلْصَالِ وَاللَّوْحِ وَالْعِلْمِ .

وَألف بعض الشعر لمدح قبيلة أولاد خالد، وحسب الروايات فإن هذه القبيلة وجدت جثمان ولده المقتول وأحضروه إليه وحضروا دفنه، وعرفوا قاتله فمدحهم على ذلك بقوله:

أَوْلَادُ خَالِدٍ بِهِمْ تَفَرُّجُ الْكُرُوبِ *** كَمْ كَشَفُوهُمَا وَغَمًا فِي الْحُرُوبِ .
أَوْلَادُ خَالِدٍ مِنَ الشُّجْعَانِ *** كَمْ قَتَلُوا قَوْمًا مِنَ الْخَزْيَانِ .
كَمْ أَدَخَلُوا عَلَى الْوَرَى سُورًا *** جَعَلَ رَبَّنَا عَلَيْهِمْ سُورًا³ .

¹-المهدي بوعبدلي ، قسم التراجم، المرجع السابق ص 130.

²-أبو رأس، الدر المهدي، المخطوط السابق ، الورقة 2 ، ظ.

³- المخطوط نفسه ، الورقة 03.

:.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابلك الغرب

ومن هنا نجد أن للشيخ سيدي عيسى أعمالاً متنوعة، من بينها شرحه لكتاب الغوثية وبغية الطالب، وقد غلب على معظم مؤلفاته النقدُ والذمُّ لمنطقتي معسكر والراشدية، نتيجة الفاجعة التي ألّمت به بعيد مقتل ولده.

يُعدّ الشيخ سيدي عيسى من أوائل من شاركوا في الحملات العسكرية التي قادها العثمانيون ضد الإسبان في وهران، حيث شارك إلى جانب حسن باشا بن خير الدين في معركة 7 ماي 1563م، التي انتهت بانتصارهم، فقام الشيخ بإهداء ثوبٍ جديد إلى الباشا حسن تقديراً له، فقال عنه المهدي بوعبدلي أنه ثوب غريسي¹، لعله برنوس الزغاني المشهور.

يذكر محمد بن يوسف الزياني في كتابه: " دليل الحيران " أن حسن بن خير الدين جعل العلماء يفرحون بهذا الانتصار، حيث أهدوا الهدايا إلى جانب سيدي عيسى، يذكر الشيخ عبد الرحمن التلمساني².

تناولت المصادر المخطوطة هذا العالم، فنجد المزيلى يقول: العلامة سيدي عيسى بن موسى التيجيني - رحمه الله- أحد كواكب غريس والتيجيني نسبته إلى تجين...³، وقال عنه صاحب مخطوط: " فتح الإله " دافع الضير وزاجر الطير القطب الرباني الشيخ عيسى بن موسى التوجاني⁴.

وصفه المشرفي فقال: " خاتمة العلماء العاملين بغريس الراشدية، وهو الولي الصالح وقطبه الواضح أبي مهدي سيدي عيسى بن موسى، أحد بذور الراشدية المذكورين"، كما قال عنه المزاري: " سيدي عيسى بن موسى التيجيني هو نازل شرقي واد التاغية، كان شيخاً عارفاً بعلوم الدين والتصوف..."⁵.

¹ - المهدي بوعبدلي ، قسم التراجم، المرجع السابق، ص 128.

² - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، تح: المهدي عبدلي، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م، ص 244.

³ - محمد الجوزي المزيلى، فتح الرحمن في شرح عقد الجمان، مخطوط بالمكتبة بوكعبر، معسكر ، ورقة 102-103، و ، ظ.

⁴ -أبو رأس الناصري ، فتح الله، المصدر السابق ، ص 28.

⁵ - المزاري ،طلوع السعود، المصدر السابق، ص 24.

تطرق سيدي عيسى بن موسى في نظم الكواكب إلى مشاهير الراشدية وعلمائها وصلاحتها، حيث بدأها كما هي العادة باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شرع في الأبيات الشعرية، متغنياً بالدور الديني والاجتماعي للأولياء والصلحاء، وتطرق في النظم إلى التعريف براشد وبنو راشد، لذلك سماها بدور الراشدية نسبه لهؤلاء الصالحين ومنهم: راشد، أبو موسى الشريف، أبو الوري عثمان، أبو الحسن بهلول، أحمد بن يوسف الملياني وغيرهم¹.

لم يسلم الشيخ من الأذى والتضييق من طرف بعض المجاورين له، فنتج عن ذلك قتلهم لولده محمد، حين يذكر الشيخ عيسى بن موسى في شرحه لغوثيته، " ولما قضى الله تعالى بموت السيد ولدي محمد برد الله ضريحه وغفر ذنوبه يوم الجمعة الثامن من ذي الحجة من عام ستين وتسعمائة على يد لص...² ". ولما عجز عن أخذ الثأر لمقتل ولده تأثر كثيرا ووافته المنية³.

سادسا - المصادر والمراجع المعتمدة خلال تأليف مخطوطات بايلك الغرب.

قبل عرض الأهمية الدينية والثقافية للمخطوطات الجزائرية في بايلك الغرب، يبدو من المفيد التوقف عند مصادر الاقتباس وأسس أخذ المعلومة، إذ لا يمكن الحديث عن فكر ما دون الرجوع إلى جذوره، خاصة وأن بايلك الغرب كان جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، وامتداداً من إمتدادات الحضارة الإسلامية بوجه عام. فالمرجعية الفكرية للمؤرخين الجزائريين آنذاك كانت مرجعية عربية إسلامية خالصة، بالنظر إلى أن المنطقة الغربية من الجزائر أضحت، ابتداءً من القرن الثاني الهجري، حقلاً لنشاط الفكر الإسلامي القادم من المشرق العربي، عبر الفتوحات الإسلامية.

اعتمد المؤرخون الجزائريون في تدوينهم للتاريخ على كتب التاريخ العام، وكتب النوازل، وبعض كتب التراجم، باعتبارها المصادر الأساسية للمعرفة والتوثيق كان في مقدمتها كتب ابن

¹ - التوجيهي سيدي عيسى بن موسى ، تعليق على غوثية مخطوط بالمكتبة بلقرد، معسكر ، ورقة 4 ، و .

² - نفسه، ورقة 5، و .

³ - أبو رأس الناصر، الدر المهدي...، المخطوط السابق، ورقة 3 ، و .

خلدون، فنجد المقرئ شرح الجزء الأول¹ للمقدمة، كما أبدى أبو رأس الناصر اهتماما كبيرا بفكر ابن خلدون واطلع عبد الرزاق بن حمادوش على تاريخ ابن العبري والعيني².

عند الرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون، يتبادر إلى الذهن أولئك العلماء الذين تلقى عنهم الطلبة العلم، ونالوا منهم الإجازات العلمية. غير أننا عند تتبع الإجازات المتوفرة، نلاحظ أن أغلبها يتركز في العلوم الدينية، ولا نجد ذكراً واضحاً لإجازات في علم التاريخ. فعلى الرغم من الإهتمام بعلم التاريخ في القرن الثامن عشر، وتشجيع الباي محمد الكبير على التدوين والإعتناء بالموروث التاريخي، فإن الإجازات المتوفرة لا تشير إلى ذلك صراحة. ومثال ذلك ما ورد في إجازة الشيخ ابن عبد الله السيد محمد الموفق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد، المعروف بأبي جلال، لتلميذه أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف، حيث جاء فيها: "هذا ولدنا...أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف، سلك معنا في الفنون عدة مسالك... وقد كان قرأ أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري درساً، وسمع باقيه بحضرتنا". وهذا يدل على أن التركيز في الإجازات كان منصبا على العلوم الدينية، دون أن يذكر علم التاريخ كفن مستقل نال عنه الطلبة إجازات.

أكثر من دراسة القرآن الكريم، وقرأ علينا أوائل كبرى الشيخ السنوسي، ومعظم جمع الجوامع بل معظم شرحه لجلال الدين المحلي، وكل جوهرة الأخضرى وسلمه، كما قرأ علينا جميع ألفية ابن مالك مباحثاً أكثر شروحها، وقرأ علينا رسالة الوضع ونخبة ابن حجر قراءة التحقيق في الجميع وغير ذلك مما أجزناه إجازة تامة شاملة عامة³.

اعتمد المؤلفون في معظم كتبهم على القرآن الكريم بالإضافة إلى السنة النبوية الشريفة، والتي تمثلها كتب الحديث التالية: صحيح بخاري ومسلم، مسند الإمام أحمد المستدرک على الصحيحين الحاكم النيسابوري، السنن الكبرى للبيهقي، صحيح ابن حبان السنن الكبرى للنسائي،

¹ - الشيخ محي الدين، إرشاد المريدين...، المخطوط السابق، ورقة 3 و.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.2، ص 325.

³ - أحمد بن سحنون الراشدي، المخطوط السابق، ورقة 13، ظ.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

سنن الترمذي، سنن ابن ماجة، السنن والأحكام للمقدسي، موطأ الإمام مالك، الترغيب والترهيب للمنزري، مجمع الزوائد للهيثمي، معجم الطبراني، الفردوس للديلمي، إتحاف السادة المتقين للزبيدي، بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني، كنز العمال للهندي¹.

أما كتب التصوف والعقيدة فنجد أصول الطريق، النصيحة الكافية لأحمد زروق، وشرحها لابن زكريا التلمساني، الطائف المنن والحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، الطبقات الكبرى للشعراني، الرسالة القشيرية، نشر المحاسن الغالية لليافعي، لوامع الأنوار وروض الأزهار للأزهري، عبد الحافظ، الغنية لطربي طريق الحق عزوجل، الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ الجيلاني، إحياء علوم الدين للغزالي، بهجة النفوس لابن أبي حمزة، فتح الله في مولد خير خلق الله البناني، فتح الله، بذل المناصحة في فعل المصافحة للبوسعيدي أحمد الهشتوكي، حلية الأولياء لأبي نعيم، غيث المواهب العلية للرندي، ابن عباد، الفوز والانتباه في بيان من لا يلتفت إلى ما سواه لليومي، الفوائد اللطيفة في شرح ألفاظ الوظيفة السجاعي، الشفا للقاضي عياض، شرح الخريدة البهية في علم التوحيد للدردير.

ونحن نتصفح المخطوطات وجدنا أصحابها اعتمدوا على كتب الفقه مثل: الفتاوى الفقهية الكبرى، على مذهب الإمام الشافعي الهيثمي، المختصر للعلامة خليل، شرح الخرشي لمختصر خليل، مواهب الجليل، شرح مختصر خليل للحطاب، المختصر الكبير لابن الحكم، وكتب التفسير حيث نجد تفسير الجلالين، الجواهر الحسان الثعالبي، وكتب عديدة أخرى كذيل التاريخ لبغداد لابن النجار وديوان عبد القادر الجيلاني، نزهة المجالس للصفوري وسنن المهتدين للمواق².

يتبين لنا أن ثقافة علماء بايلك الغرب كانت دينية، فابن سحنون تلقى ثقافة فقهية على يد أبيه حيث حفظ القرآن في سن مبكر وأتبعه بفنون متنوعة، كما حفظ الأحكام والنصوص المتداولة في ذلك العهد، وحنّ رحاله بزواوية سيدي يخلف الكائن بجمل الراقونه المطلة على سهل غريس، وفي تلك الفترة تعرّف على الشيخ عبد القادر الراشدي دفين وهران، فمكث ابن سحنون في هذه

¹ - محي الدين، إرشاد المريدين، المخطوط السابق، ورقة 3، و .

² - المخطوط نفسه، ورقة 9، ظ.

الزاوية سنتين درس فيها مختصر " خليل وابن حاجب "، الذي يعتبر عمدة الإمام مالك والتفسير على شرح " السراج المنير في الإعانة على معرفة معاني كلام ربنا الحكيم الخبير "، كما درس همزية البصري " و " ألفيه بن مالك " على شرح ابن عقيل .¹

من العلماء نجد مصطفى بن عبد الله الدحاوي، الذي برز في الثقافة الدينية في أشعاره التي خلّدها خاصة فيما يتعلّق بفتح وهران الذي جعله ينظم جملة من التصانيف في الشعر والنثر، فكان أديبا وشاعرا، وهو من أحد تلامذة أبو رأس الناصري، وقد قرض له بعض تأليفه ومؤلفاته: كالرحلة القمرية في السيرة المحمدية² و "الإكتفاء في حكم جوائر الأمراء"².

كما يمكن أن نستدل على وجود كتب أخرى من خلال محاكاة مؤلفي العصر الإسلامي في إختيار عناوين مؤلفاتهم؛ فمثال ذلك كتاب " الغرض المغرب عن الأمر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب " لأبي رأس الناصري بتقليد: " البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب " لابن عذاري المراكشي³.

بالإضافة إلى كتاب: " مروج الذهب في نبذة النسب ومن الشرف انتهى وانتسب"، بمحاكاته للمسعودي في كتابه مروج الذهب⁴ أما كتابه: " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار " فلا يمكن أن يخرج تقليده الرحالة ابن بطوطة في مؤلفه: " رحلة في النظر في غرائب الأمصار"⁵.

يخبرنا أبو رأس الناصري أنه قلد السيوطي في مؤلفه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" في كتاب: " نزول الرحمة في التحدث بالنعمة"¹.

¹ - أبي راس الناصري، الدر المهدي لغوثية ...، المخطوط السابق، ورقة 4، ظ.

² - مصطفى بن عبد الله الدحاوي، الرحلة القمرية...، المخطوط السابق، ورقة 10، ظ .

³ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب، تح: ج.س. كولان واليغي بروفيسال، وهناك أربعة مؤلفات أخرى في تاريخ المغرب تأخذ عناوينها هذه الصيغة، بالإضافة إلى هذين اللذين ذكرناهما هناك كتاب آخر لابن عبد الله البكري يسمى: " المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب " و " المغرب في حلى المغرب " المقرئ الجد و " در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة " يقلد فيه "الإصابة في تميز الصحابة" للعسقلاني (ت 852هـ) وطبع هذا الكتاب بمطبعة السعادة بجوار محافظة بمصر، وهناك كتاب يجهل صاحبه يأخذ عنوانه نفس صيغة كتاب أحمد بن عمار: " رحلة اللبيب في اخبار الرحلة الى الحبيب"، وهذا الكتاب عنوانه: الرشد اللبيب إلى المقاصد الحبيب"، وهو مخطوط بمكتبة الوطنية بالحامة رقمه 1782، ويظهر أنه كتاب قديم جدا .

⁴ - ابن الحسن علي بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد يحي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان، 2005م، ص ص 8-9.

⁵ - ابن بطوطة، رحلة النظر في غرائب الامطار، تح: طلال حرب، ط.2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م، ص 250.

من هنا نستشف أن مؤلفات التاريخ العربية السابقة كانت مصدر المعلومة والإنتفاع لعلماء بابلك الغرب الجزائري في تأليفهم النفائس الثمينة، كما نجد البعض منهم قام بنسخ كتب لغيرهم، يُعدّ ابن حمادوش من بين العلماء الذين اهتموا بنقل التراث العلمي لمن سبقهم، حيث قام بنسخ عدد من المؤلفات، من بينها وثائق الغرناطي، بحسب قوله: " إلى عشرين من ذي الحجة نسخت وثائق الغرناطي، ويوم الأحد الموالي تَمَّتْها، فيها استعنت عما كنت شرعت فيه من تقييد تم ذي الحجة بثلاثين يوما ..."²، ويقول أيضا: "إلى يوم الخميس الآخر ربيع الثاني الموافق للربيع عشر أفريل أتممت المقالة السابعة من إقليدس... وعدد صفحاتها 185، وجملة صفحات الكتاب 453"³.

كذلك هو الحال مع ابن سحنون، إذ يصرّح بنفسه بأنه دون كتابه "الثغر الجماني ..."، وذلك بقصد الإشادة بأعمال محمد الكبير، إذ يقول "... إذ قصدت بذلك تخليد مآثره وتدوين بعض محامده ومفاخره " ..."⁴. وبين لنا أن مؤلفه هذا يحتاج إلى شرح يوضح ألفاظ القصيدة ويكشف غموضها. ويروي لنا مؤلف الثغر الجماني أن الباي محمد الكبير أمر مصطفى بن عبد الله بتقييد الحوادث المتعلقة بالجهاد، وما يُصرف من أرزاق، حيث يقول: "...وعقدت لتقييد الرحلة حبال النطاق، ودخلت إلى مجلسه الرحيب"⁵.... فكان من فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله بطول عمره ..."⁶.

توجد بعض الإجازات التي مُنحت لمؤلفين جزائريين في العهد العثماني، يُذكر فيها ما أُجيز فيه ذلك المؤلف من العلوم، أي ما تلقاه عن شيخه، وما إذا كان يُدوّن ما أُملي عليه. فنجد أحمد بن الهطال، في مؤلفه رحلة محمد الكبير، يشير ناسخه في خاتمة الكتاب إلى أن ابن الهطال قد أنهى تقييد هذه الرحلة، كما ورد في قوله: "... وكتبه فقير ربه وأسير ذنبه ... أحمد بن

¹ - أبي راس الناصر ، فتح الإله ...المصدر السابق، ص 159.

² -عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص252.

³ -ابن بطوطة ،المصدر السابق، ص 253.

⁴ - أبي رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص125.

⁵ - هناك كتاب يجهل صاحب يأخذ عنوانه نفس صيغته كتاب أحمد بن عمار : نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب " وهذا الكتاب بعنوان الراشد اللبيب إلى مقاصد الحبيب وهو مخطوط بالكتبة الوطنية بالحامة رقمه 1782، ويظهر انه كتاب قديم جد .

⁶ - أحمد بن سحنون ، المصدر السابق، ص ص 94-95.

محمد بن علي بن أحمد بن هطال، يشير من قام بنسخ مخطوطه، والظاهر، إلى أن المؤرخين في العهد القديم كانوا يبدؤون بكتابة مؤلفاتهم على شكل مسودات أولية، ثم يقومون بمراجعتها وتنقيحها لاحقاً، ومثال على ذلك ما نجده في نسخة التحفة المرضية...¹ يقول بأن هذه النسخة قد نسخها مباشرة من مسودة المؤلف¹. فما يميز المخطوطات كثرة النقول من نصوص ومصادر مختلفة تطرقت لمسائل مختلفة، فنجد الشيخ المشرفي عبد القادر اعتمد في مخطوطاته على النقل لنصوص وأئمة الراشدية وتلمسان، وهي بدورها تضمنت نصوصاً سابقة لأعلام الراشدية منذ القرن 15م حتى القرن 19م، فاعتمد على القرآن الكريم وصحيح مسلم، معيد الغم ومسيد النقم لتاج الدين السبكي، وعقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس بأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، بالإضافة إلى وسائل وتقاييد².

سابعاً- علاقة أصحاب المخطوط بالدولة العثمانية:

كان للبايات العثمانيين نصيب من الإزدهار الثقافي الذي عرفته الجهة الغربية، فالباي إبراهيم الملياني³ مثلاً كان محباً للعلماء والصالحين ساعياً في قضاء حوائجهم، يقول العلامة أبو حامد العربي المشرفي⁴: " الأتراك كانوا مع جورهم وشدة ظلمهم يحبون العلماء ويخضعون لهم، ويتذللون بين أيديهم أكثر من تذلل الروم لرهبانهم واليهود لأساقفتهم..."⁵، ولا يستشفع عندهم عالم أو ولي إلا وقبلت شفاعتهم ولو في موجبات القتل⁶.

¹- أحمد بن سحنون ، المصدر السابق، ص ص 114-115.

²-المشرفي، التقييد نسب المشارف ، مخطوط السابق، الورقة 01. ينظر: الملحق رقم : 05، ص 348.

³-إبراهيم الملياني: المعروف بأبي إسحاق، أصبح باياً عام (1107هـ/1756م). كان مقرباً من العلماء والصالحين، ومن إنجازاته أنه بنى برج العسكر في معسكر وكتب اسمه عليه. توفي عام 1771م، ودُفن في معسكر بالقبة التي بناها الحاج عثمان لسيدي عبد القادر الجيلاني. ينظر: مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب... ، المصدر السابق، ص 21.

⁴- حامد العربي المشرفي: العربي بن عبد القادر المشرفي (أبو حامد، أبو محمد)، من أسرة المشارف التي استقرت في قرية "جبل الكرط" بضواحي معسكر. عاصر سقوط الدولة العثمانية وبداية الاحتلال الفرنسي، وشهد مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مما يجعله من المخضرمين. من أبرز أساتذته : محمد أبو رأس الناصري المعسكري، وابن عمه الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي . توفي عام (1313هـ/1895م) . ينظر: مختار جبار ،" أبو حامد المشرفي ومخطوطه ياقوتة النسب الوهاجة" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، وهران، ع.1، 2001، ص 42.

⁵-أبو حامد المشرفي ، ياقوتة النسب الوهاجة ...، المخطوط السابق ، م ، و ، 4 ، ظ.

⁶- عبد المنعم القاسمي الحسني ، ذخيرة الاواخر والاول فيما ينظم من اخبار الدول ، رسالة ما جستبر في أصول الدين، جامعة الجزائر ، 2011، ص21.

إذا أردنا تحديد طبيعة العلاقة بين البايات والعلماء، فيمكن تصنيفها على أنها لم تكن دائماً ثابتة أو في اتجاه واحد، بل على العكس نجد في بعض الأحيان إنسجاماً وتقارباً بين العلماء، بينما تظهر في أوقات أخرى صراعات وخلافات بينهم. ويتجلى الولاء في عدة مخطوطات تعكس هذا التنوع في العلاقات، يبرز كتاب "إفاقة الأحاسيس عن ما جهل من علماء غريس" هذا الولاء لعدة علماء من جهة الغرب الجزائري، حيث يتناول فيه المؤلف شخصية العالم ابن زرفة مصطفى الدحاوي، الذي كان من خواص الباي ومساعد الرئيس في رباط وهران خلال حصار الإسبان. ثم عهد إليه بتنفيذ الوقائع النضالية في تلك الفترة، وبعد فتح وهران عين قاضيا بها مدة حتى عصفت به ريح الوباء الجارف فمات ولم يجاوز عهد الشباب في سنة 1215هـ¹.

يتطرق المخطوط نفسه إلى سيدي محمد بن يخلف وهو أحد الإخوة 12 أبناء سيدي علي بن يحيى بن راشد بن فرقان²، حيث كانت له مكانة رفيعة عند قومه فأعفاه الباي عثمان من تكاليف الدفع للخرانة، وهذه من عادات البايات في معاملتهم للعلماء والأولياء. ومن بين العلماء الذين قربتهم السلطة العثمانية منها، نجد أحمد بن سحنون الذي أعجب به الباي عثمان وإختره كاتباً ملازماً له في حربه مع الإسبان، حيث ألف كتاباً بعنوان: "الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني" الذي يبين فيه وقائع الحرب وله أيضاً مؤلفات أخرى من بينها "عقود المحاسن".

يظهر لنا من خلال الدراسة أن الدعوة السنوسية³ لم تواجه السلطة العثمانية ولم تعارضها، بقيادة الإمام السنوسي⁴ الذي عمل على تأكيد ولائه للدولة العثمانية، ولم تظهر لدى العثمانيين أي

¹ - ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية...، المصدر السابق، ص112.

² - سيدي علي بن يحيى بن راشد بن فرقان: الجد الجامع لنسبهم هو سيدي علي بن يحيى بن راشد بن فرقان. ويتصل نسبه به حسين (الملقب بـ "حساين")، ثم بـ سليمان بن أبي بكر بن مؤمن بن موسى بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن إدريس بن موسى بن إسماعيل. ويصل هذا النسب في النهاية إلى الإمام علي بن أبي طالب، زوج السيدة فاطمة الزهراء البتول. ينظر: عبد الفتاح فتحي، الأحياء بعد الأنبياء في أعقاب طبقة الأشراف المنسوبين للحسين: (لقصة بقية)، ج1، دار الكتاب، الجزائر، 2011م، ص89.

³ - الدعوة السنوسية: الدعوة السنوسية هي دعوة صوفية، وتُعرف أيضاً بأسماء مثل الإدريسية، القادرية، الناصرية، والشاذلية. يُنسب منهجها إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتستند في مبادئها على الكتاب والسنة. تُعد هذه الدعوة خلاصة للطرق القديمة والحديثة، وقد اشتهرت بدعوتها للرجوع إلى السلف، وتطبيق تعاليم القرآن والسنة، وتطهير الدين من الشوائب والخرافات. للمزيد ينظر: محمد بن سنوسي، الأسانيد الشيخ محمد بن السنوسي في التصوف، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1815، ورقة 13، ظ.

⁴ - محمد بن علي السنوسي: وُلد محمد بن علي السنوسي عام 1787م في قبيلة الخطاطبة، بمنطقة يلال جنوب شرق مستغانم. كان ينتمي إلى عائلة عُرفت بالعلم والصلاح؛ فوالده كان يجمع بين العلم والتقوى والفروسية والزماوية، ونسبه يتصل بالحسن بن الإمام علي رضي الله عنه. درس الإمام السنوسي =

أي مخاوف من حركة الدعوة السنوسية، باعتبارها كانت تجمع المسلمين تحت راية الإسلام وتدعو إلى الإستقرار. ولذلك، شجعت الدولة العثمانية هذه الحركة على المضي قدماً في طريقها واعترفت للزعيم السنوسي بالإمارة السنوسية وجعلها وراثية لخلافة القادمين، كما أعفت أملاك الزوايا من الضرائب.

يتناول مخطوط "إتحاف المريدين" للشيخ محي الدين¹ الحديث عن الباي محمد بن عثمان الكبير، حيث يذكر أنه من تلاميذ الشيخ مصطفى الحسني، والد الشيخ محي الدين، كان من أكثر البايات العثمانيين خدمةً للعلم وأهله، وترك خلفه مسيرة حافلة بالمناقب والإنجازات. فقد كان من الطبقة المثقفة المطلعة على الكتب، وأسّس مدرسة بجانب مسجده، مما يعكس حرصه على نشر العلم والدين.

أما محمد بن ميمون الجزائري²، فهو ينحدر من عائلة لم تكن ذات مكانة مرموقة أو معتبرة لدى السلطة العثمانية، رغم شهرتها بالعلم. فقد كان جده، أبو العباس أحمد بن عبد الله الزاوي (توفي عام 1779م)، عالماً في الفقه واللغة وصاحب نظم في التوحيد. وقد استطاع ابن ميمون أن يكتب مودة الداوي محمد بكداش³، الذي أسند إليه قضاء الجزائر. ويصرح ابن ميمون في كتابه التحفة المرضية بقوله: "وبعد فرحتي لما مولانا الإمام ... عالم الأمراء وأمير العلماء فخر الدولة العثمانية، وناشر العدل... أبو النصر محمد بكداش، وألفت رسمه بالإحسان إليه المحتوى ما نشر

=الفقه والحديث والتصوف في عدة مناطق، وتوفي يوم الأربعاء 9 صفر 1277هـ. دُفن يوم الجمعة في ضريحه المعروف بمنطقة الجيوب في الصحراء على الحدود المصرية الليبية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص 246-247.

¹-شيخ محي الدين: هذه الشخصية سوف نتحدث عليها بشكل مفصل في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

²-محمد بن ميمون: محمد بن ميمون الزاوي النجار، المعروف بـ أبي عبد الله، هو من فقهاء الجزائر البارزين. يذكر أبو زيد عبد الرحمن الجامعي أنه حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزاوي. عاصر حكم الداوي محمد بكداش وصهره أوزون حسن. اشتهر بكونه من أشهر فقهاء عصره، كما كان له اهتمام بالسياسة، وهو ما يظهر في كتابه التحفة المرضية. كان ابن ميمون حافظاً للشعر والسجع، وكتبه تميل إلى التصوف، مما يجعله يتبع منهج الفقهاء والمتصوفة المقلّدين في زمنه. ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ص 12-13.

³-محمد بكداش: تولى الداوي محمد بكداش الحكم في عام (1018هـ / 1808م) وقُتل عام (1022هـ / 1810م). كان بكداش قد نُفي من قبل السلطة العثمانية، وخلال فترة نفيه، أَلَفَ محمد بن ميمون كتابه التحفة المرضية من أجله. عاد بكداش إلى الجزائر في أوائل عام 1808م، وبعد وصوله، عُزل الداوي حسين خوجة وانتُخب بكداش ليحلّ محله. ينظر: محمد ابن ميمون، المصدر نفسه، ص ص 26-44.

من السيرة المحمدية عليه وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه، فوسمته باسمه وكسوته نور رسمه¹... يدل هذا النص على محبة ابن ميمون الخالصة للداي وسيرته.

هناك مؤلفون لا نحتاج لأدلة على تأييدهم للسلطة العثمانية، فعبد القادر المشرفي² مؤلف "بهجة الناظر" رغم أنه لم يتول الوظيفة أو المنصب الديني، إلا أنه كان مؤيدا للعثمانيين مساندا لهم مشاركا في غزواتهم ضد الإسبان خاصة في فتح وهران الأول، ويقدم مؤلفه - سابق الذكر - دليلا قاطعا على مساندته للعثمانيين الذي يعتبرهم مجاهدين وحماة البلاد والعباد، ويتهم على المتعاونين مع الإسبان ويفصل أخبارهم³.

كما يعتبر أحمد بن الهطال التلمساني⁴، من بين المؤرخين الذين كانت لهم علاقة وطيدة بالبائي محمد الكبير، إذ كان كاتباً ومعبوثاً في المهمات الخارجية⁵، ويكفي أنه مات في إحدى الوقائع الحربية بين الباي مصطفى بن عبد الله العجمي⁶. وابن الشريف الدرقاوي⁷، عندما كان مصاحباً للبائي بصفته كاتباً له.

¹- أبو عبد الله بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 112-113

²- عبد القادر المشرفي : عبد القادر المشرفي (أبو المكارم) ينحدر من أسرة المشارف التي سكنت بقرية الكرط قرب مدينة معسكر. درس الفقه والأدب في أهم المراكز العلمية في الجزائر، كما أخذ العلم من علماء المشرق والمغرب. نال احترام الجميع، وخرّج على يديه العديد من الطلاب، كان من أبرزهم الشيخ أبو رأس الناصري. أشهر مؤلفاته هو كتاب بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسمانيين بوهران من الأعراب كبني عامر. توفي عام 1787م. ينظر: بوجلال قدور ، " جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الإسبان بوهران على ضوء مؤلفه بهجة الناظر " ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية، ع 1، مج13، 2022، ص ص 349-351.

³- مسلم عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص 19.

⁴- أحمد بن الهطال التلمساني: أحمد بن الهطال التلمساني (أبو العباس) كان فقيهاً وأديباً في القرن الثاني عشر الهجري. اشتهر بدوره كمستشار دبلوماسي ومحارب، خصوصاً خلال فترة ملازمته للبائي محمد بن عثمان الكبير (1797-1779م). عمل في بلاط الباي وتولى منصب كاتب السر الرئيسي، الذي كان يُستخدم لجمع الأخبار. استشهد في معركة بـ "قرطاسة"، الواقعة بين وادي منة ووادي العبد. ينظر: بن شريف هاجر ، " الجمالية الفنية للرحلة الجزائرية في العهد العثماني ، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي لابن الهطال التلمساني نموذجاً " ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع 3، مج.09، ديسمبر 2022، ص ص 1309-1310.

⁵- أبو العباس أحمد بن الهطال، رحلة محمد الكبير ...، المصدر السابق، ص 29.

⁶- مصطفى بن عبد الله العجمي: من ببايات الغرب الجزائري، تولى الحكم سنة 1800م، قاد معركة ضد الشريف الدرقاوي، ولما هزم عزل، ثم عاد مرة أخرى إلى الحكم بوهران آخر سنة 1807م، بقي تسعة أشهر حارب فيها الدرقاوين وهزمهم، كما حاربهم أيضاً بوادي الجير بعد أن انضمت إليهم قبيلة مهاجرة، وهزمهم جميعاً وفي هذه الأثناء عين خزانجيا فيها. ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص 27.

⁷- ابن الشريف الدرقاوي: ابن الشريف الدرقاوي (عبد القادر)، من أولاد بليل، ينتمي إلى قبيلة كسانة البربرية. بعد أن تعلم في مسقط رأسه، التحق بزاوية القيطنة القادرية، ثم سافر إلى المغرب الأقصى حيث تتلمذ على يد علماء فاس. هناك، إنلقى بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي واتبع طريقته، الذي عينه بدوره مقدماً للدقاوية في الجزائر. عند عودته، أسس زاوية في أولاد بليل، حيث كان يستقبل الأتباع ويعلمهم مبادئ الطريقة. نتيجة لذلك، زاد عدد مريديه،=

بالرجوع إلى العلامة الحافظ أبي راس الناصري الذي لم يكن نافرا، إذ نجده يمدحهم ويتقرب إليهم، من ذلك مشاركته مع الباي محمد عثمان في الجيش الإسلامي لفتح وهران، وأشاد بدورهم وذلك من خلال ما قام به من شرح: " **نفسية الجمان بفتح ثغر وهران** " وسمي هذا الشرح: " **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**"¹، كما بنى له صديقه الباي مصطفى مسجدا به غرفة تدعى بيت المذاهب الأربعة، ويحتوي على ما يزيد على 3 آلاف مجلد، يدرس فيه حوالي 780 طالبا بمعسكر لكن في المرحلة الأخيرة من حكم العثمانيين عزل من المناصب التي تولاها.

وفي تخميس² للعلامة عبد الرحمن بن أبي معزة لقصيدة للعربي الدمناتي³ في مدح باي وهران تبرز لنا لمحة عن طبيعة العلاقة التي ربطت الشيخ عبد الرحمن بالباي محمد بن عثمان الرقيق⁴، المعروف بـ"بوكابوس"، منذ سنة 1807م على أقل تقدير، ويحتمل أن يكون الشيخ عبد الرحمن قد شغل آنذاك منصب القضاء، ويستدل على ذلك من النص الوارد في المخطوط، حيث جاء فيه: "أقام عند الباي محمد المتولي لها وقتئذ، فلما عفي عنه وأراد الرجوع إلى وطنه، أنشد أبياتاً في مدح الباي المذكور، فخمّسها السيد عبد الرحمن بن أبي معزة"⁵... ومن المعلوم أن الشيخ عبد الرحمن قد أعفي من منصبه قاضياً بشكل تلقائي إثر تسليم الباي

=خصوصاً من القبائل الصحراوية، وحظي بتقديرهم واحترامهم، كما تلقى منهم الهدايا والعطايا. ينظر : بونقاب مختار، " انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري " ، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ** ، ع.3، 2008م، ص ص 135-136.

¹- هذا الشرح عبارة عن مدح وشكر وثناء وعرفان بأعمال الباي محمد عثمان يقول في ذلك : " ... حتى سطعت لي أنوار الهداية ... وتجددت العناية بسبب ما أنعم الله ... بفتح ثغر وهران ... على يد من إستطل الأثام بضل العدل والإحسان ... الباي محمد بن عثمان ملك تفرد بعناية المحانس والمناظر ، وجمع أشنات الفضل والمخاطر ... ينظر : أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 1632، ورقة 3، و. ²-**التخميس**: من أهم خوارج النص التي تقيدها في كثير من المواضع على رأسها الإطلاع ولوجزئيا على رصيد الأعلام من المخطوطات و على خط هجرة هذه المخطوطات وتعدد ما لکیها بأسمائهم وعلى نقاط للتواصل الثقافي بين العلماء تاريخيا وجغرافيا و غيرها من المعلومات. للإشارة لقد ضببط هذا التعريف من خلال إحتكاك بالمخطوطات التي وقعت بين أيدينا، وكذا ما وصفه لي بعض الباحثين المختصين في مجال المخطوطات. ينظر : التخميس مخطوط في الملحق.

³- **العربي الدمناتي**: أبو حامد، كان عالماً وكاتباً أديباً. درس على يد مجموعة من العلماء، أبرزهم الطنباطي، الذي تأثر بحلقاته ودروسه. من أشهر أعماله "الفهرسة"، بعنوان سمط الجوهر في الأسانيد المتصلة بالفنون والأثر. جمع الدمناتي أيضاً إجازات بخط يد مشايخه من المشرق والمغرب، بالإضافة إلى كنّاشات خاصة. توفي سنة 1254هـ. ينظر : الطرنباطي ، إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك ، تح: سعيد منصور ، ج.3، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1971م، ص 55.

⁴- **محمد بن عثمان الرقيق** : هو شقيق محمد باي الكبير، كان يُلقب بالرقيق، والصلوخ، وأبي الكابوس. تولى الحكم عام 1808م، واستمرت ولايته نحو خمس سنوات. خلال فترة حكمه، حارب الدراويين وقضى على كل أثر لهم. بلغت قسوته حداً أن الرجل كان يتهم بالدراوية ليعذب بأشد أنواع التعذيب. في إحدى الوقائع، لاحق الباي أحد الدراويين الهاربين إلى جبل بني يزناسن، فقتله وسلخ رأسه وهو حي، ثم أرسله إلى الجزائر في عام 1813م. يقول أبو رأس الناصري: "إنه لما عاد من الحج سنة 1812م، زار قبره وترحم عليه". ينظر : مسلم بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص 28.

⁵- ينظر : ملحق رقم 06، ص 349.

حسن مدينة وهران للإحتلال الفرنسي سنة 1831م. ويرجح أنه لم يكتب بعد ذلك، حتى وافته المنية، وإن كان تاريخ وفاته غير معروف على وجه التحديد.

إثر التعمق في طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة، نلاحظ وجود فئة اتسمت بالحياد، وكان أغلب أفرادها، بحكم قرب بايلك الغرب من المغرب الأقصى، تميل إلى التقرب من السلطة المغربية، سواء في عهد السعديين أو العلويين. ويُعزى نفور هذه الفئة من السلطة العثمانية إلى نزعتهم الزاهدية وحرصهم على تجنب محاباة الحكّام. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ابن مريم المديوني التلمساني¹، مؤلف: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" الذي عاش في منتصف القرن 16م بتلمسان فلم نجد إتصاله بالسلطة العثمانية تأييدا أو إصطداما². فبالرغم من قيامه بترجمة بعض العلماء الذين ابتلوا بظلم العثمانيين، فقد التزم بأسلوب يتسم بالحياد، يُشبه إلى حد بعيد منهج الكتابات الموضوعية الحديثة. ورغم ما يظهر من تعاطفه مع هؤلاء العلماء³.

أما المقري التلمساني⁴ صاحب المصنّف المشهور بـ "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، عاش حياته متنقلا بين مدن المغرب الأقصى متصلا برجال السلطة فيها، وقد اتصل بالسلطان أحمد المنصور السعدي⁵ بمراكش، ولّى الخطاب بجامع القروين وارتقى إلى منصب

¹ ابن مريم المديوني التلمساني: أبو عبد الله محمد بن مريم المديوني التلمساني وُلد في تلمسان بمنتصف القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي)، وهو ينحدر من عائلة تنتمي إلى أشراف "ميلة". تلقى تعليمه في مدارس تلمسان، حيث أخذ عن والده مبادئ اللغة والفقه. بعد ذلك، سافر إلى المغرب الأقصى ثم عاد إلى تلمسان. اشتهر بكثرة مؤلفاته في شرح أمور الفقه والعقائد والكرامات والزهد والتراجم. وقد عُرف بشكل خاص بكتابه في التراجم، الذي حمل عنوان البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان أو البستان في ذكر مناقب أولياء تلمسان. توفي عام (1020هـ / 1611م). ينظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي....، المرجع السابق، ص 299-300.

² أبو القاسم محمد الحنفاوي، المصدر السابق، ج. 1، ص 147.

³ مثال ذلك بالترجمة لشيخه محمد السويدي الذي قتله الأتراك في إحدى ثورات أهالي تلمسان. ينظر: أبو عبد الله محمد مريم، البستان في ذكر الأولياء....، المصدر السابق، ص 287.

⁴ المقري التلمساني: وُلد المقري التلمساني في تلمسان عام 1580م، حيث نشأ وترعرع وأخذ العلم على يد شيوخها وعلمائها. سافر بعد ذلك في رحلات لطلب العلم، وحظي بمكانة علمية مرموقة في شتى أقطار العالم الإسلامي. ألّف في العديد من العلوم، مثل الدين، القرآن، السيرة، الفقه، وعلوم اللغة والنحو والتاريخ. توفي عام 1632م في مصر، ودُفن فيها.. ينظر: أحمد بن محمد المقري، رسائل المقري، تح: أسماء القاسمي، دار الخليل، الجزائر، 2007م، ص 99-102. ينظر كذلك: عبد القادر سرير عبد الله، أحمد بن محمد المقري التلمساني، "حياته مؤلفاته رحلته"، مجلة التواصلية، المدينة، ع. خاص، مج. 2، 2018م، ص 53.

⁵ أحمد المنصور السعدي: أبو العباس أحمد بن محمد هو سابع سلاطين الأسرة السعدية التي حكمت المغرب الأقصى. لُقّب بـ "الذهبي" واشتهر بانتصاره بانتصاره في معركة وادي المخازن (والمعروفة أيضاً باسم معركة سبستيان). توفي إثر وباء الطاعون في فاس عام 1603م.. ينظر: البارون دي كولا صو ماكمنار، الملوك المغربية، تر: عثمان المنصوري، ط. 1، مطابع الرباط، 2016م، ص 43-44.

الإفتاء في بلاد السلطان زيدان¹ مدة خمسة عشر سنة². ولم تستمر العلاقة فاضطر إلى الخروج من فاس متجها صوب المشرق³ منتقلا بين الحجاز ومصر والشام إلى أن توفي بالقاهرة سنة 1636م.

ونحن بصدد تصفّح المصادر المخطوطة وجدنا قلة من المعارضين منهم للسلطة فالشاعر أبو عثمان سعيد المنداسي التلمساني⁴. الذي عاش في القرن 17م، اتخذ موقفا عدائيا من العثمانيين، وغادر تلمسان وشهر في قصيدته النونية المشهورة، والتي بين فيها ظلم العثمانيين لعلماء وسياستهم الدموية ضدهم، حيث يقول :

وَأَكْبَرَ شَيْءٌ أَفْسَدَتْهُ أَكْفِهِمْ *** تَلْمُسَانٍ عَنِ الْغَرْبِ عِلْمًا وَإِيمَانًا.
عَلَى نَهْبِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى تَظَاهَرُوا *** وَكَانَتْ لَهُمْ عَلَى الْمَدِينَةِ أَذَانًا⁵.

كما تطرّق العربي المشرفي في كتابه "الحسام المشرفي" إلى ظلم وتعسف وقسوة العثمانيين بقوله: " وذلك لأنه لما اشتدت شوكة الأتراك، وما لاقت الناس من كثرة الظلم والعياذ بالله، دعوا الله في سواد الليل أن ينجيهم من ذلك الويل فسلط الله عليهم بسبب الظلم شخصا من هذه الطائفة الدرقاوية من الزواية الغريسية الشرفاوية". ونجد علماء وشيوخ زوايا أيّدوا الثورات الدينية ضد العثمانيين حيث يعتبر أبو حامد المشرفي أبرز.

¹ - السلطان زيدان: هو الابن الأصغر للسلطان أحمد المنصور. بُويع في فاس عام 1603م، لكنه خاض معركة ضد منافسه مولاي فارس قرب نهر أم الربيع، والتي هُزم فيها. نتيجة لهزيمته، بُويع مولاي الشيخ مكانه في فاس. توفي السلطان زيدان عام 1627م. ينظر: نمير حسين ، الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي (1578-1603م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ بلاد المغرب الحديث ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2022-2023م، ص 60.

² - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للمؤرخين.... ، المرجع السابق، ص 327-32. ³ - تذكر المصادر أن المأمون السعدي طلب من المقرئ أن يجيز تنازله عن ميناء العرائش للأسبان، مقابل مساعدته في استعادة عرشه. هذا الطلب دفع المقرئ إلى التسلل خفية للخروج من فاس، تجنباً للخوض في هذه القضية. كما اتهمه أهل فاس بالانحياز إلى إحدى القبائل ذات الأصول التلمسانية، التي كانت تحظى بمكانة خاصة لدى السلاطين السعديين. ينظر: أبو القاسم الحضاري، المصدر السابق ، ج.1، ص 52.

⁴ - لا نعرف عن حياة سعيد بن عبد الله المنداسي إلا القليل. هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي، من أصل مندائي، عاش ودرس في تلمسان بالقرن الحادي عشر الهجري. درس العلوم التي كانت شائعة في عصره، مثل اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعلوم الشرعية، وعلم الكلام. لا توجد معلومات دقيقة عن تاريخ وفاته، وهل كانت في القرن الحادي عشر أم في بداية القرن الثاني عشر الهجري. ينظر: أبو عثمان سعيد المنداسي ، ديوان سعيد المنداسي ، تح: رايح بونار ، الشركة الوطنية الجزائري ، الجزائر ، 1968 ، ص 05.

⁵ -أبو عثمان سعيد المنداسي، المصدر السابق، ص 87-90.

ومن هنا نستلزم أن أصحاب المخطوطات اختلفت علاقتهم بالدولة العثمانية بين التأييد والتحفظ والمعارضة.

ثامنا: دور الخزائن العامة والخاصة في الحفاظ على المخطوط ببائلك الغرب.

إن اهتمام الجزائر بالمخطوطات يعود لسببين على الأقلّ أولها يتمثل في بروز فئة من العلماء والكتّاب الذين ساهموا بتأليفهم وكتابتهم في إثراء الخزائن والمكتبات، أما السبب الثاني فيعود لموقع الجزائر الذي جعل منها محطة لعبور القوافل ومجالا لمرور العلماء ورجال الدين مما منحها فرصة للتعرف على بعض المخطوطات¹.

ولعلّ أهم العلوم والفنون التي اهتم بها علماء البائلك الغربي خلال الفترة العثمانية هي العلوم الدينية كالعقيدة، حيث نجد العديد من الشروح لمتون السنوسية، إذ صارت الراشدية تعرف بأرض التوحيد والفقّه الذي أخذ حصة الأسد في مجموع ماخّفه لنا العلماء، بالإضافة إلى التفسير وعلم اللغة وغيرها من الفنون المتصلة إتصالا وثيقا بالعلوم الشرعية النقلية.

من العلوم والفنون التي اهتم بها العلماء علم الحديث رواية ودراية لإرتباطه الوثيق بالسنة النبوية الشريفة، كونه المصدر الثاني في التشريع، والعلوم العقلية، كالفلك والطب وغيرها من العلوم الأخرى، واختلف العلماء في الإهتمام بمصنفاتهم بين الشرح أو النظم والحفظ، وحتى التدريس والرواية.

هذا الرصيد العلمي والفكري والديني يمثّل الذاكرة التاريخية والثقافية التي تؤصل الذات الجزائرية، وهذا المخزون لا يزال مبعثرا بين رفوف المكتبات، ومخازن العائلات، موزعا بين المساجد والزوايا وسوف نحاول من خلال هذا إبراز دور هذه الخزائن سواء الوطنية كالمكتبة الوطنية بالحامة أو الخاصة بمنطقة معسكر وضواحيها وهنا يتبادر إلى ذهننا التساؤل التالي؟ .

¹ - مختار بونقاب، واقع المخطوطات الجزائرية، المرجع السابق، ص 530 - 546.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

■ من هم الباحثون الذين اعتمدوا على مؤلفات العهد العثماني ببائلك الغربي خلال العهد العثماني؟ وما هي أماكن وجود المخطوطات وحفظها؟ وكيف يتعامل الأشخاص والعائلات مع هذه المخطوطات؟

1- باحثون اعتمدوا على مخطوطات بايلك الغرب:

أضحى موضوع الإهتمام بالتراث الوطني وتحقيق المخطوطات من المجالات التي تحظى بالعناية لدى الباحثين سواء في إطار أكاديمي (رسائل الماجستير، دكتوراه...) أو حر، وهذا يستدعي من الجامعات الجزائرية في مختلف التخصصات إثراءه في مجال البحث العلمي، أما عن تراثنا الوطني الخاص بالجهة الغربية فحظي باهتمام كبير سواء من طرف الفرنسيين الذين عملوا على جمعه وإحصاءه ووضع قوائم لهذه الكتب، أو أبناء البلد والمنطقة الغربية كابن شنب الذي قام بفهرسة عدد لا بأس به من المخطوطات، خاصة مخطوطات الجامع الكبير¹ وذلك خلال الفترة الإستعمارية². وعلى إثر هذا نذكر في الجدول أدناه بعض الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بتحقيق الكتب التاريخية المؤلفة خلال المرحلة العثمانية وقيمتها في مؤلفاتهم:

الجدول 1: يمثل قائمة بعض الباحثين الذين قاموا بتحقيق مخطوطاتهم ببائلك الغرب خلال عهد العثماني.

إسم الباحث	عنوان الكتاب المحقق وإسم مؤلفه	السنة الذي حقق فيها ومكان الطبع.
أبو القاسم سعد الله	كتاب تاريخ العدواني لصاحبه العدواني	حقق في الكتاب 1996، وطبع في بيروت.
المهدي بوعبدلي	الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، لإبن سحنون الراشدي	حقق الكتاب وطبع عام 1973م بقسنطينة
بونار رايح	خاتمة أنيس الغريب والمسافر أو تاريخ بايات وهران المتأخرين لمسلم بن.....	حقق كتاب وطبع عام 1974 بالجزائر

¹ - عبد الرحمن الجيلالي، محمد أبي شنب، حياته وإثارة، م، و، ك، الجزائر، 1988م، ص 34.

² - في الفترة الأخيرة حيث برز أساتذة وباحثون نشطو في هذا المجال واستطاعوا أن يخرجوا مخطوطات كثيرة إلى الضوء بسبب إهتمامهم إلى عائلات تملك وتهتم بالمخطوطات كالباحثين حمادو، تقي الدين بوكعبر، وصالح الدين بن نعم، والأستاذ مختار حساني وغيرهم.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابلك الغرب

عبد القادر الوهراني، الديوان سعيد المنداسي	حقّق الكتاب وطبع عام 1976.
الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليهم جنود الكفرة ابن رقية الجديري	حقّق هذا المخطوط ونال به صاحبه دبلوم الدراسات المعمقة في جامعة الجزائر محمد التلمساني.
محمد بن عبد الكريم	التحفة المرضية في الدولة البكداشية، لإبن ميمون محمد الزواوي الجزائري.
محمد بن عبد الكريم	- بهجة الناظر في أخبار الداخلين بوهرا من الأعراب كيني عامر. - رحلة محمد الكبير باي الغرب الى الجنوب الصحراوي الجزائري لاحمد بن الهطال التلمساني. - فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته.
	كتاب محقّق دون تاريخ
	كتاب محقّق ومطبوع عام 1969م، بالقاهرة.
محمد بن أبي شنب	البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد الله محمد بن مريم المديوني
محمد غانم	عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي رأس الناصري
بوركيه محمد	حقّق عام 2005م.
محمد العربي الزبيري	المرآة لحمدان ابن عثمان خوجة كتاب محقّق ومطبوع بالجزائر عام 1975م، وطبع مرة أخرى سنة 1982م، بالجزائر.
إحسان عباس	نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب كتاب حقّق وطبع بالجزائر عام 2008م
ممدوح حقي	تحفة الزائر في تاريخ الجزائر وللأمير عبد القادر الجزائري.
	شرح وتعليق وطبع عام 1964م.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

يحي بوعزيز	طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م لصاحبه الأغا بن عودة المزاري.	كتاب حقّق ونشر عام 1978م.
حمدادو بن عمر	ياقوتة النسب الوهاجة في ذكر نسيب سيدي على مولي مجاجة لصاحبه المشرفي العربي بن عبد القادر	كتاب حقّق ونشر عام 2011م.
مختار حساني	الدرر المكنونة في نوازل مازونة لصاحبه المازوني المغيلي	كتاب محقق وطبع عام 2009
سعد زغلول بن عبد الحميد	الإستبصار في عجائب الأمصار (صاحبه مجهول)	كتاب نشر وعلّق عليه عام 1985
العربي بوعمامة	ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة لصاحبه أبو حامد المشرفي	حقّق ونشر عام 2011م.
بوكعبر تقي الدين	القول الأحوط في بيان من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط لصاحبه قايتان دلفان ومعه تعليقات العلامة محمد الحرشوي التلمساني الجزائري. تلخيص لجمان الدحاوي محمد مصطفى.	حقّق هذا المخطوط ونال به صاحبه رسالة دكتوراه عام 2020. حقّق هذا المخطوط ونال به صاحبه رسالة ماجستير عام 2014م.
سليمة بن معمر	الخبر المغرب لأبي رأس الناصري	كتاب حقّق ونشر عام 2002م.
أسماء قاسمي	رسائل المقرئ لصاحبه المقرئ أحمد التلمساني	نشر الكتاب وحقّق عام 2008م.
حبيب يعقوب	زهرة الشماريخ في علم التاريخ لأبي رأس	حقّق الكتاب عام 2001م

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

	الناصرى	
ناصر الدين سعيدوني	القول الأوسط في أخبار ما حل بالمغرب الأوسط	كتاب محقق عام 1991م.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ إهتمام الباحثين بتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية كان يندرج نحو مجريين، إمّا في الإطار الأكاديمي، وذلك للحصول على درجات علمية في مسارهم العلمي أو في إطار حرّ، وذلك لشغف وحب المخطوط والبحث في خباياه، ونجد الباحث الواحد يحقق أكثر من مخطوط. حيث عمل أبو القاسم سعد الله على تحقيق العديد من المخطوطات الجزائرية، لكن لم نردها لأنها لم تتحدّث كثيرا عن الجانب الغربي على غرار تحقيقه لمخطوط "منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية"، لعبد الكريم الفكون ورحلة ابن حمادوش المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال لصحابه" عبد الرزاق ابن حمادوش ونجد الباحث محمد بن عبد الكريم حقّق أربع مخطوطات ذكرتها في الجدول خاصة بالعهد العثماني وثلاث مخطوطات أخرى لا ندري بأي فترة تتعلّق باعتباره صرّح لنا في كتاب "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، أنّه حقّق سبع مخطوطات¹، ومن بين المهتمين بمخطوطات بايلك الغرب الجزائري خاصة بفضاء الراشدية الباحث تقي الدين بوكعبر². حيث يملك والده مكتبة للمخطوطات وعمل من خلالها الدكتور على تحقيق عدد منها وإخراجها في شكل كتب وشهادات، ولم يقتصر على الكتاب فقط بل صدرت له في الآونة الأخيرة كتب تحمل في ثناياها وثائق مخطوطة من إجازات كإجازة الشيخ سيدي محمد أبي رأس الناصر للشيخ عبد القادر بن عبد الله الدحاوي، وتقاريط ونوازل وغيرها، ساعدتنا خلال هذا البحث باعتبار الباحث مصوِّرا إياها في كتبه وطبعها.

والجدير بالذكر أنّه عند تصفّحنا كتب العديد من الباحثين نجدهم اتفقوا على أخذ ما كتب في العهد العثماني بعين الاعتبار، فهذه الوثائق تعدّ مرآة عاكسة للحياة والمجتمع الجزائري. فراح الدكتور والأستاذ رابح بونار يقول عن كتاب "خاتمة أنيس الغريب والمسافر"، أنّه: "يتعلّق بفترة هامة

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، من مقدمة المحقّق، ص 06.

² - لقد أفادنا الدكتور بكل ما نحتاجه في بحثنا هذا من دعم وتشجيع وحتى يأخذ مخطوطات هي قيد التحقيق، كما زوّدنا بأفكار ومعلومات تاريخية هامة.

من تاريخ مدينة وهران، والمقاطعة الغربية عامة، وهو يسجل الأحداث التي عانتها وهران عقب استرجاعها ...¹.

يرى الدكتور محمد بن عبد الكريم عند تحقيقه لكتاب "فتح الإله ومنته" يقول: "يعد من الكتب التي لها قيمة كبيرة. ويضيف قائلاً: "يعد من كتب السيرة المرضية ... التي تمتاز بالصراحة والتدقيق ولولا هذا الكتاب لما إطلعنا على حياة الطلبة وعاداتهم بالمغرب الأوسط كما يطلعنا على المناظرات العلمية التي كانت تدور بين المؤلفين وبين علماء المشرق والمغرب². ويقول عن تحقيقه لكتاب التحفة المرضية، "أما الباحث عند تحقيقها فيتخلص في أمرين اثنين إحياء التراث الوطني كيفما كانت قيمته العلمية والأدبية... هذا تراث تركه الأجداد ليعتني به الأحفاد، ويحافظوا على مبناه وكيانه فإن كان خصبا استمدوا منه غذاهم ... وإن كان جدبا عرفوا أسباب ذلك واستخدموه حذرا لتاريخ حاضرهم وبناء مستقبلهم³.

كما يقول عند تحقيقه لبهجه الناظر: "لعلّ تحقيق الرسالة يعتبر عملا مرضيا " لدى المثقف النزيه الذي يرغب في نشر تراث أجداده ولو أدى إلى إغتصاب طائفة المتعصب⁴، وعند تحقيقه لرحلة الباي محمد الكبير يذكر: "وقد قمنا بتحقيقها حتى يستفيد منها الجمهور ويطلع على ماضي أجداده وبلاده ..."⁵.

أما الأستاذ تقي الدين بوكعبر الذي نرى فيه تلك النافذة التي تخرج منها نفائس المخطوطات والوثائق المتعلقة ببابيك الجهة الغربية، حيث يذكر في تحقيق كتاب غاتيان القول الأحوط: "هذا الكتاب نفيس كما أعتقد، أحببت أن أخدمه مساهمة في إحياء التاريخ الإسلامي عامة ونفعا لي ومن شاء من إخوتي الباحثين.

¹ - مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 05.

² - أبورأس الناصري، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص 11.

³ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 99.

⁴ - أبو المكارم عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص 05.

⁵ - أبو العباس أحمد بن الهطال، المصدر السابق، ص 05.

كما تزامن حلول الذكرى 200 لوفاة الشيخ الحافظ الرحالة أبو رأس مع إصداره كتاب مجموع وخصّ هذا الكتاب بعشر رسائل وتقايد للشيخ وأغلبها لم ينشر من قبل، فعمل على إخراجها والتعليق عليها والكتاب متوفر بمعظم مكتبات مدينة معسكر وخارجها.

2- المخطوطات في الخزائن الخاصة:

يجب التمييز بين المخطوطات فهي إما تابعة للزوايا أو المراكز أو المدارس القرآنية أو المساجد، أو مخطوطات تابعة للأشخاص، انتقلت لهم عن طريق الإرث وإما مخطوطات تابعة عن طريق الشراء.

ولعلّ مكاتب وخزائن مدينة معسكر تعتبر كأحسن دليل على حبّ الجزائريين وتعلّقهم بتراثهم المخطوط، لذلك سلّطنا البحث على هذه الرقعة الجغرافية، فعند الحديث عن الأسر العلمية التي اهتمت بتراث بابلك الغرب نجد المشارف يستحذون على عدد كبير من المؤلفات المخطوطة، وتوارثت العلم أبا عن جد، وتقلّد أفرادها العديد من مناصب التدريس، والإفتاء والإمامة¹. اشتهرت بنسبها وحسبها وأدوارها التاريخية والاجتماعية وحتى السياسية، حيث اشتغل معظم أفرادها بالعلم والفقه وهو ما تشهد عليهم مؤلفاتهم العديدة وفي فنون مختلفة كتحفيظ القرآن الكريم التفسير، الحديث، اللغة، التاريخ، والتصوف، الشعر والقضاء².

وركحاً على تاريخهم ذكر الجيلالي جلّول في كتابه "النفيس في ذكر أعلام غريس": " على أن قدر المشارف شهير في الأفطار وشائع في القرى والأمصار، متّضح في الحواضر والبوادي، وضوح الشمس في وسط النهار"³.

كان للأشراف إحترام خاص لأنهم من ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم، ودورهم في إعادة إحياء التراث العربي بإعطائهم بعداً كبيراً للغة العربية، وعلوم الدين وعليه، نلاحظ أن منطقة

¹ - فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، دار الناقد الدين الكتاب، [دم.م]، 2008، ص 126.

² - عزيز سامح التر. الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية للشر بيروت، 1989م، ص 114.

³ - جلّول الجيلالي، النفس في ذكر أعيان غريس، منشورات دار الأديب، [دم.م]، 2016م، ص 44.

الغرب الجزائري شهدت إستقطابا للعديد من الطلبة والعلماء خلال القرون 17-18-19م،¹ وذلك بسبب كثرة الزوايا على غرار زاوية يوسف بن عيسى وزاوية الشيخ محمد المشرفي²، وهذا جليّ من خلال ما أورده المشرفي وأبو رأس الناصري في أنّ الزاوية المشرفية بالكرط كانت عامرة بطلبة العلم، فساهم³ هذا في إمتلاك العديد من الكتب والمصنّفات عند العائلات المشرفية، عمل أحفادهم على إخراجها إلى النور، ومن بينهم الباحث الذي سمح لنا بزيارته وعرض علينا مخطوطاته الأستاذ والإمام صلاح الدين بن نعوم من خلال مكتبته الخاصة (مكتبة صلاح الدين بن نعوم)، حيث يعتبر من بين المهتمين بتراث المنطقة، ويعود هذا الإهتمام لديه منذ الصغر بحكم إمتلاك عائلته لعدد كبير منها سواء عن طريق الإهداء أو الشراء. حيث ساهم الأستاذ في التعريف بنسل الولي الصالح "سيدي أحمد بن علي" وكان من بين المهتمين بالطرق الصوفية والزوايا بالمنطقة ومن بين أهم المخطوطات التي قام بتحقيقها:

- كناشة القاضي شعيب الجليلي التلمساني
- رسالة تعطير الأنفاس إخواننا من أهل فاس للعلامة محمد العربي شنتوف.
- تقييد نسب المشارف للشيخ محمد المشرفي المعسكري ثم الفاسي.
- إتحاف المريدين للشيخ محي الدين الجزائري.(وضع عنوان خاص لمكتبة بن نعوم صلاح الدين)

أ- مكتبة الحاج جلول الجيلالي:

تضم هذه المكتبة كتباً ثمينة يعود تاريخها إلى أكثر من أربعة قرون، وقد أفاد منها عدد من المؤرخين الجزائريين، من بينهم الدكتور أبو القاسم سعد الله. ونحن ممتنون للإبنة الفاضلة التي فتحت لنا أبواب المنزل، حيث آلت إليها هذه الكنوز التراثية إرثاً عن والدها، الذي ورثها بدوره عن

¹ - المهدي بن شهرة ، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران ، دار ربحانة للنشر ، الجزائر ، 2009م، ص 105.

² - أحمد مريوش ، المرجع السابق، ص 168.

³ - ألف الشيخ أبورأس الناصر المعسكري مؤلفات عديدة حول موضوع النسب ونذكر منها إيضاح الخميس لشرح العقد المفيس في ذكر الأعيان من غريس وأساس النيسان لشرح الجمان ومروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف انتهى وذهب وانوار البرجيس في شرح العقد النفيس وكثرة وتنوع عناوينه في علم النسب تؤكد لنا نسابه لا شك .

والده. ومن بين المخطوطات التي تقتنيها نذكر:

- مخطوط بهجة الناظر للشيخ عبد القادر المشرفي.
- مخطوط مصطفى الرماصي الذي تجاوز عمره أربع قرون وهو أقدم مخطوط بمكتبة الشيخ جلول الجيلالي، وللشيخ إسهامات كثيرة وعديدة حول تأليف الكتب وخاصة " سلسلة معسكر رجال وتاريخ" شارك في برامج محلية ووطنية، توفي الشيخ في 23 مارس 2023 م تاركا وراءه مكتبة غنية بالمخطوطات.

ب- مكتبة بلقرد بوكعبر:

يعتبر الشيخ محمد بلقرد من أبرز رجالات مدينة معسكر، وتُعد مكتبته من أهم خزائن المخطوطات بالمدينة اليوم، إذ تحتوي على أكثر من 90 مخطوطاً، تم فهرسة 30 عنواناً منها من قبل ملحقة مركز المخطوطات بمدينة تلمسان. ومن بين أبرز المخطوطات التي يقتنيها الشيخ نذكر:

- حاشية مصطفى الرماصي على التتائي.
- الإكسير والإبريز في علم التفسير لأبي رأس الناصر.
- الحاوي في الفتاوي للشيخ أبي رأس الناصري¹، والجدير بالذكر أن الشيخ بلقرد كان سخيّاً وكريماً معنا طيلة السنوات التي قضيناها في البحث، سواء من خلال تواصله معنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو من خلال إتاحتها لنا فرصة الإطلاع على كتبه مباشرة، بل والسماح لنا بتصوير صفحاتها للاستفادة منها في عملنا.
- ج- مكتبة الأستاذ بونقاب مختار :

الأستاذ بونقاب مختار هو أستاذ التعليم العالي بجامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر - يمتلك مجموعة من المخطوطات الأصلية والمصورة أهمها:

- جزء من القرآن الكريم.

¹ - تقي الدين بوكعبر ، صحيح البخاري، المرجع السابق، ص 28.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابيك الغرب

- مخطوط فقهي مجهول المؤلف وحوالي 70 مخطوط مصوّر في التصوّف والتاريخ والأنساب وغيرها¹.

د- خزانة الشيخ محمودي البشير:

استند الشيخ محمودي على خزانة جده الشيخ " عمر بن دوبة "². اشتهرت المكتبة بغناها بمخطوطاتها في شتى العلوم ، حيث تحتوى المكتبة على 400 مخطوط³، اعتمد على مخطوطاتها العديد من الأساتذة والباحثين خاصة الأستاذ الدكتور حمادو بن عمر، وتحتوى حسب ما ذكره الأستاذ على 183⁴ مخطوط ، ولم يقتصر دور الشيخ محمودي على جمع وشراء المخطوطات فقط، بل كان يعمل على نسخها مستعملا ألوانا مميزة في الكتابة، لكن المكتبة تعرّضت للبيع بعد وفاة صاحبها عام 2003م، وقد تمكّن الشيخ جيلالي مغوفل من شراء عدد كبير منها، وقسم البعض الآخر بين ورثته، ومن أهم المخطوطات التي احتوتها المكتبة كتب الرماصي، وأبو رأس الناصر، وعبد القادر المشرفي، وغيرها من المخطوطات .

3- المكتبات العامة:

تعدّ المكتبة الوطنية المركز الرسمي الأهم للمخطوطات في الجزائر، إذ هي بمثابة البنك المركزي للمعلومات الوطنية. وبصفتها مؤسسة ثقافية علمية وحضارية، تضطلع بدور محوري في حفظ ذاكرة الأمة وجمع تراثها المطبوع والمخطوط، لتضعه في متناول إهتمام الباحثين والأساتذة والطلاب.

اضطلعت المكتبة بمهام جليلة في مجال جمع التراث الثقافي، وحفظه، وصيانته، ومعالجته، وترتيبه، إلى جانب إعداد الفهارس لمختلف أنواع الوثائق. كما توفرّ خدمات متنوعة لفائدة الباحثين والمؤسسات، مثل الإعارة الداخلية والخارجية، وإتاحة الاطلاع على المخطوطات والكتب.

¹- مختار بونقاب، واقع المخطوطات ، المرجع السابق، ص 539.

²- المرجع نفسه، ص 534.

³- تتي أسامة، "الخزائن الشعبية بمنطقة معسكر ودورها في الحفاظ على التراث المخطوط"، مجلة عصور الجديدة ، جامعة وهران، المجلد 14، العدد 2، 2024، ص 420.

⁴- اشار الأستاذ حمادو على خزائين فقط من مجموع ثلاثة خزائن فيمكن أنه لم تقدم له وتعرض عليه كتب الخزانة الثالثة أو أن الخزانة الثالثة تحتوى كتب لا مخطوطات

تسهم المكتبة الوطنية إسهاماً كبيراً في الحفاظ على المخطوطات، معتمدة في ذلك على تقنيات حديثة في الصيانة والأرشفة، إلى جانب إعتماها مشروع الرقمنة، وتعدّ من أبرز المراكز العمومية في الجزائر التي تسهّل على الباحثين الوصول إلى المخطوطات، بخلاف بعض المكتبات الخاصة التي كثيراً ما يصعب أصحابها عملية الإطلاع، باعتبار المخطوطات إرثاً حضارياً عائلياً خاصاً. ومن بين المخطوطات التي تتواجد بالمكتبة الوطنية وتتناول البابلك الغرب الجزائري، نجد:

1- **مخطوط ابن مريم التلمساني** (ت 1611م) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: يوجد منه نسختين بالمكتبة الأولى تحمل رقم: 2411 والثانية رقمها: 2022.

2- **مخطوط أحمد المقرئ التلمساني** (ت 1632م) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب يوجد بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1730م - 1731م - 1732م - 1733م، بأجزاء مختلفة فالنصف الأول رقمة 2436، 2836 والقسم 2 من الجزء 3 من الكتاب و 2859 مقطع منه .

- **ورحلته في المشرق والمغرب** فهي موجودة تحت رقم 3191، كتاب فتح المتعالي في أوصاف النعال موجود به نسخة تحت رقم : 1966 .

3- **مخطوط عبد الرحمن المجاجي** "الرحلة المجاجية" وهي موجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم : 1564 و 1565 (نسختين) وقد أشار إلى هذه الرحلة الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، ج.2.

4- **مخطوط سعيد المنداسي** "الديوان" موجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 1989 و يتضمن قصائد مجموع أبياتها 352 بيتاً، وقد قام كل من رابح بونار ومحمد بكوشة بنشر هذه القصائد العامية المنداسي من المكتبة الوطنية وذلك عام 1968 م بعنوان المنداسي لمحمد بكوشة عام 1971 بالنسبة لرباح بونار.

5- **مخطوط عبد الله محمد بن ميمون الجزائري** (ت 1746م) "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، توجد بالمكتبة نسخة واحدة رقمها 1625.

6- **مخطوط محمد بن رقية الجديري التلمساني** (ت 1780م) الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر

حين أغار عليها جنود الكفرة¹ ويوجد نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 1626.

7- مخطوط ابن سحنون الراشدي: (ت 1796م) الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني يوجد نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 5114، وقد قام بتحقيقها الشيخ المهدي بوعبدلي ونشرها ضمن منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر بقسنطينة 1973.

8- مخطوط عبد الرحمن الجامعي. شرح ارجوزة الحلفاوي في فتح وهران توجد نسخة بالمكتبة تحت رقم 22521.

9- مخطوط احمد بن الهطال التلمساني: (ت 1804م). رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري توجد نسختين بالمكتبة الأولى تحت رقم 1643 والثانية رقم 1644 ونشرت هذه الرحلة بالمجلة الإفريقية عام 1858-1959م، 1859-1860م بالعديد بن 493. من خلال تتبع مخطوطات علماء بايلك الغرب، لاحظنا غياباً لافتاً لمخطوطات الشيخ أبي رأس الناصري. ونرجح أن الفترة التي توفي فيها، وما صاحبها من محن وإضطرابات، كانت سبباً في إهمال مخطوطاته وغيابها، حيث طُمست معالمها أو خُزنت بعيداً عن التداول، بل إن بعضها تعرّض للحرق، خاصة تلك التي تناولت مسائل النسب، نظراً لحساسيتها. وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً.

تاسعا: وصف ببليوغرافي لبعض مؤلفات بايلك الغرب في العهد العثماني:

1- ابن مريم المديوني ووصف مؤلفه " البستان في ذكر مناقب الأولياء والعلماء بتلمسان": هذا المخطوط موجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1736، عدد أوراقه (58 ورقة)، نسخ هذا المخطوط من قبل بن شقرون بن الحسن بن أحمد بن شقرون، وكان الإنتهاء والفراغ من نسخه يوم الإثنين قبل الزوال جمادي 1049هـ، عدد الأسطر المخطوط مابين (28 و 9 سطر) أما قياس الورقة يبلغ (0.23 سم x 17 سم).

لقد كتب هذا المخطوط بخط مغربي بمداد بنيّ، وأحمر، وأصفر مع تكرار للتعقيب في أعلى

¹ - للمخطوط نسخ عديدة في كل من مينيخ بألمانيا ومكتبة سعد الدين بن شنب، وهذا المخطوط المتواجد بالمكتبة الوطنية كان ملك السيد روسو(ALPHONSE ROUSEAU) الذي كان كاتباً ومترجماً لمديرية المالية للسلطة الفرنسية بالجزائر، حيث أهداه المكتبة الوطنية عام 1841م، حيث كتب هذا المخطوط بإذن من الباى محمد الكبير وهو نسخة أصلية كان الفراغ من تأليفها ذي الحجة 1193هـ ينظر: في المخطوط ، ورقة ، 15 ط.

² - يملك الأستاذ محمد بن عبد الكريم ،نسخة أخرى ، كما يوجد نسخة ببارس تحت رقم 5113.

كل ورقة، أما ورقه فيه آثار أرضة وزخرفة على الكعب مع وجود للسان، وحالة المخطوط على العموم لا باس بها ثم إن الخط مقروء.

2- أبو العباس أحمد المقري ووصف مؤلفه " رحلة في المشرق "والمغرب":

هذه الرحلة موجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 3191، ولا تحمل أي في إشارة إلى إسم الناسخ أو تاريخ النسخ، ويبلغ عدد أوراق المخطوط (66 ورقة) وتتراوح أسطره ما بين (36-38 سطرا)، أما قياس الورقة فيبلغ (3.15 سم - 5.21 سم)

كتب المخطوط بالخط النسخي المغربي وبمداد أسود وأحمر، وهو غير مجلد، وثبتت بالشكل التام وتكرر التعقبة " الحمد لله"، في أعلى الورقة، وتبدو حالة المخطوط سيئة يصعب قراءته في كثير من المواضيع لوجود تشطيبات كثيرة، وكتابة صغيرة ومتراصة.

3- ابن ميمون محمد الزواوي: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية":

رقمها بالمكتبة الوطنية هو 1625، عدد أوراقها (80 ورقة) لا وجود لإسم الناسخ فيها، أما تاريخ نسخها فكان في أواخر جمادى 1121 هـ وعدد أسطر الكتابة (12 أسطر) وقياس الورقة (3.20 سم x 1.15 سم) كتبت بخط مغربي بمداد أسود وأحمر وأخضر وأزرق، مع بعض الضبط بالشكل.

4- أبو رأس الناصر محمد أحمد بن عبد القادر: "الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية"

: للمخطوط نسختان في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، الأولى تحت رقم 1839 وعدد أوراقها (257) ورقة لا يوجد إسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، يذكر فانيان أن هذه النسخة حديثة ، وأن تاريخ نسخها في القرن 13 هـ، أما أسطر المخطوط فهو مختلف ما بين (19 و 20 سطرا) وقياس ورقته (1.19 سم x 5.27 سم) كتب هذا المخطوط بخط مغربي بمداد أسود وأحمر وأصفر وأزرق وأخضر مع بعض الضبط بالشكل ، ورقة آثار أرضه ورطوبة ، وهذا المخطوط به زخارف على الغلاف واللسان وداخل النص الذي أحيط بإطارين بالأحمر وآخرين بالأزرق تسفير هذا المخطوط كان بالجلد مع وجود آثار أرضه عليه وهو تسفير محلي حسب فانيان .

النسخة الثانية من "الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية" رقمها 1894، عدد أوراقها (190 ورقة)، ولا يوجد بها لا تاريخ نسخ ولا إسم الناسخ ويذكر فانيان أن هذه النسخة

الحديثة أيضا ترجع للقرن 13 هـ ، وعدد أسطر المخطوط (21 سطرا) أو قياس ورقتها (3.21 سم x 8.27) مكتوبة بخط مغربي بمداد أسود وأزرق وأحمر وأصفر وأخضر وبنفسجي، أوراقها بها آثار رطوبة، بها تذهيب مزخرف على الغلاف واللسان وزخارف داخل النص، وإطاران بالأحمر حول النص، وبالأصفر، والأحمر على الورقة¹، ووجه الورقة²، وتفسير المخطوط بالجلد وبه آثار أرضه مع وجود التعقيية التي تتكرر في أعلى الورقة وعلى العموم حالة المخطوط جيد.

5- أحمد بن الهطال ومخطوط : "رحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الأغواط " : يوجد هذا المخطوط بنسختين في المكتبة الوطنية الأولى تحت رقم 1643 وعدد أوراق هذه النسخة (27 ورقة)، ولا يوجد بها إسم الناسخ ولا تاريخ النسخ غير أن فانيان يرجع تاريخ نسخها إلى 1202هـ، أما عدد أسطر الكتابة فهي مختلفة ما بين 17 و 18 سطرا وقياس الورقة (17.8 سم x 13.6 سم) كتب هذا المخطوط بالخط المغربي بمداد أسود وأحمر وأزرق ، وتكرر التعقيية في أعلى كل ورقة، والمخطوط كامل مع ضياع ورقتين (25 و 26) وأوراق المخطوط بها آثار ورطوبة مع وجود رخارف على الغلاف وعلى اللسان، إضافة إلى تذهيب مزخرف وزخارف على الغلاف وعلى اللسان، إضافة إلى تذهيب مزخرف وزخارف داخل النص وإطاراته بالأحمر وتفسير هذا المخطوط بالورق وبالجلد .

أما النسخة الثانية رقمها 1644 وعدد أوراقها (21ورقة)، وناسخها هو محمد البشير بن محمد أقراي التلمساني دارا ومنشأ فرغ من نسخها عشية يوم الخميس 22 ذي العقدة 1202 هـ عدد أسطر الكتابة مختلف ما بين (16 و 19 سطرا) وقياس ورقتها (8.19 سم x 14 سم) كتب هذا المخطوط بخط مغربي، ومداد أسودا أوراقه عليها آثار وأرضه ورطوبة، وهي غير مرممة ، وتفسير هذا المخطوط بالورق المقوى ومغلف بقماش أخضر، وحالة المخطوط جيدة .

6- ابن عبد القادر أبو عبد الله مسلم ووصف لمؤلفه " أنيس الغريب والمسافر في طريف الحكايات والنوادر": موجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم¹ 1634، ويضم هذا المخطوط (13ورقة)

¹-على الورقة 1 من المخطوط كتب بالفرنسية بأن هذا المخطوط هدية إلى المكتبة من طرف A.Rousseau بتاريخ 19 أكتوبر 1853 في تونس كان يشغل منصب المترجم الأول لمصالح فرنسا بتونس.

:.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبابلك الغرب

لا يوجد بها لا تاريخ النسخ ولا إسم ناسخها، ويرجع فانيان تاريخ نسخها إلى القرن 13 هـ وأسطر كتابة المخطوط هي (23 سطرا) أما قياس الورقة فهو (2.21 سم x 1.5 سم x 5 سم) والمخطوط مبتور الأول والآخر .

كتب هذا المخطوط بمداد أسود وأحمر وأصفر وأخضر، مع وجود زخارف داخل النص وعلى ظهر الورقة 13 وتفسير المخطوط بالورق المقوى مغلف بقماش أخضر به آثار أرضه مع وجود للتعقيبية التي تتكرر في أعلى كل ورقة.

7- محمد بن محمد بن عبد الجديري التلمساني ووصف لمؤلفه الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة: يوجد المخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1626، ولا يحمل أي إشارة لإسم الناسخ أما تاريخ الفراغ من نسخة عدد أوراقه (16 ورقة) وأسطره (19 سطرا)، أما قياس الورقة فهو (8.24 سم x 19 سم). كتب المخطوط بخط مغربي ومداد أسود وأحمر وأزرق وأخضر وبنفسجي وأصفر، مع بعض الضبط بالشكل، وهذا المخطوط كامل أما أوراقه ففيها آثار أرضه ورطوبة وترميم، وفي هذا المخطوط زخارف على الغلاف واللسان وفي بداية المخطوط ونهايته، وأحيط النص بإطارين بالأحمر وعلى ظهر الورقة الأولى إطار بالأصفر وآخر بالأسود ، أما تفسيره فهو بالجلد وبه آثار أرضه .

عاشرا: مخطوطات بين الضياع والفقْدان درء الشقاوة أنموذجا:

أثناء بحثنا، صدمنا خبر إحتراق دار المخطوطات الأثرية بمدينة عين صالح، حيث إندلح حريق يوم 13 جانفي 2023 في مقر خزانة المخطوطات والوثائق التاريخية لسيدى إبراهيم، الواقعة وسط المدينة. وقد أتى الحريق على كامل جناح الكتب والوثائق، بما في ذلك مخطوطات ثمينة تتعلق ببابلك الغرب والفترة العثمانية، ويُقدَّر رصيد هذه الخزانة بأكثر من 1963 مخطوطاً، وهو عدد يفوق التصوّر، ولا يدرك فداحة الخسارة إلا من يعرف القيمة الحضارية لهذا الإرث. فالمخطوطات تمثل كنوزاً معرفية تعبّر عن حضارات الأمم، والأمة التي لا ماضي لها، لا حاضر لها ولا مستقبل. لذلك، فإن حمايتها وصونها واجب حضاري وثقافي.

خلال مسار بحثنا، وقفنا على عدد كبير من المخطوطات التي ضاعت أو أُتلفت بفعل الإهمال، أو نتيجة الحروب، والنهب، والتهريب، إضافة إلى عوامل طبيعية وبشرية أخرى، مما

يؤكد الحاجة الملحة إلى تضافر الجهود من أجل الحفاظ على هذا التراث الثمين، حيث يذكر عبد الكريم عوض حين يقول: "الإستعمار الفرنسي أحرق آلاف المخطوطات ونهب أنفسها، فما سلم من يد المستعمر لم يحفظ في أماكن لائقة هذا إن الكثير منه ظل مدفوناً تحت الأتربة وفي الأقبية وفي الأضرحة ينتظر الموت البطيء"¹.

كما نلاحظ هجرة عدد من المخطوطات إلى خارج الوطن، من أبرزها إنتقال مكتبة الأمير عبد القادر من الزمالة إلى باريس، وهي هجرة قد تكون تمت لأسباب عملية أو تجارية. ومن بين النماذج البارزة للمخطوطات المفقودة، تلك التي ألفها العلامة أبو رأس الناصر، خاصة المتعلقة بموضوع النسب، وعلى رأسها مخطوطه الموسوم بـ إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس: " هذا التأليف الذي وضعه الشيخ لشرح أهم مصدر محلي تطرق للأشراف الراشدية وغريس وهو كتاب : " عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس² للشيخ أبي زيد عند الرحمن التوجيني (ت 1098هـ/1686م) على الرغم من توفر نص عقد الجمان كاملاً، فإن شرح الشيخ أبي رأس الناصر له لا يزال، إلى يومنا هذا، في عداد المفقود. ونجد كذلك مخطوط أساس البنيان لشرح الجمان للشيخ عبد الرحمن، والذي يعد شرحاً ثانياً لهذا الكتاب، مفقوداً هو الآخر.

أما مصنف مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف انتهى وذهب، فلا نعلم على وجه التحديد مضمونه؛ هل هو شرح آخر لـ عقد الجمان أم مؤلف مستقل ألفه الشيخ أبو رأس في علم النسب؟ غير أن الشيخ صرح في كتابه الدر المهدي في شرح غوثيته بالمهدي بأن هذا المخطوط هو شرح لـ **عقد الجمان النفيس**، مما يرجح كونه الشرح الثالث له على هذا النص. ومع ذلك، لا يزال هذا العمل، كسابقه، في حكم المفقود. ويُنسب إلى الشيخ كذلك شرح رابع لـ **عقد الجمان النفيس**، لم يُعثر عليه بعد، سماه أنوار البرجيس³. في شرح العقد النفيس " وقد ذكر

¹ - بونقاب مختار، واقع المخطوطات...، المرجع السابق، ص 534.

² - حققه الدكتور تقي الدين بوكعبير في كتابه " المجموع الميسر لمدونات الأنساب والتراجم بقضاء الراشدية معسكر ،در السادة المالكية ، 2022، ص ص 130-49.

³ - تقي الدين بوكعبير ،مجموع رسائل وتقائيد...، المرجع السابق، ص 43.

أحد الباحثين الفرنسيين L.GUIN (تصحيح إسم المؤلف) أن هذا المخطوط أٌتلف من طرف بعض أهل الراشدية في مقال نشره في المجلة الإفريقية.

مع الإشارة إلى أن الدكتور يحيى بوعزيز ذكر بأن المخطوط المتلف هو "مروج الذهب" المشار إليه سابقاً، يُلاحظ أنه خلال المراحل الأخيرة من الحكم العثماني، اتّسمت السياسة العثمانية بقدر كبير من القسوة في تعاملها مع العلماء ورجال التصوف، في محاولة لإخضاعهم، مما أدى إلى حدوث قطيعة بين الجانبين بعد فترة طويلة من الود والتفاهم. وقد تأثر علماء الجزائر بما كان يجري آنذاك من ثورات، كثورة ابن الأحرش والدرقاوي، ومن بينهم شيخنا أبو رأس الناصري، الذي اعتبر ما وقع فتنة أصابت أواصر النكبات وسلبات من الخوف والروع الذي ألفوا فيه ¹، فموقف أبي رأس الناصري من الثورة كان واضحاً منذ بدايتها، فهو يعتبر فئة باغية أفسدت الحرف والنسل وبالإضافة، أنها ساهمت في الجمود على المستوى الثقافي فهي فتنة أصابت أهل البلاد ².

سار أبي رأس الناصر على نهج علماء عصره في مساندة نظام الدايات، مثنياً على خصال بعض البايات، مثل الباي محمد الكبير، فاتح وهران، والباي مصطفى الذي سبقه، والذي عُرف برعايته لشؤون العلم. وقد تجلّى في شخصية الناصر حسّ إسلامي عميق؛ إذ لم يكن يتحسّر على ما آلت إليه أوضاع الجزائر فحسب، بل سبق له أن عبّر عن أسفه لضياح الأندلس، حيث تكلم عن الباي محمد الكبير واصفاً إياه فقال: " الملك الأصيل ، الذي كرم منه الإجمال والتفصيل ، الرفيع الشأن ... قطب المجد وسماته ، محل الحمد وملاكه" ووصل واصفاً إياه بأجمل العبارات ³.

أبدى أبي رأس الناصر حماسة واضحة عند حديثه عن فتح وهران سنة 1792م وتحريرها من السيطرة الإسبانية، ويُعزى ذلك إلى قربه من الباي محمد الكبير وعلاقته الوطيدة به. وقد برز أبو رأس ككاتب موسوعي، تناول مختلف المجالات من سياسة ودين وثقافة وغيرها، وكان من

¹-تقي الدين بوكعبير،مجموع رسائل ...، المرجع السابق ، ص 49.

²-احمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 56.

³-أبو رأس الناصر، فتح الاله...،المصدر السابق، ص 100.

أبرز المعارضين للثورات، إذ اعتبرها وبالا على البلاد والعباد. ففي نظره، لم تكن تلك الحركات التي ثار فيها البعض ضد الحكم العثماني سوى تمردات هدفها إثارة الفتنة، على غرار ما قاله الشيخ عامر الشعبي للحجاج بن يوسف: "وقد خطبتنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة ولا أقوياء فجرة، فاتصلت علينا أواصر النكبات والبليات من الخوف والجوع والورع الذي في الفؤاد مودوع وقد ناداني لسان الحال بقول دع الدفاتر للزمان الفاتر، فطرحت الكتب بمتروك مكان واستمر عليها النيسان حتى نسجت عليها عناكب الهجران¹.

ورغم معارضته لهذه الفتنة إلا أنه لم ينجو ككثير من علماء عصره من تهمة مساندته لها بسبب وشاية من حساده، وقد دفعه ذلك إلى تأليف كتابه الذي سماه "درء الشقاوة في حرب درقاوة" الذي لا يزال مفقود الحد الآن.

لو وجد هذا المصدر لأزال الغموض على جوانب عديدة من البابيك الغربي، خاصة وأنه تعرض إليه العديد من الباحثين كأبو القاسم سعد الله، ويحي بوعزيز ولم يغيب هذا العنوان على المؤلف قايتان الذي جدرله ضمن مؤلفات أبو رأس الناصر التاريخية بدون التحدث عنه². وعند تواصلنا مع الشيخ بلقرء بوكعبر، أفاد بأنه بحث طويلاً عن هذا المخطوط خلال ثمانينيات القرن الماضي دون أن يعثر عليه. كما أوضح أنه بحوزته نسخة خطية تحمل عنوان "مختصر درء الشقاوة"، منسوبة إلى الباحث الجيلالي المعسكري. غير أنه، عند لقائه وسؤاله عن المخطوط، أنكر معرفته به أو كونه من تأليفه. ويعدّ هذا المخطوط، لو وُجد، ذا أهمية بالغة، إذ لا يزال يكتنفه الغموض في تناوله لموضوعات هامة تتصل بالبابيك الغربي خلال المرحلة الأخيرة الحكم العثماني.

-أبو رأس الناصر وكتاب أنوار البرجيس في شرح العقد النفيس.

من خلال تتبع ما كتب حول الشيخ أبي رأس نلاحظ أنه أولى عناية خاصة بكتاب: "عقد الجمان النفيس" كما وضع عليها بعض الشروح مثل:

¹ - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمان في ابتسام الثغر الواهري، تح: المهدي بوعبدلي، الجزائر مطبعة البعث، 1973م، ص 47.

² - قايتان، القول، المصدر السابق، ص 104.

- شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن¹.

- أساس البنيان لشرح الجمان للشيخ عبد الرحمن².

-إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس.

-شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس.

يُلاحظ أن الشيخ أبو رأس الناصري قد أكثر من تأليف الشروح، رغم تشابه مضامينها، غير أن معظم هذه الشروح تُعد اليوم في حكم المفقودة، بل إن بعضها، ك"أنوار البرجيس"، ورد أنه أُلّف عمداً فور وفاة الشيخ. لذلك، يصعب تحديد موقفه بدقة مما أورده أبو زيد في كتابه عقد الجمان النفيس. وقد عُرف الشيخ أبو رأس بجراته في تناول المواضيع الحساسة، ما جعله عرضة لانتقادات لاذعة بلغت حدّ المساس بشخصه والسعي لإتلاف بعض مؤلفاته. وقد بلغ هذا التوتر حدّ تولّد نقمة عليه من بعض أهالي الراشدية، نتيجة تجريده إياهم من نسبهم إلى البيت النبوي الشريف³.

وفي هذا الصدد يذكر غايتان أن أبو رأس الناصر جعل على ضريحه ثلاثة قبب، وتعرف قبة المذاهب الأربعة، غير أن بعد موته بأمَد حصل له نقص من أهل الراشدية وسببه أنه أُلّف كتابا في النسب وصح فيه من هو شريف عن غيره فحصل الإنكار بذلك⁴.

كما يُذكر وجود مخطوط آخر مفقود يحمل عنوان درأ الشقاوة عن السادات الدقاوة للشيخ العربي المشرفي، ويُرجّح أنه كُتب رداً على الشيخ أبي رأس الناصر. وهناك أيضاً مخطوط بعنوان قلائد الياقوت والمرجان في مناقب الشيخ عبد الرحمن، من تأليف الشيخ محمد بن محمد المزيلي الراشدي، إضافة إلى كتاب لبّ أفياخ في عدة أشياخي لأبي رأس الناصر، وغيرها من

¹- أبو راس ، فتح الاله ، المصدر السابق، ص 180.

²- يحي بوعزيز ،اعلام الفكر والثقافة ، المرجع السابق ، ص 239.

³- العربي المشرفي، رد العربي المشرفي على الشيخ أبي رأس الناصر دراسة وتح: بوكعب تقي الدين ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، 83.

⁴-غايتان ،القول الأوسط ...، المصدر السابق، ص 103.

.....: واقع المخطوطات الجزائرية لبائلك الغرب

المخطوطات التي لا تزال في عداد المفقودات، ما يعيق الاطلاع الكامل على ما دار من سجلات فكرية وتاريخية خلال تلك المرحلة.

الفصل الثاني : المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

اولا: المساجد .

ثانيا: أهم الزوايا ببائلك الغرب من خلال المخطوط و علاقة شيوخ
الزوايا بالدولة العثمانية.

ثالثا : المدارس : نماذج عن علماء درسوا ببائلك الغرب.

رابعا : الاجازات والتقاريض.

خامسا : الكتاتيب وعلاقة الدولة العثمانية بها.

سادسا : الوقف والأحباس في متون المخطوطات .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات.

لا تكاد المؤسسات الثقافية في البابلك الغربي تخرج عن :المسجد، والكتّاب، والزوايا، والرباط (حلقات العلم)، والمدرسة. ومعظم هذه المؤسسات كانت مُخصّصة للتعليم أكثر من الثقافة بمفهومها المعاصر. لم يكن من بين هذه المؤسسات جامعة أو معهد عالٍ، على الرغم من أن بعض المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس كانت تُقدم تعليمًا ذا مستوى عالٍ. لذلك، سندرس هذه المؤسسات وكيف أسهمت في تعليم وتنقيف الجزائريين خلال تلك الفترة، مع التوقف عند بعض النماذج منها، وإبراز مدى اهتمام الجزائريين بها من خلال ما وصلنا من التراث المخطوط.

أولاً-: المساجد:

أ-المسجد لغة: هو مفعّل بالكسر إسم لكان السجود بالفتح، إسم لمصدر قال زكرياء الفراء: هو كل مكان وزن فعل كدخل يدخل فالمفعّل منه بالفتح إسمًا كان أو مصدرًا¹. والمسجد بكسر الميم، الحصرة وهي الحصرة الصغيرة².

ب- شرعا: " فهو كل موضع من الأرض لقوله - صلى الله عليه وسلم - "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"، والسّجود من أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، بحيث اشتق إسم المكان منه فقل مسجد ولم يقول مركع، أول مسجد وضع على الأرض هو مسجد الحرام وهو مسجد مكة³.

كثيرا ما يختلط على الباحث إسم الجامع والمسجد والزاوية، وهي أن بعض المساجد والجوامع تابعة لبعض الزوايا، كما أن بعض الزوايا تابعة لبعض المساجد والجوامع، التداخل ليس في الإسم فقط، بل في الوظيفة أيضا وهي العبادة، وتعليم القرآن، وهي مرتع للحلقات اليومية⁴.

فالجامع إصطلاحا أكبر من المسجد فهو الذي تؤدي فيه صلاة الجمعة والعديد وكثيرا ما يسمى بجامع الخطبة، وبعض الجوامع قام بتأسيسها حكام، ونوع قام بتأسيسه الأثرياء وآخر أنشأته

¹ - محمود بن عبد الله الزركشي، إلام الساجد بأحكام المساجد، تح: أبو الوفا مصطفى المراغي ، ط.4، [د.ن] ، القاهرة ، 1996 ، ص 26.

² - ابن منظور ، لسان العرب، نق: عبد القادر العلايلي، دار لسان العرب ، بيروت ، ص 99.

³ -أبو الحسن العسكري، كتاب التصحيف والتحريف ، ج.1، القاهرة، [د.ن.ش] ، 1808م ، ص 16.

⁴ -محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص12.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

الهيئات والجمعيات الخيرية، فالنوع الأول الذي بناه الحكام كالخلفاء والأمراء والملوك في نظرهم جزء من واجبهم الديني، وخدمة الدين والمجتمع ومساعدته في تأدية شعائره الدينية وكسب عطف الرعية وربما الشهرة وتخليد الإسم، ونجد هذا النوع في معسكر مسجد مصطفى بن التهامي حيث شيد سنة 1705م بأمر من الباي حاج الباي عثمان بن إبراهيم، وفي هران جامع الباشا، أما النوع الثاني، فقد بناه الأثرياء من الناس وذلك ببنائه وصيانتته والوقف عليه. ويهدف ذلك إلى التقرب إلى الله وإستمالة فئة إجتماعية، وشيوخ الدين، وكسب الشهرة، وهذا النوع له أعداد كبيرة في البابلك كمسجد محمد الكبير بمعسكر¹.

أما النوع الثالث قامت بإنشائه المؤسسات الخيرية، وهو يعتبر كعمل مكمل لعمل الولاية والأثرياء، أما عن أعدادها لا تعد ولا تحصى كمسجد مازونة والمسجد العتيق، وبعض المساجد سميت نسبة للأحياء المتواجدة فيها مثل جامع حي الرمان بتلمسان.

كان بابلك الغرب يعج بالمساجد وتبعاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة بني الله له بيتا في الجنة"². والمراد أن من يبني مسجداً لله تعالى، ولو كان صغيراً كعش طائر "القطاة"(طائر الحمام)، فإن الله يبني له بيتاً في الجنة.

ومن هنا سوف نسلط الضوء على بعض المساجد المتواجدة ببابلك الغرب.

أ- مسجد الباشا بوهران: قام بتأسيس هذا المسجد الباشا حسان داي الجزائر، حيث أمر ببنائه وتحمل نفقات البناء³. وذلك بعد فتح وهران الثاني سنة 1792م، وهو مسجد جامع ثبت ذلك على اللوحة الموجودة بمتحف وهران، وهي عبارة عن لوحة تذكارية منقوشة على الحجر، شكلها مربع طول ضلعها 80 سنتيمتر، وعرضها 65 سنتيمتر هذا نصها.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 - 1830م، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 245.

² - رواه أبو ذر الغفاري، تخريج صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 1610، أخرجه ابن أبي شيبة.

³ - أحمد بن الهطال، المصدر السابق، ص 28.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابك الغرب على ضوء المخطوطات .

" بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
الحمد لله وحده، هذا الجامع بناء المعظم الأرفع الهمام الأنفع مولانا السيد حسن باشا، لإزالة أعداء
الدين من يمينته تتلاشى بمحروصة وهران خلدها الله دار إيمان وحبس عليه ..."¹.

يذكر أن البابا حسن لما باشر بفتح وهران سرّ سرورا كبيرا ولما رأته زوجته فاطمة وخالته
حلّ به الطرب العظيم فقالتا له : " كان اللائق بك لإتمام سرورك أن تبني جامعا كبيرا يبقى ذكرك
به مخلدا في الألسنة "، فعنى ذلك أمر الباي ببنائه وأنفق عليه من الأموال مالا تسمح النفس
بإنفائه، وعمره بالحلال الذي هو من خالص أرزاقه ، فبعث بصندوقين مملوءين مالا ليصرفه على
البناء ويذكر الآغا بن عودة المزاري أنهم لما شرعوا في حفر أساسه² ألقى بالأساس " قلة ممثلة
ذهبا " ، فصرفها في البناء أيضا وجمع لمنارته حجرا ضخما أتى به البحارة من برج الصبايحية
في أربعة أيام من متواليه³.

مضى على تأسيس هذا الجامع قرنان من الزمان، ظلّ خلالهما صامداً في أداء رسالته
النبيلة في ميدان الثقافة الدينية ونشر المعرفة، وغرس القيم الأخلاقية السامية، وتنوير عقول
الأجيال الصاعدة، محافظاً على الهوية الإسلامية لهذه المدينة العريقة. وقد نهل من علومه عدد
من العلماء والفقهاء، وتخرج في رحابه أجيال من المتقنين، يتقدمهم المجاهد الجزائري الأمير عبد
القادر. ويعدّ هذا المسجد العثماني الوحيد الذي نجا من قبضة الإستعمار الفرنسي، فلم يحول إلى
كنيسة، ولم تطله يد العبث كما طال غيره من المساجد، فحافظ على هويته ووظيفته الدينية عبر
مختلف العصور.

¹ - Catalogue, Raisonné des Objets Archeologiques du musée de la ville d'Oran., P 92.

² - أحمد بن الهطال التلمساني، المصدر السابق، ص 24.

³ - الآغا بن عودة المزاري، المخطوط السابق، ، ورقة 20، ظ .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات.

ب- مسجد الباى محمد الكبير بوهـران: يعتبر هذا المسجد من أهم المساجد القديمة بمدينة وهران، حيث أنشأه الباى محمد الكبير بن عثمان بعد فتح وهران أما الثاني حولته السلطات الفرنسية إلى مستشفى عسكري منذ اليوم الأول إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر¹.

يُثبت أن هذا المسجد قد شُيّد بأمر من الباى تلك اللوحة الحجرية المنقوشة المثبتة على الجهة الجنوبية من المئذنة، والتي جاء فيها النص الآتي: " الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد فقد أنشأ هذه المنارة الرفيعة البديعة عبد الله المجاهد في سبيل الله السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان وفتح ثغر وهران ...".

يعتبر هذا المسجد من أجمل المساجد وأحسنها من حيث الزخرفة والإبداع الفني والإتساع، حيث قُلِّد في بنائه مآذن المغرب والأندلس، كما يوجد مسجد آخر للباى محمد الكبير بالمنطقة يعرف باسم "مدرسة خنق النطاح" كان بمثابة رباط يقيم به الطلبة للدراسة، كما كان يُعهد إليه بمراقبة التحركات العسكرية للإسبان في مدينة وهران وأبراجها، إذ مثّل قاعدة إسلامية متقدّمة تمهّد لعملية إستعادة المدينة، التي شكّلت آنذاك أولوية قصوى للجزائر والخلافة العثمانية على حدّ سواء. وأن الإسبان كانوا ينطلقون من مدينة وهران إلى الداخل مثل الحملات التي شنت منها على الجزائر ومستغانم² ووهران³.

بعد الفتح الأخير حدث أن انتقل البواء لسكان مدينة وهران فرحل الباى وأسرتة من داخل وهران إلى مدينة خنق النطاح، فأصبحت المدرسة بعد ذلك عبارة عن مسجد خاص بالباى وأسرتة، وقد نال هذا المسجد إعجاب كبير من الجمهور فراح الشعراء يتغنون به، ويترنمون بزخارف جماله، وبنى مدرسة بشيرة وأكفها بذلك المسجد⁴.

¹ - Gustave Sandras ,Histoire des hôpitaux d'Oran, Éditeur: Impr. de P. Perrier, Oran, 1910, p 102.

² Le Commandant L,Derrien, les français a ORAN depuis 1830, jusqu' a nos jours,Imprimerie J Nicot, rue du louvere, 1886 , p 09.

³ Ibid ; p 10.

⁴ - أحمد بن الهطال التلمساني، المصدر السابق، ص 28.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

ج - مسجد سيدي الهواري¹بوهرا: لايبعد هذا المسجد عن مسجد الباي محمد الكبير (المستشفى) سوى بضع عشرات الأمتار، وقال الشعراء وأصحاب المخطوطات النفيسة عن سيدي²الهواري قصائد طويلة منها قول الحافظ أبو رأس الناصر في قصيدته السينية:

" في وقتهم بها الزياني عالما *** ، محمد الهواري الأستاذ كابن الشاس .

توفي سيدي الهواري يوم 12 ربيع الثاني 843هـ في وقت الملك العاقل بن أبي حمو موسى بن يوسف الزياني³. يعتبر مسجد سيدي الهواري من أقدم المساجد على الإطلاق وكان في الأصل زاوية، ويذكر ابن سحنون الراشدي أن الهواري نسبه لقبيلة هواره⁴، والمغراوي الآخر نسبة الى قبيلة مغراوة⁵.

د - الجامع الكبير معسكر: يرجع تأسيس الجامع الكبير إلى الباي الحاج عثمان سنة 1160هـ، وهي سنة توليته بايا على الإيالة الغربية، تثبت تلك اللوحة التذكارية المثبتة داخل بيت الصلاة التي بها إسمه وتاريخ البناء هذا نصها: " الحمد لله لا نهاية لصوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده ورسوله" ، أما بعد أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحصون المعظم الأرفع القامع للعداء جمع بين الشجاعة والنداء... مولانا الحاج عثمان باي خلد الله ملكه ملكا عاليا...، كما قام بناء الدار، والقبة الملاصقة للجامع، المعروفة بقبة الباي إبراهيم لكونه مدفون داخلها، يوجد بقربه مقبرة والتي أنشأها الباي محمد الكبير لمشاهير معسكر⁶ وهي الآن القسم المضاف .

¹ - سيدي الهواري: هو الشيخ محمد بن أمير عثمان بن عياش بن عكاشة بن سيدي الناس بن أحمد بن محمد بن علي بن الأمير المغارين علي بن مهدي بن سفيان بن ياسر بن موسى بن عيسى بن محمد بن موسى بن سليمان بن موسى بن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه وابن فاطمة بن الرسول "ص" من مخطوط من جواهر الأسرار في معرفة آل النبي المختار، مكتبة صلاح الدين بن عوم مخطوط مصور، ورقة 90، ط .

² - Marial ,w, " La Mosquée de Sidi Mohmed –El – kébir à Oran" , in B.S.G.A.O, 1893, p154.

³ - محمد بن يوسف الزياني، المخطوط السابق، ورقة ، 5 و .

⁴ - "هواره" هي فخذ من قبيلة حمير. سُموا بهذا الاسم لأن أباهم المشهور، عندما وصل إلى بلاد المغرب، قال: "لقد تهورت في البلاد"، أي توغلت فيها. ومنذ ذلك الحين، عُرفوا باسم هواره.. ينظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مر: عبد الوهاب المنصور ، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص 151.

⁵ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني ...، المصدر السابق، ص 343.

⁶ - ابن الهطال، رحلة محمد الكبير، المصدر السابق، ص 27.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

هـ- مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر (مسجد العين البيضاء): قام ببناء هذا المسجد الجامع، الباي محمد الكبير يوم 05 ذو القعدة 1195هـ وسمي مسجد العين البيضاء، كما يسمى أيضا بمسجد المبايعة¹، حيث جلب له الباي البنائين من كل مكان، وهو مسجد جميل، وقد أنشأ في ظروف كانت الجزائر في حالة جهاد وحرب مع إسبانيا، فتغنى به الشعراء وقيلت فيه القصائد وهذه مقتطفات من قصيدة السيد حاج أحمد ابن علال القرومي الذي يصف هذا المسجد الجميل في قوله:

أَلْقَى الْعَصَاةُ وَفَكَ رَحْلَ رَكَائِبِي *** بِالْمَسْجِدِ الْمُنْشِئِ بِأَمِّ عَسْكَرِ .
الْمُحْكَمُ التَّشْيِيدِ فِي شَرَفَاتِهِ *** فَتَرَاهُ يُحْسِنُ كَالرِّيَاضِ الْمُمَطَّرِ .
جَعَلَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَسَّ رِدَائِهَا *** فَلِذَلِكَ يَخْطُبُ أَعْيُنَ النَّظَرِ .
عَجَبًا لَهُ مِنْ مَسْجِدٍ فِي الْأَرْضِ قَدْ *** حَاكَى السَّمَاءَ تَطَاوُلًا فِي الْمَفْخَرِ .
بَنَاهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ فِي الْغَرْبِ قَدْ *** لَاحَتْ أَثَرُهُ كَالصَّبَاحِ السَّفَرِ .

من الشواهد التي تعزز تاريخ بناء هذا المسجد، تلك اللوحة الرخامية المنقوشة المثبتة داخل بيت الصلاة، إلى يمين الباب الرئيسي، والتي لا يزال نصّها وصورتها محفوظين في مسجد الباي محمد الكبير. " الحمد لله الذي وفق عباده لسلوك المتقين ودلهم لصلح الأعمال التي يتمتع لها الإنسان والصلاة والسلام على المبعوث بالمعجزات والآيات البينات ... أما بعد وأن السيد محمد بولكباشي أجمع جميع الدار الكائنة على ملكية بأم العساكر التي كان قد اشتراها من صهر مولانا الحاج عثمان باي" وساهم هذا المسجد في نشر العلم والمعرفة². ونظراً لندرة المخطوطات وصمت أغلبها عن توثيق أوصاف المساجد، تظلّ النقيشة المثبتة على باب المسجد عند تشييده من أهم الشواهد التي تُقدّم لنا وصفاً دقيقاً لمساجد بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني.

¹ - انعقدت فيه مبايعة الأمير عبد القادر الأولى من طرف سكان معسكر وما جاورها على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والجهاد المقدس . ينظر : مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهان ومعسكر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009م، ص 50.

² - DOKALI, Rachid, Les Mosquées de la période turque à Alger, Edité par SNED. Alger – 1974, p 77.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

ثانيا - أهم الزوايا بابلك الغرب من خلال المخطوط وعلاقة شيوخ الزوايا بالسلطة العثمانية:

أ- الزوايا:

1- الزاوية لغة: لفظ الزاوية في الأصل مأخوذ من الإنزواء، ويقصد العكوف على العبادة، أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاكلهم اليومية، وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور، إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي بآدابه، والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية وهي بذلك حصون العقيدة، والإيمان وأماكن تختزن في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وسجاياه الحميدة وملاحمه التاريخية والوطنية.

2- الزاوية اصطلاحا: هي ركن البناء، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في بلاد المشرق، على أن مصطلح الزاوية ظل في المغرب الإسلامي أكثر شمولاً في ذلك إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي شبه مدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظيفتها التعليمية، فعن ابن مرزوق الخطيب يعرفها اصطلاحاً على أنها " الواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين¹.

إذ يُشار إلى أن هذه المساجد كانت تتكوّن عادةً من بيت للصلاة، وغرفة مخصّصة لتلاوة القرآن الكريم، ومدرسة لتحفيظه وتعليم علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما كانت تضم غرفاً أو مرارداً لإيواء الطلبة، والحجاج، والمسافرين، ويلحق بها أيضاً... " ضريح الولي الصالح، ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية وأحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية وتجاوزت شهرة المؤسس نفسه كما انها مقسمة الى قسمين، قسم الأول يقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وإستظهار بعض الصور القرآنية وتعليم الحروف الهجائية، أما القسم الثاني فيقوم بتعليم بعض الفنون لاسيما الفقهيات، والقصائد، وقواعد النحو، والصرف، والفنون البلاغة وبعض المبادئ في علم الفلك والنمط².

1- ابن مرزوق ، المسند الصحيح في مآثر مولنا ابي الحسن، تق: محمود بوعباد، [د.ن.ش] ، الجزائر ، 1981 م ، ص 413.

2- ينظر : ابن ميمون، المصدر السابق، ص 59.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

عرف بابلك الغرب إنتشارا كبيرا للزوايا، ودور التعليم خاصة في منطقتي معسكر وضواحيها، ومن بين أسماء هذه الزوايا الشهيرة، زاوية سيدي الديب، وزاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، وزاوية عين الحوت، وزاوية مولاي الطيب الوزاني وغيرها. فيما يتعلّق بزوايا بابلك الغرب، فقد بيّنت الإحصائيات أنّ عددها يفوق بكثير نظيره في بابلك الشرق، مما يدلّ على كثافة النشاط الديني والتعليمي في هذه المنطقة خلال الفترة العثمانية، وهذا راجع إلى أسباب عديدة أهمّها الطابع الجهادي الذي تميّز به البابلك بحكم الوجود الإسباني بوهران، إضافة إلى قرب هذا البابلك من المغرب الأقصى مكان توفر العديد من الزوايا والطرق الصوفية¹.

احتضن الغرب الجزائري عدداً كبيراً من الزوايا العلمية، إذ كان كل عالم أو شريف مرابط أو شيخ لطريقة صوفية يُنشئ زاوية في محل إقامته، أو بجوار مسجد أو ضريح، حتى قيل: أنّ كل دومة* في غريس بولي صالح، ولم يكتف هؤلاء العلماء والمشايخ بتلقين الأذكار وتخطيط القرآن الكريم فقط، بل كان التدريس يشمل مختلف العلوم النقلية والعقلية من فقه وأصول وتفسير وحديث ولغة وبيان ومنطق، وفلك ورياضيات، وغيرها من العلوم المعروفة في تلك الفترة ببلاد المغرب الإسلامي، وحسب مجلس الشيخ الحافظ أبو راس الناصر يقول: "حتى صارت حضرتي في العلم تذكر الآفاق، وتنسيك دروس مصر والشام وتونس والعراق"²، فمن الزوايا العلمية بحاضرة معسكر نذكر: زاوية سيدي محمد بن يحي السليمان، زاوية الشيخ عبد القادر الإدريسي، زاوية الشيخ سحنون بن أحمد الحسيني - مدرس المدونة - زاوية الشيخ محي الدين بن مصطفى الحسيني، زاوية الشيخ عبد القادر - بن عبد الله المشرفي ... الخ .

مما لا شكّ فيه أنّ هذه الزوايا لم تكن مقتصرة على المدن وحدها، بل انتشرت أيضاً في الأرياف، حيث كانت تُشيد بجانبها جوامع لأداء الصلاة، وآبار مخصّصة للشرب والوضوء.

1- مختار بونقاب، الحياة الثقافية...، المرجع السابق، ص 74

*- هو الدوم، نبات معروف .

2- أبو راس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 22.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

ومن أبرز نماذج الزوايا في بابلك الغرب، تبرز الزاوية السنوسية بوصفها واحدة من المؤسسات الدينية والتعليمية الرائدة في المنطقة.

3-الزوايا السنوسية: تعتبر هذه الزوايا الشق الأساسي في الحركة السنوسية، حيث أسس الشيخ السنوسي نحو إثنين وعشرين زاوية منها ثمانية عشر ببرقه وهي تناهز الآن الثلاث مئة زاوية منتشرة في أنحاء العالم العربي¹، عملت الزوايا السنوسية على العمل بالكتاب والسنة وتصفية الدين مما علفت به من شوائب كالخرافات والبدع الضالة، فأصحاب الطريقة والزوايا استعملوا العلم والتعليم للتقرب من الناس وعقولهم، وإحياء العمل بالدين الخالص، والوقوف في وجه الغارات الأجنبية، فهي بالزاوية تعمل على معرفة الدين بالشكل الصحيح بطرق الوعظ والإرشاد، والتعامل بكتاب الله والسنة الصحيحة، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر والبدع والعودة بالإسلام إلى اليسر فهي من الناحية السياسية ليس لها أغراض تمردية على الدولة، فهدفها الأول تكوين إنسان صالح صوفي².

4- تأييد شيوخ الزوايا للدخول العثماني ببابلك الغرب: أيد عدد من شيوخ الزوايا الدخول العثماني إلى الجزائر، وقبلوا به، مستندين في ذلك إلى رابطة الانتماء الديني الواحد، وإلى ما رأوه من دور فعال للعثمانيين في حماية الإسلام ونشره، والحفاظ على هوية البلاد الدينية والثقافية. ويأتي سيدي محمد بن يوسف الملياني³ على رأس الذين دعموا العثمانيين، فمنذ أن اتصل به عروج سنة 1509م، تعاون معه أثناء غزو تلمسان الذي جعل شيوخ الزوايا يؤيدون السلطة العثمانية هي الإمتيازات الأخلاقية، وتتمثل في زيارة الحكام العثمانيون لشيوخ الزوايا، إلى جانب

1- محمد بن علي السنوسي، سلسيل المعين في الطرائف الأربعين على هامش كتاب المسائل العشر، القاهرة، مطبعة المعاهد، 1940م، ص 02. ينظر: محمد بن يوسف السنوسي، السنوسي الكبرى، بيروت، دار القلم، 1982م، ص 65.

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص 15.

3- محمد بن يوسف الملياني: وُلد محمد بن يوسف الملياني، الذي يُلقب بـ أبي العباس الراشدي، عام 1836م. درس في مسقط رأسه قبل أن يرحل إلى وهران وبجاية، حيث تلقى الطريقة الشاذلية عن أحمد زروق. ساهم الملياني في نشر هذه الطريقة على نطاق واسع في الجزائر والمغرب، وكان له عدد كبير من الأتباع. من أبرز مؤلفاته في التصوف كتاب الرموز والإشارات. توفي عام 923هـ، ودُفن في مليانة في المكان الذي يضم ضريحه حالياً. ينظر: شتوح ليلية، " الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الصوفي "، مجلة الحوليات، الجزائر، ع.32، 2018م، ص ص 211-221.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

بناء مؤسسات دينية تتمثل في الزاوية بحد ذاتها*، ولم تقتصر العلاقة بين السلطة العثمانية وشيوخ الزوايا على الإمتيازات فحسب، بل تجاوزتها إلى مستوى التشاور والتنسيق في العديد من المناسبات، حيث كان الحكام العثمانيون يستشيرون شيوخ الزوايا في القضايا الدينية والسياسية. ومن الأمثلة على ذلك، مراسلة البايبراي حسن آغا (1533-1546م) للشيخ سيدي محمد بن سليمان بمدينة تلمسان، حيث أوضح له طبيعة العلاقة بين إيالة الجزائر والسلطين السعديين، ونفس المراسلة تلقاها صوفيه أولياء بايلك الغرب¹.

لعلّ هذه الإمتيازات كانت من العوامل التي عزّزت جرأة شيوخ الزوايا، وأيقظت حسّهم تجاه السلطة، مما زاد في نفوذهم بين عامة الناس وفي أوساط واسعة من بايلك الغرب. وقد استطاع شيوخ الزوايا أن يحققوا شهرة ومجداً بالغين، وساهموا بفعالية في تحرير مدينة وهران سنة 1792م، الأمر الذي أكسبهم تقديراً وإحتراماً كبيرين من قبل السلطة العثمانية. ومن بين هؤلاء، يبرز دور أولاد عبد الله، الذين استقروا على الضفة الغربية لملتقى وادي مينا ووادي الشلف، حيث ساهموا في هذا التحرير، وارتبطت بهم العديد من الأساطير التي مجّدت بطولاتهم وخلّدتها الذاكرة الشعبية بفخر على غرار محمد بن علي بوطالب² الذي توفي 1814م وابنه سيدي هني³ شهيد هذا التحرير وقدمت لهم كلمات الشكر والثناء من الباي نفسه⁴.

بالغوص في فئات المجتمع بالبائلك الغربي لا يمكن أن نتجاوز شيوخ الزوايا المشرفين (الأشراف)، الذين كانت علاقتهم طيبة مع السلطة العثمانية التي عملت على تقديم الهدايا

* - مثل بناء زاوية أبي رأس الناصري، ومساعدة محمد الكبير لوالد محي الدين وذلك بناء زاوية له. ينظر: محي الدين ، ارشاد المريدين الى طريق الواصلين ، مخطوط مصور بالمكتبة صلاح الدين بن عوم، معسكر، ورقة 8، ظ.

1-Filali(k), op, cit, p 94.

²-محمد بن علي بوطالب: محمد بن علي بوطالب المازوني هو أحد مشاهير مازونة، جمع بين التدريس والجهاد. شارك في معارك محمد باي الكبير لتحرير وهران من الإسبان، وكان عمره يتجاوز الثمانين عاماً (1206هـ). رافقه في هذه الحملة أبناء ومنتأ طالب من مازونة. بعد توجهه إلى معسكر، ثم إلى وهران، عينه الباي قائداً لرباط الجهاد. توفي عام 1814م ودُفن في مدرسة مازونة الشهيرة.. ينظر: محمد الأمين بلغيث وآخرون ، موسوعة العلماء والادباء الجزائريين ، ج.2، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2014، ص 487.

³- سيدي هني هو ابن الشيخ محمد أبو طالب بن علي المازوني. استشهد أثناء معركة تحرير وهران من الاحتلال الإسباني. ينظر: محمد الأمين بلغيث وآخرون ، المرجع نفسه، ص487.

4- Jacques Berque, "L'intérieur du Maghreb (XVe-XIXe siècles)" , Gllimrd, paris 1978,in -80, p21.

لهم، وظهر ذلك جليا في تلمسان، حيث ذكر العالم الجليل سعيد المقرئ الذي تولى عدة مناصب نذكر منها: الخطابة، الفتوى، والإمامة في تلمسان تحت العثمانيين قرابة أربعين سنة.

من بين أعلام المشايخ البارزين، يبرز الشيخ عبد القادر بن عبد الله، المعروف بالشيخ المشرفي، الذي كانت زاويته الكائنة بمنطقة "الكرط" تشبه في مكانتها ووظيفتها الدينية زاوية سيدي محي الدين بواوي الحمام. وقد واصل حفيده، سيدي بن عبد الله المدعو "السقاط"¹، حمل هذا الإرث، فاشتهر بإمامته في علوم الحديث، والتاريخ، والفقه، واللغة، وتولّى منصب قاضي الدولة العثمانية وممثل الطريقة القادرية. وكان على صلة مباشرة بسلطان المغرب، مولاي عبد الرحمن بن هشام، وقد حظي بمكانة مرموقة وجاء عظيم لدى العامة والسلطة على حدّ سواء. كانت للعلامة الحاج عبد القادر مكانة في القضاء بوهراڤ أيام العثمانيين، كما تولى القضاء كذلك ابنه الحاج عبد القادر الصغير*. نجد أيضا شيخ الهاشمي بن بغداد البوعمراني الذي غيّبه المصادر التاريخية، ومعرفتنا به من خلال تقايب النسب الموجودة لدى عائلة المشارف بتيزي، حيث يعتبر سيدي الهاشمي من بين شيوخ الزوايا والعلماء الذين ذاع صيتهم في عهد البايع إبراهيم الملياني، وتقلّد مناصب منها قاضي المحلة².

على الرغم من شُحّ المصادر التي تؤثّق لسيرته بالتفصيل، فإنّ الثابت أنه كان من حفاظ القرآن الكريم، ومتفقهاً في علوم الدين، عُرف بالرضا، والعدالة، والثقة، والأمانة، وهي الصفات التي درجت الدولة العثمانية على إعتمادها في تعيين القضاة. وترجّح وفاته في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ومع أنّ الزوايا كانت في كثير من الأحيان عاملاً رئيسياً في تحريك الرعية ضد الحكم العثماني، من خلال إشعال عدد من الثورات، كحرب الدرقاوة مثلاً، فإنّ دورها ظلّ متقلّبا بين المساندة والإعتراض، تبعاً للظروف السياسية والدينية التي كانت تمرّ بها البلاد، إلا أن بعض

¹ -بن عبد الله المدعو "السقاط": هو محمد بن عبد الله السقاط، حفيد الشيخ عبد القادر المشرفي، كان من أبرز المحدثين والمسندين في المغرب العربي. كان السلطان عبد الرحمن بن هشام وحاشيته يحضرون مجالسه للاستماع إلى صحيح البخاري وعلوم أخرى. تتلمذ السقاط على يد شيوخ غربيين، ومنهم الشيخ أبو رأس الناصري. اشتهر بحفظه للسير والتواريخ. توفي في مكناس، ويُشاع أنه قُتل مسموماً. ينظر: عبد الحق شرف، "تراجم لبعض علماء مدرسة البايع في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة"، مجلة كان التاريخية، ع.23، 2014، ص ص 108-109.

*-حصلنا على هذه التقايب المصورة من قبل الباحث بن نعموم يوم 17 جانفي 2024.

2- وثيقة مخطوطة التقييد الشيخ الهاشمي بن بغداد البوعمراني لنسب سيدي دحو بن زرفة، وثيقة مخطوطة، بالخزانة المشارف، معسكر، ورقة 7، ظ.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات.

الحكام كانت علاقتهم مع شيوخ الزوايا مبنية على الإحترام والتقدير، فنجد أثناء حرب درقاوة أوصى الباي محمد المقلش¹ جنوده بعدم التعرض لأي فار إلى الضريح*، بأي حال من الأحوال، وعندما انتهى القتال قاموا بزيارة الزاوية والضريح وقدموا له صدقة تزيد عن مائتين ريال دراهم². كانت السلطة العثمانية بحاجة إلى وضع علاقة جيدة مع شيوخ الزوايا لقداسة الزاوية، وإذا حدث وتأثر جندي عثماني ولجأ إلى زاوية ما، يتفاوض الباي سرا مع شيخها وينجح في إقناعه بوجوب قطع المئونة عليه لإجباره على تسليم نفسه للقضاء العثماني، أو يتم طرده بكل بساطة³. وبذلك وجد البايات في الزوايا وسيلة ناجعة للتعامل مع هذه "الملاجئ المقدسة" التي حيرت السلطات، إذ مكنتهم من التخلص من العناصر المتمردة أو غير المرغوب فيها بطريقة سلمية وغير مباشرة. وقد تمتعت العديد من الزوايا في بابلك الغرب، خاصة تلك المرتبطة بالسلطة العثمانية، بمصالح متبادلة مع الدولة، فضلاً عما نالته من إحترام وإعتبار في الأوساط الرسمية والشعبية على السواء. وفي هذا الإطار قدمت خنقة* القيطنة ضيافتها لعدة بايات منهم الباي محمد الكبير والباي عثمان⁴، حيث قال عليها الشيخ محي الدين في مخطوطه: " إتحاف المريدين" أنها بمثابة مقام سيدنا إبراهيم لقداستها.

وفرت زاوية القيطنة وخاصة قلعة بني عباس موطن جدهم سيدي عبد الرحمن أمانا "حقيقيا" وذا مصداقية عبر كل فترات الحكم العثماني بالجزائر، هذا الأمان الذي لا نجد مثله في مختلف مناطق الإيالة، ومن الخطورة بما كان إنتهاك حرمة الزوايا الذي قد ينتهي بإنقاص من أتباعها أو من روح شيخها. ففي 1732م فر بعض الأشخاص من إستبداد الباي بوشلاغم طالبين الأمانة من سيدي محمد الهواري سيد وهران، غير أن الباي إستهان بقداسية الزاوية وأرسل فرقة من قوات

¹ - محمد المقلش: محمد المقلش هو شقيق الباي عثمان الذي عزل عام 1802م، فانتقل معه إلى البلدة واستقر هناك. في عام 1805م، عينه الباشا باباً على بابلك الغرب بعد فشل الباي مصطفى المنزلي في مواجهة درقاوة. توفي المقلش عام 1807م. ينظر: يحي بوعزيز ، مدينة وهران...، المرجع السابق، ص ص 69-70.

*- الضريح كان لسيدي محمد بن عودة.

2- المزارى، المصدر السابق، ص 315.

3-De Paradis(V),"Alger au XVIII^e Siecle", R, A,1989, paris Challamel Aîné, Libraire, Braire, 30, Rue des Boulangers, p 67.

*- يقصد بالخنقة الزاوية، حيث كانت تطلق على الزوايا خلال العهد العثماني.

4- Ernest Mercier, La khanga de S. Nadji, in R. S. A. C, 1915, p 159 .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات.

أزبنطوط¹ لإخراجهم من ملجئهم وقيادتهم إلى قصره، وما إن جنّ الليل حتى ظهر سيدي محمد الهواري في حلم الباي، وأنذره بموت مأساوي وسقوط وهران بيد الإسبان، وقد تحقّق الحلم بموت الباي في اليوم الموالي وسقوط المدينة ثلاثة أيام بعد ذلك².

لم تغفل المصادر الدينية لتلك الفترة ذكر مسألة الشهرة والقوة العسكرية لشيخ زوايا بابلك الغرب وتمجيد إنتصاراتهم ضد المعتدين المسيحيين، وتشير الأسطورة أن مولاي عبد الله بن مولاي الذي علم بنزول الإسبان على سواحل الجزائر قد هب للجهاد، كما اتخذ الصفوف الأولى موقعا له داعيا المسلمين إلى القتال ومعلنا قوة وبركة سلالته. وفي اليوم الموالي بحث عنه الباي لمكافئته على شهامته وشجاعته فلم يجده وعلم أنه التحق بمريديه الذين وجد عندهم الشهرة والمجد حتى توفي 1787م، أسفرت هذه العمليات الحربية والجهاد عن تحقيق الشهرة والإمتيازات المادية والقوة والمجد بشكل أكبر من الإمتيازات الروحية. وفي ذات السياق، إستطاع أولاد العربي في البابلك الغربي إقامة علاقات وثيقة مع السلطة العثمانية نظراً لجهادهم ضد الإسبان. كما حقّق أولاد أبو عبد الله، المستقرون على الضفة الغربية عند ملتقى وادي مينا ووادي الشلف، شهرة ومجداً كبيرين بفضل موقعهم الإستراتيجي الذي تحوّل إلى حصن للجهاد، وما ساهم في تعزيز قوتهم أيضا دورهم في تحرير مدينه وهران 1792م³، ونجد أيضا سيدي محمد بن علي بوطالب الذي توفي في 1814م وعمره 80 سنة من بين الأبطال فقد شارك على رأس 200 من مريديه مع بقية المجاهدين في المعارك التي مهدّت لتخليص السواحل الجزائرية من الحصون الإسبانية، كما كرم ابنه سيدي هني هذا التحرير من طرف جميع الناس بما فيهم الباي نفسه.

5-نفور وعداوة بعض شيوخ الزوايا من السلطة العثمانية:

تباينت مواقف وردود أفعال لشيخ الزوايا بين مؤيد ومعارض، على الرغم من أن سمة المعارضة للحكم العثماني كانت هي السائدة، وبدأت ملامح الرفض تظهر منذ قيام خير الدين بتأسيس الإيالة وإضفاء الشرعية على حكمه، لكن القائد عروج رد على هذه المواقف الراضية

¹ - أزبنطوط: يقصد بكلمة ازبنطوط لصوص البحر . ينظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 56.

² - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 125.

3- Louis Rinn, Marabouts et khouans études sur L'islam en Algérie, E.d. Gourdan; Alger;1884, p 116.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

للحكم العثماني بالقبض على ولي من أولياء بني جلاب¹ خلال حملته على تلمسان، والمواقف عديدة نجد كذلك موقف أحمد بن ملوكة الندرومي² الذي أخبر بالمجازر التي ارتكبتها عروج بتلمسان فدعى عليه حتى لا يعود إلى المدينة³. كما نجد كذلك سيدي محمد الشريف البجائي⁴ المتوفي 1522م الذي اعتبر الدخول العثماني بمثابة النازلة، وكان يلح إلى رفضه إياه⁵.

تعددت الظروف والأسباب التي جعلت شيوخ الزوايا ينقمون على السلطة العثمانية فنجد صاحب مخطوط "تاريخ بايات وهران" يقول: "أن الأتراك لم يكونوا أهلاً للحكم فبعد إنقضاء عهد محمد عثمان باشا داي الجزائر والباي محمد الكبير بوهران، ثم جاء بعدهم الدايات والبايات المتأخرون في بداية القرن التاسع عشر وحكموا البلاد 30 سنة لم تكن فيها سياستهم رشيدة، ولا كان حكمهم فيها عادل على العموم، فكان من الطبيعي أن يكثر الناقمون والثائرون عليهم"⁶.

لم يتمكن العثمانيون من حكم الجزائريين والدفاع عنهم كما ينبغي، إذ عاملوهم معاملة المنتصر للمهزوم، مما دفع المجتمع، وبخاصة شيوخ الزوايا، إلى الانفصال عن الحكم العثماني كسلطة رسمية، واللجوء إلى الطريقة كسلطة روحية معترف بها رسمياً. واستمر العثمانيون في إتباع سياسات ظالمة تجاه شيوخ الزوايا، خصوصاً في ظل الظروف الاجتماعية الصعبة التي شهدتها بابلك الغرب، من أمراض وأوبئة ومجاعات. كما زادت العوامل الطبيعية من معاناة السكان، مثل فترات الجفاف والفيضانات، إضافة إلى الزلازل والحرائق التي سببت دماراً واسعاً،

¹-بني جلاب: تُنسب تسمية بني جلاب إلى جدهم "جلاب"، الذي كان يمتلك أغناماً تُحلب ويوزع لبنها على الناس. وهناك رواية أخرى تقول إن الناس كانوا يحلبون أغنامهم بفضل كرم بني جلاب وعطائهم، ولذلك سُميت إمارتهم باسمهم. وقد امتد نفوذهم إلى بلاد الجريد، بما فيها منطقة وادي سوف..ينظر: معاذ عمrani ، أسرة بني جلاب في منطقة واد ريف خلال القرنين 19 و 20م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد القادر، قسنطينة، 2003م، ص ص 18-19.

²- أحمد بن ملوكة الندرومي: أحمد بن ملوكة الندرومي، وهو أبو العباس أحمد بن ملوكة التلمساني، كان عالماً ماهراً وسيّداً فاضلاً. حارب عروج بربروس وتمكن من قتله وقتل من كان معه من الأتراك والعثمانيين. توفي الشيخ في أواسط العقد الرابع من القرن السادس عشر الميلادي، ويعد قبره مزاراً في تلمسان.ينظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن 10 م، تح: محمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للنايف والترجمة والنشر، الرباط ، 1977م، ص 135.

3-Féraud (ch), "Notes sur Bougie", R.A, N 2, 1857-1858, p 123.

⁴- محمد الشريف البجائي: محمد البجائي فقيه مالكي ، توفي سنة 1522م. ينظر: عادل النويهض، المرجع السابق، ص 42.

⁵- ابن مريم، المصدر السابق، ص 15.

⁶-مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 55.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

ومن أبرزها الزلزال العنيف الذي ضرب وهران وضواحيها في ليلة الثامن إلى التاسع من أكتوبر عام 1790م.

وعليه لجأت الدولة العثمانية لسياسة الضرائب* المفروضة على المجتمع بما فيه شيوخ الزوايا للتغطية على مشاكلها، فاستطاعت الشرطة الدينية متمثلة في شيوخ الزوايا أن تجند الأتباع وتثير الحماس لدى الرعية، وتنظم الجهاد ضد العثمانيين، وفي هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله: "ويبدو أن عدد الزوايا في غرب الجزائر كان أكثر من شرقها ولعل ذلك يعود لاستمرار الجهاد في سبيل الله ورفع المظالم المسلطة على سكان الريف، من قبائل الرعية والقبائل المستقلة¹.

لقد وجدت الجماهير الريفية في الزوايا ذات الأفكار الثورية ملاذا لها من ظلم العثمانيين، واقتنعت سياسيا أنها في مواجهة أجنبي مختل بغض النظر عن إسلامه، الذي يفرض عليها ضريبة لا تعدو أن تكون جزية هي محرمة على المسلم، ويسلك ضد القبائل الممتنعة عن دفع الضريبة أسلوب الغزو والمداومة².

إبتعد العثمانيون عن مبادئ العدالة الإسلامية التي تفترض المساواة، لا التمييز الذي فرضه العثمانيون خاصة بعد توأطئهم مع التجار الأوروبيين واليهود، بالإضافة إلى عوامل أخرى تمثلت في تصدي المغاربة لمحاولات التوسع العثماني في غرب الإيالة الجزائرية ودعم المغرب لشيوخ زوايا البابلك الغربي*.

أما نيابة تونس فمثلها حمودة باشا الذي شجع ابن الأحرش³ على أخذ ملك العثمانيين في الجزائر وإبعاد خطرهم عن إيالة تونس، ورغم أن ابن الأحرش كانت ثورته في الشرق الجزائري،

*- يؤكد ابن سحنون ذلك، فيقول: "وفرضوا على الناس المغارم شتاء وصيفا، وعينوا الجند عطاءً مخصوصاً، وضربوا عليهم البعوث تخرج كل أواسط أبريل إلى عمال الجباية فمنها ما يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر ومنها ما يرجع بعد سنة"، واستمر الحكم في فرض الجباية بدون حسيب ولا رقيب فالباي حسن واصل إستخلاص الضرائب من السكان رغم المجاعة والوباء الذي ضرب بابلك الغرب، وبذلك استشرى قبائل الرعية" ينظر: ابن سحنون، المصدر السابق، ص 442، ينظر أيضا المزاربي، المصدر السابق، ص 30.

1 - أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 268.

2- بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 335.

*- تمثل في الوقوف وتدعيم المغرب للثورات الطرقية ودعمها مثل ثورة درقاوة التي لقيت تأييدا من طرف المغرب الأقصى بفاس، فقد قام الملك مولاي سليمان بدعمها ومساندتها، لأنه كان يرى فيها سدا منيعا يقف في وجه الحكام العثمانيين، ينظر: صلاح مؤيد الفقي، المرجع السابق، ص 231.

3- ابن الأحرش: هو الشيخ الحاج محمد بن عبد الله ابن الأحرش، المعروف أيضا بـ البودالي نسبة إلى الأبدال الصالحين. كان يتميز بأنه يمارس الشعوذة، وهذا ما جعله يحظى بأتباع وأنصار. قاد ثورة ضد العثمانيين في بابلك الشرق، وتمكن من التحالف مع أهالي المنطقة وتكبيد السلطة العثمانية خسائر كبيرة.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

لكن واصل تمرده مع ابن الشريف الدرقاوي في الغرب، وبحكم هذا، تطرقه إلى دور تونس كما أشار إليه الزهار بقوله: "حمودة باشا كانت له دسياسة في خاطره على ملوك الجزائر فاستدعى في أحد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلاً: إن رجلاً مثلك شجاعاً يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر.....، ونحن نمذك بما يخصك، والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"، هذا بالإضافة إلى تدخل السياسة الأجنبية كتشجيع الإنجليز لابن الأحرش على القيام بالثورة.

كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في إندلاع تمرد شيوخ الزوايا في الغرب الجزائري. ومن خلال ذلك، سنتناول نموذجين بارزين للتمرد على الحكم العثماني في بابلك الغرب، وهما: أصحاب الطريقة الدرقاوية بقيادة ابن الشريف، والطريقة التجانية تحت زعامة محمد الكبير التيجاني.

5-1- الطريقة الدرقاوية:

أ- تأسيسها: مؤسس الطريقة هو مولاي العربي الدرقاوي*، من تعاليمها مجموعة من الوصايا أوصى بها العربي الدرقاوي مريديه وأتباعه هي كالاتي:

- ذكر الله عن طريق التمايل والإكثار من التعبد ليلاً ونهاراً.
- الابتعاد عن الأمور الدنيوية وكبح الشهوات.
- عدم مخالطة الناس، وتحاشي ذوي السلطة والحكم.
- مكايده الجوع والتشدد في التقشف ولبس الرث من الثياب.
- لبس الأصواف المرقعة وإقامة الشعائر الدينية بواسطة الرقص.

لكن ثورته لم تنجح في القضاء على الوجود العثماني في الجزائر. ينظر: زيبين جعلي، " ثورة ابن الأحرش ببابلك الشرق 1800-1807م ، مجلة العصور الجديدة، قسنطينة ، ع.18، 2015م، ص ص 129، 135.

*- مولاي العربي الدرقاوي : العربي الدرقاوي فهو من بني زروال المراكشيين ولد سنة (1150 هـ / 1737 م)، عمل مدرساً بفاس وكان يلزم دروس الصوفي الكبير الشيخ علي بن عبد الرحمن وقال فيه بوزيان العربي المعسكري مؤلف مناقبه: " أن الله قد أحب به ملة التصوف وأراح به عن أهل الجد والإجتهاد التنبط والتشوف وقطع به عن قلوب المريدين إلى غير الله التطلع الطاهر"، كما قال عنه الأغا المزاري " كان رجلاً عالماً متقناً في سائر العلوم محقق لها بقيودها والمنطوق والمفهوم ورعاً زاهداً متعبداً صائماً قائماً، رحيماً استاذاً يقرأ القرآن ويعزي أهله ويزيل بتعلمه كل جاهل". ينظر: المزاري، المصدر السابق، ص 320.

:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

للطريقة الدرقاوية أتباع في الغرب الجزائري، وأظهر الدرقاويون مقاومة عنيفة للعثمانيين حتى صار مصطلح عاصي يوازي تعبير درقاوي¹. امتدت هذه الطريقة من منطقة الشلف حتى الحدود المغربية في بايلك الغرب. وبخصوص طبيعة تمرّد الطريقة الدرقاوية، اختلفت الآراء؛ إذ اعتبر أحمد بن سحنون مرجعيتها دينية، نظراً لإرتباطها بالطريقة الصوفية الدرقاوية، وقد أشار لذلك بقوله: "جرت ثورة درقاوة على الحكم التركي بالجزائر للولايات، ولصبغتها بالصبغة الدينية صار الأتراك يكبلون التهم لجميع رؤساء الدين...²" أما برنيان (Bernien) يقول: "إن ثورة درقاوة لقيت التأييد من طرف المغرب الأقصى بمدينة فاس" فنجدته اعتبرها ذات طابع سياسي تتداخل فيه الجزائر العثمانية والمغرب³.

من البديهي ربط هذه الثورات بشيوخ الزوايا بسبب تنامي قوه نفوذهم وإعتبارهم كانوا من أصل شريف، مما جعلهم يتأثرون بشكل كبير بالأسرة الحاكمة في المغرب الأقصى، كما كان مركز زعامة هذه الطرق الدرقاوية والتجانية والطيبية في بلاد المغرب، وليس في الجزائر فقط، فاعتبر هذا تهديد خطير بسبب العلاقات العدائية بين المغرب الأقصى والجزائر، وبسبب الصلات القبلية والإقتصادية بين سكان بايلك الغرب وسكان المغرب الأقصى، ومما كان يخفف هذا الخطر حتى أواخر القرن الثامن عشر وجود الإسبان في مدينة وهران، والذي أعطى للحضور العثماني طابعاً دينياً.

ب- أبرز زواياها وأهم أوراها: تفرّعت عن الطريقة الدرقاوية عدة زوايا وطرق دينية نتيجة عدة أسباب، منها تراجع ارتباط أتباعها بالزاوية الأم، وهي زاوية بوبريج، ومن جهة أخرى، كثرة الشيوخ الذين تخرجوا على يد الشيخ العربي الدرقاوي. وقد أدى ذلك إلى ظهور عدة طرق دينية جديدة، من أبرزها الطريقة المدنية، والبوعبدلية، والهبرية، والبودالية.

1-André (p.j) , Contrubution a l' étude des Conféries religieuses musulmanes, E.d, la maison des livres. Alger, 1906, p104.

2- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 64 .

3- أندري برنيان، المرجع السابق، ص 178.

❖ **الطريقة المدنية:** ظهرت هذه الطريقة حوالي عام 1820م في طرابلس الغرب، وبالأخص في مصراتة التي تأسست فيها أول زاوية للطريقة على يد الشيخ محمد بن حمزة المدين¹، نسبةً إلى المدينة المنورة. وقد تلقى الشيخ محمد هذه الطريقة عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي. انتشرت الطريقة بعد ذلك في عدة زوايا بكل من أولاد نايل وإقليم وهران، رغم أن أعداد أتباعها كانت قليلة، حيث يقدر (Depont et Coppolani) وجود زاويتين أو أكثر مع حوالي 1600 من الأتباع.

❖ **الطريقة الهبرية:** أسسها الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الهبري الغزلاوي المولود عام 1823 م بالمغرب الأقصى على ضفاف وادي قيس، ويتصل نسبه بأحد شيوخ محمد بن قدور الوكيل الكركري² عن الشيخ أبي عزة المهاجي³ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وقد أسس الهبري زاويته بدريوية ببني سناسن وامتد نفوذها ما بين جبال الريف غربا ووهران شرقا، لتنتشر بعد ذلك في كل من مدغرة ومعسكر وسعيدة وتيارت⁴.

❖ **الطريقة البوعبدلية:** تنتسب إلى الشيخ عدة بن غلام الله البوعبدلي المولود ببطحاء شلف عام 1202هـ، ويتصل نسبه بالطريقة الدرقاوية بالشيخ مولاي العربي الطويل عن مولاي العربي الدرقاوي، أسس البوعبدلي زاويته بجبل سحنون بتيارت، وقد انتشرت طريقته من قصر البخاري شرقا إلى ثنية الحد إلى العطاف وغربا مستغانم ومعسكر⁵. وجعله ضرورة

¹ - محمد بن حمزة المدين: محمد بن حمزة المدين هو أبو عبد الله حمزة بن حسن بن حمزة ظافر المدني. درس في المدينة المنورة، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى وأخذ العلم عن علمائها، ومن بينهم مختار القادري. أخذ كذلك الطريقتين الناصرية والشاذلية. عاد بعد ذلك إلى المدينة المنورة وواصل التدريس فيها حتى وفاته عام 1239م. ينظر: كمال الدين محمد الحريري، مجمع الطرق الصوفية المفصل (تبيان وسائل الحقائق في بيان سلسل الطرائق)، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2024م، ص 153.

² - محمد بن قدور الوكيل الكركري: محمد بن قدور الوكيل الكركري هو محمد بن أحمد بن العربي بن مختار بن محمد بن علي بن موسى. عُرف بزهده وشجاعته، وكان من أهل البركة والصلاح. كان فقيهاً من أهل تلمسان، وتوجه إلى المغرب لطلب العلم ثم عاد إلى الجزائر، حيث نشر طريقته وجمع الأتباع عليها. وقد أسس الزاوية الدرقاوية الشاذلية الكركرية. ينظر: الشيخ عبد رب البوزيدي، اتحاف ذوى النهى والبصائر، تراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر، تح: درويش العلاوي، نسخة خاصة بأحباب الشيخ العلوي، الناشر A.C.A.A، [د.م.]، [د.س.]، ص 38.

³ - أبي عزة المهاجي: أبو عبد الله سيدي بوعزة المهاجي التلمساني، ينحدر من قبيلة مهاجة، وهي فرع من بني عامر، بالقرب من مدينة تلمسان. كان له زاويتان؛ واحدة في وجدة وأخرى في تلمسان، وله فيهما أصحاب وأتباع. عُرف بخصاله الحميدة، وكان من أصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. توفي يوم الجمعة عام 1777م، ودُفن في مسجد أبي مدين الغوث المعروف في أقصى منطقة "الرميلة" من مدينة فاس. ينظر: الشريف جعفر الكتاني، الموسوعة الكتانية بتاريخ فاس (الشرب المختصر والسر المنظر من معين أهل القرن 13م)، تح: محمد حمزة علي الكتاني، [د.ن. ش.]، [د.م.]، [د.س.]، ص ص 78-88.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 125.

⁵ - مختار بونقاب، تاريخ الطرق الدرقاوية، المرجع السابق، ص 51.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

سياسية إلا أن استرجاع وهران وسياسة العثمانيين الضرائبية حول الموقف في هذا البابلك إلى وضع المجابهة بين العثمانيين والمرابطين¹.

ج- تمرد ابن شريف الدرقاوي: تعتبر الثورة الدرقاوية من أخطر حركات التمرد والعصيان التي شهدتها الغرب الجزائري في مطلع القرن 19 م، وقد اندلعت هذه الإنتفاضة بزعامة عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي*، من أولاد بليل المرابطين بقبيلة كسانة البربرية، الذي أسس زاويته في أولاد بليل لإستقبال الأتباع وتلقين الأفكار والأوراد، وتعليم مبادئ الدرقاوية فكثر أتباعه وزاد إحترامهم وتقديرهم له، وتوالت عليه الهدايا والهبات والزيارات، وكلما كانوا يلتقون به يشكون إليه الظلم من جراء الضرائب المتزايدة عليهم، وهو بدوره ينقل إلى شيخه ما كان يلقاه السكان من ظلم وجشع الحكام العثمانيين.

حيث ذكر ابن الشريف بقوله:"يا سيدي، إنا بوطننا قوماً يقال لهم الترك، يظلمون الناس، ولا يعبئون بالعلماء والأولياء. نسأل منكم أن يكون هلاكهم على يدك، ليستريح منهم العباد، وتظهر منهم البلاد". فقال له شيخه: "عليك بجهادهم وقتالهم، وإن الله ينصرك عليهم"². بينما يروي المزاري أن شيخه كان يقول:"أنصرهم، والله ينصرك عليهم".

استغرقت مرحلة الإعداد للثورة وجمع أكبر عدد من الأنصار حوالي خمس سنوات (1800-1805م)، وبعد أن أتم ابن شريف استعدادده، صادف هزيمة إحدى الوحدات العثمانية أمام قبائل الأنجاد المتمردة عليهم. استغل ابن شريف هذا الوضع لإعلان الثورة، فتوجه برجاله نحو منطقة البطحاء قرب وادي مينا حيث كان معسكره. وهناك وقعت اشتباكات بين قواته ورجال الباي مصطفى المتزلي**، وسميت هذه الواقعة بواقعة فرطاسة.

1- حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 241.

*- تعلم ابن الشريف الدرقاوي بمسقط رأسه، ثم التحق بزاوية القيطنة لأخذ العلم على يد مشايخها كالشيخ محي الدين، واتجه إلى المغرب الأقصى وأخذ من علماء فاس. ثم التقى بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي، فاتبع طريقته، وعينه هذا الأخير مقدماً للدرقاوية بالجزائر. وقال عنه الزياتي:"إنه عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل، الساكني القاطن بواد العبد". ينظر: الزياتي، المصدر السابق، ص 8، أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 39.

2- الزياتي، المصدر السابق، ص ص، 208-303.

***- هو الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي، أحد بابيات وهران، تولى الحكم سنة (1800-1801م)، كان رجلاً عاقلاً لكنه ضعيف الشخصية وجبان، مما أدى إلى هيجان درقاوة عليه، ينظر: الآغا بن عودة، المصدر السابق، ص 300.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

كانت هذه الواقعة بداية لتمردات الدرقاوة في الغرب الجزائري، بحيث لما وصل ابن الشريف إلى واد مينا أذن لأتباعه بنهب الأموال وممتلكات محلة الباي والقبائل المؤيدة له. ولما بلغ الخبر الباي جمع عسكره وعاد طالباً إياه، فالتقيا بفرطاسة عام 1805م، حيث اشتد القتال بينهما، وهُزم الباي وجيشه، الذي طارده الدرقاوي حتى أسوار مدينة معسكر¹.

وفي هذا المقام، أنشد حسن خوجة الأبيات التالية:

فرطاسة يومها ترى الجنود بها ***** ما بين قتلى وأسرى غير ناجيناً
فالباي جاء بجيشٍ لإنقاذٍ له ***** به يريدُ بقاءَ العدوِّ باغيناً
فلم يحققْ له سعةٌ ولا أملٌ ***** بل جاءَ جنده صفر الكفِّ باكيناً
فاليومَ لابنِ الشريفِ عزٌّ فيهِ على ***** بآي الآعاجم لولا الدينَ لا ديناً².

أما مسلم بن عبد القادر فقد وصف هذه المعركة، وما نتج عنها بقوله: "فأمسى الباي ومخزنه في نكدٍ، وأصبح الدرقاوي وأتباعه في رعدٍ³". وقد مات في هذه المعركة خلقٌ كبير، منهم كاتب الباي الحاج أحمد بن الهطال التلمساني، وأبو عبد الله أحمد الغزلاوي، وفرَّ الباي إلى معسكر.

بعد هذه الهزيمة، فرَّ الباي إلى وهران وأمر بإغلاق أبواب المدينة خلفه، بينما دخل ابن الشريف إلى المعسكر بدون أي مقاومة، وجعله مقراً له ولعائلته. بعد ذلك، خاطب القبائل داعياً إياها إلى إعلان الجهاد ضد العثمانيين وأنصارهم، وطلب منهم مبايعته.

جاء في دليل الحيران ما نصه: "قد نزعنا عنكم الظلم التركي، والذل والمسكنة، والمغارم والمكوس، فالواجب عليكم مبايعتنا"⁴.

1- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص 73.

2- الأغا بن عودة المزارعي، المصدر السابق، ص 73.

3- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص 79.

4- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 902.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

كان لهذا النداء صدى كبير لدى قبائل المخزن نفسها، مثل قبيلة الحشم¹، والزمالة²، والدواير³، وغيرها، وامتد لهيب الثورة من حدود مليانة شرقاً حتى وجدة غرباً، مما دفع الحاميات العثمانية إلى الانسحاب والتمركز في المدن الساحلية. وبذلك إنقطعت جميع الطرق البرية، ولم يبقَ سوى الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد للوصول للإمدادات إلى وهران، التي كان ابن الشريف الدرقاوي يحاصرها.

في ظل هذه الظروف الصعبة، طلب الباي من السلطان المغربي سليمان⁴ التدخل لدى شيخ الطريقة مولاي العربي الدرقاوي، المقيم بفاس، ليهدي أتباعه. لكن ابن الشريف شكّ في نوايا الشيخ العربي تجاه العثمانيين وظلمهم، فدعم الشيخ العربي الدرقاوي الثائرين.

يذكر المزارى في هذا الصدد: "فرأى بالعيان ما لا يقدر عليه بكلمة البهتان، وإزعاجه قتال المخزن وما فيه من الأعيان، بعد أن أمرهم بحمل الشواكير والفيسان، وأنهم في يومهم يدخلو وهران، ويصيرونها بالهدم والتخريب مغارات الفيران"⁵ ويبيّن أنّ للسلطة المغربية يداً في الأحداث الدائرة بالجزائر، وهذا ما يؤكد هكتاب الاستقصاء*، لوضع حد لثورة ابن الشريف.

1- الحشم :هي قبيلة مخزنية تُنسب إلى ثلاث قبائل رئيسية :بنو يلومي، وبنو يفرن، وبنو يلامو .يتواجد أفرادها بين وادي مينا ووادي العبد. وقد رحل بعضهم عن مضاربهم الأصلية. ينظر: عبد الله الأعرج السليمانى، المصدر السابق، ص 357.

2- الزمالة :من قبائل المخزن الغربي، اختصت بتولي مناصب الآغا والقائد، علناقسمة والعرش .انحصرت رياستها على ثمانية أعراش، منها القدارة، الونازرة، الشوابلية، ينظر: الآغا بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص 31.

3- الدواير :قبيلة منالقبائل الموالية للأتراك، كان رئيسها مصطفى بن إسماعيل، الذي انضم إلى الفرنسيين وقاّتل الأمير عبد القادر. ينظر: محمد بن يوسف الزيانى، المصدر السابق، ص 16.

4- مولى سليمان : مولاي سليمان هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الشريف العلوي، وأحد سلاطين الأشراف العلويين في مراكش. بُوع في فاس عام 1206هـ بعد وفاة أخيه مولاي يزيد .عُرف عصره بالثورات والحروب، لكنه كان محباً للعلم والعلماء. له حواشٍ وتعليقات على كتابي الموطأ والمواهب .وقد جمع له كاتبه ومؤرخه "الزياني" فهرساً بأسماء شيوخه، أسماء التُحفان في ذكر ملوك وأشياخ مولانا سليمان. ينظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.3، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م، ص 133.

5- المزارى، المصدر السابق، ص 306.

*- كان السلطان المغربي راضياً بمبايعة سكان تلمسان له، باتفاق معابن الشريف، بعد خلع الطاعة من سلطة البابلك ومبايعة السلطان المولى سليمان، لهذا، فتح سكان تلمسان باب المدينة لابن الشريف وطائفته، وأخذوا البيعة للسلطان، وخطبوا له على منابرهما، ووجهوا وفداً وهدايا إلى السلطان مع شيخه أبي عبد الله، ينظر: السلاوي، لاستقصاء، المصدر السابق، ص 110.

في هذه الأثناء، قام الداي بعزل الداي مصطفى وعين مكانه محمد بن عثمان المقلش*، الذي فكّ الحصار عن وهران، وعزم على محاربة الدرقاوي، فتراجع الدرقاوي نحو معسكر، وحين وصولهم إلى سيق قرب سيدي داوود، هاجمتهم الغرابة ثأراً بما فعله بهم الدرقاوي من قتل الرجال والنساء والصبيان، فتعرضوا إلى النهب والضرب والقتل والسبي. وفي نفس الوقت، تلقى الدرقاوي هزيمة أخرى على يد قبائل البرجية وأهالي بني شقران قرب سيدي مبارك، ليتراجع إلى معسكر، التي لم يستقبله أهلها¹.

اغتنم الباي الفرصة لتعزيز موقعه في البابيك، فبادر بإرسال رسائل العفو إلى رؤساء قبائل المخزن، فانضمت إليه قبائل الغرابة والدواير والزمالة. في المقابل، تحالفت قبائل مجاهر وابن عامر مع الدرقاوي.

عاد الدرقاوي فيما بعد للظهور مجدداً، وهاجم محلة الباي في معركة وادي المالح، غير أن جيوشه منيت بالهزيمة، وامتدت المواجهات حتى وصلت إلى سيدي محمد بن عودة، ولم ينجُ من أتباع الدرقاوي إلا من لجأ إلى قبة هذا الولي. وواصل الباي إنتصاراته، فهزمهم مرة أخرى، ثم تابع حملته، متعقباً قبيلة بني عامر المتحالفة مع الدرقاوي إلى جانب أولاد الزاير، وتمكن من هزيمتهم في تسالة، بالقرب من سوق الأحد بوادي العبد²، وجمعت الرؤوس المقطوعة في ذلك اليوم من درقاوة وابن عامر، فكانت 600 رأس بعثها الباي كلها إلى الجزائر، أما ابن الشريف فقد فر إلى اليعقوبية.

بعد هذه الإنتصارات، توجه الباي المقلش إلى تلمسان، حيث سعى إلى إحلال السلم بين سكانها الحضر والkraة فعقد الصلح بينهم. ثم عاد إلى وهران، وهاجم قبيلة مجاهر بسبب خيانتهم له، وألحق بهم وبالدرقاوي، الذي هبّ لنجدهم، هزيمة قاسية. وبالرغم من انضمام ابن

** - محمد بن عثمان المقلش : هو محمد بن عثمان، الملقب بالمقلش، تولى الحكم عام 1805م، وهو ابن 18 سنة، وبقي في الحكم ثلاث سنوات، ينظر: الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 308.

1-المصدر نفسه، ص 45.

2-Adrien Delpeche, op, cit, p 52.

الأحرش إلى جانب الدرقاويين لمواجهة الباي، لكن بسبب مساعدة قبيلة البرجية، فانتصر الباي على الدرقاويين¹. كما منى الدرقاوي بهزائم متتالية في عدة مواقع أخرى على يد جيش الباي المقلّش، إذ كان الأخير يتعقبه أينما ظهر، فكان كلما بلغه خبر وجود الدرقاوي في منطقة ما، يسرع إليه بجيوشه، ويحقق عليه انتصارات كبيرة.

بالرغم من تلك الإنتصارات، قُتل الباي المقلّش بأمر من باشا الجزائر، وعُيّن مكانه مصطفى المنزلي² سنة 1807م. وعندما تولى الباي مصطفى الحكم، تجددت ثورة الدرقاوي، فثار عليه في بلاد فليّة، حيث تمكن من هزيمته، ثم حقق انتصاراً آخر عليه. بعد ذلك، توجه الباي نحو قبائل المجاهر المقيمة على ضفاف نهر الشلف، وهناك بلغه خبر من باشا الجزائر يُعلمه بتعيينه خزانجياً بالعاصمة. وتم تعيين محمد بن عثمان بابا جديداً لبابلك الغرب، وقد لقب هذا الباي بالرقيق والمسلوخ والمكنى بأبي كابوس³.

بعد توليه زمام الحكم، واصل الحرب ضد الدرقاوي بطريقة جديدة تقوم على جمع المعلومات من أتباع الدرقاوي ثم مباغتتهم فرادى، فأدى هذا إلى لجوء الدرقاوي إلى أراضي بني بزناس، حيث كان الباي يترصده ويريد حياً أو ميتاً⁴.

وفي هذا السياق، يورد الزباني وصفاً دقيقاً لما آل إليه حال الدرقاوي بعد هزائمه المتتالية، فيقول: "وقد نجا الدرقاوي بنفسه وفشل ريحه، وتراكت عليه الهموم والغوم، وضاق به فسيحه، واقتربت عليه أتباعه وتبرأت من عمله، ولم يبقَ من ينضم إليه لما نالهم من العطب، فانتقل إلى الأحرار فطردوه، ثم انتقل إلى عين ماضي فطردوه عنها وأبعدوه". كما يؤكد الشريف الزهار حجم

1- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص ص 94-95.

2- مصطفى المنزلي: مصطفى المنزلي هو أحد بابات الجزائر العثمانية، عيّن بعد مقتل الباي المقلّش.واجه هو الآخر ثورة الدقاوة التي أصبحت بمثابة "مرض مزمن" في البابلك. ويسبب عجزه عن القضاء على الدرقاوي وأصحابه، عيّن خزانجياً في مدينة الجزائر. ينظر: يحي بوعزيز، مدينة وهران...، المرجع السابق، ص 72.

3- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 87.

4- أحمد الزهار، المصدر السابق، ص 95.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

الخسائر التي لحقت بالثائر ابن شريف، مشيراً إلى فداحة الهزائم التي مني بها، إذ يقول: "مات من العرب عدد لا يُحصى، وكانت تجتمع رؤوس بني آدم مثل الجبال".

د- نتائج وآثار تمرد درقاوة:

أسفرت تمردات درقاوة عدة نتائج في مختلف المجالات:

1- سياسياً:

- كان لحركة درقاوة آثار وخيمة على السلطة العثمانية، إذ أدت ردود الفعل القوية التي واجهت بها هذه التمردات إلى إتساع الخلاف بين الحاكمين والمحكومين.

- أدت إلى توتر العلاقات بين العثمانيين ورجال الدين من شيوخ الطرق الصوفية والزعامات المرابطية.

- ساهمت هذه التمردات في إضعاف النظام العثماني بالجزائر، ورغم أنها لم تحقق هدفها الرامي إلى الإطاحة به، إلا أنها مهدت الطريق لسقوط الجزائر في يد الفرنسيين بعد سنوات قليلة. كما أنها استطاعت التأثير حتى على الحكام أنفسهم، مثل الباي بوكابوس، الذي تمرد بدوره على السلطة وتحالف مع سلطان المغرب مولاي سليمان. هذا ما أدى بالباي الذي خلفه إلى الإنتقام منه بسلخ رأسه حياً، وحشوه بالقطن، وإرساله إلى مدينة الجزائر.

- ولعل أخطر النتائج هي إنشغال السلطة بمشاكلها الداخلية وإغفال التهديدات الخارجية التي كانت تترصّ بالجزائر، حيث شهدت البلاد عدة إعتداءات، منها:

- الإعتداء المغربي على إقليم فجيج عام 1807م.

- الإعتداء على توات عام 1808م في عهد الباي محمد مقلش.

2- إجتماعياً:

- أدت هذه التمردات إلى هجرة العديد من أتباع الدرقاوة نحو الخارج، لاسيما إلى المغرب الأقصى، خوفاً من إنتقام العثمانيين منهم. - قصد الإنتقام -.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

- هجرة بعض العلماء حتى لا يتخذوا موقفاً، من هذه القضية ومنها هجرة قبيلة بني عامر إلى المغرب الأقصى.

- كما كانت سببا في تقتيل المئات من أبناء الوطن، وإستنفاد الطاقات الحربية التي كانت يمكن أن تستعمل في رد جيوش الإحتلال الفرنسي فيما بعد

3- ثقافياً:

- أدت هذه الإضطرابات التي عرفها بايلك الغرب على وجه الخصوص إلى خراب المؤسسات التعليمية وتشريد طلابها، بعد مقتل علمائها ومشايخها، كما لقيت ثورة درقاوة معارضة قوية من طرف الشيخ أبي راس الناصري العسكري، حيث اتهم بالتعاطف مع الدرقاويين وعزله من جميع مناصبه الرسمية ولخطورتها ألف فيها كتاباً سماه "درء الشقاوة عن حروب درقاوة"¹.

- وبالرغم من أن التمردات التي قام بها الدرقاويون في الغرب الجزائري رفعت شعارات دينية، إلا أنها كانت منفذاً للرعية للتعبير عن سخطها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بسبب المغارم والضرائب. كما أنه، بالرغم من الدور الكبير الذي لعبته قوى خارجية في تأجيجه، فإن ذلك لا ينفي وجود إستعداد لدى الرعية للثورة ضد السلطة، وهو ما يفسر إنتشارها الواسع والتفاف الناس حولها يقول مسلم بن عبد القادر: " بنو عامر تركوا أوطانهم قفرة لا يلقى فيها من سلكها أنس ولا أنيس، إلا البوم والذئاب أهلها دخلوا المغرب وفارقوها من غير إختيار"، ومعنى ذلك أن قبائل بني عامر أرغمت على الهجرة من الوطن بواسطة الإكراه².

أسفرت هذه التمردات، إلى جانب ما سبق، عن سقوط العديد من الضحايا من كلا الطرفين، حيث فقد خلالها آلاف السكان حياتهم، كما استشهد فيها عدد من الشخصيات والعلماء البارزين، من بينهم: الباي محمد الكبير، والكاتب أحمد بن هطال، وقذور بن إسماعيل، وأغا الدواير.

1-أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 46.

2- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 89.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

4- إقتصاديا: تسبب اضطراب الأحوال وعدم الاستقرار في تعطيل الصناعة وتدهور الزراعة، وركود التجارة الداخلية بسبب إنعدام الأمن وفقدان الاستقرار، مما أدى إلى نقص المؤونة، وإزدياد اللصوصية وقطاع الطرق. كما شهدت المناطق مجاعة عانى منها سكان الريف والمدن على حد سواء، وهذا ما أدى إلى قول بعضهم " تذهب عند النصارى ولا تجاور الترك، فتجمع علينا الجوع والقتل"¹.

أما مسلم بن عبد القادر فيذكر: " هكذا كانت الثورة الدرقاوية، التي دامت نحو 10 سنوات، وبالأعلى المقاطعة الغربية، وسببا في تغريب شامل للحياة الإقتصادية والإجتماعية فيها كليا...."².

هـ- الطريقة التيجانية والتمرد على الحكم العثماني بالغرب الجزائري:

1- نشأة الطريقة وتعاليمها: تأسست الطريقة التيجانية على يد أحمد بن المختار بن سالم التيجاني*، المولود سنة 1937م بعين ماضي**، مقر أسلافه المتأخرين، باعتبار أن جده الرابع عسيدي محمد بن سالم انتقل من قبيلة عبدة، إحدى قبائل الأحواز مدينة آسفي، مع أسرته بالمغرب الأقصى إلى بني توجين أو تجانة بعين ماضي، وتزوج منهم. فكانوا أخوالاً للشيخ أحمد التيجاني، وتعود كنيته "التيجاني" إلى أخواله.

يذهب أتباع الطريقة التيجانية إلى أن الشيخ أحمد التيجاني قد تم لها الفتح حينما كان في قرية أبي سمغون***، حيث ذكر أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً، وأخبره بعلو مقامه وأمره بترك جميع الطرق التي أخذها من قبل، وعين لها الورد الذي يلزم طريقته الجديدة،

¹- أبو عباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 111.

²- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 89.

*- أحمد بن المختار بن سالم التيجاني: تربي نشأ في وسط يشع بالعلم والمعرفة، فكان تقياً، متديناً، كريم الأخلاق، مقبلاً على الاجتهاد، وقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو ابن سبع سنوات. عكف على طلب العلم، فتلقى مبادئه على يد أساتذة أجلاء حتى نبغ في علوم الفقه والتفسير والحديث، رحل إلى نفاس سنة 1757م، لازم شيوخها الأجلاء، ومنهم الطيب الوزاني، ولما حصل على مبتغاه من العلم النافع، رجع إلى وطنه الجزائر، ينظر: علي حرازم ابن العربي بريدة المغربي، "جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التيجاني"، المكتبة التجارية الكبرى، ص 34.

** - عين ماضي : هي إحدى دوائر ولاية الأغواط حالياً، تبعد عنها بحوالي 60 كلم، وتقع غربها على حواف سلسلة جبال عمور. ينظر:

E.Mangim : « Notes sur l'histoire de la ghoutat » : **R. A** , N°37 Alger : Jourdan, 1861, p 385.

***- قرية أبي سمغون : تقع على بعد 120 كلم جنوب البيض، أنشئت على حواف جبل يدعى تميدة، ويمتد جنوبها الغربي جبل آخر يدعى جبل كانون. ينظر:

E.coyne : « Le Sahara de l'ouest », **R.A** , N°192 , Alger : Jourdan, 1889, p 49.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

وأمره بتلقيه للناس من غير خلوة . وبعد أن تمّ له الفتح، بدأ الناس يلتفون حوله، فكثّر مريدوه، وقصدته الوفود من جميع أنحاء الصحراء. وهكذا بدأت صفحة جديدة من حياة التّجاني، حيث أسّس طريقته عام 1782م، التي قام بتثبيت أركانها في مسقط رأسه بعين ماضي، واتخذها مقراً رئيسياً لها، وبدأ منذ ذلك الحين يدعوا لطريقته منتقلا بين عدة مناطق من الصحراء. ولنشرها عمد إلى تأسيس زاوية في كل مكان يحلّ فيه، كما جندّ المقدمين لطريقته، لدرجة أن السلطة العثمانية أصبحت تتخوّف من قوة ونفوذ التيجاني، فعدت عين ماضي ضمن أهداف بابلك الغرب.

تقوم الطريقة التيجانية على شروط وتعاليم وأذكار يمثل بها كل من يرغب في الانضمام إليها، ومن بين تعاليمها:

- الإلتزام بالأمور الشرعية.
- المداومة على الورد إلى الممات.
- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها.
- عدم زيارة أي من الأولياء، سواء الأحياء أو الأموات.
- ألا يجمع بين ورد شيخه وورد آخر.
- عدم التمييز بين الأجناس والأعراق واللون، إقتداءً بالحديث الشريف: " لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح"، لعلّ هذا يساعد الطريقة على إنتشارها في مناطق غير عربية، وخاصة في إفريقيا.
- خدمت الناس بكل أصنافهم، وهذا ما عرفت به الطريقة التيجانية منذ نشأتها، إذ لا يتأخر التيجانيون بتقديم الخدمات الضرورية لزوارهم ومحبيهم.
- الإبتعاد عن الخلوة وملازمة الذكر في الجماعة.
- أكل الحلال وكفّ الأذى، والإبتعاد عن الكذب والغش والمعاصي¹.

1-أحمد بن هطال، المصدر السابق، ص 51.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

فالطريقة التيجانية كما يرى أصحابها، إنها طريقة هداية إلى الله، وأداة التربية الروحية، ومحاربة البدع والعمل على إصلاح المجتمع، فهي متسامحة في تعاليمها، وذلك راجع لتبنتها بالشرع والسنة.

2- أبرز زواياها وأهم أوراها: يتوزع أتباع الطريقة التيجانية على عدة زوايا سواء في القطر الجزائري أو خارجه، فالتيجاني كان كلما زار منطقة، إلّا وبنى بها زاوية وعين لها مقدّمًا يأمره بنشر طريقته، فالتجانية عُرِفَتْ بِإِنْتِشَارِ واسع. فما هي أهم الزوايا التيجانية التي تقع في بابلك الغرب؟

❖ زاوية عين ماضي: تقع بناحية الأغواط، وتُعدّ الزاوية الأم للطريقة التيجانية. تأسست على يد الشيخ أحمد التيجاني، الذي اتخذها مركزًا لنشر طريقته، حيث توافد عليها عدد كبير من الناس للانضمام إلى الطريقة، والأخذ عن شيخها، الذي لقي إستجابة واسعة باعتبارها مسقط رأسه.

❖ زاوية تماسين: أسسها سيدي الشريف سيدي الحاج علي الينبوعي التماسيني، خليفة الشيخ أحمد التيجاني سنة 1799م، في ضاحية تُعرف بتملاحت وهذه الزاوية تشبه زاوية عين ماضي من حيث استقطا بها العدد كبير من المريدين.

❖ زاوية قمار: تقع غرب وادي سوف، ويُقال أن تأسيسها على يد سيدي محمود التونسي، لكن أهل وادي سوف يقولون أن مؤسسها هو سيدي محمد السامي القماري الصوفي، بأمر من صاحب الطريقة .ويوجد بهذه الزاوية من نفائس والتحف الشيء الكثير الهام.

- أمّا ما يخص أورا الطريقة التجانية، فهي محدودة وتشمل: الورد والوظيفة، والهيكلية.

• الورد: ويتمثل في الإستغفار بالله مائة مرة، والصلاة على الرسول ﷺ بأي صيغة كانت مائة مرة، ثم ذكر لا إله إلا الله مائة مرة، ويختم هذا الورد بالآية الكريمة¹ : إِنَّ اللَّهَ

1- عبد الرحمن الأخضر، "الرسالة القديسية"، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم: 2646، ورقة 46، ظ.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات.

وَمَلَأْنِيكَ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) "سورة الأحزاب،
الآية 56¹.

- **الوظيفة:** تُقرأ في اليوم مرة (صباحاً أو مساءً)، وإن قُرئت في الوقتين فهو أفضل، وتتضمن في قراءة الفاتحة، ثم الإستغفار بأي صيغة 30 مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق : مائة مرة أو خمسين مرة، والهيكل مائة أومائتين مرة، ثم جوهرة الكلام وهي مدح النبي صلى الله عليه وسلم 12 مرة، وهذه الوظيفة لازمة للطريقة.
- **الهيكل:** تذكّر مرة في الأسبوع، يوم الجمعة، ما بين صلاة العصر والمغرب، وهي قول لا إله إلا الله من 1000 إلى 1600 م².

3- تمرد التيجاني عام 1826:

أ- **مضايقات الحكام العثمانيين للتجانين:** منذ تأسيسها عام 1782م، شهدت الطريقة التجانية العديد من المضايقات من قبل السلطة العثمانية، بسبب المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها الشيخ أحمد التيجاني في الصحراء. وقد كان الحكام يشعرون بالخوف منه، مما جعل العلاقة بينهم وبين الشيخ تتسم بالنفور والعداوة، خصوصاً بعد أن انتشرت الطريقة بسرعة في المناطق الصحراوية ابتداءً من سنة 1783م، نتيجة لنشاط حركة التجارة عبر الواحات، والهدايا التي كان يقدمها التيجاني لأتباعه من المريدين، حتى صار نفوذه على سكان المنطقة مصدر قلق للدولة العثمانية، وهذا ما ترجمته لمضايقات متكررة على عين ماضي المركز التجاري لهذه الطريقة³.

عرفت الطريقة التيجانية أول حملة ضدها سنة 1784م، من طرف الباي محمد الكبير، باي الغرب الجزائري، وفي الظاهر كانت الحملة ضد الجنوب الصحراوي ككل، فبعد أن أخضع العديد من المناطق اضطره لدفع ضريبة سنوية، اتجه الباي إلى عين ماضي، وعند إقترابه من

1- سورة الأحزاب الآية: 56.

2- أحمد بن عبد الله سكريج، إزالة الستار عما في الطريقة التجانية من أسرار، المصدر السابق، ص 17-18.

3- أحمد الزهّار، المصدر السابق، ص 160.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

المنطقة شاهد أهل المدينة خيول وجيوش الباى تقترب أكثر فأكثر، فأحسوا بالفرع وأغلقوا أبواب منازلهم، وعلو الأسوار، معلنين الطاعة العمياء للباى¹.

يصف في هذا السياق، ابن هطال التلمساني نزول الباى عند عين ماضى قائلاً: " ثم أصبح مرتحلاً قاصداً عين ماضى، فوصلها في ثلاث ساعات، فلما رأى أهلها خيله قد طلعت، وجنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم، وطاشت عقولهم، وغلقوا الديار وعلوا الأسوار، وهم مصرخون بالطاعة وطلب الشريعة معلنون، فنزلت المحلة بقرب السور²."

عند نزول الباى، أصبح سكان عين ماضى مترددين في الخروج لمقابلته، وفي الأخير قرروا الخروج بنسائهم وعلمائهم، وفي مقدمتهم النساء حسب عاداتهم، لكن الباى طلب من العلماء التقدم، فحيوا الباى وتوسلوا إليه أن يشفق عليهم، فقبل طلبهم، وجعل لهم لزمة أقل من الأولى³، فدفَعوا له الخيول الخدم والمال، وأكملوا له ما تبقى من اللزمة في اليوم الموالي، كما فرض عليهم ضريبة سنوية تقدر بـ 188 ريال⁴.

لم يدم خضوع المنطقة طويلاً، فاضطر الباى إلى توجيه حملة ثانية عليها سنة 1784م، بعد أن ذاع صيت الطريقة وزاد عدد أتباعها، فاعتبره الباى تهديداً لنفوذهم في بابلك الغرب، لذلك حاول الباى الحد من نفوذها بتشديد الحصار وإرهاق السكان بالضرائب⁵.

نتيجة الضغوط المتزايدة، التي تعرض لها الشيخ أحمد التيجاني ارتحل إلى فاس، برفقة تلاميذه وأولاده، ولما وصلوا علم السلطان ومنح له قصراً يُعرف بـ"قصر المرايا"، ورتب له كل ما يكفيه⁶. وأعلم السلطان أن السبب الذي جعله يخرج من الجزائر، هو جور العثمانيين وظلمهم.

1-Rinn Louis : op.cit ; p 419.

2- ابن الهطال التلمساني، المصدر السابق، ص 72.

3- المصدر نفسه، ص 73.

4-Rinn Louis : op.cit ; p 420.

5- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص 120.

6- الطيب سفياني، "الإفادة الأحمدية"، تع: محمد الحافظ التيجاني، ط.2، القاهرة [د.ن.ش]، 1979م، ص 88

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

وفي هذا السياق، يشير الزهار قوله: " وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي، والأواخر صاروا يخرجون المحلات لإستخلاص المغارم والظلمات، ونهب أموال المسلمين وما وقع هذا، حتى صار الناس فجاراً، والأمراء ظالمين"¹.

بالرغم من غضب التيجاني، إلا أنه طلب من سكان عين ماضي الخضوع لسلطة وراه ودفع ما تستحقه، فلم يطلب من أتباعه التمردّ ضدها بقوله لهم: " أمر الباي معكم فأسمعوا من النصيحة ... فسيرو إليه في البلاد وأعطوه ما تقدرون عليه من المال ولا تقاتلوه فإنه لا خير لكم من قتالة"². وهذا يدل على أن التيجاني كان يرفض أي مواجهة مع العثمانيين إقتصاداً للأرواح وحقناً للدماء.

ب- تمرد التيجاني 1826:

✓ تحالف التيجاني مع قبائل الحشم: عزم الشيخ محمد الكبير على التأثير من الحكّام العثمانيين الذين كانوا قد ضايقوا والده من قبل، ونهبوا بلدة عين ماضي في عهده، واستمروا في محاربة الطريقة التيجانية وإضعاف نفوذها. وبهدف تنفيذ خطته، سعى إلى كسب تأييد القبائل المعارضة للسلطة العثمانية، مثل بني عامر، والبرجية، والزماله، غير أن هذه القبائل رفضت الانضمام إليه، خوفاً من الهزيمة، نتيجة شكّها في مدى قوة الشيخ التيجاني. غير أن الشيخ وجد الدعم لدى قبائل الحشم، الذين قبلوا التحالف معه، خاصة بعد أن أقدم الباي حسن عام 1826م على قتل زعمائهم، وعددهم أحد عشر، في ضيافة كان قد أعدّها لهم بعد أن ساوره الشك في ولائهم. وقد عمّق هذا الحدث شعور الحشم بالعداء تجاه الباي، فكاتبوا الشيخ محمد الكبير، وحثّوه على القدوم إليهم، ووعدوه بأن ينخرطوا تحت قيادته لمحاربة الباي حسن.

✓ حصار التيجاني لمدينة معسكر ونهايته : زحف الشيخ أحمد التيجاني سنة 1826م، من عين ماضي متّجهاً إلى معسكر على رأس 6000 رجل من عين ماضي وعدد آخر من العرب الصحراوية، ومن انضم إليه من الحشم ولما وصل دخلها من حومة بابا علي³ ثم

1- أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 35.

2- أحمد بن الحاج سكيبرج العياشي ، كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب ، المصدر السابق، ص 404.

3- محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص 242..

خرج منها وتوجه إلى غريس موطنه قبائل الحشم الذين تحالفوا معه، وبذلك تمكن من جمع عدد كبير من المقاتلين ساعدوه بالحومة الغربية وهي حومة العرقوب فحاربه سكانها ومات من الطرفين خلق كبير، ثمَّأولَى سكان باقي الأحياء طاعتهم حتى يتجنبوا ما حصل لسكان الحومة الغربية، وانتقل بعد ذلك إلى خصبة على الحومة القبلية ، وأخذ يهدد ويرادو الممتنعين عنه في قلب المدينة ¹.

بينما كان التيجاني يحاصر مدينة معسكر بلغ خبره الباي وهرانحسن بن موسى فخرج إليه هذا الأخير صحبة جيش قوي ونزل بقرية الكرط، ثم اتَّجه نحو التيجاني بخصيبيّة الهائلة، فتخوف من جيشه الكثير ² لكن أصحابه هَوَّنوا عليه الأمر فالتحم الطرفان في معركة كبيرة بمكان يدعى عواجة بأولاد رحو ³ وتمكن الباي من هزيمة التيجاني بعد انسحاب قبيلة الحشم التي تخلَّت عنه مع الكثير من أفراد جيشه الذين أتوا معه ولم يبق معه سوى 300 من أعراب زكور ⁴ بينما يرى مارسيل إيمريت (MARCEL EMERIT) بأنه بقي معه حوالي 400 رجل قتلوا معه ⁵.

وبخصوص إنسحاب قبيلة الحشم يرى الزياتي في رشوة الحشم واشتراهم بالمال إذ يقول في هذا المقام ويقال: " أنَّ الباي أعطى لأعيان الحشم وكافة العرب أموالا كثيرة فأوقعوا الهزيمة وفروا عنه وتركوه في جيشه الخاص به منفردا " ⁶. ورغم الخيانة التي تعرض لها التيجانيون إلا أنَّها صمدوا ولم يتراجعوا فقد عقل التيجاني وأصحابه أنفسهم كما يعقل الإبل وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم " ⁷. ويقول الشريف الزهار كذلك في مذكراته: " قاتل التيجانيون قتالا شديدا إلى أن قاتلوهم عن آخرهم فقطعوا رؤوسهم، وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس، وبعثوا برأس الحاج محمد ولد التيجيين ومعه بعض الرؤوس الأخرى إلى الجزائر ... وأتوا بسيفه وبعض الحجابات التي كانت

¹ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 356.

² - محمد بن يوسف الزياتي ، المصدر السابق، ص 356.

³ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 359.

⁴ - المصدر نفسه، ص 359.

⁵ - Marcel Emerit l'Algerie a l'Epoque d'Abd El kader présentation de René Gallissot, Alger ; Edition Bouchene , 2002, p204.

⁶ - محمد بن يوسف الزياتي ،المصدر السابق، ص 242..

⁷ - أحمد الزهار ،المصدر السابق، ص 160.

:.....المؤسسات الثقافية لبابك الغرب على ضوء المخطوطات.

عليه ... وجعلوا رأس ولد التيجيني في عمود وصلبوه ... وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله ... " وبهذا تم إخماد تمرد التيجاني الذي انتهى بمثله¹.

ج- نتائج تمرد التيجانيين: لقد نجم عن تمرد الطريقة التيجانية عدة نتائج نذكر منها:

- سقوط العديد من الضحايا وعلى رأسهم محمد الكبير التيجاني ومن معه، والذين قتلوا بأبشع الطرق.

- إتساع الهوة بين السلطة العثمانية وشيوخ الزوايا، كما ساهمت في توتر العلاقة عموماً بين الحكام وزعماء الطرق الصوفية، إذ صار رجال السلطة يتعاملون بحذر شديد ويتتبعون أخبارهم وتحركاتهم فلقد أقدم الباي على قتل الكثير من شيوخ الزوايا والعلماء، فقتل ولي الله الحاج محمد بوشياخي وعلقه على خشبه بوهرا، ثم توجه بجيش عظيم إلى زاوية الشيخ بلقندوز الوهراني وليس عند هذا الشيخ الضرير سوى طلبة قراءة القرآن وقال مثل هذا لا يثور علينا ورجع ثم غزا ثانية وقتله خنفاً عام 1829.²

- ضعف السلطة المركزية وفشلها في التصدي للهجمات الأجنبية المتكررة على الجزائر، عموماً، وبابك الغرب بالأخص، وخاصة الحصار الفرنسي الذي فرض على البلد منذ 1827م.

- هجرة العديد من أتباع الطريقة إلى الخارج خاصة نحو المغرب الأقصى.

- أدت هذه التمردات إلى تردي الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، كما أضعفت القدرات البلاد الحربية، وهذا ما سهل سقوط الجزائر فريسة سهلة بيد الفرنسيين سنة 1830م³

وبالرغم من أن حركة تمرد التيجانيين لم تحقق أهدافها، فإنها تعد بحق إنتفاضة شعبية ضد الظلم والقهر اللذين كانت تعاني منهما الأرياف الجزائرية في أواخر العهد العثماني. وقد عبرت هذه الحركة بعمق عن حجم التعاسة والبؤس اللذين عاشتهما الرعية في تلك المرحلة.

¹ -Marcel Emerit, op.cit, p 204.

² - الآغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ص 361-362.

³ - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 38.

ثالثا - المدارس:

1-المدارس لغة: مشتقة من درس، يدرس، دروسا، ومنه درست أي قرأت وتليت والمدرسة من الدراسة الرياضة، ومنه درست السورة أي حفظتها، ويقال سمي إدريس عليه السلام لكثرة دراسة كتاب الله تعالى، والمدراس والمدرس، الموقع الذي يدرس فيه، والمدرس الكتاب والمدراس الذي قرأ الكتاب ودرسها¹.

2- إصطلاحا: ظهرت المدرسة بعد أن اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية، واتصل المسلمون بحضارات شعوب أخرى غير إسلامية واحتكوا بها، ويعتقد بعض المؤرخين والباحثين في مجال الحضارة الإسلامية أنها إبتكار سنيّ ومنهم من يعتبرها استحداث شعبي، ويرى الحافظ أبو رأس الناصري أن المدرسة هي التي تبنى لدراسة العلم، أي تعليمه وتعلمه".

ظهرت المدارس نتيجة لعجز المسجد وحده عن إستيعاب مهام التعليم وتلقين العلوم، مما دفع المسلمين إلى تأسيسها وتطويرها لتكون مؤسسات علمية مستقلة تكمّل دور المسجد، وقد جرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد، وعمت وظيفتها تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية². كانت مدارس بابلك الغرب مخصّصة لإلقاء الدروس وعرفت بانتشارها في المناطق الحضر، حيث لا يخلو حي من الأحياء منها ولا قرية من القرى، والريف وكان الأوقاف دورا هاما في إنشاء مدراس لنشر التعليم.

كانت إهتماماتها إستظهار كتاب الله العزيز وتعلّم الحروف الهجائية بواسطة الصلصل والقلم والقصب وطريقة التعليم في الألواح الخشبية بحيث كان لكل تلميذ لوحته الخاصة به حتى تسهل عليه كتابة القرآن وحفظه وبعد الحفظ يقوم بترتيلها على مسامع شيخه³.

¹ - ابن منظور، المصدر السابق، مج.1، ص 968.

² - ابن مريم، المصدر السابق، ص 288.

³ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، المصدر السابق، ص 12.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

أصبحت الحاجة في بابلك الغرب ملحة إلى إقتباس العلوم والمعارف المتنوعة والإستفادة من مختلف المعارف والظروف لحياة المسلمين الأمر الذي فرض إنشاء هذه المؤسسات وإنتشارها، فقد اشتهرت المنطقة الغربية خلال العهد العثماني، بمدارسها التي كانت تقدّم تعليمها في المستوى الثانوي، حيث تتميز المدارس عن الزوايا في طابعها التربوي الذي يبتعد عن جوانب الزهد والتصوّف الذي عرفته الزوايا وحصر إهتمام المدارس في تعليم مختلف العلوم الأدبية والدينية¹.

إلا أن البابلك الغربي لم تكن تملك حواضره سواء وهران أو مازونة أو معسكر وغيرها جامعات أو مدراس بالمفهوم حاليا بل الدروس كانت تقدم في المساجد الكبرى وزواياها تضاهي أو تفوق مستواها في بعض الأحيان، دروس الجوامع الكبرى في بلاد المشرق، كالجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين، وهذا راجع لنوعية الدروس التي يقدمها الأساتذة الذين كانوا من المستوى العالي منهم سعيد قدورة، أحمد بن ناصر، وأحمد التليلي، فوهران اشتهرت² بعدة مدارس أهمها مدرس الخنقة بخنق النطاح، التي صنّفت من المدارس بالجزائر خلال الفترة العثمانية، إلى مدرسة خاصة مهتمة بالعلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره والشرح والحديث ويعلم الفقه والتوحيد والنحو، فهي تنتسب إلى مؤسسها أحمد بن ناصر 1171م ، وإشتهر خريجها أحمد التليلي وخليفة بن حسن ولها إسم آخر وهو الناصرية، ومن نفس صنفها مدرسة مازونة التي تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية للبلاد يدرس فيها العلوم الطبيعية والتجريبية وعلم الفلك والحساب والطب وعلم الصداية، وغيرها هذا بجانب العلوم الدينية بالدرجة الأولى³.

نجد في تلمسان مدرسة بومدين والمدرسة التاشفينية وغيرها ونجد في غرب الجزائر إسهامات الباي محمد الكبير في تدعيم النشاط الثقافي، حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر من طرفه، لتصبح من أكبر مدارس البابلك وقد كانت هذه المدرسة بجانب الجامع الكبير وقد أشار

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 58.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 265-266.

³ - أبو رأس الناصر، عجائب الأسفار...، المخطوط السابق، ورقة ، 5، ظ.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

إليها أبو رأس الناصري في حديثه عن المدارس فقال فهي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها¹.

وكانت هذه المدرسة تقدم مختلف علوم آنذاك من فقه ونحو وتوحيد وتاريخ وغيرها ويقال أن أول مدير لها كان سيدي بن عبد الله ومن جملة أساتذتها : سيدي الطاهر بن حوا²، سيدي بوجلال³، حيث كانت هذه المدرسة بدورها كانت محطة توافد الطلاب والمتعلمين، فتخرج منها العديد من حفاظ القرآن الكريم، وطلاب العلم⁴.

ولتتبع مراحل الدراسة نأخذ الشيخ مصطفى بن زرفة، وسيدي بن يخلف كنماذج:

3- مراحل دراسة مصطفى بن زرفة

أ- نسبه: هو الشيخ مصطفى بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المدعو دحو زرفة، نسبة إلى أمه زرفة والمشهور بهذه التسمية عبد الرحمن بن عثمان بن عيسى.

ب- مولده: ولد مصطفى بن عبد الله الدحاوي برأس العين وبزاوية جده سيدي دحو، حيث امتلأت خيمة والديه نورا تلاً، وبدرا من بدور السماء حلّ بهذه الخيمة وهي في الحقيقة خيمة الخير والبركة.

3-1- الدراسة وطلب العلم: لم يكد يبلغ سن الفتوى حتى ألم بجوانب من العلم وبلغ درجة في الفهم والإدراك، فاستأذن والده أن يسافر من رأس العين إلى مدينة معسكر ليلحق بالعالم الجليل

¹ - أبو رأس الناصر، عجائب الأسفار...، المخطوط السابق، ورقة 6، و .

² - الطاهر بن حوا: الطاهر بن حوا ينتمي إلى عائلة بن حواء المنحدرة من منطقة البوازيد. كان شاعراً شعبياً ومن كبار علماء مدينة معسكر. اشتهر بكونه من مناصري الأمير عبد القادر، وقد نظم قصائد عديدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. تولى منصب القضاء في معسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير. ينظر : محمد الأمين بلغيث وآخرون ، المرجع السابق، ص 109.

³ - سيدي بوجلال: سيدي بوجلال هو العلامة محمد بن عبد الله بن موفق، المعروف أيضاً بـ أبي جلال. نشأ في معسكر، ثم انتقل إلى فاس بالمغرب، حيث تلقى العلم على يد علمائها. بعد عودته، عمل بالتدريس، وتخرج على يديه عدد من العلماء منهم أحمد بن سحنون ومحمد بن حواء بن يخلف.. ينظر: تقي الدين بوكعير، مجموع الميسر لمدينة الأنساب والتراجم بفضاء الراشدية معسكر، ط.1، دار السادة المالكية، الجزائر، 2022م، ص 248.

⁴ - لحرش عبد القادر، المخطوط السابق، ورقة 02، ط.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

الذي¹ طار ذكره في آفاق أبي رأس الناصر، تتلمذ عليه وسأله الإجازة، فكان مطلبه مرغوباً، وكان مصطفى بن عبد الله من أهل الفضل والكمال وأصبح من أهل العلم والإفادة وإحياء ذكرى الإسناد والرواية، قاصداً أن يروي جميع ما أخذه عن العلماء في القديم والحديث، وقد تتبّع أثناء دراسته ما أوصاه به شيخه فكان أهل التحمل والأداء ومن أهل الإتيان والافتداء، وتقوى الله تعالى في السر والعلانية من أتباع أهل السنة والجماعة، والإبتعاد عن طريق أهل البدع والضلالة².

عاد ابن زرفة من رحلته الطويلة والتي أمضى بها زمناً طويلاً في الدراسة إذ كان الحكم آنذاك للدولة العثمانية³ وولّى منصب القضاء، و ذلك لما رأوه على صلة وطيبته بأقرانه ومشايخه وأهل منطقته، كما عرف بالتقدير من علماء منطقته، وقد سمع لدروسه علماء المنطقة الغربية أثناء سفره، حيث أفاده واستفاد ...⁴.

ولما رأى فيه محمد بن عثمان تلك الخصال الحميدة، وتعرّف على علمه ونسبه، أسند إليه منصب كاتب الإمارة (الباي)، كما كلفه بمهام أخرى، من بينها مساعدة رباط وهران في حصار الإسبان، والتدريس بالمدرسة المحمدية التي كان يديرها محمد بن عبد الله بن أبي جلال، في إطار استكمال العدة العلمية لهذه المؤسسة. وقد وجد بها آنذاك عدداً من الأساتذة، منهم محمد بن حواء بن يخلف، وأحمد بن سحنون، اللذان كانا يُدرّسان بها. ثم تعهد مصطفى بن عبد الله بتنفيذ مختلف المهام النضالية المرتبطة بهذه المرحلة، بعد أن تم فتح وهران⁵.

عين مصطفى بن عبد الله الدحاوي قاضياً بها، ومن آثاره العلمية تأليف 'الرحلة القمرية في السيرة المحمدية' وكتابة 'الإكتفاء في حكم جوائز الأمراء'. وتوفي وهو في ريعان شبابه نتيجة عاصفة رفع الوباء الجارف، وذلك في التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة عام 1215هـ.

¹ - مصطفى بن عبد الله الدحاوي، الرحلة القمرية ...، المخطوط مصور بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 3322، ورقة 4، ظ.

² - مصطفى بن عبد الله الدحاوي، المخطوط السابق، 05، و.

³ - نفسه، ورقة 7، و.

⁴ - نفسه، ورقة 7، ظ.

⁵ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر ...، المرجع السابق، ج.2، ص 236.

4- دراسة سيدي بن يخلف

أ- مولده: ولد بن يخلف سنة 1007هـ بمنطقة الراشدية وفي مكان يدعى عين الحجر وتسمى الحجر الأبيض، فأمه رقية بنت سيدي عبد الله.

ب- نسبه: سيدي بن يخلف بن علي أحمد بن سعيد بن أحمد الزحاف بن أحمد بن يخلف بن علي بن يحيى بن راشد بن فرقان¹.

ج- دراسته: تلقى محمد بن يخلف تعليمه في زاوية والده، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والحديث والتفسير على يد شيخ من سجرة. برع سيدي بن يخلف في العديد من الفنون، لاسيما قراءة القرآن الكريم ودراسة رسمه، بالإضافة إلى حفظ عدد كبير من الأحاديث النبوية. وقد نبّه عليه شيخه سيدي بن حليلة السجاري وأطلق عليه لقب 'إمام الوجود' و'شيخ التعديل'. كما عرفه شيخه بالمحدث والفقيه المتطلع في الفنون هذا جزء من شهادة شيخه بن حليلة².

سافر سيدي بن يخلف إلى رأس العين، التي تبعد عن مدينة معسكر بحوالي خمسة كيلومترات، ليتابع دراسته عند الشيخ عبد الرحمن المدعو سيدي دحو بن زرفة، وهذه القبيلة كانت ذات شهرة كبيرة في العلوم. نزل سيدي بن يخلف في المنطقة المسماة رأس العين أو رأس الماء، فأمضى سريعاً في دراسة النحو والتوحيد والحديث والفقه وعلم الحساب. وعندما لاحظ شيخه، أحبه كثيراً عن أقرانه، وبعد ذلك عُيّن في منصب أمين على الطلبة، لقد كان لسيدي بن يخلف سيرة خاصة، حيث كان كاتم سر شيخه وسر طلبته، ألمّ بجوانب العلم وبلغ درجة في الفهم والإدراك، كان فصيح اللسان، حسن الحديث، كان من أفضل الطلبة حفظاً للقرآن الكريم، وأسرعهم فهماً وتفوقاً في مسائل النحو المعقدة.

¹- بن الأعرج السليمان بن محمد ، تقييد في تاريخ وانساب غريس، مخطوط مصور بالمكتبة الشيخ بوكعب بلقرد، معسكر ورقة 10، ظ.

²- المصدر نفسه، و 11-12، و، ظ.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

يعدّ من العلماء المحقّقين، لقد كان يؤلف ما حقّقه عن شيخه ويجري التجارب الشخصية على الفنون التي يدرسها، لقد حفظ الصحيحين¹، وأتم شرح البخاري على يد شيخه سيدي عبد الرحمن، أكرمه الله تعالى بمواهب جليّة وصفات كريمة عظيمة، حتى كاد أن ينفرد بهذه المواهب في زمانه، إذ لم يدر أحد من فضله وعلمه ممن عاصره، فقد فاق غيره بمكانته ومواهبه العلمية، وظهرت مكانته العلمية في عدة مخطوطات، حيث يقول عنه شيخه عبد الرحمن في تأليف مسمى : "ياقوتة المرجان" والذي أكد فيه أن ابن يخلف كان من أفقه التلاميذ، وأنه أفضل زمانه في العلم والمعرفة والأخلاق، إنه الإمام الصوفي الصالح العابد، له العلم والحكمة وله معرفة كاملة في طريق الصوفية².

ساهم بشكل إيجابي في نشر العلوم وإشاعة المعارف والأدب بين الناس، كما اتبع طريق القادرية، فذاع صيته وقصده طلاب العلم من كل حذب وصوب. تولى عدة مهام، من أهمها المحاضرة التي كان يتوجه إليها الناس من مختلف الأفاق ليستفيدوا من علمه. وفي النهاية، اقتصر على التدريس والتدوين، مع تكليف تلامذته بنسخ تأليف حيث يقول تلميذه أحمد أبي جلال: " الحمد لله وحده وصلى الله عليه وسلم سيدنا محمد وعلى آله، أعلم العلماء المتحدثين أبلغ البلغاء المتشرعين، حاوي فضائل المتقدمين والمتأخرين ... هذه المراسلة إلى شيخنا سيدي بن يخلف بن يخلف بن علي بن محمد عليه ألف سلام، لقد وصلت ياشيخ سيدي بن يخلف والحمد لله، وكتب هذه الرسالة أحمد بن أبي جلال المشرقي يوم 12 جمادي الثانية 1089هـ³

وفي تأليف أبو الحسن علي البوري الذي سماه : "الجوهرة الكبرى، حيث يتضمّن هذا التأليف أشراف وأعيان منطقة غريس "فإن مكانة سيدي بن يخلف الصالح العلمية حيث أكرمه الله تعالى بمواهب جليّة وصفات خاصة كريمة فاق غيره بملكاته الوهابية ومواهبه العلمية، إنه انتهل من علوم مشايخه، وقد يعتبر هذا الشريف من أفقه التلاميذ وأنه أفضل أهل زمانه في العلم والمعرفة

¹ - ابن الأعرج السليمان بن محمد ، المخطوط السابق، ورقة 17، ظ.

² - محمد بن حواء، المخطوط السابق، ورقة 18، و .

³ - نفسه، ورقة 18، ظ .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

والشرف، وقد ازدادت مجلسه بعد عودته، زمانه في العلم، حيث أنهم جاءوا يأخذون عنه ما يليقهم عليهم من الآداب والحكمة ويسجلون ما يروه عنهم من الموعظة الحسنة، وقد أخذ عنه حشد كبير من المسلمين في زمانه¹ ومن تراثه الفكري يقول: " الحمد الله الذي جعل الفقراء حلية أوليائه ونورهم بأنوار معرفته ورحمته، وفجر ألسنتهم ينابيع حكمه وطهرهم من الناس... لقد قيدت الكلام ورتبت الأفكار والألفاظ وخسرت معناها، وكان الفراغ منه يوم الثلاثاء بعد العصر قبل المغرب بعد ستة عشر من ربيع الأول عام 1086هـ وكتبها الفقير بن يخلف بن علي أحمد² .

وافته المنية يوم الثاني من شهر ذي القعدة 1099 هـ، ودفن بجوار جده سيدي يخلف الكائن بجبل الرقوبة، وحضر جنازته من الأهالي وصلى عليه العلامة سيدي أحسن بن دحو بن زرفة³ .

5- دراسة الشيخ محمد البيدي:

أ- نسبه ومولده: هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحاج البيدي التلمساني، يرجع نسبه كما ذكر الشيخ أبو رأس إلى الشيخ أحمد بن الحاج المناوي، وهو أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي أصلاً الورنيدي مولداً وداراً⁴ . وقد بدأ بن مريم بستانه بترجمة جده، وهي ترجمة حافلة من ص 69 الى 90 فهو من بيت علم وجاه وشهرة وصلاح، ولد في القرن الثاني عش، فهو معاصر لشيخ الجماعة المشرفي الذي توفي في 10 رمضان 1192هـ أنهى حاشيته على الخرشي في 6 شعبان 1179هـ.

تلقى الشيخ العلم على يد مشايخ مصر، غير أنه لا شك في أنه تعلم مبادئه الأولى على يد والده، أو أحد أقاربه من بني عمومته، أو أحد علماء منطقته ومشاهيرها، ويذكر أبو رأس الناصري شيوخه المصريون على رأسهم الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان (1718هـ/ 1776م) قال عنه خير الدين الزركلي: " محمد بن عبد الكريم المدني الشافعي الشهير بالسمان صوفي فاضل من

¹ - سيدي محمد بن عبد الجليل بن عبد العظيم، الجوهرة الكبرى ، المخطوط السابق، ورقة 11 ، و .

² - سيدي محمد بن عبد الجليل بن عبد العظيم ، المخطوط السابق، ورقة 9، و .

³ - بن الاعرج السليمانى محمد ، المخطوط السابق ، ورقة 12، و .

⁴ - ابن مريم التلمساني ، النسيان...، المصدر السابق، ص 69.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

أهل المدينة، بالإضافة إلى الشيخ محمود الكردي الخلوتي (ت 1780م)¹ حيث قال عنه الجبرتي ما نصه : " توفي شيخنا الإمام العراف كعبة كل ناسك عمدة الواصلين وقدوة السالكين ، صاحب الكرامات الظاهرة والإشارات الباهرة شيخنا وأستاذنا الشيخ محمود الكردي الخلوتي... تنزل عليه الأسرار وسطعت على عزته الأنوار وأفيض على نفسه القدسية وأنواع العلوم الدينية ..."². درس بحاضرة العلم والعلماء مدينة تلمسان، إضافة إلى قيامه بمهمة التدريس، أسند إليه منصب القاضي وشيخ الإسلام بتلمسان، ما يعكس مكانته العلمية الرفيعة المموقة.

وحسب ما ذكره أبو رأس الناصري فإن حلقة علمه ودرسه كانت مفتوحة لكل الناس العوام قبل طلبة العلم، حيث قال : ألحق عوام تلمسان بالفقهاء، وسفائهم بالنزهاء "، وهذا ما يعكس نبوغه وتفوقه في التدريس .

ويقول: سمعت في درسه فوائد، وأهدى لتلامذته موائد، ولا سيما في علم المعقول، فما لأحد مثله فيه محصول. ويبدو أن الشيخ كان يتوجه إلى العلماء لتقريب الكتب، فقد قرّط كتاب الشيخ معطى الشرقاوي الموسوم بـ ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج، فقال ما نصه: " الحمد لله الذي أقام الدين بعلمائه، وشيّد أركانه بأوليائه وأحبائه وكرمائه أما بعد فإنني طالعت هذا المجلد من أوله ووسطه وآخره فوجدته محتويا على تحقيقات فائقة ونكت راقية، ومعاني شريفة تافقة، والسلام على محبكم ومقبل التراب تحت أقدام سائلا: صالح الدعاء له ولذريته، محمد بن عبد الرحمن بن الحاج البيدي"³.

قال عنه أبو رأس شيخنا العارف الرباني والهيكل الصمداني، والشيخ محمد بن عبد الرحمن التلمساني، القاضي الذي يطيب للخصماء به التراضي، عالم تلمسان وعاملها وقاضي الجماعة بهاجمع متفرقات العلوم ومجهولها عنده كالعلوم، ذو عفة وصيانة، أخذ من البعيد والقريب كالشيخ

¹ - الزركلي، المصدر السابق ، ص 216.

² - عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج.3، المصدر السابق، ص 64.

³ - محمد المعطي الشرقاوي، سفر الإجازات والمرائي، تح: عبد المجيد بوكاري، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، 2008م، ص 74.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

السمان ومحمود الكردي، وغيرهما ممن لهم تفصل مجاملة بعلمي المكاشفة والمعاملة، حتى فتح مختومها، وأتقن معلومها وأوضح أشكالها وحل أفعالها ...¹.

فهو فريد في زمانه، وحيد في ألوانه، وعلامة من علامات هذا العصر. سمعت في درسه فوائد جمّة، وأهدى لتلامذته موائد علمية، ولا سيما في علم المعقول، الذي لم يكن لأحد مثله فيه محصول. ألحق عوامّ تلمسان بعلمائها، وسفهاءها بالفضلاء النزهاء - رحمه الله تعالى - وبرعته تولاها، وألحقه بالحرمين الشريفين. وقد خرج من مسجده أكثر من ألفي طالب، فضلاً عما خطّ من الورق الوريق والرقّ الرقيق...².

وإن كنّا لا نعلم يقيناً متى توفي محمد بن عبد الرحمن لكن الأكيد أنه توفي بعد سنة 1179هـ تاريخ تبييضه لحاشية على الخرشبي، والأكيد كذلك أنه توفي بالحجاز لكن لا يعلم أين بالضبط هل مكة المكرمة أو المدينة المنورة؟

ب- مدرسة مازونة الفقهية من خلال المخطوط:

1- تعريفها: لقد عرفها أبو رأس الناصري بقوله: " المدرسة المتعارف عليها عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلّمه³. وقد نشأت هذه المدرسة في سنة 1029هـ، على يد الفقيه محمد بن الشارف البلودي⁴ من ماله الخاص ودرس بها حوالي 64 سنة إلى غاية وفاته سنة 1164م، وقبره معروف وموجود بها، عليه قبة تعرف باسمه قبة ابن الشارف البلودي تميّزت المدرسة الفقهية المالكية العريقة بمجالسها ونجابة طلابها وقريحة شيوخها وعلمائها الأجلاء، وبثراء إنتاجها العلمي وزخمها الفكري، ونجابة منهاجها، حيث سلكت مسلك التلقين والتحفيظ في

¹ - أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار، المخطوط بمخبر شمال افريقيا ، جامعة وهران، ورقة 13، ظ.

² - محمد بن الحاج البيدي، تنوير قلوب اهل التقوى بنسب سادات غريس الموسومين بالمشارف ، المخطوط متوجد بمكتبة بلقرد بوكعير ، معسكر ، ورقة 16، و.

³ - أبو رأس الناصري ، عجائب الأسفار ...، المخطوط السابق، ورقة 25، و .

⁴ - محمد بن الشارف البلودي: هو من النازحين الأندلسيين. يُعرف بأنه مؤسس مدرسة مازونة، حيث استمر في التدريس فيها لمدة 46 عاماً حتى وفاته عام 1750م. ينظر : غاطمة غانم ، "عبد القادر بوباية ، مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية" ، مجلة العصور الجديدة ، وهران ، ع.23، 2016م، ص 387.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

الفقه وأصوله ومسلك التسميع والتلقين والإجازات في الحديث وعلومه لتحصيل مقاصد الإطاحة وفروع المذهب وتحدث عن مازونة¹ ومدرستها جل أصحاب المخطوط فقال عنها المشرفي:

مازونة خير القرى *** وأهلها خير أناس.
لم تلق فيها جنيًا *** إلا كريمًا أو مؤاس².

2- أشهر من توافد على هذه المدرسة العريقة:

من أشهر العلماء والشيوخ الذين توافدوا على المدرسة، الشيخ محمد بن عبد المؤمن، المعروف باسم مصطفى الرماصي، والشيخ محمد بن علي السنوسي المجاهري مؤسس الزاوية السنوسية، والشيخ محمد بلقندوز المستغانمي، والشيخ أبو رأس الناصري، كما تتلمذ على يد العالم الفقيه المازوني النوازي عدد من كبار فقهاء القرن العاشر الهجري، من بينهم العلامة أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، صاحب: "المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والمغرب"، الذي ترك سيرة حسنة وعلماء ينتفع له إلى اليوم.

وما يبرهن على أهمية المدرسة الفقهية ماجاء على لسان أبو رأس لناصر الذي قال: "سألني الشيخ محمد بن لبته عن وجهتي فقلت له ذاهب إلى مازونة قال: لم؟ قلت لقراءة الفقه فقال: والقرآن؟ فقلت له نعرفه بأحكامه وأنصاه، ومايتعلق به فحفظت في مازونة مختصر خليل، وفهمته معنى ولفظا في عامي الأول ثم قرأت للطلبة الفرائض³.

وتتلمذ على يد الشيخ العلامة الناصر محمد بن قندوز المستغانمي الذي تتلمذ عليه محمد بن علي السنوسي المستغانمي بعد أن حفظ قدرا من كتاب الفقه على يد كفيته عمته فاطمة في بوقيرات، وكان هذا العالم الفذ سيدي محمد بن القندوز قولا للحق فقتله الباي حسن، مما أدى إلى

¹ - مازونة : بلدة قديمة اسسها الرومان ، هكذا يقول المؤرخ الإسباني مارمول ، الذي جال في المغرب خلال القرن السادس عشر ، ويعتمد في هذا التعريف على وجود الآثار الرومانية واللوحات المنقوشة ، وتعني كلمة مازونة الرجال الأقوياء. ينظر : حمدادو ابن عمر ، الشقائق النعمانية في الشرح الروضة السلوانية في علم الصيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2010م، ص 61.

² - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ص 285.

³ - أبو رأس الناصري ، فتح الإله ومنته ، المصدر السابق، ص 20.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

هجرة السيد السنوسي الكبير الفقيه محدد سيرة محمد بن عبد الوهاب بالغريب في ليبيا والجزائر
وتشاد والصحراء الكبرى¹.

اعتنى أهل المدينة بالعلوم الدينية ومختلف فروعها حيث، كان الفقه أساسها، كما زاد
الإهتمام بحفظ القرآن الكريم، والأحاديث والبحث في مسائل أصول الفقه واهتموا بالتفسير وحفظه،
ورغم الحوادث التي مرت بها المدينة عبر العصور التي هزت استقرارها إلا أنها لم تدع قط من
عاداتها خاصة، في الجانب الديني. وبقيت قبلة العلم ومقصد الطلبة وقطب العلماء، فساد التأليف
مع صاحب: " الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، ليحي بن أبي عمران المازوني، وعمل على
ترجمته العلماء وصلحاء المنطقة ...².

إذا رجعنا إلى معنى المدرسة الفقهية المالكية، فهي تعود إلى الإتجاه الذي سلكه الإمام مالك
ومن تبعه في التشريع، وهي بهذا المعنى تشمل كل المنتسبين للمذهب المالكي لذلك يعتبر الفقه
المالكي مادة أساسية في التدريس بمدرسة مازونة التاريخية، بدليل ما ذكره أبو رأس الناصر: "...
ثم انصرفت من مازونة وقدمت إلى أم عسكر، ما معي شيء من المال ولا غيره سوى معرفة الفقه
وحده ... وقول الشيخ مصطفى الرماصي³: لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة
رسول الله إذا به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام.

يذكر أبو رأس الناصري أنه قضى في المدرسة ثمانين سنة، بين الدراسة والتدريس، حيث
ذكر أنه تتلمذ فيها، ونقل عن علمائها العلم، حيث كان لهم الأثر الكبير في مسيرته العلمية
والثقافية وتحصيله وتأليفه، وذكر أن أبرز مدرسيها كان والده الشيخ أحمد ثم الشيخ محمد بن
مولاي علي بن سحنون قاضي معسكر، ويذكر في نفس المخطوط (إفاقة الأحاسيس) أنه درس

¹ - لحرش عبد القادر ، إفاقة الأحاسيس عن ما جهل عن علماء غريس، مخطوط مصور بمكتبة تقي الدين بوكعبر، معسكر ، ورقة 6، ظ .

² - المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مخطار حساني، مر: مالك كرشوش الزواوي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،
[د.س.]، ص 13.

³ - يعتبر الشيخ مصطفى الرماصي، من بين تلاميذ المدرسة حيث أخذ منها العلم مع الكثير من رفاقة ومن بينهم عمر بن دوبة وسيدي العربي بن خطاب
أجيز هناك : ينظر: لحرش عبد القادر، المصدر السابق، ورقة 6 ، و .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

على يد عبد القادر المشرفي، ومصطفى بن مخطار اللذان سافرا إلى مازونة وسكنوا بها بالقرب من الشيخ محمد بن لبنة بقرية غليزان أحد جهات أبي علوفة ...¹.

3- أشهر نخب المدرسة:

❖ الشيخ أبو العباس أحمد بن هني بن محمد بن علي: هو حميد الشيخ أبي طالب المازوني، تولى التعليم والتدريس بعد وفاة جده على أيام العثمانيين، واستمر في وظيفته التعليمية أثناء الإحتلال الفرنسي، ومما يؤكد لنا وجوده كشيخ بالمدرسة الفقهية تلميذ الشيخ محمد بن علي السنوسي بقوله: وقرأت على مشايخ مازونة، أبي طالب المازوني وعلى حفيده من بعده أبي العباس أحمد بن هني وتحصلت منهما على إجازات ...².

❖ الشيخ محمد الصادق بن فغول: حيث قال: عليه الشيخ أبو رأس الناصري: " انتهت إليه رئاسة التدريس، وشدت إليه الرحال من زواوة وغريس ولم أر مثله فيها رأيت ابنه السيد محمد الأسعد الأمجد، كان جامعا للفنون وعلومها وبارعا في معرفة الحديث على أهله منفردا بهذ الفن النفيس في زمانه³.

❖ الشيخ أبو عمران موسى بن عيسى المازوني: يصفه الحفناوي: فقيه الأجل المدرس المحقق، القاضي الأكمل، وهو والده صاحب النوازل له مجامع فقهيه منها: "دباجة الإفتخار في مناقب أولياء الله الأخيار" و"حلية المسافرين وآدابه وشروط المسافرين في ذهابه وإيابه" وذكر صاحب الإبتهاج أنه تولى القضاء بمازونة⁴.

¹ - لحرش عبد القادر، المصدر السابق، المخطوط السابق ، ورقة 7 ، و .

² - السنوسي محمد، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، ط.2، القاهرة ، مصر 1960، ص 17.

³ - بحري أحمد، حاضرة مازونة دراسة تاريخية في العصر الحديث 1500-1900، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2012-2013م، ص 244.

⁴ - التبتكتي أحمد بابا ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ط.1، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص ص 605-606.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

❖ الشيخ أبو زكرياء يحيى ابن أبي عمران المازوني : توفي حوالي (883هـ /1437م) ولد ونشأ بمدينة مازونة، ودرس بها وأخذ العلم عن مرزوق الحفيد وتولى القضاء بـمازونة¹.

3- العلماء الذين درسوا بها: تخرج العديد من العلماء والفقهاء والمشايخ بفضل الإجازات العلمية المتنوعة التي نالوها في مختلف العلوم على يد علماء مازونة، ومن بينهم:

✓ الشيخ مصطفى الرماصي: هو أبو الخيرات مصطفى بن عبد مؤمن الرماصي القلعي (ت 1724م) المنحدر من بلدة رماصة إحدى قرى ولاية مستغانم بالغرب الجزائري، وعاش بمنطقة غريس، إلا أن المصادر شحيحة في الترجمة له، لقد تلقى الشيخ علومه على يد شيوخ الزاوية بـمازونة وهي زاوية تصدرت لفترة طويلة تنشر العلم بالغرب الجزائري، بعدها سافر إلى القاهرة لاستكمال تحصيله العلمي، حيث تتلمذ على يد كبار شيوخ المالكية كالشيخ أبي محمد عبد الباقي بن يوسف، بن أحمد الزرقاني (ت 1687) صاحب " شرح المختصر على موطأ الإمام مالك" وإلى جانب نشره وتعلقه بالمذهب المالكي علم ونشر التوحيد والتصوف على طريقة الشيخ بن يوسف السنوسي التي أدخلها².

اشتهر الشيخ الرماصي بانتمائه الراسخ إلى المذهب المالكي، حيث مثل أحد أبرز رموزه في المنطقة، فغدا قطباً علمياً مرجعياً وإماماً يُقتدى به في الفقه والتدريس. وتُجمع المصادر على مكانته السامية ضمن كبار علماء المالكية، نظراً لما عُرف به من التحقيق والتدقيق، مما جعله حلقة وصل معتبرة في سلسلة النقل العلمي والفقهية لهذا المذهب، أما عن العلماء الذين أخذوا عليه فعددهم كثير أمثال عبد الله بن خدة ابن سحنون الراشدي الشيخ عبد القادر السنوسي وعبد القادر المشرفي الذي شارك في فتح وهران ولعلّ إنشغاله بتأليف لرجال أكثر من تأليف للكتب³.

¹ - محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 265.

² - أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، المصدر السابق ، ص 54.

³ - لحرش عبد القادر ، المخطوط السابق، ورقة 8، و .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

كانت سببا في قلة الآثار العلمية للشيخ الرماصي، وهذه عادة علماء المغرب الإسلامي عامة وعلماء البابلك الغربي خاصة.

يُعدّ الشيخ الرماصي من العلماء المالكيين الذين خلفوا أثراً علمياً ملموساً من خلال عدد من المؤلفات الفقهية والكلامية، من أبرزها "حاشية على شرح التتائي لمختصر خليل"، وهي دليل على تضلّعه في فقه المذهب المالكي وأصوله. كما ألّف مصنفاً بعنوان " كفاية المريد في شرح عقيدة التوحيد"، فرغ من تأليفه سنة 1124هـ، وهو شرح على متن "أم البراهين" للإمام السنوسي، وقد أشار كارل بروكلمان إلى وجود نسخة مخطوطة من هذا الكتاب محفوظة في تونس. وإلى جانب ذلك، ألّف رسالة في العتاب تتعلق بمسائل فقهية، توجد منها نسخة مؤرخة بسنة 1254هـ، مما يعكس إستمرارية تداول تراثه بعد وفاته نسخة مخطوط بالمسجد الأعظم بتازة بالمغرب الأقصى تحت رقم 3/371 ومنها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2499 ضمن مجموع بالإضافة إلى أجوبة فقهية تقع في 21 ورقة، كلها معلومات من فهارس الكتب لم نستطع الحصول عليها بالرغم من أن أكثرية المخطوطات مصورة واعتمدنا عليها بخاصة التصوير، بحكم الحصول على نسخة مخطوطة أصلية يعتبر أمراً مستحيلاً في ظلّ السنوات التي قصّيناها في البحث عن المخطوطات . بالإضافة إلى:

✓ الشيخ ابن قندوز: هو أبو عبد الله محمد بن القندوز شيخ الجماعة بالحضرة المستغانمية وأحواؤها، درس في المدرسة الفقهية بمازونة سنين عديدة، ثمّ أخذ الفقه المالكي على العلامة ابن الشارف، وأيضاً أخذ عنه محمد بن علي السنوسي توفي سنة 1222¹.

✓ الشيخ عدة بن غلام الله: هو عدة بن محمد الميسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي قاسم بن محمد الخياطي، درس على يد الشيخ أبي طالب محمد المازوني الفقه بالمدرسة الفقهية بمازونة، وتولى القضاء في عهد الأمير عبد القادر.

¹ - السنوسي، المصدر السابق، ص 21.

✓ الشيخ محمد أبو رأس الناصري: هو الحافظ المؤرخ محمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر، بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل الراشدي المعسكري الجزائري، له مؤلفات عديدة منها: "عجائب الاسفار ولطائف الأخبار"، "الحل السندسية" وغيرها، أخذ أصول الفقه عن أبي طالب المازوني¹.

رابعا - الإجازات والتقاريف:

1- الإجازة:

- **الإجازة لغة:** مصدر وأصلها أجازة تحركت الواو وتوهم انفتاح ما قبلها وانقلبت ألفا وحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين فصارت إجازة² ويقول ابن منظور الإجازة من الجوز، ويقال: جزت الطريق وجاز الموضع أي سار فيه وسلكه³. والإجازة أيضا " بمعنى الإذن والإباحة فيقال استجاز رجل رجلا في مرويته ومسموعاته وأجازه بمعنى أذن له ذلك⁴.
- **أما اصطلاحا:** يعرفها الشيخ العلامة أبو القاسم سعد الله " أنها تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ والأستاذ في العلوم المجاز بها⁵. حيث كانت لها صيغة وعبارات دالة عليها يقول أذن لي فلان أو أجازني فلان أو أخبرني فلان ...⁶.
- وكانت للإجازة شروط، حيث يوضح الونشريسي ذلك بقوله: " إذا رأى طالب أن الشيخ متصديا و متمكنا " للتعليم والناس يعظمونه جاز له أن يأخذ منه⁷.

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله .. المصدر السابق، ص 20.

² - شمس الدين السخاوي، فتح المغيب بشرح ألفية الحديث، تح: عبد الكريم بن عبد الله الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد ال فهد، ط.1 ، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع ، السعودية ، 2005، مج.2، ص389.

³ - جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، ط.3، مج.5، دار الصادر ، بيروت ، 1993م، ص 326.

⁴ - مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة مؤلفين، مطبعة الكويت، الكويت ، 1975م، ص 85.

⁵ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج.2، المرجع السابق، ص 39.

⁶ - الخطيب البغدادي ، إجازة المجهول والمعدوم وتعليقها بشير، تح: يوسف معشوق ، ط.1، دار الناشر المكتب الإسلامي الحياة التراث ، 2004م، ص 19.

⁷ - أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي أهل إفريقية والأندلس، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص17.

:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات.

من الشروط التي اعتبرها العلماء ضرورية في مسار التحصيل العلمي، ملازمة الطالب لشيخه مدة زمنية كافية، يُثبت فيها جديته وتمكّنه من العلوم التي يتلقاها، ولا يمنح الشيخ الإذن لطالبه بالرواية عنه أو الولوج إلى مجال التدريس أو الفتوى أو القضاء إلاّ بعد التحقق من استيعابه لما أخذه، وثبوت أهليته العلمية والسلوكية. وتمثّل الإجازة العلمية في هذا السياق بمثابة "شهادة كفاءة"، لا تُمنح إلاّ بعد المرور بمراحل تكوينية دقيقة، بما يشبه نظام الإمتحان الذي يُخضع فيه الشيخ طالبه لتقييم غير رسمي، لكنه صارم، يُمكنه من التقدّم في مدارج العلم والوظيفة الدينية.

التطرق لموضوع الإجازات العلمية، في بابلك الغرب يقودنا للتركيز على أبرز حواضر ومراكز الإشعاع العلمي والثقافي، بالمنطقة باعتبار أنّ الجهة الغربية، كانت نقطة التقاء العلماء والحلقات العلمية لأنّ الثقافة في البابلك الغربي كانت جهوية إقليمية أكثر من قطرية عمومية كما كانت محصورة في أماكن محددة¹.

مع أنّ البحث في الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين يُعدّ مدخلا مهما لفهم شبكات التحصيل والتواصل العلمي في البيئة التقليدية، فإنّ التوسّع في هذا الجانب لا يعني الإحاطة بكل تلك الإجازات، نظراً لصعوبة التوصل إلى غالبيتها، إما بسبب ضياع بعضها أو لندرة توثيقها في المصادر المتاحة. ويُضاف إلى ذلك أنّ هذا النوع من الإجازات عُرف بندرته نسبياً، كما أشار إلى ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله بقوله: " أنّ العلماء الجزائريين لم يجيز بعضهم بعضاً إلا قليلاً، ولطالما جلسوا لتقلي العلم عن بعضهم البعض، ومع ذلك لا نكاد نجد أنهم، قد منحوا الإجازات لبعضهم "².

وإنّما الغرض من هذه الدراسة هو الاطلاع على نماذج من هذا النوع وسنتطرق إليها بحسب حواضر ومراكز إشعاع بابلك الغرب.

¹ - مصطفى المسلوقي ، " الإجازات العلمية وإسهامتها الفكرية بالمغرب " ، مجلة دار الحديث ، المغرب، ع.7، 1898م، ص 244.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج.2، المرجع السابق، ص ص 41، 42.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابك الغرب على ضوء المخطوطات .

1-1- الإجازات المتبادلة بين علماء معسكر: عرفت معسكر إزدهارا حضاريا جعلها تعدّ من أهم الحواضر الكبرى في الجزائر خلال العهد العثماني، بعدما جعلها هذا مركزا لبابك الغرب، واعتبارها مركزا علميا هاما " جلب إليه العديد من العلماء من جهة، ومن جهة أخرى من خلال مؤسساتها الثقافية العلمية وبرز عائلات من بينها عائلة المشارف، التي تولى بعض أفرادها مناصب شرعية ويأتي على رأسهم العالم عبد القادر المشرفي الذي كان من أبرز علماء المنطقة.

وأیضا الشيخ أبو رأس الناصري¹، والشيخ مصطفى الرماصي الذي تولى التدريس، حيث منح إجازة للشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي² وأجازة إجازة في جميع مروياته وقال فيها : " أجزته في جميع مروياتي، وفي ما أجازني فيه أشياء من توحيد وفقه وحديث ونحو ولغة وبيان ومعان ومنطق قراءات في العقائد السنوسية، وفي صحيح البخاري، كما أجازها إجازة صوفية هذا نصها : " ... وبعد، فيقول عبد الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، قد طلب من ولدي السيد محمد بن علي الدخول في سلسلتنا في العبادة وأخذ الخرقة وأسعفته بذلك وأن كنت لست أهلا " هناك إسعافا " لرغبته، وباب الله مفتوح لجميع خلقه، وإن كان لايقرب بابه إلا من كان أهلا له الجميع فمن يرجى سواه وحاشاه أن يحرم واجبه، أو يخيب وافيهِ وقد أخذت هذه الطريقة عن الشيخ القطب الرياني سيدي محمد الصحراوي نزيل قلعة مامون، ببلاد منداس ..."³.

ثم يوضح ما على المجاز له من صلاة وصيام وأذكار ليختمها بعد ذلك بقوله: " هذا ما أخذته عن والدي سيدي عبد الرحمن إبراهيم نفعا الله به وبالجميع آمين: وذلك سنة 1704م، وكان الشيخ محمد الجيلالي من تلاميذ الشيخ بن سحنون⁴، الذي كان ينتمي إلى أسرة عملية اشتهر الكثير من أفرادها بالعلم، نشأ بمعسكر ودرس على شيوخها ومنها، كما ذكر الشيخ محمد الجيلالي الذي استجاز شيخه فكتب له إجازة هذا هو نصها: " بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة

¹ - عبيد بوداود ، المرجع السابق، ص 15.

² - محمد بن علي الشريف الجعدي: نسبة إلى الجعدي أخذ من الشيخ مصطفى الرماصي ،ثم رحل إلى قاس وأخذ من علمائها .ينظر: أبي قاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيبير فونتانة ، الجزائر ، 1906م، ص 532.

³ - أبي قاسم الحفناوي، المصدر نفسه، ص ص 530-531.

⁴ - أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 237.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، الحمد لله حمدا لا ينبغي لأحد سواه، تتجلى عاجزة عن القيام به الاذان والأفواه الذي جلبتألاؤه على أن تحاط بعد، وتعالى كبريائه على أن تشمل بجد، تاهت في معرفته سابق سابلة لا أفهام، وغرقت في بحار عزته سوابق سابقة الأوهام، وكيف ولا أمام الأكوان بالأشفاق، ومقدم من أولى العلوم بالإتفاق، قد قال ما قال فلم يبق لأحد مقال، اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت، كما أثنيت على نفسك، فإذا أطبقت النقول¹ ... هذا وإن ولدنا الفقيه الحسيب الشهير، السيد أحمد بن علي بن حسنون الشريف، صاحبنا عدة ليال وأيام وتردد إلى مجالسنا تردد الكرام وسلك معنا في الفنون عدة مسالك، ... قد أجزت ولدنا فيما قرأ علي وفيما تحصل لي وانتهى إلي من أصول وفروع ومروي ومسموع ...، وقد كان قرأ علي أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري درسا وسمع باقيه من حضرتنا، وقرأ علينا أوائل كبرى الشيخ السنوسي ومعظم (جمع الجوامع) وكل جوهر الأخضر². وقرأ علينا ألفية بن مالك مباحثا وشروحا فأجزناه إجازة تامة شاملة عامة.

أجزنا لكم ماروينا مطلقا وما *** لنا سائلا أن تتحفو في الدعاء³.

يمثل هذا النموذج من الإجازة مثالا مكتمل العناصر التي تشكل البنية التقليدية لهذا النوع من الوثائق العلمية. إذ افتتحت بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، تليها فقرة تمجّد فضل العلم وتبرز مكانة العلماء، وهي تقاليد مألوفة في الأدب العلمي العربي الإسلامي. بعد ذلك، انتقل المجيز إلى بيان علاقته بالمجاز، مُعدّدا أوصافه العلمية والأخلاقية، بما يثبت أهليته وكفاءته، قبل أن يخلص إلى منح الإجازة بصيغتها المتعارف عليها. وتظهر هذه البنية حرص العلماء على تضمين الإجازة أبعادا معرفية وأخلاقية تجعل منها أكثر من مجرد إذن بالرواية، بل شهادة شاملة بالأهلية العلمية والانخراط في منظومة التعليم التقليدي.

¹ - أحمد بن حسنون الراشدي، المصدر السابق، ص 238.

² - المصدر نفسه، ص 237.

³ - نفسه، ص 238.

1-2- الإجازات المتبادلة بين علماء تلمسان: تعتبر تلمسان من قبل مجيء العثمانيين من أبرز حواضر الجزائر، لكن فقدت كثيرا من سمعتها ومكانتها العلمية بعد مجيء العثمانيين، باعتبارها فقدت عددا كبيرا من مكاناتها ذوي النفوذ الاجتماعي والتأثير العلمي¹. إلا أن هذا التراجع الذي أصاب المدينة لا يعني أنها أصبحت تخلو من العلم والعلماء، بل برز فيها بعض العلماء مثل الشيخ أحمد العبادي² الذي أجاز ابنه الشيخ أحمد³ إجازة وابن شقرون⁴، والشيخ محمد بن عسكر⁵، حيث كان ابن شقرون ينتقل بين فاس ومراكش، ويفتي الناس بهما وكان محمد بن عسكر من تلامذته المغاربة، لازمه عدة سنوات وأخذ عنه علوم جمّة فأجازه مرتين على الأقل الأولى 1561م، وورد فيها: أجزت الفقيه ... أبو عبد الله محمد بن سيدي بن علي عسكر جميع مروياتي، وكل مسموعاتي عن أشياخي.. فليروا عني ما رويت، وليتحدث بما سمعت على شرط الإجازة، ووصفها إجازة صحيحة ثابتة كما يجب⁶.

تتميز هذه الإجازة بكونها جدّ مختصرة مقارنة بالإجازات السائدة في الفترة العثمانية، بما فيها الإجازة التي لمحنا لها في منطقة معسكر، أمّا الإجازة الثانية كانت سنة 1564م، حيث أجازها في عقائد السنوسي وشروحها ومجمل المقاصد للشيخ ابن زكري⁷. نظراً للقرب الجغرافي والروابط التاريخية بين مدينة تلمسان وفاس، نشأت بين المدينتين صلات علمية وثقافية وثيقة، جعلت من التنقل بينهما سمة بارزة في مسار العلماء. وقد أدى هذا التقارب إلى إنتشار عادة الإرتحال

¹ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 176.

² - الشيخ أحمد العبادي: هو إمام وعالم وأخذ عن مشايخ فاس، تولى التدريس في جامع القرويين ،للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 119.

³ - الشيخ أحمد أبو العباس: هو ابن أحمد العبادي بن أحمد العباس لقي هو الآخر العديد من المشايخ وأخذ عنهم وتولى التدريس ثم إنتقل إلى مراكش ثم عاد إلى تلمسان .ينظر: أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 118.

⁴ - ابن شقرون: محمد بن هبة الله الملقب بشقرون التلمساني من تلامذة سعيد المقرئ له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض. ينظر: ابن مريم التلمساني، البستان ، المصدر السابق، ص 261.

⁵ - محمد بن علي بن عمر بن الحسن بن مصباح بن عسكر الحسني (1529—1578) شخصية علمية مرموقة في عصره ، هلك مع محمد المتوكل المخلوع في معركة وادي المخازن 1578م. ينظر: أحمد بن خالد الناصري، الإستقصاء ، ج.5، المرجع السابق، ص 81.

⁶ - ابن عسكر، المصدر السابق، ص 106.

⁷ - أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري: التلمساني (ت 899هـ) من مؤلفاته : محصل المقاصد بما به تغير العقائد وهو منظومة كبرى في علم الكلام بها أكثر من ألف وخمسمائة بيت. يظر : بن عسكر ، المصدر السابق، ص 108، مخلوف، شجرة النور... ، المصدر السابق، ص 267.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

العلمي، حتى أصبح من النادر أن نجد عالماً من علماء تلمسان لم يتلق جزءاً من تكوينه بفاس. ومن الأمثلة البارزة على ذلك، الشيخ العلامة سعيد المقرئ، الذي قضى فترة طويلة من حياته في المغرب الأقصى، قبل أن يعود إلى تلمسان ويباشر التدريس فيها، مستفيداً من الرصيد العلمي الذي حصله خلال مقامه هناك. وتبرز هذه الظاهرة تداخل الحواضر العلمية المغاربية وتكاملها في بناء النسيج الثقافي المشترك.

منح الشيخ إجازته العلمية لكل من الشيخ أحمد بن القاضي¹ والشيخ أحمد بن أبي قاسم التادلي² أما الإجازة الأولى، فقد جاءت إستجابة لطلب كتابي حمل في طياته شقين: نثرياً ونظمية، وهو ما يعكس تقاليد التراسل العلمي بين العلماء آنذاك. وقد تضمن الشطر النظمي، المكوّن من ستة عشر بيتاً، عبارات توصل وتقدير، إلى جانب التتويه بمكانة الشيخ وطلب الإجازة منه، بأسلوب يجمع بين الأدب والبلاغة العلمية. ومن الأبيات الواردة في هذا، قوله:

وَمَا نَأَيْتُمْ وَلَمْ أَسْتَطِعْ *** أَسِيرٌ لِحَضْرَتِكُمْ بِقَدَمِيٍّ .
سَعَيْتُ إِلَيْكُمْ بِرَجْلِ الرَّسُولِ *** وَخَاطَبْتُكُمْ بِلِسَانِ الْقَلَمِيٍّ .
فَإِنِّي اجْتَرْتُكَ مِنْ أَرْضِ فَاسٍ *** لَتَعْسَفَ يَا بَحْرَ عِلْمٍ فَكَمْ .
لَمَّا صَحَّ عَنْكُمْ وَجَارَ لَكُمْ *** رَوَايَةَ كُلِّ بِشَرَطٍ مَتَمَّ .

يُلاحظ من خلال نص الإجازة أن العلامة سعيد المقرئ أجاز الطالب في رواية واحدة فقط من رواياته، ما يدل على أن العلاقة العلمية بين الطرفين كانت محدودة من حيث الإمتداد الزمني والمجال المعرفي. فالإجازة لم تكن ناتجة عن ملازمة طويلة أو حضور مستمر لحلقات الشيخ، بل يفهم من سياقها أنها إجازة جزئية مبنية على قدر معين من السماع أو القراءة العرضية. ويظهر

¹ - أحمد بن القاضي : هو أبو العباس أحمد بن محمد من كبار علماء المغرب له عدة مؤلفات منها : المنقّى المقصور ، جدوة الإقتباس ، درة الحجال وغيرها . ينظر : عبد الكبير الكتاني ، زهرة الآس...، المصدر السابق، ج.2، ص 100.

² - أحمد بن أبي قاسم التادلي الصومعي: هو صاحب زاوية الصومعة له مشاركة في العلوم والمعرفة بالتصوف . ينظر : محمد حجي، موسوعات أعلام المغرب، ط.1، ج.3، بيروت . دار الغرب الإسلامي ، 1996، ص 1137.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

هذا المعنى جلياً في بعض الأبيات الأخرى التي وردت في الشطر النظمي من الطلب، حيث يقول الطالب:

وَلَكِنْ أَجَزْتُكُمْ مَكْرَهَا *** وَلَا بَطْلٌ بَلْ لِأَمْرٍ مُهِمٍّ.
بِمَا صَحَّ عَنَّا وَجَازَلْنَا *** رِوَايَةً بِكُلِّ شَرْطٍ مُلْتَمَسٍ.

وأما الثاني هو الشيخ أحمد بن أبي قاسم التادلي، فقد أجازه المقرئ شفهيًا بدون أن تكتب له ذلك، حيث كانت منتشرة في تلك الفترة هذا النوع من الإجازة بالرواية بين أعلام العلماء¹.

أما إجازة المغاربة للجزائريين من أهل تلمسان نذكر إجازة محمد المسناوي لمحمد علي شريف الجعدي الجزائري، حيث قصد محمد الجعدي الجزائري فاس للقراءة عن مشايخها، واجتمع عند الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي وسأله وأخذ عليه الإجازة، حيث كانت لديهم عادات تتمثل في تلقين المجاز العلوم، كما ناوله السبحة وصافحه وألبسه الخرقه ثم ناوله أوائل الكتب في السنة والحديث كالموطأ والجل من جامع الترمذي والكثير من سنن ابن ماجه وغيرها من العلوم، ومن خلال هذه المظاهر للإجازات العلمية نلاحظ أهمية كتب الحديث المسلسل عند العلماء².

إن المنتبّع لنمط الإجازات العلمية في تلمسان يلحظ بوضوح أن الغالب على هذه الإجازات هو طابعها العابر للحدود، حيث جرت أغلب الإجازات بين العلماء الجزائريين ونظرائهم المغاربة، في سياق يعكس عمق الروابط العلمية والثقافية بين الحواضر المغربية. أما الإجازات المتبادلة بين أبناء البلد الواحد، ولا سيما داخل المدينة نفسها، فهي نادرة نسبياً، ولا تظهر إلا في بعض المصادر المحدودة. ومن بين النماذج القليلة التي تؤثّق هذا النوع من الإجازات، ما ورد عن العلامة أحمد المقرئ، الذي اشتهر بجمعه للإجازات وتوثيقها، إذ أجاز واستجاز واحتفظ بإجازاته في رحلاته ولقاءاته العلمية. وقد تلقى إجازة من عمه العلامة سعيد المقرئ، كما أشار بنفسه إلى ذلك حين قال:

¹ - أحمد المقرئ، المصدر السابق، ص 303.

² - محمد الحفناوي، تعريف الخلف...، المصدر السابق، ج.2، ص 543.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

وَقَدْ أَخَذَتْ جَامِعُ الْبُخَارِيِّ *** عَنْ عَمِّي الْحَاظِرِ الْفَخَّارِ¹.

1-3- الإجازات المتبادلة بين علماء مدينة مازونة:

اشتهرت مدينة مازونة التاريخية منذ أقدم العصور بمدرستها التاريخية المتخصصة في العلوم المعارف والدراسات الفقهية المختلفة كالفقه وأصوله والفرائض وعلم التوحيد². والحديث وغيرها من العلوم، كما عرفت بكثرة مجالسها ونخابة طلابها وقريحة شيوخها وعلمائها الأجلاء لاسيما مدرستها³، التي كانت على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية في البلاد حتى بعد انتقال العاصمة الاقليمية من مازونة إلى معسكر إلى وهران ومن أبرز خريجيها الشيخ أبو رأس الناصري، وأبو طالب محمد علي وأبو زكريا بن يحيى المغيلي صاحب كتاب: "الدرر المكنونة في نوازل مازونة".

تميّزت المدينة بشهرة علمية واسعة تخطّت حدودها المحلية لتبلغ المستوى المغاربي، مما جعلها محجاً للطلبة والعلماء الذين شدّوا الرحال إليها من مختلف الحواضر القريبة والبعيدة، طلباً للعلم ونهلاً من مجالس شيوخها. وقد قصدتها طلاب العلم من مستغانم ومعسكر وتلمسان وندرومة وتَسْرُع، فضلاً عن وفود من بلاد المغرب، بل ومن سائر أنحاء العالم الإسلامي. وأسهم هذا الزخم العلمي في تخريج نخبة من العلماء والفقهاء الذين كان لهم أثر بارز في محيطهم، من بينهم اثنان من أبرز الأعلام المعروفين بلقب "المغيلي": أولهما أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني، وهو فقيه وعالم معروف ألف عدداً من المصنفات، من أشهرها: "ديباجة الإفتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"⁴، و"الرائق في تدريس النشيء من القضاة وأهل الوثائق" و"حلية المسافرين" و ثاني صاحب كتاب: "الدرر"، وقد أثنى الشيخ أبو رأس الناصري في كتابه فتح الإله ومنتته على المدينة، حيث قال : " ثم سافرت أول صومي لمازونة مدينة مغراوة بناها مزيل بن عبد

¹ - أحمد المقرئ ، المصدر السابق، ص 84.

² - أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 34.

³ - يعتبر كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة من أهم الكتب الفقهية التي إعتبرها السكان بابلك الغرب مصدر هام يعتمد عليه (فهو حد المجامع الفقيه)

في حياتهم. ينظر: بوجلال قدور، العلم والعلماء ...، المرجع السابق، ص 23.

⁴ - أبو رأس الناصري، فتح الإله...،المصدر السابق، ص ص 43-44.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

الرحمن منهم أول القرن السادس فحفظت المختصر حفظا وفهمته معنى ولفظا، وقطار صيبني بمعرفة المصنّف "... .

فساهمت مدرستها وفي إيجاد عملية تفاعل بين الشيوخ¹، والطلبة وكثرة الإجازات سواء بين العلماء المازونيين أو بين العلماء والطلبة الوافدين إلى علماء مازونة، ومن بين الإجازات نجد الشيخ أبو العباس أحمد بن هني²، الذي أجاز محمد الحرشاي الندرومي، فقد أخذ عنه وأجازه في كلّ ما سمعه منه، كما أجاز الشيخ محمد بن علي السنوسي في صحيح البخاري وموطأ والإمام مالك³.

دارس الإجازات بالبابلِك يجدها مصدرا للتراجم فهي تتضمن أسماء أعلام كثر، فلا نجد لهم ترجمة أو ذكرا في كتب التراجم المعروفة، وتتضمن بالخصوص تراجم للشيخ المجيز وشيوخه: " فمثلا لانجد أي ترجمة في مصادر القرن الحادي عشر هجري 17م، للشيخين الجزائريين محمد بن عبد المؤمن وعمر المانجلاتي، إلا ما ورد في إجازتيهما لابن زاكور الفاسي⁴.

من نوادِر الإجازات⁵ التي وقفنا عليها بالبابلِك الغربي تعود إلى الشيخ أبي رأس الناصري لأحد طلبته وهو الشيخ عبد القادر بن عبد الله الدحاوي في محمد المصطفى بن عبد الله الدحاوي المعسكري كاتب الباي محمد الكبير، وتمنّسخ هذه الإجازة الشيخ البشير محمودي⁶، الذي صرح أنه نسخها من النسخة الأصلية التي وقف عليها بمكتبة مفتي حاضرة معسكر الشيخ بلهاشمي بن بكار، حيث يستهل الشيخ أبو رأس الإجازة بقول: " بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على سيدنا

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 43-44.

² - أحمد بن هني: هو أبو رأس العباس أحمد بن هني من علماء مازونة تولى التدريس في مدرسة مازونة خلف الشيخ محمد بن علي أبو طالب ينظر: المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 95.

³ - محمد الحرشاي الندرومي: أخذ العلم عن مشايخ عدة منهم الشيخ أحمد بن هني تولى التدريس بالجامع الأعظم. للمزيد ينظر: الحفراوي، المصدر السابق، ص 358.

⁴ - ابن زاكور الفاسي، نشر أزهر البستان...، المصدر السابق، ص 22، 31.

⁵ - الإجازة التي بين أيدينا نشرت لأول مرة سنة 2024 م، من طرف الباحث نقي الدين بوكعب، حيث قمنا بتصويرها من النسخة الأصلية .

⁶ - الشيخ محمودي : الشيخ محمودي هو أحد علماء وفقهاء معسكر. استطاع، بالرغم من ظروفه الصعبة، أن يجمع خزانة مخطوطات في منزله ببلدية البرج بولاية معسكر، حيث وصل عددها في حياته إلى أكثر من 400 مخطوط. وقد استفاد الكثيرون من هذه الخزانة، منهم الشيخ المهدي بوعبدلي والشيخ جلّول الجيلالي.. ينظر : نقي الدين بوكعب، مجموع رسائل وتقاييد...، المرجع السابق، ص 90.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

محمد"، ثم ينتقل صاحب الإجازة إلى حمد الله وشكره على ما أفاض عليه من نعم ظاهرة وباطنة، مستعملاً في ذلك أساليب بيانية ومحسنات بديعية تُضفي النص طابعاً أدبياً رفيعاً، وهي سمة بارزة في إجازات العهد العثماني. إذ يغلب على هذه الإجازات طابع العفوية والصدق، بعيداً عن التكلف والتصنع، ما يعكس أصالة الكتابة وصدق التجربة العلمية.

يكشف النص النثري لأبي رأس الناصري عن تمكنه البين من أدوات البيان العربي، حيث تكسوه الصور البيانية والمحسنات البديعية، وعلى رأسها السجع والجناس، مما يدل على بلاغته وقدرته على السرد والتصرف في فنون القول. ثم ينتقل أبو رأس إلى الحديث عن فضل العلم، مبتدئاً بقوله: " لما كان العلم أشرف المكاسب وأفضل المناصب وأرفع المطالب ..."، وبعد ذلك ينتقل إلى وصف المجيز، حيث وصفه بصفات جليلة وحميدة ووصفه بالنجيب والحاقد والأديب والزلي وغيرها، من الأوصاف للسيد عبد القادر بن عبد الله الراشدي المعسكري، ثم ينتقل للحديث عن فيما أجازه فيه من ألفية ابن مالك والمسائل الكثيرة والفقه والنحو والكلام، كما وجه له جملة من النصائح أهمها تقوى الله تعالى في السر والعلانية، ثم ينهي هذه الإجازة بتدوين تاريخ كتابته لها، ومن كتبها، ثم ختم الكلام بحمد الله وشكره. بقوله: " سبحانك الله وبحمدك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين "¹.

تعدّ الإجازة العلمية مرآة صادقة تعكس ملامح الحياة العلمية، بل وحتى الأدبية، في عصرها. فقد حرص الشيوخ من خلالها على إظهار كفاءتهم البلاغية وقدرتهم الأدبية، فجاءت كثير من الإجازات مزدانة بفنون القول من سجع وجناس واستعارات وغيرها. كما أن الإجازة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمنظومة الرحلة العلمية، وبشبكة التعليم والمراكز الثقافية، التي لعبت منطقة بايلك الغرب فيها دوراً محورياً. فقد أسهمت هذه المنطقة في إنتاج عدد معتبر من الإجازات، في مختلف المذاهب الفقهية، وعلى رأسها المذهب المالكي، رغم ما يلاحظ من قلة عدد الإجازات مقارنة بغيرها من الحواضر.

¹ - الإجازة ، مخطوط ، ينظر المحلق رقم: 03، ص 351.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

رغم ندرتها الظاهرة، إلا أن الإجازات المتوفرة تعبر عن مستوى علمي رفيع، إذ لم يكن يُمنح هذا النوع من الوثائق إلا من طرف العلماء الكبار، وبعد استيفاء شروط صارمة. ومن هنا، فإن موضوع الإجازات في بايلك الغرب يثير عدداً من التساؤلات المنهجية والتاريخية، لعل أبرزها: لماذا كانت الإجازات العلمية بين العلماء الجزائريين محدودة؟ وهل يعود ذلك إلى قلة إنتاجها أصلاً، أم إلى تعرض كثير منها للضياع والإتلاف بمرور الزمن؟.

2- التقاريز وموضوعاتها:

• تعريف التقريظ:

لقد جاء في قاموس المحيط: " التقريظ مدح الإنسان وهو حي، بحق أو بباطل، وهما يتقارضان المدح، يمدح كل صاحبه¹. ويمكن أن تأتي التقاريز نثرية أو شعرية مثل الإجازات تماماً، حيث ازدهر هذا الفن خلال العهد العثماني، بالبائلك الغربي خاصة، وكان العلماء والأدباء يقرض بعضهم البعض ويمدح أحدهم الآخر، ومن بين التقاريز التي ندعم به عملنا هذا تقريظ مخطوط للشيخ أبي رأس الناصري على كتاب: "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط" لصاحبه الشيخ الطاهر المشرفي، وهو تقريظ موجود بمكتبة بلقردي بوكعبر حين يمدح فيه الشيخ أبو رأس في تقريظه هذا الكتاب: "شرح منظومة عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط"، وهو شرح ومعه الشيخ الطاهر بن الشيخ عبد القادر المشرفي، على منظومة والده الشيخ عبد القادر المشرفي في التصوف، والتي عدد أبياتها 163 مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَسَّسَا *** قَوَاعِدَ الشَّرْعِ لِمَنْ قَدْ اِتَّسَمَ
وَأَظْهَرَ طَرِيقَةَ السَّنِيَّةِ *** وَأَشْهَرَ الْمَعَالِمَ الْخَفِيَّةِ.
سُبْحَانَهُ مِنْ مَالِكٍ مَا أَرْفَاهُ *** بِخَلْقِهِ وَقَادِرٍ مَا أَلْطَفَهُ
قَدْ بَيَّنَّ الْمُبَاحَ وَالْمَحْضُورَا *** وَأَعَدَّ النَّيْرَانَ وَالْقُصُورَا².

¹ - الفيروزيادي، القاموس المحيط، ج.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1978م، ص 395.

² - ينظر: التقريظ مخطوط، الملحق رقم : 02، ص 345.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

شهد كتاب أبي رأس الناصري قبولاً واسعاً وتقديراً من قِبَل عدد من الأعلام والمشايخ الذين عاشوا في عصره، حيث أبدوا إعجابهم بمضامينه وبلاغته، وأثنوا على جهوده العلمية والأدبية التي تجلت في هذا العمل. وقد شكل هذا التقريظ شهادة حية على قيمة الكتاب ومكانته العلمية، مما يعكس مكانة مؤلفه في المشهد العلمي والثقافي لعصره: " واسطة عقد الحواشي على جيد شرح الشيخ الخراشي "، فالعلامة أبو رأس الناصري كان حريصاً على عرض مؤلفاته على العلماء الذين يتصل بهم من خلال رحلاته، حيث عُرف بكثرة الترحال شرقاً وغرباً، فقد زار المغرب وتونس ومصر وبلاد الحجاز والشام، حيث حاور أهلها وناظرهم وأخذ عنهم وأخذوا عنه، فخلال هذه الرحلات حرص على تقريظ العلماء، ومن ذلك تقريظ العلماء لمؤلفه: "واسطة عقد الحواشي" ، الذي يعتبر من أهم مؤلفات الشيخ الفقيهة، ومن بين العلماء نجد إبراهيم بن أبي عبد الله، السيالة الصفاقسي التونسي¹، الذي تتلمذ على مشايخ الجزائر. وتقريظ الشيخ حسب بن عبد الكبير الشريف التونسي وتقريظ الشيخ محمد بن محمد الطاهر الهواري، ومن مؤلفاته حاشية على شرح الشيخ سعيد قدورة على السلم، وأرجوزة في علم الكلام، وأخرى في المنطق.

وهذا النص تقريظ محمد بن محمد الطاهر الهواري:

" الحمد لله مما تقرر واتضح وأسفر صبح دليله، ووضح أن العلم أفضل ما يقتنى، وأجل ما به يعتنى وأن علم الفقه أصولاً وفروعاً زبدته ولبابه وأنفس ما ضيع فيه عمر المرء شبابه، وأنمن موضوعاته العجيبة وموضوعاته البديعة العجيبة الغربية، هذا الموضوع الذي ألفه الفقيه الأديب العلامة الداركة الأديب المشارك المتقن الماهر، ...وقد طالعت منه هذه الأوراق المتحفة من بديع الحسن² بمارق وراق، فأفيتها قد لبست حلاً من نتائج فهمه وكسيت رونقاً " من نتائج علومه فماهي إلا حوزة أمطن النقاب عن طرف بهي أروض باكرة السحاب...وفي 08 رجب الفرد الحرام عام 1213 هـ ، كتب العبد الفقير إلى مولاه محمد بن محمد الطاهر الهواري، كان الله له

¹ - ينظر ترجمة : الشيخ محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تخريج عبد المجيد الخيالي ، ج.1، دار الكتب العلمية ، 2002م، ص 526-527.

² - ينظر ترجمة في الكتاني ، فهرس الفهارس...، ج.1، المصدر السابق، ص 121.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

ومولاه" ومن بين التقاريز أيضا تقاريز الشيخ محمد منصور¹ وتقريظ الشيخ محمد الطيب بن كيران² وهذه التقاريز مخطوطة موجودة بمكتبة بلقرد بوكعبر³.

كما نجد تقریظاً آخر يخص منطقة بابلك الغرب بشكل عام، وفضاء الراشدية بشكل خاص، وهو مخطوط مصور أعده الباحث صلاح الدين. ويتعلق هذا التقريظ بمخطوط "إتحاف المريدین" للشيخ محي الدين، الذي سيتم تناوله تفصيلاً في الفصل الأخير من الدراسة. ويعد هذا التقريظ الموجود في نفس المخطوط شهادة معتبرة من الشيخ الطيب بن عبد الرحمن⁴ على تأليف الشيخ الإمام محي الدين بن مصطفى الحسني، الذي يحمل عنوان: " إرشاد المريدین إلى طريق الواصلين" ، وهو تقریظ بديع يليق بمقام الكتاب وصاحبه، حتى دفع هذا بالناسخ إلى استنساخه في وجه اللوحة الأولى، ليزيد القارئ ترغيباً ويزيد الخصم ترغيباً، فهذا التقريظ يلمح إلى نسيج علمي ثقافي حبكته أقلام هؤلاء الفضلاء، وهانحن نتطلع إليه وإلى زخرفته⁵، وهذا المخطوط نسخة مصورة حصل عليها الباحث صلاح الدين بن نعوم من خزانة العلامة الأمير أحمد بن محي الدين الحسني شقيق الأمير عبد القادر وسمح له الأستاذ الفاضل الأمير جعفر الحسني الجزائري (مالك الخزانة بدمشق) بتصويره حيث قام بتحقيقه كاملاً .

حيث جاء في التقريظ واصفاً الشيخ محي الدين بأوصاف عكست مكانته العلمية والروحية، معبراً عن تقدير عميق لمؤلفه، ومبرزاً فضائله وخصائصه العلمية: الإمام الفاضل المبجل الحاذق العامل، خلاصة الزمان وقُدوة أهل الإيوان والمكان السيد محي الدين بن مصطفى الحسني.

¹ - ينظر : محمد مخلوف، شجرة النور الزكية...، المصدر السابق، ص 543.

² - ينظر : ترجمة الكتاني ، الشرب المختصر...، المصدر السابق، ص ص 42-43

³ - ينظر الملحق رقم : 08، ص 351.

⁴ - الطيب بن عبد الرحمن: الطيب بن عبد الرحمن هو الشيخ الطيب بن القاضي عبد الرحمن، وأحد مشاهير وأعيان علماء معسكر. كان حجة في علوم اللغة. من بين تلاميذه أبو حامد العربي المشرفي. توفي عام 1867م. ينظر : طيب بن مختار ، قول الاعم في قبائل حشم (ضمن مجموع الحسب والنسب)، مطبعة ابن خلدون، الجزائر، 1961م، ص 333.

⁵ - ينظر: الملحق، نسخة مصورة للتقريظ .

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

يعتبر هذا التقريظ تعريف جامع الرسالة في حد ذاتها وصاحب التقريظ هو علامة في حد ذاته، حيث يعتبر من بين تلاميذة الشيخ أبو حامد العربي المشرفي المعسكري الكرطي¹ صاحب التصانيف العديدة فيدلّ هذا التقريظ على مظهر من مظاهر النشاط العلمي الثقافي، للشيخ الطيب بن عبد الرحمن بحاضرة معسكر بايلك الغرب ، هذا رغم ضياع جل تراثه ولعل هذا النص المهم ، يصور ذاك التقارب الكبير والعلاقة الوثيقة بين الإمام العلامة الشيخ محي الدين والشيخ الطيب بن عبد الرحمن بن أحمد (أبو معزة) فإن التقريظ قد كتبه الأخير بعد أيام قليلة من فراغ الشيخ محي الدين من التأليف يفيد ذلك قول المؤلف : " بدأت تقييده صبيحة ثاني يوم النحر، وتمّ في رابعه قبيل العصر عام 1235هـ، وقرظه الشيخ الطيب في نفس السنة من التأليف أي بعد أقل من ستة عشر يوم من تأليفه.

هذا يزيد إمكانية وفرضية أن الشيخ الطيب هو الذي طلب جوابا من الشيخ محي الدين حول ما تناوله التأليف وهو المعنى في قول الشيخ محي الدين: " وذلك لما ألح علي من تجنب موافقته ولا تسعني مخالفته، أن نبين له ما ذكر على نحو ما سطر"²، هذا ولا يفوتنا القول بأن الشيخ الطيب هو ابن خال الشيخ محي الدين³.

هذا ويوجد أيضاً تقريظ للشيخ أبي رأس الناصري على كتابه "نسب المشارف"، إذ يذكر أن الشيخ قد ألّف عدّة كتب في موضوع النسب، منها: " إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس"، وكتاب: " عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس"، و" مروج الذهب في نبذة من النسب إلى الشرف انتهى وذهب" ، وتتوع هذه الكتب وتعدّها يجعلنا نتأكد من أن الشيخ أبا رأس خاض في علم النسب وتعمّق في البحث في مصادره من خلال كثرة شروحه على كتب الأنساب بالراشدية بمعسكر ويوجد أيضا تقايد.

¹ - الطيب بن مخطار، القول الأعم في أنساب قائل الحشم، من مجموع النسب والحسب الشيخ بن بكار بلهاسمي، المصدر السابق، ص 333.

² - ينظر نص التقريظ، الملحق رقم 08 ، ص 351.

³ - من تخميس الشيخ عبد الرحمن بن أبي معزة لقصيدة في مدح باي وهران ضمن مخطوط أرشاد المريدين إلى طريق السالكين للشيخ محي الدين، خزانة الأمير جعفر الحسني الجزائري ، دمشق ، سوريا ، نسخة مصورة . ينظر تخميس الملحق رقم : 06، ص 349.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

لقد زين الشيخ أبي رأس مخطوطات بايلك الغرب وأضاف إليها بريقاً خاصاً، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الردّ الوارد في نص تقييد الشيخ أبي رأس حول نسب أسرة المشارف، الموجود في مخطوط الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. وقد حصل الدكتور تقي الدين على هذا المخطوط من الخزانة الحسنية بالمغرب في ديسمبر 2017م.

يُعد هذا المخطوط من بين الردود التي كتبها المشرفي وابن عمه العربي المشرفي على الشيخ أبي رأس، رداً على بعض الشائعات التي ترددت حول طعنه في نسب المشارف ونسب جميع أشرف غريس، فكان من ضمن الردود: تقييد الشيخ محمد بن محمد مصطفى المشرفي الذي نقلنا منه نصّ كلام أبي رأس الناصري ما ورد في الكتاب: "إسهام الصائبة في رد الدعاوي الكاذبة" لنفس المؤلف ورد الشيخ العربي المشرفي على أبي رأس الناصري في قصيبه بين المشارف¹.

من خلال قراءتنا لهذه التقييدات، يتبين أنها مصادر ثمينة للمعلومات والاستفادة، ترفع من قيمة المخطوطات وجمالها. وتعتبر المخطوطات التي تحتوي على تعاريف وتقييدات ذات أهمية كبيرة وانتشار واسع، على عكس المخطوطات الأخرى التي تفتقر إلى مثل هذه الإضافات.

خامسا - الكتاتيب:

✓ لغة: الكتّاب جمع كتاتيب أو المكتب، كما يسمى أحيانا، وهو مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن. قال ابن منظور: "كان الحجاج مكتبا بالطائف يعني معلما"، ومنه قبل عبيد المكتب لأنه كان معلما والمكتب موضع الكتاب وجمع مكاتب وكتاتيب فالكتاب مأخوذ من كتب والكتابة.

✓ اصطلاحا: الكتاتيب عبارة عن حجرة، أو دكان في الأصل أو جناح في المسجد، بل أن بعض الواقفين كان يكتفى بفتح غرفة في منزله على الشارع، ويجعلها كتابا للأطفال، وكان كذلك

¹ - قام بتحقيق هذا المخطوط الدكتور تقي الدين في رسالة ماجستير سنة 2014، بجامعة وهران 01 أحمد بن بلة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور دحو فغورور.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبابلك الغرب على ضوء المخطوطات .

في زوايا المرابطين أجنحة خاصة لتعليم الأطفال، وتحفيظهم القرآن الكريم، بحيث كانت منتشرة في جميع أحياء البابلك الغربي، وكثير منها كان يحمل اسم المدينة والشاعر الواقع فيه¹. نجد أن الكتاتيب استمدت قيمتها الثقافية من الأدوار التعليمية التي كانت تمارسها، فقد كانت الفضاء الذي تقدم فيه للأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن كله أو جزء منه إضافة إلى بعض مبادئ الفقه فقد عرفها محمد الأزرق: " على أنها ذلك المكان الذي يتلقى فيه القندوز التلميذ الدروس الأولى والتربية الإسلامية على يد الشيخ".

أما عند التواتيين فهو المكان الذي يذهب إليه الطلبة لتعلم القرآن، فأهل توات يدخلون أبناءهم عند بلوغ من الرابعة من العمر إلى الشيخ بملابس جديدة، والكحل في عينيه ويوضع له الطيب².

كانت مؤسسات التعليم الابتدائي تخضع في هدفها إلى رغبة واقف الكتاب و(الملاحق) ، حيث أن جميع الكتاتيب كانت ذات طابع تقليدي، حيث لم تكن تراعي الشروط والقواعد العصرية، فكان الأطفال يجلسون على الأرض في شكل دائري ثم يقوم الشيخ بالإملاء على التلاميذ القرآن فيكتبون على³ الألواح المصنوعة من الخشب والمطلية من الطين من نوع الصلصال والمكتوبة بالأقلام من القصب والصمغ، وهو مصنوع من صوف الأغنام المحروقة ، وعند حفظه للدرس يمحوها بالصلصال، فقد كان كل تلميذ يمسك بلوحة بيديه وهو جالس يحرك جسمه أماما وخلفا وأحيانا يمينا وشمالا وهو يقرأ الآيات المكتوبة بصوت عالي⁴. فكان التلاميذ يذهبون إلى الكتاب مرتين في اليوم صباحا ومساء، ففي الصباح يستظهرون ما حفظوه، أما مساء فهو مخصص للكتابة والحفظ، وللاشارة فإن التلاميذ كانوا يتعرضون للعقاب أو التأنيب وأخف أنواع العقوبة في هذه المرحلة هو التأنيب بالكلام وأقصاه هو **الفلكة** أي ضرب على أصابع رجليه، وهذا التصرف

¹ - محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 402.

² - الصديق الحاج ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 هـ إلى 14 هـ إلى 17 م، إلى 20 م، ط.1، مدرسة الثقافة ، الجزائر، [د.س] ، ص 13.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 278.

⁴ - ابن ميمون، المصدر السابق، ص 58.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

لا يكون إلا في الحالات النادرة كالسرقة ونحوها. وعند ختم القرآن تقوم الأسر بالاحتفال بهذه المناسبة¹.

من الملاحظ أنّ جميع الأهالي يحرصون على إرسال أبنائهم إلى هذه المؤسسة دون تردد أو تهاون، إذ يرون فيها رمزاً بارزاً من رموز الإسلام ومصدراً للتربية الدينية الأصيلة، فبالرغم من الحالة المزرية التي كان عليها الكتاتيب إلا أنّها قامت بدورها على أكمل وجه في تحفيظ القرآن وتعليم الحساب الأطفال وتحفيظهم بعض المتون للعلوم الفقهية أو الشرعية أو اللغوية². حيث كان للمعلم أجر يتلقاه نظير تعليمه الأطفال، وفي غالب الأحيان كان الآباء يدفعونها، خاصة في الأعياد وعند ختم بعض السور، ابتداء من سورة الإخلاص إلى الأعلى فسورة الجن والنبأ والملك إلى سورة البقرة، وكان ولي التلميذ يقيم حفلة تكتسي بهجة داخل الكتاتيب.

4-1- علاقة الدولة العثمانية بكتاتيب الجهة الغربية:

لو اطلعنا على الحياة الثقافية في بايلك الغرب أثناء التواجد العثماني، نجده شهد ركوداً علمياً كبيراً³، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك مجموعة من المؤسسات الثقافية التي حملت على عاتقها تعليم الصبيان وتنقيفهم، ومن بينها الكتاتيب. والدولة العثمانية كانت خلال فترة تواجدها بالجزائر تدافع عن الإسلام ورفع رايته، والكتاتيب أول مهمة تقوم بها تحفيظ الأطفال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لذلك كان اهتمام السلاطين بأمور الدين عظيم وبلغ إهتمام العثمانيين بالكتاتيب درجة كبيرة حيث عملوا على ربط الصغار بأهل العلم تشجيعاً لهم على مواصلة التعليم، كما أنشأ العثمانيون عدداً كبيراً من الكتاتيب في الجهة الغربية، وحرصوا على تزويدها بالمعلمين،

¹ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 339.

² - الهاشمي بن بكار، حاشية النزهة على منظومة سمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، منشورات ضمن مجموع، مطبعة ابن خلدون ، تلمسان ، 1961م، ص 35.

³ - أشار أبو رأس الناصري إلى هذا الركود بقوله : " ... إنعدم العلم وإنعكست أحوال العلماء والأدباء.. " كما أكد ابن سحنون على تراجع اللغة العربية الفصحى بقوله : " أن الألسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها سر الحكمة " وفي السياق نفسه، قال أبو قاسم الزباني، عن الطلبة تلمسان ليس فيهم من يحسن منطقاً ولا لغة عربية لإصلاح اللسان ، ولا يعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية وحتى خزاندار محمد الكبير تيدينيا أشار في مذكراته إلى إنتشار الأمية في عاصمة البايك الغربي خاصة معسكر. ينظر: أبو رأس الناصري ، المصدر السابق، ص 60، وابن سحنون ، المصدر السابق، ص 149، الزباني ، المصدر السابق ، ص 216.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

مما ساهم في انتشارها الواسع في القرى والمدن. ويبرز دورهم في دعم التعليم التقليدي من خلال تشجيع الحواضر الثقافية على الحفاظ على مكانتها العلمية، لا سيما فيما يتعلق بعدد المدارس، والجوامع، والمكتبات، والكتاتيب. ومن أبرز هذه الحواضر: تلمسان، ومارونة، ومعسكر، وغيرها من المدن التي ازدهرت فيها العلوم وتواصل فيها النشاط الثقافي والديني.

شكّلت الكتاتيب القرآنية النواة الأولى للتعليم التقليدي في بايلك الغرب، وأسهمت بدور محوري في ترسيخ القيم الدينية والثقافية في المجتمع المحلي. حرصت العائلات العريقة في بايلك الغرب على إلحاق أبنائها بهذه المؤسسات التعليمية، ومن بين هذه العائلات نذكر آل ابن مرزوق والعقبائي بتلمسان. وتشير المصادر إلى أن مدينة تلمسان وحدها كانت تضم خمسة كتاتيب حسنة البناء، وبلغ عدد الكتاتيب فيها نحو خمسين مكتباً. كما أنشأ محمد بن عثمان باشا عدداً من الكتاتيب في مدن وهران، ومعسكر، ومارونة، وكان من أشهرها كتاب المحمدية.

بُني النظام التعليمي في بايلك الغرب أساساً على الكتاتيب القرآنية، التي انتشرت في القرى والمدن، وأسهمت في تحفيظ الصبيان كتاب الله وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، فضلاً عن ترسيخ العقيدة الإسلامية وتحصين المجتمع من الانحراف الفكري والسلوكي.

سادسا - الوقف والأحباس في متون المخطوطات:

أ- تعريف الوقف:

✓ لغة: الوقف في اللغة مصدر للفعل وقف يقف وقوفاً، وجمعه وبطلق لفظ الوقف في اللغة سوار من العاج¹. ويقال وقفت كذا أي حبسته وهو بمعنى الحبس والمنع، وفي لسان العرب يقال حبس أحبس حبسا: وأحبست تعني وقفت². وقد جاء في مقاييس اللغة الواو والقاف والفاء أصل واحد يدل على تمكن في الشيء، ثم يقاس عليه ومنه وقفت الدابة ووقفت الكلمة وقفاً"، وهذا

¹ - السيد سابق، فقه السنة ، ط.1، دار الإعلام العربي ، مصر ، 2004م، ص 106.

² - ابن منظور ، المصدر السابق، ص 969.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

متعمد فإن كان لزوما قلت وقفت وقوفا¹ وقال الجوهري: " وليس في الكلام أوقفت الأحرف واحدا، أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه أي أقلعت².

ومن معاني وقف: حبس يقال: حبست حبيبتا وأحباس أي وقفت والحبس على وزن فعيل بمعنى مفعول وهو كل ما حبس وجه من وجوه الخير³ والحبس المنع، والحبس تخليته⁴.

نلاحظ من المعاني اللغوية لمصطلح الوقف أنها تدور في مجملها حول مفاهيم السكون والمنع وعدم الحركة، وهي معانٍ تنطبق تماماً على مدلول الحبس، بما يُشعر بأن الوقف هو في جوهره حبسٌ على بر، لا يُصرف لغير ما خُصص له ابتداءً

✓ اصطلاحاً: إنَّ هذا التعريف أقرب التعريفات لمعنى الوقف، لأنه مقتبس من السنة النبوية، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قد أصاب عمر أرضاً بخير. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها. فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخير، لم أُصِبْ مالا قطُّ هو أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ فقال: إن شئتَ حبستَ أصلها، وتصدق بها. قال: فتصدق بها، غير أنه لا يُباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث. قال: فتصدق عمر في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف. لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً، غير مُتموِّلٍ فيه»، وفي لفظ: «غير مُتأثِّلٍ»⁵.

قام العلماء بتقديم تعريفات للوقف عديدة فنذكر تعريف النووي⁶ حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته، وتصرف منافعه إلى البر تقرباً " إلى الله تعالى " ⁷ ويقصد

¹ - ابن فارس ، معاجم مقياس اللغة...، ج.6، المصدر السابق، ص 135.

² - إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، الصحاح الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 03.

³ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص 198.

⁴ - أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المثير، دار الحديث، القاهرة، [د.ت]، ص 02. ابن فارس، معاجم القاموس، المصدر السابق، ص 03.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية...، المرجع السابق، ص 229.

⁶ - محي الدين النووي: هو عالم وُلِدَ في قرية نوى بدمشق عام 1232م، وعُرِفَ بتقواه وورعه. ترك عدة مؤلفات هامة، مثل: " روضة الطالبين ومنهاج الطالبين وشرح صحيح مسلم". ينظر: تعاظمي شهبه، الإكمال في رفع الإرتباب عن المؤلف من الأسماء ولكن والألقاب، دار الكتب العلمية، لبنان، [د.ت]، ص 108.

⁷ - شرف الدين النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار عالم للكتب، المملكة العربية السعودية، [د.ت]، ص 2014.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

بتعريف النووي (حسب المال) أي المال والمعتبر شرعا، لأن المال الحرام لا يتعدى له كالخمر والخنزير لأنه ليس بمال مقوم عند المسلمين¹.

كما عرفه ابن حجر الهيتمي² بأنه حبس مال يمكن الانتفاع به بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح وأضاف كذلك عبارة بقطع التصرف في رقبته.

أما موفق الدين المقدسي³ يقدم تعريفا للوقف: " تحبب الأصل، وتسبيل الثمرة فالوقف هو حبس العين من كل تصرف وما إليه، والتصدق بثمرة العين أي فوائدها على جهتها الموقوف عليه، والوقف أركان يقوم عليها من صيغة العقد والموقف عليه وينقسم إلى الوقف الحيزي العام والأهلي الخاص، وكذا الوقف المشترك، ولقد تميزت الجزائر خلال الفترة العثمانية بكثرة الأوقاف، واتساع رقعتها في مختلف أنحاء البلاد ، أما بايلك الغرب فكان من أهم الرقع الجغرافية التي نشط فيها نظام الأوقاف والأحباس، ولعل كتب النوازل أهم المصادر التي وثقت وتحدثت على الوقف، حيث تضمنت هذه الكتب فتاوى فقهية ، أو فتاوى لمجموعة من الفقهاء⁴.

ومثاله: "حين سئل سيدي أبو القاسم المشدالي"⁵ وسئل سيدي أبو العباس أحمد القباب"⁶، حيث تعتمد كتب النوازل في عرضها للمسائل الفقهية بطريقة تغاير طريقة كتب الفقه العامة، فالنوازلي، أو كاتب النوازل يعرض لنا سؤال المستفتى منها ، وتقبيد التنازل وإن كان يعتبرها لحن

¹ - شرف الدين النووي، المصدر السابق، ص 2016.

² - ابن حجر الهيتمي الأنصاري هو عالم مصري وُلد عام 1503م. ترك العديد من المؤلفات القيمة، منها: *مبلغ الأرب في فضائل العرب، والصواعق المحرقة، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج*. توفي عام 1566م. ينظر: معجم المؤلفين ، المصدر السابق، ص 152. ينظر أيضا : الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، ص 223.

³ - موفق الدين بن قدامة المقدسي هو عالم وُلد في قرى نابلس بفلسطين عام (541هـ / 1146م) من أبرز مؤلفاته: *المغني، وفضائل الصحابة، وروضة الناظر*. " توفي في دمشق عام 620هـ / 1223م. ينظر : الزركلي، الأعلام ،المرجع نفسه، ص 192.

⁴ - عبد القادر بن عزوز، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي، دار الثقافة، عين الدفلة ، 2006م، ص 607.

⁵ - الونشريسي أبي عباس أحمد بن يحيى ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1981م، ص 07.

⁶ - المصدر نفسه، ص 08.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

في اللغة أي ضعف التراكيب اللغوية، حفاظا على الأمانة العلمية، ولمدلولاتها المعنوية عند السائل وسهولة تصورها وتصوير جوابها لديه¹.

ويتّضح هذا المعنى مما نقله المازوني: " سائلاً اللّخمي عن رجلٍ إذا توضأ، هل ينتقض وضوؤه؟ وإذا تيمم، هل لا يُنقض تيممه، فأجاب: بأنه قادر على استعمال والماء، فهو مخاطب على استعماله وما يرد عليه يمنع كونه ناقضاً².

6- فقه النوازل: اهتم بالقضايا المحلية لبائلك الغرب، حيث تتفق جميع المصادر الفقهية مع كتب النوازل على ضرورة الإعتناء وخدمة المساجد وإصلاحها كلما احتاجت إلى ذلك، يقول ابن خلدون: " ... المساجد ونحوها تعمّ وتثور وتقرش وترمم... ويعاونون بما وقف لوجوه الخير، بحيث لا يتعطل مسجد أصلاً³. وفي نوازل مازونة إشارة إلى أحباس المساجد، ومن ذلك السؤال الموجّه إلى الفقيه أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام التلمساني عن صرف فضلة حبس مسجد على مسجد آخر، فكانت الإجابة بجواز ذلك، وحبس بالبائلك الغربي لصهاريج وآبار على المساجد، أما من يكسر آنية من أواني الوضوء المحبسة في المساجد يذكر الونشريسي أنه يقوم بشراءها وإرجاعها⁴.

فالمنطقة اختص سكانها بالوقف على الزوايا والرباطات، كذلك مثل المساجد والمدارس، حيث قاموا بتشييد الزوايا والرباطات والتحبيس عليها، وكانت مرجعيتهم في هذا الأمر دينية، حيث ينتهجون وينقلون من كتب النوازل السابقة لعصرهم ... فمثلا الرباطات ينقل لنا المازوني مسألة عن حبس حبسه، وشرط أن ينفذ على حصن من الحصون المجابهة العدو على ذلك الحصن

¹ - عبد القادر عزوز، المرجع السابق، ص 608.

² - إسماعيل بركان، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، ، قسم التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009-2010م، ص 358.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون ،مزيل الملام عن أحكام الأنام ، تح: فراد عبد المنعم ، دار الوطن ، الرياض ، 1996م، ص 130.

⁴ - الونشريسي ، المصدر السابق، ص 07.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات .

فكان الرد أن تتفد الغلة في حصن غيره في مثل تلك الوجوه أي يعود للحبس إلى حصن آخر من حصون المسلمين¹.

وفي الدرر المكنونة نازل كثيرة تتعلق بالجهاد وبالخيول والمحبة للجهاد في سبيل الله². وكان علماء بايلك الغرب يعتمدون على كتب المغيلي بشكل كثير لأنه أورد فيها قضايا إجتماعية، لمسائل فقهية حول الوقف، فقد وقعت مسألة بمدينة مازونة أجاب عنها شيوخ بجاية وتونس وتلمسان، وهي عن شخص قام بشراء بيوتات، وذلك من صدقات أمراء العرب بالإضافة إلى بيت محبة على مساجد من مساجد المدينة، وقد كان هدفه من هذا بناء مدرسة بجانب مدرسة أخرى قديمة، وتوفيت امرأة أحد أمراء العرب، فطلب من الباني أن يدفن زوجته في بيت من بيوت المدرسة، فقبل على شرط أن يعطيه قطعة أرض لنفسه لا لمدرسة، والملاحظة الأخرى في هذه المسألة ، ظن الباني أنه كان يقصد من بنائه لهذه المدرسة الإضرار بالمدرسة القديمة المجاورة لها فكانت الإجابة أنه لاشك في خطأ الباني في المدرسة المذكورة، وعلى الوجه المذكور ويجب على من له نظر في أمور المسلمين (السلطة) محاسبته، وأما عن أخذه العوض عن دفن المرأة، فقيه تعدى على حدود الله، ويجب عزله عن التدريس حتى يتوب ولا يجب على ناظر الأحباس تمكينه من فعل هذا، ولو أدى إلى فساد ما بناه الفاعل³.

فلا يمكن رجوع الحبس إلا في حالة كهذه فلا يمكن التراجع في الحبس، إلا الضرورة فالدين هنا قد أسقط الحبس، ويلتزم به، فالشروط في التحبيس يقيد الشيء المحبس، فلا يجوز الخروج عنه، فمرجعيتة علماء بايلك الغرب في الحبس كانت فقهية، ويعتبر المازوني ومصادره الفقهية مادة علمية يرجع إليها علماء بايلك الغرب فيما يخص قضاياها.

وعند الحديث عن البائلك الغربي لابد من الحديث عن الباي محمد الكبير الذي قام ببناء المدرسة المحمدية ورتب لها أوقافا ومدرسين وبنى إلى جانبها مكتبة معمورة بنفائس الكتب،

¹ - يحي المازوني، المصدر السابق، ص 207.

² - يحي المازوني ، المصدر السابق، ص 203.

³ - الوئشريسى ، المصدر السابق، ص ص 242-243.

.....:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

وحبسها على المدرسة، كما اهتمّ بتلمسان ولا سيما مدرستها الشهيرة فجدد بناءها وعين لها المدرسين، وأظهر أوقافها وأضاف لها أوقافاً جديدة وتركها تعجّ بالطلبة ورجال العلم¹.

تتجلّى أهمية الوقف في أبعاده الدينية والاجتماعية والعملية، إذ يعدّ مصدراً رئيساً لدعم الحياة الثقافية ومؤسساتها من مساجد ومدارس ومكتبات وزوايا وأضرحة، فضلاً عن تمويله للعلماء والأساتذة. وقد أدرك البايع محمد بن عثمان، بايع الغرب، هذه الأهمية حين استعاد مدينة وهران، فبادر إلى إنشاء المدارس فيها وأوقف عليها الأوقاف اللازمة، كما أنشأ المكتبات وزوّد بها بنفائس الكتب لتكون زادا علمياً لطلبة العلم.

من أبرز إنجازاته في هذا المجال بناء المدرسة المحمدية، التي اعتبرت بمثابة مدرسة عليا، ورتب لها الأوقاف والمدرّسين، وألحق بها مكتبة عامرة بالكتب النفيسة، وحبسها عليها، وأسند إدارتها إلى رئيس مجلس الشورى العلامة محمد الجيلالي، كما شجّع البايع حركة التأليف والجهاد، وأولى اهتماماً خاصاً بمدينة تلمسان، خاصّة مدرستها الشهيرة التي أعاد بناءها، وعيّن بها الأساتذة، وأبرز أوقافها لضمان استمراريتها².

وقد خصّص للمعلمين مبالغ مالية، حيث يذكر ابن سحنون عبارة جاء بها البايع، قد حرر العلماء مما كانت تجود بها الأوقاف، حيث ذكر: "أنّه رواتب المدرس في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينفقون من ناحية المخزن ألا من كان متولياً لخطّة أو مستعملاً في خدمة"³.

من بين المدارس التي خصّصت عليها أوقاف نجد مدرسة المحمدية التي تنسب تسميتها إلى محمد بن عثمان الكبير، حيث كانت المدرسة مجهزة بكل الوسائل التعليمية وراتب البايع لكل بيت من بيوت المدرسة ما يكفي لشراء الزيت كل شهر، وكان لمقدم الطلبة بها راتب معلوم، ووقف لها

¹ - أبو راس الناصري، فتح الاله...، المصدر السابق، ص 124.

² - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، المصدر السابق، ص 11.

³ - المصدر نفسه، ص 132.

الأوقاف وأحسن للمدرسين من بينهم محمد بن عبد الله الجليلي، ومحمد بن رزفة الدحاوي وطاهر بن حواء¹.

بالحديث المستمر عن تشجيع الباي محمد الكبير ووقفه السخيّ على المؤسسات الثقافية، يتّضح مدى عنايته بالعلم وأهله، إذ كان ينفق بسخاء على ميادين التعليم والمعرفة، وقد عبّر ابن سحنون عن ذلك بقوله: "... فاتّسعت لذلك حال العلماء وانشرت الصدور للقراءة وكثر طلبة العلم² ففي مدينة تلمسان قام بالوقف على مدرستين كانتا، قد استولت عليها الأيدي وقام بإعادة المدرستين الأراضى التابعة لها، كما جاء على لسان ابن سحنون³.

أوقف كذلك على جامع عين البيضاء الذي بناه في معسكر وبهذا الوقف شجّع الباي محمد الكبير على طلب العلم والتعلم بعدما كان العلماء والموظفون في المؤسسات التعليمية الدينية لايتقاضون أجراً، وتجدر الإشارة إلى دور المرأة في الحياة الوقفية حيث صرّحت العديد من المخطوطات بأهمية المرأة في إنعاش الحياة الدينية عن طريق الوقف، حيث قامت عدّة نسوة بأوقاف على المساجد والكتاتيب وغيرها من المؤسسات الدينية، ومن نماذج على ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر مخطوط من تلمسان الى قرطبة سنة (1823م) من مختصر خليل وهو مخطوط كتب بخط مغربي مجوهر ونقرأ في تقييد الختام ما نصه : " كمل مختصر خليل بابن إسحاق على يد كاتبه عبد القادر بن محمد بن طيب ابن رحمة التلمساني، غفر الله له ولي والديه ولأشياخه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء والأموات ، وصلى الله على سيدنا، ومولنا محمد ... وفي ظهرت هذا المخطوط وقفية خاصة لسيدة شاشة بنت الفحصي هذه النسخة من مختصر الخليل على الطالب عبد القادر بن محمد بن بركة بن رحمة التلمساني من شهر ذي القعدة 1198هـ ، "وإليك نص الوقفية ، الحمد لله وحده ، وقفة لسنة الله تعالى شاشة بنت الفحصي هذه النسخة من مختصر الخليل، على الطالب الأجلّ السيد عبد القادر بن شيخ ومحمد بن بركة الشيخ

¹ - نفسه، ص 132.

² - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى...، المصدر السابق، ص ص 132-133.

³ - نفسه، ص 135.

:.....المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

السيد الطيب بن رحمة وبارك في عقبه، ولا أعدم الله له عقبا، قصدت بذلك وجه الله العظيم ،
ورجاء ثوابه الجسيم ... اشتراه من المحبس عليه بستت ريات بوجهها في أواخر شهر الله وكتب
شاهد وموثق عبيده ربه سبحانه محمد ابن..¹.

¹ ينظر: ملحق رقم 08، ص 351.

الفصل الثالث: التراث الفكري والأدبي للمخطوطات الجزائرية خلال العهد العثماني.

أولاً: أهم القضايا التي تناولتها المخطوطات في بايلك الغرب.

1- الجانب الاجتماعي.

2- الجانب العسكري.

3- الجانب الاقتصادي.

ثانياً: العلوم التي تناولتها المخطوطات في بايلك الغرب :

1- العلوم النقلية :

أ- واقع الأدب من خلال المخطوطات.

1- الشعر

2- النثر.

2- العلوم العقلية:

أ- علم الحساب:

ب- علم الفلك

ج- الطب والجراحة والصيدلة.

د- المنطق .

هـ- الجغرافيا والتاريخ.

ثالثاً: الفنون.

أ- فن الرسم

ب- الخط

ج- الزخرفة.

رابعاً: الفكر الديني عند علماء بايلك الغرب قراءة في التصوف على ضوء مخطوط: كنز

لقد شكّلت المخطوطات الجزائرية مرآة عاكسة لمختلف أوجه الحياة في بايلك الغرب الجزائري. لم تقتصر مضامينها على الجوانب الدينية والفقهية فحسب، بل تعدّتها لتشمل شؤون المجتمع اليومية وتفاصيله الدقيقة، إضافة إلى معالجتها لقضايا سياسية وعسكرية واقتصادية. يعكس هذا التنوع مدى انشغال العلماء بقضايا عصرهم وتفاعلهم مع أحداث مجتمعهم، وهو ما وثّقوه في مخطوطاتهم. ومن خلال هذا الفصل، سنحاول الوقوف على بعض أهم القضايا التي تناولتها هذه المخطوطات.

أولاً: أهم القضايا التي تناولتها المخطوطات في بايلك الغرب الجزائري :

1- الجانب الاجتماعي:

لقد أولى العلماء وفقهاء الجزائر في بايلك الغرب اهتماماً بالغاً بالقضايا الاجتماعية التي كانوا يعيشونها في حياتهم اليومية، حيث تناولوا من خلال مخطوطاتهم قضايا حساسة وواقعية شغلت الرأي العام آنذاك، ودار حولها جدل واسع في الأوساط العلمية والدينية. ومن بين تلك القضايا، مسألة تعاطي الحشيشة وشرب الدخان، وهما ظاهرتان أخذتا في الانتشار بين طبقات المجتمع، ما استدعى التدخل الفقهي لتقويمهما وبيان حكم الشرع فيهما. وقد انقسم العلماء بشأن هاتين المسألتين بين محرم ومجوز ومتفهم لسياقهما الاجتماعي والإقتصادي.

ومن الشواهد البارزة على هذا الجدل، ما ورد عن العلامة الجليل أبو رأس الناصري، الذي طُرح عليه سؤال في مجلس علماء الجزائر المنعقد في الجامع الأعظم سنة 1214هـ، حول حكم شرب القهوة وتدخين الدخان، وهو سؤال يعكس مدى حضور هذه المسائل في الواقع اليومي للناس، ومدى حرص العلماء على الإفتاء فيما يجدّ من النوازل، بما يوافق مقاصد الشريعة ومصلحة الأمة. فأجاب أنها تحرم بسبب عدة عوارض، وقال أنّ إدارتها على الجلاس كإدارة الخمر، فيسري لهم التشبه بشربه ويكون لها منادمة كهو، وذكر أن بعض بائعيها يخلطها بشيء من المفسدات، وعلى ما قيل وكذلك تجلب الأراذل وتلاهيهم بها¹. فهي تضيع المال وتندرج ضمن

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله....، المصدر السابق، ص 159.

مفسدات العقول فيقول في هذا الصدد على الدخان أنه سفه وشمه ... مندرج ضمن مفسدات العقول "... وفيه إضاعة المال ... فدعوا إلى تركه حتى وإن غاب النص الشرعي عن تحريمه¹.

لم تنفرد مخطوطات بايلك الغرب بالحديث عن مسألة تعاطي الدخان وآثاره، بل إن التراث المخطوط في بايلك الشرق بدوره يزخر بنصوص علمية وفقهية ثمينة عالجت هذه الظاهرة، ووقفت منها موقف الناقد المتأمل والناصح الحازم. فقد ساهم علماء بايلك الشرق، شأنهم شأن علماء بايلك الغرب، في إثارة النقاش الفقهي والاجتماعي حول عادة التدخين، التي بدأت تنتسل إلى المجتمع الجزائري وتستقر بين عوام الناس وخواصهم.

من أبرز الأسماء التي تصدّت لهذه الآفة بقلمها وفكرها، الشيخ العالم الفاضل **الفكون**، الذي وضع مؤلفاً بليغاً في الردّ على مروجي الدخان وعشاقه، حمل عنواناً صارخاً دالاً هو: "محدد السنّان في نحر إخوان الدخان" وفي السياق ذاته، يبرز اسم العلامة **عبد القادر الراشدي القسنطيني**، الذي ألّف رسالة قيّمة بعنوان "تحفة الإخوان في تحريم الدخان"، ضمنها حججه الشرعية وأدلّته العقلية في تحريم هذه العادة التي رأى فيها فساداً للأخلاق، وهدراً للصحة، وإضعافاً للهمم.

وهكذا، يمكن القول إن هذه المخطوطات لم تكن مجرد نتاج علمي محض، بل كانت صوتاً اجتماعياً يحمل همّ الإصلاح، ورسالة توجيهية سعت إلى ترسيخ ثقافة الوعي بخطورة بعض العادات الدخيلة، والدعوة إلى نبذها حفاظاً على نقاء المجتمع الجزائري وسلامته في مختلف أقاليمه.

من القضايا الاجتماعية البارزة التي تناولتها المخطوطات الجزائرية، تلك المرتبطة بالمواقف الأخلاقية والدينية من التعاون مع القوى الإستعمارية، وتحديدًا مع الإسبان الذين كانت لهم أطماع إستعمارية واضحة في السواحل الجزائرية. فقد رسّخ عدد من العلماء من خلال مخطوطاتهم مواقف حازمة تجاه المتعاونين مع الإسبان، حيث اعتبروا ذلك خيانة للأمة والدين، وذمّوا كل من مدّ يد

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 161.

العون للعدو الصليبي، سواء كان ذلك بتقديم التبن أو الحشيش أو الخيل أو غيرها من أشكال الدعم اللوجستي.

تجسدت هذه المواقف في فتاوى واضحة ونصوص شديدة اللهجة، تُدين هذا السلوك وتُحرض على نبذه، بل وتصل إلى حدّ الدّعاء على المتعاونين باللّعن والدّعاء عليهم بالسّوء، في تعبير قويّ عن الغضب الشعبي والديني تجاه هذه الفئة. وقد وردت إشارات واضحة إلى هذه الظاهرة في كتابات عدد من علماء بايلك الغرب، من بينهم العالم الصوفي المعروف **محمد الحلفاوي**، وكذلك الفقيه والمؤرخ **عبد القادر المشرفي**، اللّذين لم يتردّدا في تسمية الأمور بمسمياتها، وإدانة قبائل بعينها، مثل قبيلة بني عامر، التي اتّهمت حينها بتقديم الدعم للمستعمر الإسباني.

هذه المواقف المدوّنة في المخطوطات لم تكن مجرد آراء فردية، بل مثّلت جزءاً من خطاب جماعي يسعى إلى حماية الهوية الدينيّة والوطنية، وتثبيت مفهوم الولاء للأمة، والبراءة من العدو المحتل ومن يناصره، وذلك من خلال فتاواهم ضد قبائل "أولاد علي" و"الونازرة"، وأعراب قبائل "قيرة" حيث قال **المشرفي**: "أخزاهم الله ولعنهم وأخلى الأرض منهم وصيرهم حطبا لجهنّم"¹.

وتطرّق إلى ذلك الشيخ **الحلفاوي**، فأنكر بشدّة ما صدر عن بعض الفئات من مظاهر الخيانة والتواطؤ مع أعداء الوطن والدين، ولم يتردد في الدّعاء عليهم، قائلاً: "فدعا عليها المرابط الصوفي الحلفاوي سيدي أحمد بالشر، فتقبل الله دعاءه"².

كما انتشرت ظاهرة الكرامات كثيرا بين ثاينا المخطوطات في بايلك الغرب، وفي هذا الصدد يذكر **المزاري**: "أنّ ولي الله الصّالح السيد عبد القادر بوعمامة تلميذ الضّرير سيدي محمد أبي دية كان كثير الكرامات، مأذونا له بالكلام في أمور الكشف، وكان يمكن في عبادته بغابة مولاي إسماعيل، ولما قام الدرقاوي بحرق واتلاف المزارع دعا عليه الولي الصّالح بكلامه المشجّع قائلاً: "يا سيدي داود غير هذه المرة ولا تعاود"، "يا سيدي مبارك نوض الجمل المبارك"، ولما وصل الجيش الدرقاوي مزارع سيق قرب سيدي داود، قامت عليه قبائل الغرابة مجتمعة الميدان فتعرضوا

¹ - المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر...، المصدر السابق، ص 36.

² - المصدر نفسه، ص 29.

له بالضرب والنهب والقتل والسبي، ولما وصل سيدي مبارك لقيه فرسان البرجية، فتعرضوا له وهو سائر، وتكلم المدفع الرّباني فيه من سيدي مبارك فسمعه الغائب وشهده الحاضر¹.

عبر العلماء الجزائريون، ولا سيما أصحاب المخطوطات ذات الطابع الديني والفكري، عن موقف رافض لكل فكر دخيل لا يستند إلى أصول الشريعة الإسلامية. وقد كان موقفهم حاسماً تجاه أيّ تجديد لا يندرج ضمن إطار النصوص الشرعية، معتبرين أنّ إنكار الحقائق الدينية، سواء في كلياتها أو جزئياتها، يُفضي إلى الاتهام بالإلحاد والابتداع. ويبرز من بين هؤلاء العلماء العلامة أبو رأس الناصري، الذي تصدى في مؤلفاته لعدة مظاهر من التأثير بالفكر الوافد، خاصة القادم من الغرب المسيحي. وقد سجّل اعتراضه الصريح على التدخل الفرنسي في مصر، واعتبره اعتداءً مباشراً على ديار الإسلام وخيانة لحرمة الخلافة الإسلامية.

وتتجلى نظرتة العقدية والسياسية لذلك الحدث من خلال قوله: "ولمّا دخل الكفر مصر"، وهي عبارة تحمل دلالة واضحة على موقفه من الفرنسيين واعتبارهم قوّة استعمارية كافرة غازية. كما لم يتردد العلامة أبو رأس الناصري في توصيف نابليون بونابرت بأوصاف دالّة على موقفه العقدي والسياسي منه، فقد نعتّه بـ "عدو الله" و"الطاغية"، وذلك في سياق تنديده بما ارتكبه من اعتداءات جسيمة ضدّ السّكان الآمنين، وانتهاكه لأعراض النّساء، وتعدّيه على المقدّسات الإسلامية والمساجد، وهو ما اعتبره ضرباً صارخاً لقيم الدّين وانتهاكاً لحرّمات الإسلام. وفي هذا الصدد، يقول: "... ودخلوا جامعها الأعظم فأهين أشدّ إهانة، وشتّتوا خزائن الكتب التي به وداسوها بالأرجل وحوافر الخيل"².

أيدّ هذا الرفض الأفكار الغربية الوافدة داخل المجتمع الإسلامي العربي ابن سحنون الراشدي، حيث اعتبر ما يحدث في فرنسا من ثورة ضد الملك وأركان حكمه فتنة أصابت هذا البلد في ظلّ

¹ - المزاري بن عودة ، طلوع السعود ...، المصدر السابق، ص 311.

² - أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 63.

الحكم الملكي الشرعي والسلطة القائمة، " ... وأبطلو جميع المكوس والوظائف السلطانية، وأخذوا جميع ما بأيدي علمائهم من الأحباس والأموال¹.

يضيف قائلاً: " ... فتفرقوا في البلاد النصرانية، فقاموا بحقهم وقواهم الله في بلادهم، ففعل كلُّ منهم ما أراد من جهة الدين، ولا يُنكر عليه، ثم قتلوا ملكهم وبعثوا به إلى جميع أجناس الناصري يأذونهم بالعداوة"².

يتطرق ابن سحنون إلى كلِّ مجريات الثورة الفرنسية، ويتبين لنا أنه كان على علم تام بأحداثها ومجرياتها وتفاصيلها الدقيقة، وتضرع إلى الله أن يُغرق هذه الثورة وأهلها في كيدهم وينشغلوا بأنفسهم، ولا يفكروا في نشر هذه الأفكار إلى بلاد المسلمين، حيث يقول: "... والله المسؤول أن يبقي كيدهم ويشغلهم بأنفسهم"³.

من خلال ما تضمنته هذه المخطوطات، يتبين أن أصحابها سعوا إلى ترسيخ فكرة طاعة الحكّام، وتثبيت أسس السلطة السياسية القائمة في الجزائر عموماً، وبايليك الغرب على وجه الخصوص. كما أقرّوا، بشكل ضمني أو صريح، مشروعية قمع الثورات المحلية مهما كانت دوافعها ومبرراتها، ورفضوا دخول أيِّ عادات أو مؤثرات ثقافية دخيلة على المجتمع.

انطلاقاً من هذا التوجّه، يمكن تفسير معارضة علماء بايليك الغرب لأفكار الثورة الفرنسية، فهل يعود ذلك إلى جهلهم بالفكر الحديث الذي تبنته تلك الثورة؟ أم أن البيئة المغاربية في ذلك الوقت لم تكن مهيأة لتلقّي مثل هذه الأفكار، في ظل حالة من التخلف الحضاري؟ أم أن الرفض كان بدافع الخوف من فقدان المكانة الدينية والامتيازات الاجتماعية التي كانوا يتمتعون بها ضمن النظام التقليدي القائم؟.

وفي مجال كل القضايا الشائكة في البايك الغربي لجأ العلماء والمتصوّفة إلى الفتاوى الدينية وكان أغلبها دعم الجهاد وتحرير المدن والثغور. فهذا ابن زرفة الدحاوي يتحدث عن فضل الجهاد

¹ - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 224.

² - المصدر نفسه، ص 225.

³ - نفسه، ص 226.

قائلاً: " ... ولا شك أن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين لاسيما في الثغور التي هي درب الإسلام وحصنه المانع¹.

واهتمام العالم ابن زرفة على الكتب المالكية للحث على الجهاد والتشجيع عليه من خلال المشاركة في رباط وهران إلى جانب الطلبة بعد ما كلفه الباي محمد الكبير بذلك قائلاً: " ... ولما عازمت على الانطلاق وعقدت لتقييد الرحلة حبل النطاق دخلت إلى مجلسه وتطلّلت بإبقاء غصنه الرطيب، فكان من فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى بطول عمره ودوام منصبه².

واصل العالم ابن زرفة الحثّ على الجهاد والترغيب فيه باعتبار الإيمان الحقيقي فيأبى موالاة الكفارين ولايواريهم بالحلف والنصر، ومن كان كذلك فهو منهم، وتجري عليه أحكامهم والخلود في النار³.

واستدلّوا على ذلك بالآيات القرآنية بقوله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)⁴ وكذلك قوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ)⁵.

ويؤكد هذا العلامة الجامعي⁶ في قوله: " ... وقد تكلمت مع بعض الفقهاء في هذه المسألة وهم من أهل الخبر المشهود لهم بالصّلاح، فأرادوا أن يجعلهم كلهم عصاة لا تباح أموالهم ولادماؤهم بدخولهم تحت ذمة الكافر، وكان مما طرق سمعه تجسّسهم على المسلمين وتطلّعهم على عوراتهم وإعلام الكافر بذلك، ولما لؤموا على هذا الإفساد، رضي من لم يفعله منهم بما

¹ - ابن زرفة الدحاوي ، الرحلة القمرية...، المصدر السابق، ص 764.

² - المصدر نفسه، ص ص 149-150.

³ - نفسه ، ص 441.

⁴ - سورة المجادلة ، الآية : 22.

⁵ - سورة المائدة ، الآية : 51.

⁶ - عبد الرحمن بن محمد الجامعي الفاسي (1676-1771م) كان أديباً وعلامة. درس في فاس على يد كل من عبد الرحمن الفاسي، ومحمد الجامعي، ومحمد الكماد القسنطيني. سافر بعد ذلك إلى تونس حيث تلقى العلم على يد علمائها، وعمل مدرساً في جامع الزيتونة، كما أسس مدرسة هناك. وقد مدحه العديد من العلماء الجزائريين، منهم العلامة ابن ميمون الذي وصفه بقوله: "الكاتب اللزوعي، العالم الألمعي... لا أعلم أني لقيت مثله في طريق الآداب". ينظر: خوجة ، ذيل البشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تح: الطاهر المعموري ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975م، ص 254.

اقتطفه فاعله وعدم إنكاره. نسأل الله تعالى أن يعلمنا الحق ويوفقنا للعمل به ويهدينا إلى اتباع نبيه عليه الصلاة والسلام¹.

كما كان للكرامات حضور في مخطوطات بايلك الغرب، وهي التي يحار فيها العقل ويقف الفرد حائراً على إيجاد تفسير علمي مناسب لها وفي هذا الصدد يتطرق شيخ الصوفية الإمام السنوسي إليها قائلاً: "إن منكر الكرامات كافر، كما يعد منكر المعجزة أو السحر كافراً أيضاً، إذ أن الثلاثة ثابتة لا مجال لإنكارها، وهي دليل على رضا الله تعالى وقبوله لمثل هذه الأعمال"².

كما تواجدت ضمن المخطوطات الجزائرية النوازل، والنازلة كما وردت في لسان العرب هي: الشديدة التي تنزل بالقوم وجعمها نوازل" وقال: " والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس نسأل الله السلامة فهي أمر فقهي وحوادث تحتاج إلى حكم شرعي³. والشيخ العلامة أبو رأس الناصري له نوازل عديدة أهمها:

✓ الأحكام النوازل في نبذ النوازل.

✓ العقود الجوهرية في النوازل العسكرية.

وهي نوازل لا تزال في حكم المفقود. والنازلة المخطوطة التي تحصلنا عليها: " تضم العجيب في الفروع التي قل فيها النص مع كثرة الوقوع"، وهي عبارة عن ورقة من بين نفائس مكتبة الشيخ محمد بلقرند المعسكري⁴، وهي تامة إلا أن فيها بعض التمزق في بداية النص، وما يثبت صحة نسبها إلى الشيخ أبي رأس الناصري، هو ناسخها عبد القادر بن هيني، الذي صرح في آخر التقييد أنه نقلها من خط الشيخ نفسه.

وموضوع النازلة الطلاق، حيث يتطرق أبو رأس الناصري إلى علاقة الزوجين بعد الطلاق يقول بأنه: من حلف بالطلاق الثلاث لا يساكن قريبه في بيت واحد، فيجب أن يفارقة نحو شهر بسبب ما صدر منه، فإن كان سبب ما صدر منه الغضب، فيمكن أن يرجع لزوجته وتبرأ ذمته من

¹-إبن زرفة، المصدر السابق، ص 423.

²- نفسه، ص 87.

³-إبن منظور، المصدر السابق، ص 112.

⁴- ينظر الورقة المخطوطة، في الملحق رقم 09، ص 352.

اليمن مستدلاً بحديث النبي ﷺ

رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

سيان وما استكروها عليه) حديث حسن رواه البيهقي وغيرهما، وكتب في الفقه، حيث أورد في نصّ النازلة كتاباً في المذهب المالكي للشيخ علي بن محمد الأجهوري الزهرات الوردية في الفتاوى الأجهورية¹.

عرف بابلك الغرب بثقافته التقليدية طول الفترة العثمانية، بسبب ركود التعليم وانغلاق باب الاجتهاد، كما عرفت هذه الفترة غياب العلوم العقلية والاجتهاد باستثناء بعض المحاولات المحتشمة التي قام بها بعض العلماء في محاولة منهم لكسر الجمود وتحطيم أغلال التقليد ورفض لكل جديد، فأنحصرت الثقافة بابيلك الغرب في بعض التفاسير والشرح والحواشي الفقهية والعقائدية. أما الفلسفة فقد حرم بعض الفقهاء الخوض فيها " وحذروا منها تلامذتهم، ومنعواهم أن يتعلموها خوفاً عليهم من أن يتيهوا في درب الكفر ومزالق الإلحاد...².

فالحركة العلمية الدينية كانت تعتمد على الحفظ الجاف لنصوص الحديث وإجترار الأراجيز الفقهية والأذكار الصوفية، وضبط ست وستين عقيدة ليخرج المكلف من بوتقة التقليد³. فكان جلّ علماء البابلك الغربي لا يحكمون بالعقل، بل ينحون نحو التسليم إلى من سبقهم من رجال التقليد، ويرون إلى الأخذ بالمنقول أصوب منهج لمن اتبع سنة الله ورسوله⁴.

أما الأدب والشعر وفنونهما في الجهة الغربية، فلم يتجاوزا نطاق المدائح النبوية، والمقطوعات الصوفية، وبعض الأشعار الغزلية، فضلاً عن المقامات والأزجال النثرية. وقد غلب على أسلوب العلماء في هذه المنطقة طابع العامية، إلى جانب ضعف واضح في البناء اللغوي وركاكة في التركيب، لا سيما فيما يتعلق بالعقود الشعرية والخطب المنبرية. وفي هذا السياق،

¹ - ينظر ملحق رقم : 09 ، ص 352 .

² - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 47.

³ - المصدر نفسه، ص 76.

⁴ - نفسه، ص 61.

يذكر ابن ميمون ما يفيد: " ... ولعل وصمة اللحن الفاحش، وركاكة الأسلوب هما اللتان وقفتا حجر عثرة في طريق من يريد تدوين ثقافة الجزائر وتاريخ ماضيها"¹.

لقد غلب على منتوج العلماء الجزائريين في الجهة الغربية طابع التقليد الأعمى، لا من حيث الأسلوب فحسب، بل من حيث أنماط التفكير ومنهجية الطرح والمعالجة أيضاً؛ إذ تارةً يستقون معارفهم من علماء المغرب الأقصى وتونس، وتارةً أخرى من أعلام المشرق العربي، وأحياناً من تراث علماء بجاية والأندلس، دون أن تبرز شخصية علمية محلية تحمل سمات التجديد أو تقطع مع الاجترار.

يتفق أصحاب المخطوطات في بايلك الغرب حول توصيف واقع الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، مع ما أورده عدد من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا البلاد في القرون الماضية، ودونوا مشاهداتهم في مؤلفات حملت في طياتها ملامح الحياة العلمية والاجتماعية السائدة آنذاك.

من أبرز هؤلاء الرحالة، نذكر منهم "شاو Shaw"، الذي زار مدينة الجزائر وبعض الحواضر المجاورة ما بين سنتي 1720م و1732م، وقد وصف المشهد العلمي والثقافي بما رآه وشهده، حيث قال: " كانت منذ وقت طويل في حالة متدهورة، الفلسفة والرياضيات والطبيعات، والعلوم الطبية التي شتهر بها العرب قديما، فقد أصبحت الآن من العلوم التي لا يعرف عنها أي شيء ... وهذا بسبب النظام الاستبدادي والفوضى السياسية مما يتنافى مع انتشار العلوم والثقافة التي تتطلب الاستقرار السياسي والحرية الفكرية"².

وكذلك نجد القنصل الأمريكي شالر (William Shaler) الذي عاش بالجزائر من (1816-1824م)، حيث يقول: " إن العلوم غير موجودة وإن وجدت فهي ضئيلة، فعلم الطب لا يوجد من يمارسه باستثناء المشعوذين وكتاب "الحروز"³.

¹ - محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 62.

² - Shaw : Voyage dans la Régence d'Alger. traduit de l'anglais par J Mc Carthy 2^{ème} Edition, Edition bouslama Tunis, p 353.

³ - وليام شالر ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع: إسماعيل العربي ، ش.و.ن.ت. ، الجزائر ، 1982، ص 84.

2- الجانب العسكري:

يُعتبر علماء البايك الغربي أنّ الجهاد ضدّ الإسبانين لتحرير الثّغور لا يختلف في شيء، عن غزوات النبي ﷺ، فراح العلماء والطلبة لرباطات لطلب العلم والجهاد، وكان معظمهم لا يعرف استعمال السّلاح، ولم تكن لهم دراية مسبقة بالفنون القتالية والعسكرية وكان الباي محمد الكبير قد أدرك بحسه السياسي أن فتح وهران لا يكون إلّا على يد هؤلاء الطلبة والعلماء والصلحاء، فشارك هؤلاء العلماء والطلبة في الجهاد لتطهير الجزائر من الصليبيين الإسبان وحققوا العجائب والغرائب ويؤكد لنا ابن سحنون في مخطوطه: "الثغر الجماني": "... فسقطت قربه بومبة فرمى عليها برنوسه وركب فوقها وهي تدوربه، فقال لرفيقه ويلك تقلني حتى لا تطير بي، فركب فوقه وما فارقاها حتى أطفئت، ... ولقد رأينهم تمرّ بهم في الهواء فيتبعونها حتى تسقط فتارة تتفرق في وجوهمهم فيحفظهم الله منها ... وتارة يعاجلونها فييطفئونها ويحملونها إلى الأمير أدام الله نصره"¹.

ويتحدث عن الجانب العسكري ابن زرفة، حيث ذكر دور السكان في الفتح قائلاً: "إنّ عملية الفتح لم تكن تأتي من الدولة فقط، بل من أهالي المدن والقرى خاصّة مستغانم ومعسكر وتلمسان، إلى أن حقّق الله تعالى الأمانى بتقسيم " الثغر الوهراني"، وراحت بشائرها تنادي في الحواضر والبوادي ..."².

أمّا أبو رأس الناصري فيتحدّث عن الجيش الإسباني، الذي كان ينهب ويقتل بقوله: " وكان طاغية الناصري يشنّ الغارات على المسلمين ... فسارت السرايا وملاّته من جملة بلاده التي تحت يده، يتردّد بها في ليله ونهاره ... وتكرّرت غزواته على "هبرة" والحرب بينهم سجال إلى أن تلاشوا واضمحلوا"³.

عند حديثه عن الحرب الإسبانية كانت تأليفه مليئة بالحثّ على الجهاد، ونشر ثقافة المقاومة ودعوة الناس إلى المشاركة في هذه الحروب، فنجده يتوسل إلى النبي ﷺ، ويتضرّع إليه ويعتبرها

¹ - ابن سحنون، المصدر السابق، ص 240.

² - ابن زرفة، المصدر السابق، ص 149.

³ - أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار ...، المصدر السابق، ص 44.

سببا من أسباب النصر والفتح بقوله: " ... فقد جاء الشرع بجواز التّوسل بأوليائه وأنبيائه لاسيّما أشرف خلقه ﷺ¹.

كما ساهموا في نشر ثقافة إقامة الرباطات والمشاركة فيها، كما استدلوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفي هذا الصدد يقول ابن زرفة الدحاوي: " رباط يوم وليلة خير من صيام الشهر وقيامه ". ويقول أيضا: " كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من حمية الغير"²، ولجأ أصحاب المخطوطات إلى القصائد الشعرية، لتقديم النصح ومحاربة الظلم والتحريض على الجهاد ورفع الغبن على الرعية والعلماء، وكانت قصائدهم صورة صادقة الوضع السياسي فهي، تمثل صرخة في وجه الاستبداد والظلم. ويعتبر الشاعر المنداسي أبو عثمان الذي وقف موقفا عدائيا أحسن أنموذج من خلال قصيدته النبوية المشهورة³.

أثار أصحاب المخطوطات في نفوس الرعية الغيرة على الدين وحبّ الشهادة في سبيل الله والوطن وحمل السلاح، وعلى إثر هذا الصدد يذكر ابن سحنون: " ... وقد كان اشترى لهم نحو ألف سيف، فأمر فجعلت لها الأغمد والحمائل، ثم بعثها ففرقناها عليهم مع بعض الامكاكل التي كان يوجهها إليهم مرة مرة فكانوا يتسابقون إليها ويتزاحمون عليها حتى آل الأمر أنهم خطفوا بعضها نهبا ثم ردّوه فقسّم عليهم سواء "⁴.

ومما تقدّم، يمكننا أن نستخلص الدور المحوري الذي اضطلع به العلماء والسكان المحليون في قيادة المقاومة الشعبية ببايلك الغرب ضدّ الهجمات الصليبية. فقد حملت المخطوطات الجزائرية بين طياتها شواهد حيّة على تضافر جهود العلماء في مواجهة التهرّشات الإسبانية، حيث اتخذوا من الكتابة وسيلة لترسيخ ثقافة الجهاد والدعوة إلى مقاومة العدوان، والتأكيد على ضرورة طرد الغزاة الصليبيين من أرض الجزائر عموماً، ومن بايلك الغرب على وجه الخصوص.

¹ - أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته... المصدر السابق، ص 40.

² - ابن زرفة، الرحلة القمرية... المصدر السابق، ص 441.

³ - سعيد المنداسي، المصدر السابق، ص 126.

⁴ - ابن سحنون، المصدر السابق، ص 235.

وقد تميّزت هذه المخطوطات بشمولها لمختلف أبعاد الفكر السائد آنذاك، إذ لم تقتصر على البعد الديني والثقافي فحسب، بل امتدت لتتناول القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية، مما يجعلها مصدراً مهماً لفهم الديناميكة التاريخية والفكرية التي شهدتها المجتمع الجزائري قبيل الاحتلال.

3- الجانب الاقتصادي:

ففي الجانب الاقتصادي تطرّق أصحاب المصادر المخطوطة إلى الزراعة والصناعة والتجارة، وكيف برزت الثقافة، في هذه القطاعات، فمخطوط المجاجي عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي: " التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتنصير والتوليج "، أحسن أنموذج للثقافة الزراعية، فهذا المخطوط له أهمية إقتصادية كونه يعمل على تنظيم السيرورة الإقتصادية الفلاحية الجديدة، التي ظهرت بقدوم الأندلسيين إلى بلاد المغرب عامة وبايلك الغرب على وجه الخصوص، هذا وفي المقابل أنه شاعت بعض الممارسات الفلاحية التي لا تمدّ بالفقه صلة، كما نقل ذلك المجاجي في كتابه هذا.

فالمخطوط عرّف بأسماء عدّة منها: " التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتيسير"، وتضمّن هذا المخطوط مبحثاً مفصلاً حول المغارسة، تناول فيه المجاجي تعريف هذا النوع من المعاملات الفقهية، مبرزاً حقيقته وشروطه وصوره وأحكامه، إضافةً إلى ما يندرج ضمنه من محظورات شرعية. كما التحق بهذا المبحث قسمان فرعيان بالغا الأهمية، خصّص الأول لـ التيسير، والثاني لـ التوليج، حيث ناقش فيهما ما يتعلّق بتيسير المعاملة على الأطراف المتعاقدة، وأحكام إدخال الشركاء أو الورثة في حقوق المغارسة، ضمن رؤية فقهية دقيقة تجمع بين التنظير والممارسة.

اشتهر هذا المخطوط كثيراً في بلاد المغرب الأقصى، كون بعض الباحثين والمهتمين بالمخطوط ظنّوا أنه للشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. وهذا لتشابه الأسماء بينهم وعملوا على إخراجهم إلى النور، حيث لم ينشر مخطوط قبله في هذا الموضوع ، وهذا يعدّ نعمة على

الباحثين والثقافة الجزائرية، التي وجدت مصنفًا " ذو قيمة علمية وثقافية ودينية كبيرة وتبرز القيمة الثقافية لهذا المخطوط كون الغرسة والزراعة لم تكن معروفة في بلد المجاجي من قبل ، كما أشار إلى ذلك المجاجي بنفسه، ولكن بعد مجيء الحكم العثماني تطوّرت كثيرا وهذا بسبب الأندلسيين الذين فروا بدينهم من إضطهاد النصارى لهم فاستقبلهم الجزائريون في تلمسان وغيرها من المدن الجزائرية أحسن إستقبال فأدخلوا معهم حرفا وصناعات، وآلات لم يعهد لها أهل المغرب.

كما أفادوهم في تجاربهم من ريّ وغرسة إلى تربية الحيوانات، فغرض كتابة المخطوط إقتصادي بامتياز، من خلاله أفرد الشيخ المجاجي المغرسة بتأليف جمع فيه جلّ مسائلها فيه بمنهجية علمية واضحة، كما شكّل لها نظرية فقهية مالكية موحدة فالإمام المجاجي، من خلال هذا المخطوط ساهم في إحياء رفوف المكتبات بمخطوط حمل في ثناياه جانبا إقتصاديا وعادات فلاحية لم تكن موجودة قبل ذلك كإهتمام الناس بغرس الأشجار والرعي وزراعة الحبوب وإنتشار الغرس وغيرها من الأمور الفلاحية¹.

كما تظهر المخطوطات التي عرفها بابليك الغرب الثقافة الإقتصادية، وذلك بإخبارنا عن ثمن المنتجات الغذائية ومستوى العيش في البايك الغربي، فنجد في هذا الصدد يشير الزهار: "... وقع الغلاء في القمح مدة ستّ سنوات، وأعطى الله القحط، وهو الجوع في الناس، حتى صارت قيمة الصّاع الجزائري تقدّر بأربع بجة والناس يموتون جوعا في الأسواق². والشيء نفسه ذكره المزاري "... وقع غلاء عظيم وقحط فيه الناس"³.

ويذكر لنا حمدان خوجة أنّ عاصمة البايك الغربي معسكر أصبحت في عهد الباي مصطفى من أغنى المدن ازدهاراً بالأنشطة الحرفية نذكر منها: والأحذية والألجمة، كما ارتبطت

¹ - فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية في المغرب ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1989م ، ص 84.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 31.

³ - آغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 127.

هذه الصناعات بظهور أحياء متخصصة منها "حي سيدي علي محمد"، و"حي العرقوب" والذي تم فيه إنشاء أحواض لدباغة الجلود. بينما تركّزت الصناعات الصوفية والنسيجة داخل المدينة¹.

وكانت هذه المخطوطات أحسن سفير للمنتجات الجزائرية ببايلك الغرب باعتبارها همزة وصل بين القراء، فتطوّرت إلى الصناعات التي كانت مشهورة بالجهة الغربية، وركحا على ذلك نجدابن هطّال التلمساني يتطرق إلى صناعة البرانس، الذي عرف تطورا كبيرا خاصة بمدينة معسكر، فكان لونها طبيعي وتصدّر إلى تركيا ومصر، وفي العهد الفرنسي، أصبح الفرنسيون من المعجبين به، وتحدث عن المواد التي تُصنع منه بقوله: "ثوب ينسج من صوف أو وبر له أسكيم يغطّي به الرأس شتاء وهو من ألبسة الجزائريين الذين يقطنون المناطق الباردة، كما أنه شعار البرابرة القبائل"².

لم تقتصر الصناعة على النسيج فقط بل تعدتها إلى الصناعات الحربية، التي كانت حاضرة في كتب ومصنفات علماء بايلك الغرب، فالباي محمد الكبير عند فتحه لوهران قام بالعديد من الإجراءات والتدابير لتنظيم جيشه من جمع الطبقية، وهم رماة المدافع وكذا البونابجية وهم رماة القنابل سواء من بايلك الغرب أو خارجه، كما قام بإرسال كاتبه أحمد بن الهطّال إلى المغرب لشراء البارود، وجلب متخصصين لتعليم الطلبة، والمشاركة في الفتح وصناعة البارود سواء من تلمسان أو الجزائر أو مستغانم، فالباي أشرف بنفسه على الصناعة وقرب إلى نفسه علماء وأصحاب مخطوطات على غرار العالم محمد بن علي أبو طالب المازوني³، وقد قام هذا الباي ببناء مصنع للبارود، واستغلّ مهارة الصّناع الإسبان التّجار الذين كانوا يعلمون في الجزائر، وكان وسيطة (Santiago Grimoud) حيث أحضر للباي شخصين في المناجم وصهر البرونز الذي تصنع منه المدافع والبارود، وتمكّن من التنقيب على هذه المواد في مناجم معسكر، لكن إسبانيا

¹-Hamdane khodja , Le Miroir Aperçu Historique sur la Régence d'Alger paris Ed la bibrothèque arabe sindbad, 1985, p 85.

²- أحمد بن هطّال التلمساني، المصدر السابق، ص 66.

³- أبو طالب محمد: هو بن علي المعروف بإبن الشارف المازوني المتوفي سنة 1233هـ، تتلمذ على يده الكثير من الطلبة أمثال أبو رأس الناصري، شارك وطلّبه في تحرير وهران من الإسبان ينظر:

Moulay Belhamissi , Histoire de Mazouna , une petite ville, un lonque histoire, alger, 1982, p 49.

تخوّفت من قوة الباي والتطور العسكري له، فطلب القنصل (Don Manuel De Dsper) من الباي تصريح الصانعين الإسبانين وعائلاتهم فاستجاب الباي لذلك¹.

يتضح من خلال الدراسة أنّ أصحاب المخطوطات، وعلى رأسهم ابن الهطال، أولوا الصناعات الحربية أهمية كبيرة وأبرزوا دورها الحيوي في عمليات الفتح، وذلك بخلاف الرؤية السائدة لدى بعض الباحثين الذين يعتقدون أنّ الجانب الإقتصادي تناولته فقط المؤلفات المشرقية والرحالة، بينما اقتصر العلماء الجزائريون على الجانب الديني والثقافي. فقد جاءت كتاباتهم أكثر تنوعاً وشمولاً، حيث اهتموا بجوانب متعددة من الحياة، منها الاقتصاد والسياسة والعسكرية، إلى جانب الدين والثقافة، وذلك نظراً لشمولية مجال الدين وأثره الكبير في حياة المجتمع.

ومن خلال تتبع مخطوطاتهم، نجد أنّ معظمها يحمل طابعاً دينياً محضاً، إلا أنّ ذلك لا يمنع من وجود مخطوطات تناولت قضايا إجتماعية وإقتصادية وعسكرية، مما يبرز الدور المتكامل الذي لعبه العلماء في تلك الحقبة. وقد وقع اختيارنا على أربع نماذج من هذه المخطوطات الجزائرية، وهي قيد الدراسة والتحليل حالياً، لما تحويه من معلومات ودلالات تعيد تقييم إسهامات العلماء الجزائريين في توثيق واقعهم المحلي ومقاومتهم، وتؤكد على تعدد أدوارهم بين الدين، السياسة، الإقتصاد، والعسكر.

ثانياً: أهم العلوم التي تناولتها المخطوطات ببائلك الغرب:

1-العلوم النقلية:

رغم توفر المراكز والمؤسسات الثقافية في البائلك الغربي، إلا أنّ الحياة الفكرية والأدبية بالبائلك تميّزت بالتدهور والركود، كما أشار أبي رأس الناصري الذي شكا تدهور الحياة الثقافية والفكرية في قوله²، إنعدام العلم وإنعكاس أحوال العلماء والأدباء، كما أشار ابن سحنون الراشدي

¹ - أحمد بن الهطال التلمساني، المصدر السابق، ص 320.

² - أبو رأس الناصري، المصدر السابق، ص 60.

إلى تفهقر اللسان العربي الفصيح وبلاغته فقال " إن الألسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها السر والحكمة"¹.

وقد أشار خزندار محمد الكبير، باي الغرب الجزائري " تيدينا"، في مذكراته إلى نقشي الأمية في عاصمة البايك الغربي، خاصة مدينة معسكر، مما يعكس تراجعاً في مستوى التعليم آنذاك. كما عبّر عن هذا التدهور أيضاً الرحالة أبو القاسم الزياني عند زيارته لمدينة تلمسان سنة 1792م، حيث لاحظ مظاهر الانحدار في الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة، حيث ذكر: وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقاً ولا لغة عربية لإصلاح اللسان ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية².

أ- واقع الأدب من خلال المخطوطات:

لم تتجب الجزائر في العهد العثماني أدبياً بارزاً، يغشى بأدبه بلاطات السلاطين ومجالس الطرب واللهو³. وعلى الرغم من قلة ما ألفوه في علوم اللغة، إلا أن إهتمامهم بالنحو كان بارزاً، وقد خلفوا لنا إنتاجاً مميزاً وفريداً في هذا المجال.

وقبل كل شيء، لا بد من الإشارة إلى أن دواوين شعراء الجزائر في أواخر العهد العثماني ما تزال طي الكتمان، إذ أن ما نعرفه عن أغلبهم لا يتجاوز بعض الأبيات أو القصائد المتناثرة في المصادر التاريخية أو الفقهية، أو المدونة عرضاً في بعض الوثائق العامة. ويُعدّ هذا الواقع شاهداً

¹ - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 149.

² - الزياني، الترجمانة الكبرى ...، المصدر السابق، ص 123.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، المرجع السابق، ج.1، ص 78.

على ظاهرة الإهمال التي طالت الشعر وأهله في تلك المرحلة.

ب- الشعر:

ومن بين الشعراء الذين قاموا بتدوين الشعر أحمد بن سحنون الراشدي في الأزهار الشقيقة¹ وأبو رأس الناصري في الدرة الأنيفة². أنشد الشعراء قصائد عديدة تمجّد أدوار الصوفية والعلماء في مقاومة الغزاة من جهة، والتصدي لظلم الحكّام من جهة أخرى، كما تناولوا في أشعارهم مظاهر القهر والإخضاع التي مارسها بعض الحكّام على العامة.

أصبح الشعر الشعبي في بايلك الغرب ظاهرة إجتماعية تعكس بصدق الواقع العام الذي كان سائداً، حيث ساهم في دفع حركة التغيير وإعادة تشكيل المجتمع، من خلال دعوته الصريحة إلى مقاومة الظلم والخروج على الحاكم، شأنه في ذلك شأن الأدب الجزائري الفصيح. وقد عبّر شعر الملحون بوجه خاص عن الحالة النفسية المتأزمة الناتجة عن غياب التعاون والتلاحم بين الحاكم والمحكوم، بفعل السياسات القمعية وأساليب الإخضاع التي انتهجها بعض الحكام العثمانيين. لقد عبّر العالم والشاعر أبو عثمان المنداسي التلمساني³ الذي وقف موقفاً عدائياً من الحكام العثمانيين فغادر بلاده تلمسان وشهر بمعاملتهم لسكانها وحرّض بني قومه على الثورة والتمرد ضد الحكام، من خلال قصيدته النونية المشهورة والتي تعد تعبيراً صادقاً عن الوضع السياسي التي آلت إليه الجزائر والتي تقتبس منها هذه الأبيات⁴:

بُنِيَ السَّدُّ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلنَّاسِ رَحِمَهُ *** فَيَا لَيْتَهُ مِنْ شَوْكَةِ التُّرْكِ هُنَا
عُتُوٍّ وَاسْتَقَرُّوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْقُرَى *** وَقَدْ عَبَدُوا حُمُرَ الدَّنَانِيرِ أَوْثَانَا

¹ - أحمد بن سحنون الراشدي ، الأزهار الشقيقة المتوسطة بعرف الحقيقة...، مخطوط مصور بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 243. ورقة 11 ، ط.

² - أبو رأس الناصري، الدرة الأنيفة في شرح العقيدة ، تح: وتق: أحمد أمين دلالي، المركز الوطني البحث في الأنثرو بولوجيات وهران، الجزائري ، 2007م، ص27.

³ - المنداسي: هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني، عاش بتلمسان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري القرن السابع عشر ميلادي، تعلم وأصبح له إصلاح ومعرفة بعلوم عصره اللغوية والفقهية إضطر المنداسي إلى مغادرة تلمسان مسقط رأسه والتحول إلى المغرب لسبب معارضته تصرفات الحكام العثمانيين إلى أن وافته المنية 1677م بإقليم تافيلالت، ترك المنداسي ديواناً من الشعر حقيقة رابح بونار . ينظر: ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص 369.

⁴ - أبو عثمان التلمساني، المصدر السابق، ص 131.

وَأَكْبَرَ شَيْءٍ أَفْسَدَهُمْ أَكْفَهُمْ *** تَلْمَسَانِ عَيْنَ الْغَرْبِ عِلْمًا وَإِيمَانًا.
عَلَى نَهَبِ الْأَمْوَالِ تَظَاهَرُوا *** وَأَنْتَ لَهُمْ أَعْلَى الْمَدِينَةِ أَذَانًا

كما اشتهر بنقدهم أيضاً الشاعر مسلم بن عبد القادر الوهراني، الذي كان موظفاً بديوان الباي، وقد عبر عن ذلك في عدد من الأبيات، نأخذ منها على سبيل المثال:

أَدَبَهُمْ رَبُّهُمْ لَمَّا طَغَوْا *** عَرَفَهُمْ بِقَدْرِهِمْ لَمَّا بَغَوْا.
صَنَادِيدُ لَوْلَا الْفَسَادَ فِي الْوَرَى *** لَقُلْنَا قُلْ مِثْلَهُمْ فَوْقَ الثَّرَى.
فَاسْتَغْلَوْا بِالظُّلْمِ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ *** فَاتَّخَذُوا أَخْذَاً وَبَيْلاً¹.

ربما لم تعتمد الدراسات الأكاديمية السابقة عبارة "التأريخ للأحداث" كتصنيف لنوع من أنواع المؤلفات التاريخية. ومن أجل تحليل هذه الظاهرة كجزء من التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني، يمكن القول إن النشاط العلمي الذي مارسه المؤرخون آنذاك لم يكن في جوهره تاريخاً بالمفهوم التقليدي، بقدر ما كان أدباً أو نوعاً من الكتابة الصحفية الحديثة. ومع ذلك، ننظر إليه باعتباره تأليفاً تاريخياً يركز على الوقائع أو حدوثها، ولهذا لم نجد تعبيراً أنسب من عبارة "التأريخ للأحداث". وقد أشار الدكتور سعد الله إلى أهمية الأحداث في تنشيط التأليف التاريخي في الجزائر العثمانية، لكنه صنف تلك الأعمال ضمن قائمة "التواريخ المحلية".

تميز هذا النوع من التأليف غالباً بأسلوب شعري، إذ كان يكتب خصيصاً لتمجيد الحدث، ولكن كثيراً ما كانت تلك الأرجوزات الشعرية تحتاج إلى شرح وتفسير، سواء من قبل ناظمها نفسه أو من قبل مؤلف آخر. وإن كانت الشروح² أهم من القصائد لإستعمالها الأسلوب النثري، فإن

¹ - مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص 43.

² - الشروح الأدبية: هي جمع كلمة "شرح"، وتدل على التوضيح والكشف عن الغموض وتفسير ما هو مبهم. هي مصطلح أدبي يقوم على شرح النصوص، سواء كانت شعراً أم نثراً، بعد قراءتها قراءة متأنية ومعقدة. تُعد عملية الشرح ذاتها عملية تفسير وتأويل، رغم وجود بعض الفروقات بينهما. فبممارسة الشرح، تُفك شفرة كانت تحجب دلالات ومقاصد كثيرة في خطاب معين. وبالتالي، فالشروح الأدبية هي تلك الظاهرة التي تُعنى بالنصوص ومتونها، من خلال تحليلها وتفسيرها بهدف إزالة الإبهام عنها وتوضيح ما كان المبدع يرمي إليه. ينظر: أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 20 م ط.1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2009م، ص 26.

الأراجيز¹ نفسها، وإن لم يكن المقصود من هذا النوع من التأليف هو التأريخ بالمعنى الدقيق للكلمة، فإنه لا يبتعد كثيراً عن ذلك، إذ إن غاية الناظم كانت غالباً تمجيد الحدث وتخليده. وقد كان الشعر وسيلة معتمدة في تدوين مختلف المعارف والعلوم؛ فكما استخدم في علوم اللغة والدين، استخدم كذلك في تسجيل أخبار الأحداث والوقائع، إذ نادراً ما نجد مدونة تخلو من نصوص شعرية، حتى في العلوم العقلية كالمنطق والفلك وعلوم الطب.

هناك نقطة أخرى لا ينبغي إغفالها، وهي أثر الحدث في نفسية المؤلف، إذ كثيراً ما ينعكس وقعه على مشاعره وأحاسيسه، ولا شك أن الشعر، كما هو معلوم، لغة الإحساس والتعبير الوجداني. وربما كان الضعف الثقافي الذي عمّ البلاد العربية في تلك الفترات أحد العوامل التي دفعت نحو اعتماد الأسلوب الشعري في التدوين، حيث شاع التباهي بقول الشعر، وكان يُعتقد أحياناً أن النبوغ العلمي لا يكتمل إلا به. ولهذا نجد من يفتقر إلى الملكة الشعرية يحاول نظم الأراجيز وعرضها في مجالس العلم رغم ما تحمله من ركاكة وضعف في الصياغة. وجانب في مقدمة الأحداث الهامة التي كانت دافعا قويا للكتابة حدث فتح وهران الأول ثم حملة أورلي على الجزائر، فالحملة حظيت بتأليف من قبل الكاتب محمد بن رقية التلمساني سماه: "الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين ما أغارت عليه الجنود الكفرة"، والذي انتهى منها حسب ما هو مسجل بها سنة 1779م، بطلب من الباي محمد الكبير باي الغرب²، بالإضافة إلى عمل بن ميمون: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، حيث أُلّف في تلمسان محمد بن أحمد الحلفاوي رجزا طويلا، احتوى على 72 بيت قسمه إلى خمسة فصول، خصص الفصل الأول لذكر دولة محمد بكداش، أما الفصول الأخرى فذكر فيها أخبار تجهيز الجيش الجزائري وسير المعركة ونتائجها. وبناء على طلب تلميذه قام عبد الرحمن الجامعي بشرح الأرجورة، وقد أضاف إليها فصلا آخر في ذكر السلطان العثماني آنذاك، ومثلما كان الشعر الفصيح أسلوبا لتدوين الأحداث كان الشعر

¹ - الأرجورة : هي فن من فنون الأدب العربي يُنظم على بحر الرجز. يتميز شعر الرجز بسهولة على السمع وخفته على النفس. تختلف الأرجورة عن القصيدة في أن القصيدة يتكون فيها البيت من شطرين، بينما تتكون الأرجورة من بيت واحد يسمى "بيت الرجز". ويُطلق على ناظم الأرجورة لقب "ارجز"، بينما يُسمى ناظم القصيدة "شاعرا". ويصبح الرجز قصيدة عندما تطول أبياته وتعدد. ويُقال إن الشعر كله إما أراجيز أو قصائد. ينظر: محمد أكرم ، الأرجورة في الأدب العربي ، دار الكتاب ، مصر ، 2009م، ص 20.

² - محمد بن رقية الجديري، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، الجزائر، تحت رقم 2523.

الملحون كذلك، وقد خص الشعر الشعبي الملحون في أحداث كثيرة، كهجومات الأجانب والثورات ضد الحكم العثماني.

ألف الشاعر لخضر بن خلوف¹ قصيدة في واقعة مزغران الشهيرة، التي انتصر فيها الجيش العثماني بقيادة حسن باشا بن خير الدين بربروس على الجيش الإسباني بقيادة دالكا دوت في مرسى مستغانم²، وما يجعل هذه القصيدة نصاً ذا طابع تاريخي هو تناولها لجهاد المسلمين في الأندلسوما يمنح هذه القصيدة طابعاً تاريخياً هو تناولها لجهاد المسلمين في الأندلس وتفصيلها لأحداث المعركة بدقة ووضوح.

وفي السياق نفسه، نجد مؤلفات شعرية أخرى لم تركز، كما هو معتاد، على تمجيد إنتصارات العثمانيين، بل أولت إهتمامها بتوثيق إنتصارات الثورات المحلية ضد العثمانيين. ومن ذلك قصيدة ابن السويكت التي سجلت إنتصار قوات السويد على الجيش العثماني في بايلك الغرب، وكذلك قصيدة بوعلام الطيب السجراوي³ التي لم يتردد فيها في تخليد حادثة إنتصار الدرقاويين على العثمانيين بقيادة ابن الشريف⁴، وبعض مؤلفات كتب في التراجم التي تعتبر من أقرب الفنون إلى التاريخ، كونها ترصد أخبار الأعلام من شاع في قومهم أو ذكر لهم في عصرهم، فنجد هذه الكتب بلغة شعرية، وهنا يأتي تأليف عبد الله بن محمد الله بن مغوفل⁵ الذي عاش في بداية العهد العثماني، المشهور باسم: " الفلك الكواكبي وسلم الرواقي إلى المراتب"⁶،

¹ - لخضر بن خلوف: ، واسمه الحقيقي لكحل، هو شاعر شعبي عاش في القرن السادس عشر الميلادي. يرى الدكتور حاجيات أنه لم يكتب شعراً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، باستثناء قصيدة قصة مزغران التي وصفها بأنها حماسية. يُعد ابن خلوف من الأولياء الذين يزار ضريحهم في مستغانم، وقد اهتم بترائه الفنان عبد القادر بن دماش. ينظر: محمد الأمين بن بلغيث وآخرون، المرجع السابق، ص 113.

² - أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 23.

³ - بوعلام الطيب السجراوي: هو شاعر من قرية سجرارة بنواحي المحمدية بنواحي معسكر، ومن نظمه، حكى قصة "الأجواد" مع العثمانيين ومطلعها نوبة*** يوم أن فزع ابن الشرف وجاد . ينظر: ابو راس الناصري ، الشقاق النعمانية...، المصدر السابق، ص 11.

⁴ - أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ، ص 38.

⁵ - عبد الله بن محمد الله بن مغوفل: هو أبو عبد الله أحمد المغوفل بن واضح بن عثمان بن الحاج عيسى الملقب فكون بن أبي القاسم بن عبد الكريم . ويصل نسبه إلى سيدي عبد السلام، من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان عالماً فقيهاً وصوفياً، وُلد سنة 823هـ، واستقر في منطقة سهل الشلف. أخذ العلم عن سيدي أحمد حمدوش، الذي قال عنه أبو رأس الناصري في كتابه: "عجائب الأسفار" : هو أحد أعجوبة الدهر في علمه وورعه وكراماته". من مؤلفاته: " أرجوزة الفلك الكوكبي وسلم الراقي إلى المراتب". توفي في 25 محرم سنة 923هـ، ودُفن بالقرب من وادي الشلف، حيث يوجد ضريحه اليوم في بلدية وادي رهيو.. ينظر: محمد الأمين بلغيث وآخرون ، المرجع السابق، ص 597.

⁶ - عبد الله ابن محمد المغوفل ، مجموعة القصائد، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، تحت رقم: 2259.

ترجم القصيدة لأولياء وصلحاء منطقة الشلف على مدار أربعة قرون (من القرن 6 هـ إلى القرن 9هـ)، وقد عكس في تراجمة الواقع السياسي والعسكري للقلعة الراشدية.

فمدينة تلمسان، وهي إحدى الحواضر الكبرى في الغرب الجزائري، حظيت بنصيب وافر من الشعر الموزون، بفضل ما أنجبته من علماء وشعراء. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ما نظمه ابن مسايب¹ في وصف المدينة وأحوال أهلها خلال القرن السادس عشر الميلادي، وذلك في قصيدته الموسومة بـ"تلمسان"، حيث يقول:

رَبِّي أَكْتُبُ عَلَيْهَا الْوَقْتَ أَدَعَاها.
فِي السَّابِقِ الْمَقْدَرِ كَانُلْكَانِ
سَعِدَ السُّعُودُ دَارَتِ الْأَيَّامُ أَمَعَاها.
وَنَكِبَسُ الزَّمَانُ أَعْلَيْهَا وَأَشِيَانِ.
عَدِمَتْ أَمْشَاتِ فَسُدَتْ وَالظُّلْمُ أَخْلَاهَا.
أَمَدِينَةُ الْجِدَارِ أَبِلَادَ تَلْمَسَانَ.
بَعْدَ الْهَنَا وَبَعْدَ الرَّهْوِ تَلْمَسَانَ.

أَمَدِينَةُ الْجِدَارِ أَصْلُهَا *** هِيَ مِنَ الْمُدُونِ السَّبْعَةِ
النَّاسَ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُهَا *** يَسْتَحْسِنُ الْوَطْنَ وَالْبَقْعَةَ.
بِالْعِلْمِ مَرْفُوعٍ وَالْحُكْمَةِ أَكَلَمَهَا *** بِأَشْغَالٍ مِنْ إِتْقَانِ الصَّنْعَةِ.
خَلَى الْخَنَادِقُ وَنَزَلُهَا *** بَيْنَ الْبَعْلِ وَبَيْنَ الْقَلْعَةِ.
فِي مَوَاسِطِ الْجَبَلِ وَعِزَّهَا *** وَبُنَاهَا وَعَمَلُ أَسْوَارٍ وَبِرَاجٍ وَبُنْيَانٍ.
وَعَمَلُهَا أَقْوَاعِدَ بِهِمْ وَطَاهَا *** وَعَمَلُهَا اخْتَارَ مِنَ الْبُعْدِ إِبَانِ
كَانَتْ بِلَادَ يَاحْسَرْتَهَا *** مُسْتَحْسِنَ الْبَاسِ وَهَمَّةِ.
الْمَتُونُ يَعْرِفُوا قِيَمَتَهَا *** عِنْدَ الْمُلُوكِ شَأْنٍ وَعِظَمَةِ.

¹ - ابن مسايب: محمد بن أحمد بن مسايب هو شاعر شعبي من عائلة أندلسية استقرت في تلمسان. حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه، ثم عمل في مهنة النساجة. كان يتمتع بموهبة كبيرة في الإبداع الأدبي. توفي عام 1190هـ (1776م)، وترك ديواناً تجاوز ألفي قصيدة، طبع في الجزائر عام 1989م. ينظر : محمد الأمين بليغث وآخرون ، المرجع السابق ، ص 173.

كانت الملوك يستَحِلُّا ويلمقاها.

مَنْ لَا أَخَذَتْ بِيَدِهِ مَراسِلُوان
جَلَسُوا عَلَى أَبْساطٍ أَسْقَاتِهِ وَسَقَاهَا.
بَيْنَ الْمُلُوكِ مَنْ يُسَمَّى سُلْطان
بَعْدَ الْهَنا وَبَعْدَ الزَّهْرِ تَلْمُسان.

كانت أبلادٌ ورفعةٌ *** ومقامها مشرفٌ وعاليٌ
فِيها أَهْلُ الْفَضْلِ مُجْتَمَعَةٌ *** ساداتُ كُلِّ سَيِّدٍ وَوَالِي
اِكْتَسَبَتْ أَرْباطَ الصَّنْعةِ *** مِنْ أَفْعالِها المَلْجَلِي.
وَأَسْواقُها أَسْواقُ السِّلْعةِ *** وَصِغارُها الرِّخِيسَ وَعَالِي.

كَسَبَتْ وَرَبَّحَتْ النَّاسُ أَوَّلَ مَبْداها
وَلَا غِشٌّ وَلَا أَخْداعٌ فِيها وَلَا نَقْصانٌ.
وَالْيَوْمُ دارُ الْفَلَكِ وَزادِ أَعْمَها
بِالْهَمِّ وَالنَّكْدِ وَالْهُولِ وَالْأَحْزانِ
بَعْدَ الْهَنا وَسَعْدِ الزَّهْرِ تَلْمُسان.

كما نظم ابن ساسي عدداً من الأبيات التي تناول فيها مواضيع متعددة مثل إنتشار الطاعون، وتعطل الزراعة، وإحتلال مدينة تلمسان. وتمتاز هذه القصائد بقيمتها التاريخية والاجتماعية، إلى جانب قيمتها الأدبية، إذ أنها تقدّم وصفاً دقيقاً للمدينة وأحوال أهلها خلال القرن السادس عشر الميلادي. ولم يخلُ الشعر الديني من حضور لافت في مخطوطات بايلك الغرب ، إذ كان الدين يُعد من أهم الأغراض التي تناولها الشعراء. وقد تجلّى هذا الشعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والتشوق إلى زيارة قبره الشريف، والإحتفاء بمولده، فضلاً عن الشعر الصوفي الذي عبّر عن التوجه إلى الله في أوقات الشدة، ومدح الأولياء الصالحين ورثائهم.

ومن أبرز الشعراء الذين جمعوا بين الفصيح والملحون في تعبير ديني روحاني، الشاعر سعيد المنداسي التلمساني¹، الذي كان شعره قريباً من الفصحى. وقد عُرف بقصيدته المشهورة بعنوان "العقيقة" في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهي القصيدة التي حظيت باهتمام واسع، حيث شرحها الشيخ أبو رأس الناصري في سبعة شروح، يُعدّ أشهرها: "الدرة الأنيقة في شرح العقيقة"². ومن قوله في المديح النبوي:

هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ حُسَادَهُ *** فِي الْوَرَى مِنْ حُسْنِهِ الْحَسَنِ اكْتَمَلَ.
أَحْمَدَ الْمَبْعُوثُ فِينَا رَحِمَهُ *** خَيْرٌ مَنْ قَامَ بِحَقِّ وَكُفْلٍ.
آيَةُ اللَّهِ أَمِينٍ صَادِقٍ *** وَحَبِيبَ بَرٍّ مُنْتَصِلِ.
قَدْ تَخَلَّى إِذْ تَجَلَّى بِدُرِّهِ *** بِأَلِيهَا مِنْ رَبِّهِ عَزُوجِلِ.

وقد قال المنداسي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، معبراً عن عاطفته الجياشة ومكانة الرسول في قلبه: "هل رأيتم أو سمعتم حناً في الوري؟ وهو خلق حسن يحمّد من أشعته، وهو أحمد، المبعوث رحمةً للعالمين". ويمضي في وصف النبي صلى الله عليه وسلم فيقول إنه: "أعظم من رعى الحقوق وأداها، آية الله الأمين، الصادق، وحبيبه البرّ، المجاهد في سبيله".

وقد كساه الله هالةً من البهاء والنور، وخصّه بمقام رفيع. ثم يتناول المنداسي مولد النبي الشريف في قصيدة نبوية أخرى، فيسترسل في مدحه قائلاً:

¹ - سعيد المنداسي التلمساني: وُلد سعيد بن عبد الله المنداسي في تلمسان، وعاش في القرن الحادي عشر الهجري. لا تتوفر معلومات دقيقة عن تاريخ ميلاده أو عن أسرته ونشأته، باستثناء أنه حفظ القرآن الكريم وأتقن علوم اللغة والبلاغة والأدب والعلوم الدينية. تمكن المنداسي من الجمع بين الشعر الشعبي والشعر الفصيح، واشتهر بقصيدته "العقيقة". كتب كثيراً عن جور وظلم الحكام العثمانيين في الجزائر، وخاصة في تلمسان. ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، وموريتانيا، السودان)، دار المعارف، ط.1، القاهرة، [د.س.]، ص ص 162-163.

² - سيدي سعيد بن عبد الله التلمساني، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، مخ، م. و. ج.، رقم مخ، 3195، عدد أوراق المخطوط 106، كاتب المخطوط هو محمد بن محمد بن علال الدلمي، من أصل مراكشي. كتب المخطوط بإذن من العلامة سيدي محمد الحرشوي. المخطوط عبارة عن قصيدة من الشعر الملحون، وسبب كتابتها بهذا الأسلوب، بدلاً من الشعر الفصيح، لا يعود إلى ضعف الشاعر أو عدم إتقانه اللغة العربية الفصحى؛ فهو من أبرز علماء عصره. إنما كان الهدف هو تقريب معاني القصيدة من عامة الناس لتسهيل فهمها عليهم. وفي هذا السياق، يقول العلامة أبو رأس الناصري: "قصيدة الناظم هذه تُقرأ وتُكتب على لحنها... لتسهيل على العموم، كما تسهل على الخواص، وإلا فهو رحمه الله في الإعراب واسع الباع كثير الاطلاع، لاقنية العلوم". ينظر: أبو رأس الناصري، شرح الدرة الأنيقة... مخ، نفسه، ورقة 10، و.

طه الأُمَيْنِ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ***يَوْمَ النَّالِقِي وَطِيَّ الْخَلْقِ مَنْشُورٌ .
مِنْ سَبَقِ الرَّسْلِ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَذَلٍّ ***فَضْلًا وَالْخَلْقَ بَعْدَ الرَّسْلِ تَأْخِيرًا .
وَأَنْقَضَى إِيوَانُ كِسْرَى عِنْدَ مَوْلِدِهِ ***وَغَابَ نَارُ وَسَطِ الْفَرَسِ تَسْعِيرٌ .
وَجَلَّ الْأَفَقُ مِنْهُ النُّورَ فِي سَحَرٍ ***كَأَنَّ فِي الْفَجْرِ هَدَى الصُّبْحِ مَنْحُورٌ .

عند تصفّحنا لما وصلنا من تراث الشعراء، نلاحظ تزامناً واضحاً بين الشعر والتصوّف، إذ غالباً ما يكون الشاعر، وإن لم يكن صوفياً بالمعنى الدقيق، قريباً من المتصوّفة وأصحاب الطرق والزوايا، ويبدو تأثيره بشيوخ الزوايا أمراً شائعاً وملحوظاً.

وفي سياق الحديث عن الشعر وإهتمام مخطوطات بايلك الغرب به، يمكن أن نختار مخطوط الشيخ أبي رأس الناصري وشرحه الموسوم بـ"العقيقة"، باعتباره أحد أبرز شيوخ بايلك الغرب. وبعد ذلك نظمه " نظم عجيب في فروع قليل نصّها مع كثرة الوقوع" من النظم الفقهية المهمة، إذ يتناول بعض أحكام القضاء، ويتضمّن تعريفاً بأنواع الجروح الواقعة على مستوى الرأس، وما يترتب عليها من دية أو قصاص

❖ - قراءة في مخطوط الدرة الأنيفة في شرح العقيقة العلامة أبو رأس الناصري:

تعدّ هذه القصيدة من نمط الشعر الملحون، وقد تناولت في موضوعها مدح النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهي من بين مؤلفات العلامة سيدي سعيد بن عبد الله التلمساني¹، وقد حظيت باهتمام بالغ من طرف العلامة محمد أبو رأس الذي قام بشرحها، رغم أنها كُتبت بالشعر الملحون. وتجلّى إعجاب أبي رأس بالقصيدة في مواضع عدّة من شرحه، ويكفي الاستشهاد بما ذكره في مقدمة شرحه لها، حيث قال: فلقد جادت الحضرة النبوية وأمداحاً، ودار على المسامع كؤوساً وأقداحاً، مما يطرب الطباع، ويذهب بها كل مذهب، ويستوجب أن يكتب بدرّ

¹ - سعيد بن عبد الله التلمساني: وهو من أصل مندواوي، عاش ونشأ في تلمسان. درس اللغة وآدابها، وعلم الكلام، وأصول الشريعة في تلمسان. كان أديباً وشاعراً، ويُعدّ من أعيان القرن الحادي عشر الهجري. كتب كثيراً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول في إحدى قصائده: طه أمين الذي تُرْجَى شفاعته***يوم التلقي وطى الخلق منشور .ينظر : محمود خضر موسى محمد ، معجم الدر الثمين في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العلمية، لبنان، 2019م، ص 135.

الذهب. لقد أبدع في ترتيب قوافيها أولاً وثانٍ وثالث، فجاءت أشهى، والزمان نغمات المثالي والمثالث".

يضيف مبيناً قيمتها الفنية واللغوية: "وهي وإن كانت من الشعر الملحون، فقد احتوت على غرائب وعجائب من اللغة والبلاغة والملحون، حتى انقادت توائم القصائد إلى سرحها، وصارت واسطة عقد نحرها"، هذا التقدير من عالم كبير مثل أبي رأس يدلّ على ما بلغته هذه القصيدة من جمال في الأسلوب، وروعة في المعنى، وثراء في اللغة¹.

اعتمد العلامة أبو رأس الناصري في شرحه لهذه القصيدة على منهج دقيق يقوم على شرح المفردات الغامضة، ثم يدعم هذا الشرح بشواهد شعرية تؤكد المعنى المقصود، وترسّخه في ذهن القارئ. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، شرحه لكلمتي "الوصال" و"عقيلة"، حيث قال في تفسيره لكلمة الوصال، الوصال: الوداد، وهو ضد القطع". ويتبع هذا التفسير عادة بشاهد شعري أو استعمال في سياق يوضح المقصود بدقة، ما يعكس عناية أبي رأس بتقريب المعاني وتقوية الصلة بين اللفظ ومعناه في وجدان المتلقي، خاصة في سياق الشعر الملحون الذي يعتمد على رمزية عالية وتعبير وجداني، قال مسلم بن الوليد: فأعرف منها الوصل في يمن طرفها وأعرف منها القطع في نظرها، فسر الكلمة بضدها واشتهد بالبيت الشعري².

أما العقيلة هي الكريمة على قومها، وقد تكون من غير النساء كقوله طرفه: أرى المرت يغنم الكرام ويصطفي: عقيلة مال الفاحش المتردد، فالشارح هنا لكلمة العقيلة على أنها المرأة الكريمة على قومها وهي المعنى المراد في القصيدة ثم أضاف الكلمة معنى ثانياً استشهد به ببيت الشاعر طرفة بن العبد، وهو النفيس من كل شيء³.

¹ - أبو رأس الناصري، شرح الدرّة...، مخطوط السابق، ورقة 7، و.

² - أبو رأس الناصري، شرح الدرّة...، المخطوط السابق، ورقة 15، ظ.

³ - نفسه، ورقة 10، و.

وواصل أبو رأس الناصري الإشادة بهذه القصيدة، حيث ذكر أنه لا يخل بيت منها بنوع من أنواع الأجناس والاستعارة والمجاز وقدم أمثلة، حيث ذكر الشارح العقيق واد على عشرة أميال من المدينة المنورة والعقيق الثاني خرز أحمر يكون باليمن ... فهذا أكله الجناس التام¹.

والاستعارة في قوله في البيت الحادي عشر: " أو الجفن غمد السيف وأراد هنا جفن العين ونجد التشبيه حاضر في ثنايا القصيدة، حيث شبه النساء في الخدوج بكتائب الفرسان، وشبه أعينهن برماح يطعن بها وسيوف استلقت للضرب حيث قال:

مَحَاسِنُهَا سِهَامَ الْمَنَايَا *** مُرَشَّيٌّ بِأَنْوَاعِ الْخُطُوبِ .
يَرَى رَيْبَ الزَّمَانِ لَهَا سَهَامًا *** تُصِيبُ نَصْلُهَا مَهَجَ الْقُلُوبِ² .

نجد كذلك التشبيه البليغ حاضر في البيت الخامس في قوله: " والعيون الأولى بصرة والثانية عيون الماء، وهو من أنواع التشبيه البليغ³.

عمد العلامة أبو رأس الناصري في شرحه إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، دعماً لما يورده من معانٍ وتوضيحات. وقد تجلّى هذا التوجه بشكل واضح عند تناوله للقضايا العقديّة، مثل مسألة محاسبة الكفار يوم القيامة، حيث قال في هذا السياق: " وفيه دليل على أن الكفار يحاسبون قال تعالى: ﴿قَوْرَبَكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ○ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁴. وقيل لا يحاسبون لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾⁵، وقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ﴾⁶، كما أورد أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام في قوله: " من اشتاقت نفسه لشهوة وقمعها فله الجنة "، وهذا الحديث يحثّ على مكارم الأخلاق، أمّا الأشعار فلا تكاد صفحة

¹ - نفسه، ورقة 8، و .

² - نفسه ورقة 5، 6، ظ. و .

³ - نفسه، ورقة 12، ظ .

⁴ - سورة الحجر، الآيات: 92-93.

⁵ - سورة النبا، الآية 27.

⁶ - سورة القصص، الآية 78.

من الشرح تخلو من شاهد¹ شعري من مختلف العصور وفي شتى الأغراض العشرية القصيدة موضوعها مدح النبي.

لذلك احتوى على جانب كبير من السيرة النبوية، تولّى العلامة أبو رأس الناصري شرح أحداثها في مواطنها، فعرج أبو رأس على بعض المسائل التاريخية عند قوله في تاريخ منداس والمنداسي نسبه إلى منداس، وهي أرض معروفة شرقي نهر مينا أحد أنها المغرب الأوسط، وسمى منداسا باسم ساكنة من البربر له خمسة أولاد كثرت ذريتهم في ذلك الموضع وانتشرت فأزالته عنه لواته وبنو وزدجير، مغرواة، فذهبوا إلى جبل ونشريس فتوطنوه².

ومن أمثلة تحقيقه في المسائل التاريخية كأصول الأمم قوله: "عرب العقيق المراد: بعرق العقيق العرب المستعربة وهم ربيعة ومصر وأهل اليمن، وأما العرابية كعاد وشمود، زجديس فإنقرضوا وقيل بعض أهل اليمن من قحطان، وهو من العاربة وأما قول الخفاجي: أبوهم قحطان وأمهم جرهم فغير ظاهر³.

من خلال هذه القصيدة تبدو لنا شخصية التاريخ من خلال تنوع معارفه، وبلاغته وهذا ليس بغريب عن عالم شرح مقامات الحريري وشرح دلائل الخيرات⁴، وهي من التأليفات التي لا يخوض يخوض غمارها إلا العالم المتبحر، لما تتطلبه من عمق في الفهم وسعة في الاطلاع. وبعد هذه الجولة في ثنايا القصيدة الرائعة، وهذا الشرح المستفيض، لا يسعنا إلا أن نشيد بهذا العمل الأدبي الجليل الذي أنجزه العلامة أبو رأس الناصري، فقد كنا نظنه مؤرخاً بالدرجة الأولى، فإذا به يبرز أديباً متميزاً، خاض غمار مختلف الميادين الأدبية من بلاغة، ونحو، وصرف، وإعراب، وغيرها، بأسلوب يجمع بين العمق والتحليل، وبين الذوق الأدبي الرفيع والدقة العلمية الرصينة.

¹ - أبو رأس الناصري، شرح الدرّة... المخطوط السابق، الورقة 15، و.

² - نفسه، الورقة 34، ظ.

³ - نفسه الورقة 96، و.

⁴ - أشار أبو رأس الناصري في هذا المخطوط إلى شرحه للمقامات، الذي أسماه الحل الحريرية في شرح المقامات الحريرية، وذلك في الورقة رقم 35 من المخطوط. كما أشار أيضاً إلى شرحه لكتاب دلائل الخيرات، الذي يحمل عنوان الآيات البينات لدلائل الخيرات في المخطوط نفسه، الورقة 61، ظ.

فأبو رأس الناصري لم يكن منشغلاً بمجال واحد، ولا مقتصرًا على اللغة العربية الفصيحة فقط، بل تجاوز إهتمامه ذلك إلى جوانب أخرى من الثقافة والأدب، ومن بينها قصائد المدائح النبوية المكتوبة باللسان العامي، والتي كانت هي الأخرى موضع عناية خاصة لديه. ويؤكد هذا الاهتمام مخطوطه الذي تناول فيه شرحاً لقصيدة ملحونة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهو العمل الذي حظي بإشادة عدد من الباحثين، لما تميّز به من جمع بين الذوق الأدبي والتحليل العلمي، وبين تقدير التراث الشعبي والتأصيل الديني. أمثال محمد حيدرة الذي أشاد بهذا العمل معتبرا إياه مادة دسمة تثري ثقافتنا العربية الإسلامية¹.

كما كان لأبي القاسم سعد الله إشادة لهذا العمل، بحيث اعتبره مصدرا من مصادر تاريخ النقد الأدبي في الجزائر وهذا لما يحمله من درر عظيمة وجواهر نفيسة². أما الأنموذج الثاني هو عبارة عن مخطوط ديني فقهي كتب بصيغة الشعر، لكنه يختلف عن المخطوط الأول في كونه عبارة عن تقاييد ورسائل جمعها مهتمى المخطوطات، وقد تحصلنا على صورة من نسختين من الدكتور تقي الدين بوكعب³.

فهذه الوثيقة لا تحمل إسم لهذا النظم، لكن أبي رأس الناصر ساها في فتح إله فقال: " نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع ونفس هذا العنوان نجده في البيتين الأول والثاني من المنظومة:

سَأَلَنِي بَعْضُ أَوْلِي الْفُرُوعِ *** عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةِ الْوُقُوعِ.
مِنْ الَّتِي مَا نَصَّهَا غَالِبًا قَلِيلُ *** أَجَبْتُهُ وَحَسْبِيَ اللَّهُ الْوَكِيلُ⁴.

¹ - محمد حيدرة، المرجع السابق، ص 69.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 177.

³ - ينظر: ملحق رقم: 05، ص 348.

⁴ - توجد في المكتبة نسختان حصل عليهما الشيخ بلقرم من مكتبة محمودي قبل بيعها، وهما مصورتان.

• النسخة الأولى: مكتوبة بخط أبي رأس الناصري.

• النسخة الثانية: مكتوبة بخط آخر لم يدون فيها اسم الناسخ، كما أنها تعرضت لإسقاط بعض الأبيات الأخيرة التي يصعب قراءتها. هذه النسخة

مكتوبة بخط غير واضح.. ينظر: ملحق رقم 10، ص 353.

عدد أبيات هذا النظم ثمانية وخمسون بيتاً، حيث ابتدأ هذا الناظم قصيدته بحمد الله والثناء عليه وختمها بالصلاة على النبي وآله، هذه عادته في عادة المؤلفين في تلك الفترة كتبت هذه الورقة بخط يد الشيخ أبو رأس الناصري، وهذا بعد مقارنتها بالمخطوطات التي صادفناها وكتبت بخط يده فهي النسخة الأم بعينها وعليها آثار الرطوبة، كتب بمداد يميل لونه إلى الأسود.

أما عن سبب تأليف هذه المنظومة، فقد أوضحه أبو رأس الناصري في مقدمتها، حيث أشار إلى أن الدافع كان سؤالاً ورد عليه من بعض الطلبة المهتمين بالفقه - أو كما عبر عنهم بـ"أولي الفروع" - حول بعض المسائل الفقهية التي وصفها بأنها كثيرة الوقوع قليلة الذكر في كتب الفقه. ويعني بذلك أن هذه المسائل، رغم تكرارها في واقع الناس، لم تحظ بالعناية الكافية من حيث التأصيل والبيان في المتون الفقهية، وهو ما يعكس حرص أبي رأس الناصري - ومن ورائه علماء الجزائر عموماً، وعلماء بايلك الغرب خصوصاً - على خدمة الفقه، وتحديدًا الفقه المالكي، باعتباره المذهب المعتمد في المنطقة. وسنتوسع في هذا الجانب لاحقاً، عند التطرق إلى مخطوط الشيخ مصطفى الرماصي في الفصل الأخير، حيث قام بشرح مختصر خليل، مبرزاً المنهجية الفقهية الدقيقة التي ميزت علماء الإقليم.

تكشف هذه المنظومة أيضاً عن تمسك أبي رأس الناصري بالمذهب المالكي، خاصة في مجال الفتوى، حيث لم يتردد في انتقاد بعض أهل العلم المعاصرين له ممن اتسموا بالتساهل في الإفتاء، وغياب التثبت والدقة في إصدار الأحكام. وقد عبر عن ذلك في قوله:

كَثِيرٌ فِيهَا غَلَطَ الْحُكَّامُ *** لِعَدَمِ الْبَحْثِ عَنِ الْأَحْكَامِ.
تَسَاهَلًا عَمَّتْ بِهَا الْبُلُوَى *** وَلَا تُجَادِلُوا عَرِيضَ الدَّعْوَةِ.

وفي هذا الموضع، يوجه أبو رأس الناصري نقداً للاختلاف الفقهي في بعض القضايا التطبيقية، ويعلق بشكل خاص على مسألة الجروح والقصاص، حيث تبرز شخصيته القضائية بوضوح، إذ لم يكتف بعرض الآراء، بل بين بدقة متى يُطلب اليمين من الجاني، ومتى يُطلب من

المجني عليه، مستنداً في ذلك إلى قواعد المذهب المالكي، ووثقاً من الأحكام التي يصدرها، انطلاقاً من تجربته كقاضٍ ممارس. ويُعبّر عن هذا الموقف بوضوح في قوله:

خُذْهَا مِنِّي إِلَيْكَ نَبْذَةً مَلْفُوظَةً *** مِنْ كُتُبٍ بِنَصِّهَا مَبْسُوطَةً.

ويقول:

وَكُلُّ هَذَا فِي الْخَطَا يَا صَاحِي *** وَفِي الْعَمَدِ الْقَوْدُ أَوْ الْإِصْلَاحُ.
مِمَّا عَلَيْهِ الْمَجْنَى وَالْجَانِي *** تَرَاضِيَا خُذْ صِحَّةَ الْبَيَانِ.

ومما يدل على شخصية أبو رأس الفقهية الترجحية قوله أن لورثة المقتول أو المجروح عمد الخيار التي القصاص أو الدية وإلى هذا ذهب جماعة من علماء المالكية مثل أشهب وابن المسيب خلافاً لما ذهب إليه ابن القاسم مع أنه في حالة القتل أو الجرح فالعهد القصاص فقط¹.

إن هذه المنظومة الصغيرة لها دليل على اللقب الذي عرفه أبو رأس الناصري فمن خلالها نستشف قدرته على حفظ المتون وبلاغته وفقاهته الدينية الواسعة، ولا يمكن الحديث عن تاريخ الشعر في بابلك العرب من خلال المخطوط ولا نتحدث عن فتح وهران وما صاحبه من أشعار وأراجيز عديدة تغني من خلالها أصحابها بهذا الفتح العظيم وأن بين هذه الأبيات اصطفيا أرجوزة، فالحفاوي في فتح وهران من خلال شرح الجامعي الأرجوزة² فالحفاوي في يعد من بين الشعراء الذين أرجز الفتح الأول لوهران، حيث نظم أرجوزة من اثنين وسبعين بيتاً تحدث فيها عن هذا الفتح، وقد شرحها عبد الرحمن الجامعي، وما يزال هذا الشرح مخطوط لم ير النور بعد فصاحب ومؤلف الأرجوزة من أدباء بابلك الغرب الجزائري مفتي تلمسان وخطيبها.

¹ - الإمام الخطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبطه و إخرج، زكرياء عميرات، ج.8، مكتبة الباز، مكة المكرمة، 1995م، ص 295.

² - يقول عنه محمد بن ميمون الجزائري في كتابه "التحفة المرضية": الكاتب اللزوعي، العالم أبو زيد، السيد عبد الله بن عبد الله الجامعي نسباً، الفاسي منشأ، الجزائري داراً. وهو رجل وحيد الدهر، بل فريد العصر. لا أعلم أنني لقيت مثله في طريق الآداب، ولا أشد كمالاً منه في الانتساب. ولو أدركه صاحب والبيد، لأخضعته كل معنى صدعته. صدر عنه الشعر المعجب، إن لم نقل المعجز، والنظم الذي هو لو صدقته براعته، مخبز. ينظر: محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 125.

وصفه صاحب التحفة المرضية فقال: " رجل تقلّد بالحضرة المذكورة والخطابة والتكلم في الإقراء والفتوى، وبلغ أن رئاسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل إلى إقبال القلوب عليه، وميلها إليه الغاية القصوى فرأس بها في الفقه واعتمد قوله في العلم، وقعد لتدريس الطلبة وقصد أيامه المعتادة للوعظ وكتب على أسئلة الفتيا مغتبطاً بهذا الرسم، متلقياً وإرداته المختلفة بالطلاقة، والبشر وهو من أهل الصلاح والسمت الحسن، والتخلف والخصوصية، والاقتصاد والتحفظ والورع مع ذلك في الأدب بسهمه، ومما اشتهر عنه من نظمه الأرجوزة المشار إليها في المنبه عليها¹. تتألف هذه الأرجوزة من إثنين وسبعين بيتاً ". وهي ضمن مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية مسجلة تحت رقم 2521، أوراقها في حالة جيدة، خطها واضح القراءة مكتوبة باللون الأسود واستعمل فيها بعض الألوان (الأحمر، الأصفر، البني).

تعدّ الأرجوزة التي نظمها الشيخ الحلفاوي وثيقة أدبية وتاريخية قيّمة، لما تضمنته من تصوير دقيق لأحداث فتح وهران، ولأسلوبها الفني الذي يجمع بين السرد التاريخي والنظم الشعري. وقد قسمها صاحبها إلى خمسة فصول، تناول في كل واحد منها جانباً من جوانب هذا الحدث البارز.

- في الفصل الأول، تحدّث عن دولة محمد بن علي داي الجزائر، القائم بتصرفات الدولة العثمانية، والمعروف بـ"كدّاش"، مشيراً إلى مكانته ودوره في هذا الفتح.
 - أما الفصل الثاني، فتطرّق فيه إلى وصف تجهيز الجيش، وتحديد مسار الحملة، مع ذكر اسم وزيره وقائدها، وتاريخ نزول الجيش، كما أشار إلى الأسلحة المستخدمة في المعركة.
 - وفي الفصل الثالث، تناول محاصرة البلاد والبروج والحصون والقلاع، ويعدّ هذا الفصل واسطة العقد بين الفصول، حيث أولاه الشاعر اهتماماً خاصاً، مركّزاً على تفاصيل الحصار، والدخول في المعركة، والنزال.
- وقد ذكر في هذا الفصل عدداً من البروج والمعالم العسكرية، ومنها: برج مرجاج، وبرج بني زهو، وبرج العيون، وغيرهم، فقال في وصفه:

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ص 145-146.

فَأَجْمَعَ الْجَيْشُ بُدَالَ الثُّغْرِ *** جَمَعَا كَبَيَانَ رَسَى أَوْ ثَغْرًا.
وَنَصَبَتْ مِنْ حَوْلِهَا مَدَافِعُ *** لِرُمِي كُلِّ أَسَدٍ مَدَافِعُ.
وَمَرَّ عِدَاتُ كُورِهَا فِي الْجَوِّ *** كَنَجَمٍ رَجَمَ مِنْ سَمَاءِ يَهُوِي.
تَلْمَحُ مِنْ خِلَالِهَا الْبُورَاقُ *** وَوَقَعَهَا أَمْضَى مِنَ الصَّوَاعِقِ.
فَأَجْحُوا نَارَ الْحُرُوبِ سَرْمَدًا *** وَتَابِعُوهَا بَعَثْنَا طُولَ الْمَدَى.
فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتْحُ *** بُرْجَ الْعُيُونِ ضَامِنًا لِنَجْحِ.
عَاشِرُ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَى *** يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مَسَاءً قَسْرًا.
قَلْعَةُ مَرَجَاحِوِ التِّي لَوْ قَلَعْتَ *** شَوَامِخَ الْأَطْوَادِ مَا تَعَضُّضْتَ¹.
وَإِذَا دَعَاها اللهُ لِلْإِسْلَامِ *** أَلْقَتْ لَهُ الْقِيَادُ فَاسْتَسَلَمَ.

أما الفصل الرابع فوصف فيه ما آل المسلمون الفاتحون والإسبان المطرودون وما إفتقرت عليه كلا الطائفتين يقول الحلفاوي:

وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةُ مَنْ بِالْكَفْرِ *** يَلُودًا أَوَّلَهُ اعْتَتَى بِأَمْرِ.
وَمَزَّقُوا تَمَزِيقًا الْإِثْمَ سَبَا *** وَأَصْبَحُوا بَيْنَ قَتْلِ وَسَبَا...
وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ذِي الْفُسَاقِ *** وَالْمَلِكُ اللهُ الْقَدِيمَ الْبَاقِي.
وَأَنْتَصَفَ الْإِسْلَامُ مِنْهُمْ وَغَدَا *** بَيْنَ قَتِيلٍ ذِي حَيَاةٍ أَبَدًا².

أما الفصل الأخير الخامس فموضوعه الثناء للمولى تبارك وتعالى والصلاة على المصطفى عليه صلاة وسلم فقال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِعْلَانِهِ *** كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِي مُلَانِهِ.
مَصْلِيًّا عَلَى الَّذِي بِهِ الْهُدَى *** أَوْضَحَهُ اللهُ إِلَيْنَا وَهُدَى.

¹ - أبو رأس الناصر، شرح الدرة...، المخطوط السابق، الورقة 3-4، ظ، و.

² - أبو رأس الناصر، شرح الدرة...، المخطوط السابق، الورقة 5، ظ.

مَحَمَّدُ سَيِّدُ كُلِّ ضَارِبٍ *** أَوْ طَاعِنٍ مِنْ قَاطِنٍ أَوْ ضَارِبٍ.
وَأَلَّهُ وَصَحْبُهُ الْأَنْجَادَ *** أَسَدِ الْبُشْرَى فِي الْحَقِّ وَالْجِهَادِ¹.

أضاف الجامعي، شارح الأرجوزة، فصلاً سادساً من نظمه وبنفس البحر، حيث رأى أن الحفناوي خصَّ الأرجوزة بمدح الحاكم العثماني، وكأن الجامعي رأى أن صاحبها قد قصر في إنصاف هذا الحاكم الذي كان له الفصل في هذا الفتح فيقول:

وَكَانَ ذَا فِي دَوْلَةِ الْإِمَامِ *** فَخَرَ الْمُلُوكِ ضَابِطَ الْإِسْلَامِ.
أَحْمَدَ خَافَانَ الْهِمَمِ الْمُرتَضَى *** بِسَيْفِ الْإِلَهِ فِي الْأَعَادِي الْمُرتَضَى².

تُعدُّ هذه الأرجوزة نصّاً جهوياً يركّز على أحداث بايلك الغرب فقط، وتتدرج ضمن ما يُعرف بتاريخ النواحي، ولذلك فهي تُعدُّ وثيقة تاريخية ذات أهمية خاصة وفائدة عامة، بما قدّمته من معلومات دقيقة عن تجهيز الجيش، وتاريخ النزول، والأسلحة المستعملة، وتفاصيل الحصار والمعركة، ومراحل الهجوم على مدينة وهران وأبراجها، وتاريخ الفتح.

أما من الناحية الأدبية، فهي تُعدُّ ذخيرة فنية جمعت بين الأدب والتاريخ، والحقيقة والخيال، ومما يزيد من قيمتها ما قاله الجامعي في وصفها:

"جاءت وافية بالمرغوب، كافية للطالب، موفية بالمطلوب، بما احتوته من المعاني البيانية، والأنواع البديعية، من تحسينات رائعة وتشبيهات فائقة".

وعلى الرغم من أن الأرجوزة، بطبيعتها، لا ترقى إلى مستوى القصائد المطوّلة في جانب الخيال والموهبة الشعرية، إلا أن الشاعر استطاع أن يرفع من مستواها، حتى جعل شرحها يُستشهد به في المقامات الحريية، ونالت نصيباً وافراً من الثناء والمدح لما حوته من فوائد ومزايا.

¹ - نفسه، الورقة 7، ظ.

² - نفسه الورقة 8، و.

أَيَا مَقَامَاتِ الْفَتَى الْحَرِيرِيَّ *** بِشَرَى لَكُمْ بَحَلَتِ الْحَرِيرَ .
 نَسَجُوا الْأَدَبَ الذُّوْعَ الْفَاضِلَ *** النَّاصِرِيَّ هِبَةَ النَّصْرِ .
 ذَاكَ " أَبُو رَأْسٍ " أَخُو الْمَزَايَا *** حَقُّ إِلَيْهِ الْجَدِّ فِي الْمُسِيرِ .
 فَيَالَهَا مِنْ حَلَّةٍ بَهِيَّةٍ *** تَرَصَّعَتْ بِذُرِّهَا النَّفِيرِ .
 بِهَا " مَقَامَاتٍ " ارْتَقَتْ وَرَاقَتْ *** كَرَوْضَةٍ بِزَهْرِهَا النَّفِيرِ .

صرّح محقق "الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية"، بأن هذا المؤلف يُعد بحق غنياً وثريراً بالشواهد والأشعار، مشيراً إلى أهميته بقوله: الكتاب، بحق وحقيقة، جاء غنياً ثرياً بالشواهد والأشعار، وهو يُسلط الضوء على كثير من النصوص التي كانت ستُفقد لولا ورودها في هذا السفر الثمين¹، مما يُحمد الله أن هذا التراث قد وصل إلينا بأيادٍ أمينة، استطاعت أن تُخرجه من ظلمة الإهمال إلى نور التحقيق والعناية. وبعد الدراسة والتمحيص في عدد من المخطوطات، وخاصة ما يتعلق منها بالشعر، يتبين أن أبا رأس الناصري كان موسوعةً علميةً وأدبيةً، خاض في مختلف الميادين دون استثناء، أما شروحه، فقد جاءت مستفيضة، حاملةً لزخم من العلم والأدب، تتسم بحسن اختيار الألفاظ وتناسق المعاني مع الوزن والقافية، بما يخدم موضوعه ويبرز غرضه.

خلاصة القول، فإن أرجوزة الحلقاوي تُعد مرجعاً تاريخياً وأدبياً مهماً لتاريخ بابل في الغرب في العهد العثماني، وخاصة فيما يتعلق بفتح وهران، فهي صرح أدبي يستفيد منه كل باحث في تاريخ وهران، سواء كان مؤرخاً أو أدبياً.

يتّضح من خلال هذه الأعمال أن أبا رأس الناصري كان شاعراً وشارحاً بامتياز، إذ خلف عدداً من المخطوطات القيمة، ومنها "الإسعاد في شرح بانة سعاد"، الذي لا يقل أهمية عن سائر مؤلفاته، وقد تولى تحقيقه وإخراجه إلى النور كل من بن عمر حمدودا وفايزة بوسلاح، ليصبح مرجعاً أساسياً للمهتمين بالأدب العربي، لما يحتويه من مادة أدبية وتاريخية ثرية². كما يتجلى ذلك في مخطوط "الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية"، الذي أُلّف في خدمة البلاغة

¹ - أبو رأس الناصري ، جمل من الحل الحريرية في شرح المقامات الحريرية ، المصدر السابق ، ص ص 76 - 77.

² - فايزة بوسلاح ، حمدادو بن اعمر ، العلم العلماء والنخب ، المرجع السابق ، ص 129.

والأدب، ومخطوط "الحلل الحريرية". وقد تميّز الشعر الجزائري في العهد العثماني بخصائص فنية، أبرزها التقليد، حيث غلب عليه طابع المدح والثناء¹. إضافة إلى التخميس، وهو نظم خمسة أبيات على قافية، تليها خمسة أخرى على نفس الوزن لكن بقافية مختلفة وهكذا إلى أن يفرغ من القصيدة وما بعدها.

ومن المخطوطات نجد مخطوط "إتحاف المريدين" للشيخ محي الدين، الذي يتضمن تخميساً للعلامة عبد الرحمن بن أبي معزة على قصيدة الشيخ العربي الدمناتي في مدح باي وهران، حيث سيُعرض هذا المخطوط كنموذج للتخميس في الجهة الغربية. ويُقدم هذا التخميس لمحة عن طبيعة العلاقة التي جمعت الباي المذكور بوفود سلطان المغرب، وعن نظرة حاشية بايلك وهران وتعاملها معه. وقد أُلحقت القصيدة في آخر لوحتين من المخطوط المذكور للعلامة محي الدين. أما العلامة عبد الرحمن بن أبي معزة، فهو العالم الجليل، الحبر الفهامة، قاضي الجماعة بوهـران، واسمه الكامل: السيد عبد الرحمن أحمد، الملقب بأبي معزة، بن الفقيه سحنون بن أحمد الغريس الحسني².

تكاد سيرة الشيخ تكون مجهولة، بسبب ضياع الوثائق التي كانت تتضمن تفاصيل حياته وتشتتها خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر. وقد كان الشيخ من علماء عصره البارزين، واشتهر بتوليّه منصب القضاء في عهد الباي حسن، الذي امتدت ولايته بين سنتي 1817 و1831م³.

ويفيدنا المخطوط بأن الشيخ كان مقرّباً من بايلك وهران منذ عهد الباي محمد بن عثمان الرقيق، المعروف ببوكابوس، أي منذ سنة 1807م⁴. حيث يذكر: " أقام عند الباي محمد المتولى

¹ - خالدي ربحة ، الشعر في الجزائر خلال العهد العثماني شعر ابن عمار أنموذجاً " دراسة موضوعاتيه وأسلوبية ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس ، 2017-2018م، ص 87.

² - أحمد بن علي ، شجرة النسب وألاد سيدي احمد بن علي، وثيقة موجودة بخزانة صلاح الدين بن نعم، معسكر.

³ - المازري، طلوع السعود، المصدر السابق، ص 349.

⁴ - نفسه، 329.

بها وقتئذ فلما عفا عنه وأراد الرجوع إلى وطنه، أنشد أبياتها في مدح الباي فخمسها السيد عبد الرحمن بن أبي معزة ...¹.

أما الشيخ العربي الدمناتي فيكنى بأبي حامد وأبي التوفيق العربي، بن محمد بن علي الفاسي الشهير بدمناتي، وقيل الدمناتي الإمام المسند قال عنه الكتاني: " العلامة الأديب الكاتب الشهير"²، كان الدمناتي كاتباً "للدولة السليمانية"، من شيوخه السلطان سليمان بن محمد العلوي، أما تلاميذته فنذكر ابن رحمون، له رحلة سماها: "سمط الجوهر في الأسانيد المتصلة بالفنون والأثر"³.

جمع فيها أسانيده ومروياته عن شيوخه، ولا يزال طرف منها محفوظاً في خزانة محمد إبراهيم الكتاني، وتُعد فهرسة جامعة. ومن خلال هذا التخميس، يتبين أن الشيخ الدمناتي نُفي إلى وهران من قبل سلطان المغرب الأقصى، سليمان بن محمد، كعقوبة له، وكان ذلك في مطلع القرن التاسع عشر (ما بين 1807 و 1816م). ثم توسّط له باي وهران لدى السلطان المغربي، فعفا عنه. وعند عودته إلى المملكة، أرسل معه الباي العلامة عبد الرحمن بن أحمد بومعزة. ويُعد هذا التخميس، إلى جانب طابعه الفني الجمالي، مادة غنية للباحثين لما يزرخ به من معلومات قيمة في ثناياه.

ج- النشر:

كما عانى الشعر من الضياع والإهمال خلال الفترة العثمانية، فإن الأمر لم يكن مختلفاً بالنسبة للنثر، إذ كتب الأدباء الجزائريون في مختلف فنونه المعروفة آنذاك، وأبدعوا في أنواعه المتعددة، من رسالة، ومقامة، ورحلة، وكرامة، وغيرها. غير أن أغلب هذه المؤلفات لم يُعثر عليها، وتعرض بعضها للتهريب. ومع ذلك، حاولنا إختيار نماذج من هذه الفنون، سعياً منا لكشف بعض ملامحها، ودراستها دراسة فنية تبرز مكامن الجمال الكامنة فيها.

¹ - الشيخ محي الدين، المخطوط السابق، الورقة 3، و.

² - الكتاني، فهرس الفهارس...، المصدر السابق، ص 324.

³ - حققه محمد أفيال، مكتبة سلمى الشقاقية بنطوان عام 2018م.

كتب العلماء "الرسائل"، حيث إنقسمت في الفترة العثمانية إلى رسائل ديوانية ورسائل إخوانية¹، وفن المقامة² إلا أنه شهد ضعفا من ناحية الشكل والمضمون وبالحديث عن المقامة التاريخية نذكر المقامة السادسة لابن ميمون في كتابة: "التحفة المرضية"³. وقد قيلت هذه المقامة في استفتاح الملك صباحاً، وما جرى لأهل الدولة غدواً ورواحاً. ويؤرخ لهذا الاستفتاح الذي أجراه الملك في التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة 1118هـ، وهو التاريخ الذي أُسند فيه منصب الداي إلى محمد بكداش، إلى جانب تعيين أربعة من أنصاره. وتختتم المقامة بذكر ما آل إليه أمر الداي السابق، خوجة الشريف، من خلال قول الكاتب: وبويع له بالخلافة، وما أعظمها خلافة، وأبو الفتوح صهره الأمير حسن فعل بين يديه كل حسن... والأربعة الآخرون واقفون بالباب يمهّدون الملك بإفصاح خطاب. كما خُتمت المقامة بذكر ما كان من أمر الشريف وأتباعه⁴.

كتبت هذه المقامة بلغة بسيطة تحتوى على مجموعة من الظواهر الفنية كتضمن الآيات القرآنية، حيث وظف قوله تعالى: "إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فالتوكل المؤمنون"⁵، وقد ضمن هذه الآية ليشحذ الهمم وينشر الصبر في أوساط الناس فالله إذا نصر أحد فلا راد لنصره وإذا قدر خذله، فلا ملجأ من الهزيمة، كما نلاحظ تضمينه لمجموعة من الآيات الشعرية أيضاً، حيث يقول:

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا *** عَزِيزٌ وَجَارِ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ⁶.

إلى أن يقول:

اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِّ شَيْءٍ حُزَّتْهُ *** حَتَّى اسْتَكَانَ لِلْأَمْرِكِ الْعُظَمَاءَ.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.2، ص197.

² - تُعدّ المقامة فناً من فنون النثر الأدبي، فهي تسرد لنا حادثة معينة يرويها راوٍ. يتميز هذا الفن بأسلوبه الشيق، وألفاظه المسجوعة، وخياله الواسع. وللمقامة خصائص أساسية هي: المجلس، والراوي، والبطل، وموضوع المقامة، والعقدة (الحبكة)، بالإضافة إلى القصة نفسها. ينظر: محمد الهادي مرايدي، "فن المقامات النشأة والتطور، دراسة وتحليل"، التراث الأدبي، ع.4، جامعة العلامة الطباطبائي، 1288هـ، ص 121.

³ - محمد ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 01.

⁴ - نفسه، ص ص 140-141.

⁵ - سورة آل عمران، الآية: 160.

⁶ - ابن ميمون، المصدر السابق، ص 141.

شَهِدْتُ لَكَ الْأَعْدَاءُ أَنَّكَ مَا جِدُّ *** وَحَقُّ مَا شَهِدْتُ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

جاء هذا التوظيف مقروناً بذات الغاية من إيراد الآيات، والمتمثلة في تهدئة النفوس وبث الطمأنينة. كتبت هذه المقامة بلغة بسيطة، لكنها تزخر بجملته من الظواهر الفنية، من أبرزها توظيف الجناس التام، كما في قوله: وبويع له بالخلافة، وما أعظمها خلافة، وأبو الفتوح صهره الأمير حسن، يفعل بين يديه كل حسن، من الدبّ عنه بسيفه ولسانه، فقد وظف الكاتب الجناس بين لفظتي 'حسن'؛ حيث الأولى اسم صهر بكداش، أما اللفظة الثانية، فتعني الفعل الطيب أو العمل الحسن.

يوظف الكاتب الجناس الناقص في موضع آخر من المقامة، كما في قوله 'فأقسم بالله على رأسه من الملك أكليلاً يرد اللحظ عن سناه كليلاً'. وهنا يتجلى الجناس الناقص أو الجناس المردوف، حيث اختلفت اللفظتان 'أكليلاً' و'كليلاً' في الحرف الأول فقط. ويكشف الكاتب من خلال هذا التوظيف عن تمكّنه من استثمار الظاهرة الفنية في بناء الإيقاع والمعنى.

يواصل استخدام الجناس بنوع من الإتساق البلاغي، كما في قوله: والفتك بمن يروم الخروج عن سلطانه - وهو أعزه الله - ممن لا يضاهيه النجم في مراقيه، وأن لسعت العقارب السعي جسد الملك، كان أحكم راقية إذ نجد الجناس الناقص بين لفظتي 'مراقيه' و'راقيه'. ويستمر الكاتب على هذا المنوال، مضمناً مقامته أنواعاً متعدّدة من الجناس، بما يعكس براعته الأسلوبية وقدرته على توظيف الفنون البلاغية في سياق أدبي وسياسي واحد. أما اللفظة الثانية، فتعني الفعل الطيب أو العمل الحسن.

يوظف الكاتب الجناس الناقص في موضع آخر من المقامة، كما في قول: 'فأقسم بالله على رأسه من الملك أكليلاً يرد اللحظ عن سناه كليلاً'. وهنا يتجلى الجناس الناقص أو الجناس المردوف، حيث اختلفت اللفظتان 'أكليلاً' و'كليلاً' في الحرف الأول فقط. ويكشف الكاتب من خلال هذا التوظيف عن تمكّنه من استثمار الظاهرة الفنية في بناء الإيقاع والمعنى. ويواصل استخدام الجناس بنوع من الإتساق البلاغي، كما في قوله: 'والفتك بمن يروم الخروج عن

سلطانه - وهو أعزه الله - ممن لا يضاهيه النجم في مراقيه، وأن لسعت العقارب السعي جسد الملك، كان أحكم راقيه.

إذ نجد الجنس الناقص بين لفظتي 'مراقيه' و'راقيه'. ويستمر الكاتب على هذا المنوال، مضمناً مقامته أنواعاً متعددة من الجنس، بما يعكس براعته الأسلوبية وقدرته على توظيف الفنون البلاغية في سياق أدبي وسياسي واحد.

يقول ابن ميمون في مقامته: "ويطعن له شرف البلاد وغربها، وليحطن على طاعته عجم الرجال وعربها"، حيث يقف أربعة آخرون عند الباب يمهدون للملك بأسلوب خطاب واضح. من بينهم صاحب السيف المحدود، الليث الهمام الحاج محمود. وهنا يظهر تكرار الفواصل في الكلمات التالية: (غربها - عربها - الباب - الخطاب - المحدود - محمود). ثم يستمر في وصفه قائلاً: "والفتي الأمجد، الحسام المهند، الذي جمع البأس مع صغر الرأس، وصار كيلاً، وعلى ما يتحصل ويخرج كفيلاً، والآخر الذي مازال يخوض بحار الهلك حتى تتحى عن خزانة الملك". وفي هذه الفقرة استخدم الجنس بشكل موسيقي مميز في الكلمات: (الأمجد - المهند - البأس - الرأس - كيلاً - كفيلاً - الهلك - الملك).

كما استخدم ابن ميمون الطباق لإحداث تباين فني واضح في مقامته، حيث يقول: "وليطعن له شرق البلاد وغربها وليحملن على طاعته عجم الرجال وعربها"، فيبرز بذلك التضاد بين الشرق والغرب، وكذلك بين العرب والعجم. ولا يمكن الحديث عن الأدب في بايلك الغرب دون ذكر الأديب أبو رأس الناصري، مؤلف "الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية". فقد قدم الناصري شرحاً مفصلاً لمقامات أبي محمد قاسم بن علي بن محمد الحريري البصري، وكان هذا ثاني شرح نثري له. تميز شرحه بمهارته في تفسير المفردات اللغوية، مستنداً في ذلك إلى نفسه أو بالرجوع إلى كبار أئمة اللغة، خاصة الشريشي الذي اقتدى به الناصري في شرحه. كما استشهد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، مدعماً تفسيراته بالأمثال العربية والأبيات الشعرية لفحول الشعراء، وفقاً لأسلوبه المعتاد في الشرح.

وعند الحديث عن كتب التراجم نجدها أقرب الفنون إلى التاريخ باعتبارها ترصد أخبار الأعلام. من له شأن شاع في قومهم أو ذكر لهم في عصرهم، فتحيط خلال ذلك بواقع العصر في شتى ميادينه، حيث كتبت هذه التراجم في عهد العثمانيين باللغتين الشعرية والنثرية، ونحن نتحدث عن النثر فيعتبر عمل بن مريم المديوني التلمساني من أهم مظاهر حركة التأليف في الجزائر وبإيالك الغرب بالخصوص بطباعة النثري، فمؤلفه "البستان في ذكر أولياء وعلماء تلمسان" الذي انتهى من وضعه سنة 1603م، جمع أولياء تلمسان وفقهائها¹ الأحياء منهم والأموات، وجمع ما كان بها وبأحوازها وعمالاتها، ولم يكتفي ابن مريم بتلمسان، بل فاضت به نزعتة الدينية وسعيه إلى التبرك بالعلماء وترجمته لعلماء فاسيين وقيراونيين ومصريين وتونسيين وأندلسيين²، فجاء هذا المخطوط بلغة نثر عكس مخطوطات التراجم سواء العامة أو الخاصة التي وجدناها (كتب بلغة شعرية).

كما تنوّعت مؤلفات الجزائريين خلال تلك الفترة في مجال الرحلات بأسلوب نثري، ما منحها مكانة متميزة مقارنة بغيرها، نظراً لحجمها الكبير وسهولة نقلها للمعلومة. وتعد من بين أبرز هذه الرحلات النثرية التي تهتم موضوعنا، رحلة أبي العباس أحمد المقري التلمساني المعروفة بعنوان "الرحلة في المشرق والمغرب". وقد أولى المقري في مؤلفه إهتماماً خاصاً بتوثيق المحطات التي مر بها في ترحاله، إنطلاقاً من مدينة فاس مروراً بالجزائر وتونس والإسكندرية وصولاً إلى جدة، ثم عودته إلى القدس. كما أفرد قسماً هاماً من رحلته لرصد أخبار تلك المدن ومسالكتها، واهتم بتوثيق علاقاته بالعلماء والأدباء الذين التقى بهم، إضافة إلى تضمينه لمراسلاته ومحادثاته معهم³. وتعدّ رحلة المقري بمثابة موسوعة تاريخية توثّق الحياة الثقافية والأدبية في المشرق العربي، كما تمثل صورة واضحة للوضع السياسي آنذاك، فضلاً عن كونها سيرة ذاتية لأحد أعلام العلم والأدب في العالم الإسلامي، إذ رصد من خلالها جانباً مهماً من حياته التي قضاها متنقلاً بين مدن المغرب والمشرق إلى أن استقر ووافته المنية.

¹ - أبو عبد الله بن محمد بن مريم، البستان في ذكر...، المصدر السابق، ص 263.

² - محمود بوعباد، "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، مجلة الأصالة، ع 26، 1975م، ص 265.

³ - أحمد المقري، الرحلة في المشرق والمغرب...، المصدر السابق، ص 10.

في سياق الرحلات الجزائرية، يبرز كذلك عمل ابن الدين الأغواطي¹ الذي أولى اهتماماً خاصاً برحلته داخل الجزائر، حيث دَوّن تنقلاته ووصف مشاهداته في صحراء بايلك الغرب والصحراء الجزائرية عامة. ويلاحظ أنه اعتمد في جزء منها على الرواية الشفوية. وقد جاءت هذه الرحلة إستجابة لطلب قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر آنذاك، ويليام هودسون، الذي ساهم في حفظها من خلال ترجمتها ونشرها².

كما كُتبت الرسائل معظمها بشكل نثري، وكانت هذه الرسائل لأغراض متنوعة فنجد رسائل الإعتذار والعتاب حاضرة لدى علماء بايلك الغرب بصورة نثرية، ومن نماذج ذلك رسالة الشيخ مصطفى الرماصي إلى الشيخ أحمد بن عمار البرجي، ففقيه الراشدية مصطفى الرماصي أرسل رسالة إلى أحد تلامذته مؤنبا إياه على فتوى أصدرها تلميذه أحمد بن عامر البرجي (ت 1150هـ) دفين مدينة البرج مناقضة شيخه الرماصي قال فيها: "أما بعد فكثيرا ما يرد عليك كتابنا فتضرب عليه³ صفحا وتطوي عنه كشحا " سامحناك مرارا، ولم تهتك لك ضرار، مع علمنا أن المسامحة في الحق مداينة ارتكتباها وما ينبغي لنا ذلكحتى وقفت على كتابك تقول فيه، بعد وقوفك على ما كتبناه، وعلمك بما سطرناه وقرناه ... فهو لم يقل شيئا " ينسب فيه للجور والفجور، وإنما أدلى بما كتبنا، وإن عفيتنا بالجور والفجور فنحن محله ونسأل الله العصمة، على أننا لم نقل من عندنا شيئا وإنما نقلنا كلام من تقدم ... فلو اتصفت بالإنصاف وجانبت التعسف والاعتساف أو وقفت عند تخليط الأمر، عليك وقفة حيران متأدبا مع أئمة الأمة تأدب الهدد مع سليمان، سائلا سؤالا لهفان من يريد التحقيق، فيهديكسواء الطريق ... لكن اسغنيت بنفسك، واستقللت بفهمك على عادتك إذ أنت أحللت نفسك للفتوى ولم تسألني عن مسألة، ولم تباحثيني في قضية ..."⁴.

¹ ابن الدين الأغواطي: هو الحاج الدين الاغواطي، الذي يبدو أنه لم يكن معروفاً في الجزائر في وقته، هو شخصية ذكرها مترجمه. يُقال إنه ينتمي إلى عائلة ابن الدين، التي لا تزال موجودة حتى الآن. كان الحاج ابن الدين قليل التعلم ولكنه واسع الإطلاع، وقد التقى بشخص يدعى هوديلسون بين عامي 1825 و 1829، الذي طلب منه تدوين هذه الرحلة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء ... ، المرجع السابق، ص ص 244-245.

² نفسه، ص 243.

³ رسالة مصطفى رماصي ، الى تلميذه احمد بن عمار البرجي ، وثيقة مخطوطة بمكتبة بلقرد بوكعبر ، معسكر .

⁴ الرسالة ، مخطوطة موجود بمكتبة بلقرد بوكعبر ، معسكر .

تتناول هذه الرسالة موضوع العتاب، حيث يوجّه الرماصي عتاباً لأحد تلامذته بسبب خوفه منه وتجاوزه لأصول التعامل مع الأساتذة وإحترامهم، إضافة إلى تصدره للفتوى دون الرجوع إلى أهل العلم. وتتميز الرسالة بطابعها الديني والأدبي في آن واحد، إذ يظهر فيها أسلوب الرماصي القوي، الذي لم يقتصر على الجانب الديني فقط، بل أبرز أيضاً براعته البلاغية من خلال توظيفه للمحسنات البديعية والتشبيهات، مما منح نصه النثري طابعاً أدبياً راقياً، يعكس ذروة القوة البلاغية.

نجد العديد من الرسائل التي تبادلها الحكّام فيما بينهم، أو التي وجهها المحكومون إلى الحكّام، أو العكس، وقد كُتبت جميعها بصيغة نثرية. وتميّزت هذه الرسائل بافتتاحها بالبسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بذكر اسم المرسل والمرسل إليه، متبوعةً بالتحية، والتحميد، والدعاء، مع تحديد مكان وتاريخ الرسالة. كما اتّسمت بالسجع الذي يشدّ انتباه السامع، ويضفي على النص نغمة موسيقية تجعل المتلقّي يقبل على قراءتها مراراً دون ملل. وقد وظّف الكتاب أيضاً الجناس والطباق لإحداث تأثير بلاغي قوي في السامع.

من بين الأشكال النثرية التي برزت كذلك، نذكر "السّير" وما تضمنته من موضوعات، حيث يروي فيها أصحابها أحوالهم بأسلوب سردي، يعكس تجاربهم الحياتية. وقد حرص الأدباء الجزائريون في العهد العثماني على تدوين سيرهم لتكون مراجع مستقبلية. ومن أبرز هذه السير مخطوط "فتح الإله ومنته" لأبي رأس الناصري، وهو من المؤلفات التي تتميز بالصراحة والدقة، حيث استهلّه المؤلف بذكر مولده: "إني ولدت بين جبل كرسوط وهونت...ولما ولدت بالمواضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ صالح الولي الذي كاد أن يكون كالجبل، شيخ بعض شيوخه الشيخ علي بن موسى البوجني"¹.

كما ذكر نسبه بالتفصيل فقال: "وأما عن نسبي فإنني عبد ربي محمد أبو رأس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، وإنّ هذا النسب متصل إلى عمرابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن

¹ - أبو رأس الناصري ، فتح الإله... ، المصدر السابق، ص ص 18-19.

الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم¹. كما ذكر زواجه وحياته العلمية والعملية وهذا ما يسمى بالسيرة الذاتية.

من بين هذه المؤلفات النثرية، برزت أعمال تناولت السيرة الغيرية، وهي ترجمة للغير أي التعريف بالأعلام والشخصيات ذات الصيت والشهرة، ونستشهد في هذا المقام بمؤلف أبي رأس الناصري "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" وقد تناول هذا المؤلف سير بعض الأعلام بالإضافة إلى سير الأنبياء والرسل، كما هو الحال مثلا في النص الآتي: "وأكثر النسابون على أن إدريس ليس بجد نوح خلافا لابن إسحاق، وزعم الحكماء أن إدريس هو هرمس الحكيم المشهور، وقد ترجّح صحة هذا النسب من خلال ما ورد في التوراة، إذ ذكرت فيها أنساب موسى وإسرائيل، وما بينهما وبين آدم عليه السلام. ويؤيد هذا القول ما جاء في صحيح البخاري في حديث الإسراء، حين قال نبي الله إدريس لنبينا محمد كلاماً يدل على منزلته، وذلك عندما مرّ به أثناء رحلته المعراجية، وسأل عنه جبريل فقال: "هو محمد مرحبا بالنبي الصالح ولم يقل: والابن الصالح، أو الأخ الصالح كقوله نوح عليه السلام وإبراهيم"².

من الأشكال النثرية نجد الإجازات والتقاريظ وموضوعات الخطابة التي كانت غايتها التأثير في نفس السامع وإثارة إحساسه، الأمر الذي يراد منه ترغيبه وإقناعه حتى يسلم به تسليما³. وموضوعات الخطابة تنوعت بين الاجتماعي والديني والثقافي وغيرها، فكتاب: "الثغر الجماني" لابن سحنون بدأ بخطبة قصيرة اشتملت على البسملة والحمد لله، والتسليم على عامة الخطباء، ثم مر مباشرة إلى موضوع الكتاب، فوصف سقوط وهران بيد المحتل وقيام محمد بن عثمان بالدفاع عنها واسترجاعها فقال: "وامتد الحال، على ذلك المحال إلى أن قبض الله له الأمير الذي لم يزل لكل أكرومة مفيضا" ولانتهاز فرض الجبر وإقناص شوارد المجد، متيقظا وعلى إقامة الحق

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 25.

² - أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق، تح: محمد غانم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص ص 54-55.

³ - على محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الإعتصام، ص 14.

مثابرا، وفي إصلاح الرعية على ضرار الالتام صابرا ومصابرا ... وطار صيته أي مطار أب عثمان، السيد محمد بن عثمان أبقاه الله متبوعا " بالجنود والكوكب" ¹.

نجد نوعاً آخر من الخطب الإفتتاحية التي اعتاد الكتاب أن يبدؤوا بها مؤلفاتهم، والتي تتضمن مقومات هذا الفن وعناصره الأسلوبية والبلاغية. ومن الأمثلة البارزة على ذلك، خطبة كتاب "نفح الطيب"، حيث يقول المؤلف: "يقول العبد الفقير، الدليل المضطر الحقيّر، من هو من صالح الأعمال قصير: أحمد بن محمد الشهير بالمقري المالكي الأشعري... أحمد من عرف من حليّ الأمصار، وعلى الأعيان في تداول الأعصار وتداول الأزمان، ما فيه ذكرى لأوليّ الأبصار، وإرشاد إلى معرفة الدين..."² وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي ابتداء الخلق...وهي خطبة طويلة، تناسبت مع امتداد الكتاب، ابتدأها بحمد الله وتوحيده وتعظيمه². وآخر الأشكال النثرية هي: الوصية:

أ- لغة: ورد في لسان العرب أن "الوصية" مأخوذة من قولهم: أوصى الرجل ووصاه، أي عهد إليه، كما يقال: تَوَاصَى القوم، أي أوصى بعضهم بعضاً³.

ب- اصطلاحاً: فهي نوعان: وصية الأحياء للأحياء، والتي تمثل أدباً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحذر من الزلل، ويبصر بصالح الأعمال؛ ووصية الأموات للأحياء عند الموت، وهي حق يجب عليهم أدائه ودين يجب قضاؤه⁴. والوصية تُعدّ شكلاً من أشكال النثر، وقد اشتهر الجزائريون في بايلك الغرب بممارسة هذا الفن كما توجد وصايا عائلية، وأخرى تعليمية، بالإضافة إلى وصايا خاصة وعامة.

ومن خلال ذلك نستشف أن مخطوطات بايلك الغرب جاءت في شكلين رئيسيين: شعري ونثري، مع الغلبة للشعر. أما المخطوطات النثرية فقد تنوّعت أشكالها، فكان منها ما جاء على

¹ - أحمد بن سحنون، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص 133.

² - أحمد المقري، فتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، ص ص 131-132.

³ - ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 394.

⁴ - علي حسن محمد التمر، الوصايا في عصر صدر الإسلام، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، مج. 20، ع. 1، جانفي 2002، ص 207.

هيئة رسائل، أو تراجم عامة وخاصة، وإجازات، وتقاريظ، ووصايا. وهذا التنوع والثراء في الإرث جعل المهتمين يعلقون اهتماماً بالغاً بها، ويتنافسون على اقتنائها وشرائها.

2- العلوم العقلية:

أ- علم الحساب:

يذكر أبو قاسم سعد الله أن الإنتاج العلمي في كل من علم الفلك والحساب كان قليلاً، فالعلماء في الجزائر عامة والجهة الغربية خاصة، إهتموا وأعطوا عناية العلوم الشرعية والأدب والتواريخ المحلية، فنجد هذا العلم يكاد يختفي من الساحة الفكرية لولاء بعض الأعمال¹. وقبل التطرق إلى هذه المصنفات يجب أن التعرف على مفهوم علم الحساب:

نجد محمد الحرشوي يعرفه فيقول: "هو علم جليل القدر، من العلوم القديمة المطلوبة، ونحتاج إليه في كثير من العلوم واتفق العلماء وأهل الصدق قديماً وحديثاً على صحبته ومدحه والاعتناء به، فهو ركن من أركان الدين، به تعرف القبلة وأوقات الصلاة والأعوام والليالي والأيام وجري الشمس في البروج، وحركة الكواكب، وحلول القمر في البروج والمنازل، ومعرفة السوابع الليلية والنهارية، والأعداد بأسرها فلولا الحساب لتخاصم البنات والبنون²، وعند البحث في ثنايا المخطوطات الجزائرية لبابلك الغرب عن هذا العلم نجد: أرجوزة في الحساب لصاحبها: " علي بن عبد القادر يقول: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

بَدَأْتُ بِالْحَمْدِ مَعَ الصَّلَاةِ *** عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ التَّفَاتُ.
وَبَعْدَ فَالْبَسُوطِ لِلْكَسُورِ *** عَشْرَةَ خُذْهَا بِلاَ قُصُورِ.
وُقُوعُهَا أَرْبَعَةٌ مَعَ وَاحِدٍ *** بَيَانُهَا يَأْتِي بِعَوْنِ الْوَاحِدِ.
وَالْبَسُوطُ ضَرْبٌ كُلُّ كَسْرٍ *** فِي مَخْرَجِ الْغَيْرِ وَجَمْعُ الْكُلِّ.

¹ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 404.

² - قاتيان دالفان، المصدر السابق، ص 244.

فِي الْجَمْعِ مِنْ بَسْطِهَا كَالْمُخْتَلَفِ *** وَأُقَسَّمُ عَلَى أَيُّهِ مِنْهَا.
وَالطَّرْحُ كَالْجَمْعِ وَلَكِنْ هَاهُنَا *** تَقَسَّمُ فَضْلَ الْحَصِيلِ.
وَالضَّرْبُ ضَرْبَ بَسْطِ كُلِّ فِي أَخِيهِ *** وَقَسَّمَهُ عَلَى أَيُّهِ اتَّخَذَ.
خُذْ بَسْطَ مُقَسَّمِينَ مِثْلَمَا اخْتَلَفَ *** فِي قِسْمَةٍ وَالنَّظَرِ قَدْ انْتَلَفَ¹.

تتكون هذه الأرجوزة من ثلاث عشرة ورقة، خصّها صاحبها بعلم الجبر وموضوع الكسور، وقد صيغت بطريقة تسهل على الطلبة حفظها واستيعابها. ويظهر من خلالها أن الطلاب في تلك الفترة بدت عليهم ملامح النفور من العلوم العقلية، ومنها الرياضيات، إذ يناشد الناظم في الأبيات الأخيرة العلماء والطلبة للإقبال على هذا العلم والاهتمام به.

ب- علم الفلك : هو علم سماه غاتيان علم التنجيم وعلم الاسطرلاب، ويقال له علم النجم، والأول مصدر نجم الرجل ينجم تنجيما، إذ نظر في النجوم وعرفها بأعيانها وأسمائها، وهو علم جليل وقد شتغل الأئمة به وألفوا فيه تآليف عديدة².

ويعتبر الحباك والسنوسي وابن قنفذ والقلصادي من بين أهم المصادر التي كان يستمد منها العلماء الجزائريون، ونجد سحنون ابن عثمان الراشدي³، قام بشرح السراج ونقل في ذلك الشرح عبد العزيز بن مسلم وقد سمي شرحه: " مفيد المحتاج في شرح السراج " وفي هذا الباب أيضا نجد أحد التلمسانيين يقوم بشرح رجز أبي مقرر في الفلك وإسم الكتاب هو: " التاج المرصع في شرح رجز أبي مفرغ " وتتواجد أرجوزة سميت تعديل الكواكب لعرض بلد الجزائر⁵.

¹ - علي بن عبد القادر، أرجوزة النظم الغريب في بسوط الكسور، مخطوط مجموع بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 2067، ورقة 01، و .
² - لم يُعرف المؤلف علم النجوم تعريفاً دقيقاً، وهو عند الجمهور علم يُعرف به الاستدلال على حوادث الكون والفساد من خلال التشكيلات الفلكية .وكما ورد في كتاب "كشف الظنون"، فإن المقصود بالتشكيلات الفلكية هو أوضاع الأفلاك والكواكب مثل: المقارنة، والمقابلة، والتثليث، والتسبيع، وغيرها.
³ - سحنون ابن عثمان الراشدي: هو سحنون بن عثمان الراشدي، أحد العلماء الذين اهتموا بالعلوم والفلك والرياضيات. وحسبما نقله الحفناوي عن شيوخه ابن دوية، فإنه مدفون في منطقة بني وزغان بضواحي الونشريس. ينظر : الحفناوي، المصدر السابق، ص 127.
⁴ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ج.31، ص 314، نقلا عن سليمة بن عمر، الحل السندسية...، ج.1، المصدر السابق، ص 81.
⁵ - نقل الونشريسي وأضاف إليه بعض الاستنتاجات والآراء في شرح سماه: "المفيد المحتاج في شرح السراج". وقد علق عليه قائلا: "يقول العبد الذليل المفقر إلى مولاه الجليل سحنون بن عثمان، لما رأيت تأليف العالم المتقي الأخضرزي المسمى بـ 'السراج' في علم الفلك، وهو من أنفس الكلام... وهو مفيد لمن احتاج إليه من الأنام... جعلت هذا التقييد تكميلاً لفوائده... وأضفت إليه زوائد من غيره، وسميته 'مفيد المحتاج في شرح السراج'. "طبع هذا الشرح في مصر سنة 1314هـ مع متن الأخضرزي.

يقول صاحبها:

إِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَعَدَّ لَنَ *** لِأَيِّ وَقْتٍ شِئْتُ فَأُحْصِينَ.
عَنْ شَهْرِكَ مَعَ الْأَعْوَامِ *** وَعِدَّةِ السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ

غير أن صاحب المخطوط غير معروف، ولا يُعلم إن كان ينتمي إلى بابلك الغرب أم إلى خارجه. ونجد في هذا العصر بروز ثلثة من العلماء التلمسانيين الذين برعوا في علم الفلك والتنجيم، من بينهم: أحمد بن محمد بن عيسى، صاحب مؤلف لسان الفلك سنة 960هـ، وعبد الله بن عزوز، الذي خلف عدة مؤلفات في هذا المجال، منها: "لباب الحكمة في علم الحروف" و"نعم الأسماء الإلهية"، واسمه "البصائر في معرفة حكمة المظاهر". كما نجد مؤلفاً آخر من تلمسان قام بشرح رجز أبي المقرع في الفلك، في كتابه الموسوم بـ "التاج المُرصَّع في شرح رجز أبي مقرع"

من خلال هذه الأعمال نجد أنَّ العقول قد تحجَّرت خلال هذه الفترة فلم تنتج أعمالاً، وإنما كانت تستوحي من أعمال سابقة قاموا بشرحها، وعند الحديث عن أبي رأسالناصري فحسب ما ورد في " شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف"، لا نجد مؤلفات في الحساب والفلك بالرغم أنَّه أسقط مؤلفات عديدة مثل كتاب " إسماع الأصم في الأمثال والحكم"، وبعض التقاليد كتقييده حول الهجوم الإنجليزي على مدينة الجزائر 1817م، إلا أنَّ المتصفح لكتاب غاليتان " القول الأحوط " نجد أنَّ بعض المخطوطات الغربية في هذا العلم سواء في الحساب "كشرح السَّلم" أو علم التنجيم "مقابس الأنوار في شرح روضة الأزهار" و " القول السعيد في شرح مقنع أبي السعيد " و " إزالة الحلك في إبطال صوم من يأخذ رأي أهل الفلك " ¹.

ج- الطب والجراحة والصيدلة: كانت العناية بالعلوم الطبية أكثر من العناية بالعلوم الأخرى، ما عدا علم الفلك، خلال العهد العثماني، وذلك لحاجة الإنسان إلى المعالجة. وقد أسهم العديد من العلماء، بما فيهم علماء بابلك الغرب، في التآليف في مجال الطب، من خلال كتب متنوعة، إما على شكل قواميس طبية، أو أرجوزات شعرية، أو مؤلفات تناولت أمراض الجسم وطرق علاجها،

¹ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 47.

مع ذكر مختلف الأدوية، سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية. ومن أبرز من ألف في هذا المجال نذكر:

1- أحمد بن علي الراشدي:

إشتهر أحمد بن علي الراشدي بابن سحنون إذ كان كاتباً عاماً " و أمينا لدى الباي محمد الكبيرباي وهران، حيث أمره الباي بوضع قاموس طبيّ سماه " المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية " ، أين قام المؤلف بترتيب الأدوية ترتيباً أبجدياً في جزأين، أنهى الجزء الأول في سنة (1204هـ/1789م)، حيث كان الباي يجيز من يفعل ذلك بالمال الجزيل، حيث قبض ابن سحنون ما مقداره 50 قطعة ذهبية سلطانية، مقابل تأليفه هذا.

إذ نجد المخطوط يبدأ مثل كل كتبه ومخطوطات العهد العثماني بالبسملة والصلاة على المصطفى، ثم مدح الباي محمد الكبير، حيث يقول: "أن الدين ازداد به تأييدا وسابق الملوك في الفضائل، وبعد مدح مطول يذكر أنه هو من أمره بوضع هذا القاموس، حتى ينتفع به الطالبين فامتثلت لأمره عازما " ، حيث تطرق إلى الكتب التي أخذ منها وعلى سبيل المثال كتاب: " المنهل الروي في الطب النبوي"، و"القانون لابن سينا" و"صحيح البخاري"، ويذكر أنه رتبها ترتيباً أبجدياً ليسهل تناوله المتعلم¹.

وركحاً على الانزياح والعدول، جاءت مقدمة الكتاب بتناول موضوع الطب وآداب، حيث قال: "أنه هو العلم بأحوال بدن الإنسان الذي يحفظ به حامل الصحة"، وهو من العلوم الأكيدة التي هي حاجة العالم إليها شديدة، لذلك كان الشافعي يقول: " كان يتهدف على ما ضيع المسلمون منه ويقول: " ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى"، والجزء الأول الذي تطرقنا له يبدأ من حرف الألف وينتهي عند حرف النون ونجده يستهل الكتاب بأول الأدوية ويتكلم فيه عن الأس وهو الريحان، حيث يذكر أنه شفاء الاسهال والعرق وكل سيلان، حيث يقوم بحبسه، ويقوي الشعر

¹ - ابن علي، المنحة القدوسية ...، المصدر السابق، ص 01.

ويسكن الأورام وحروق النار ويذكر منافعه العديدة عند طبخ ورقة الصداغ والسعال، ويقوى القلب ويسرع جبر العظام، ويجفف قروح الرأس والأذن¹.

وانتقالاً منّا إلى آخر حرف في الكتاب، وهو حرف النون، حيث يذهب بنا إلى نبات "نجيل النجم" الذي يشبه "اللباب"، وهو علاج لعسر البول والحصى من الكلى والمثانة². وينهي كتابه بالنمل والنعام، وهذا الأخير يقول عنه أنه يقوى الجسم ويصلحه ويقطع أوجاع المفاصل والظهر، وهو بالجملة شفاء من كل مرض³.

يُعتبر هذا المؤلف والمخطوط من أهم القواميس الطبية، حيث جمع فيه المعارف الطبية من أمهات المصادر التي ذُكرت في المنفعة العامة، مما ساهم في نشر الثقافة الطبية في بايلك الغرب خلال ذلك العهد.

2- أبو رأس الناصري:

كان العلامة محمد الناصري من أكبر مفكري الغرب الجزائري، في عصر حيث اهتم بجمع العلوم، حيث خلف 140 تأليفاً من ضمنها كتاب حول الطاعون سماه " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"⁴. حيث جمع فيه كلّ ما قيل عن الطاعون وأضراره ولعله استوحاه من طاعون 1787م، حيث كان عندئذ بمعسكر⁵، وقد جمع من كتب عديدة في الطبّ وأول الرسالة : الحمد لله وحده وبعد... فلما وقع الطاعون في شعبان، 1200هـ ببلدنا الجزائر صانها الله تعالى من الذاكرة ... اشتغلت في مطالعة كتب عديدة في الطب منها "القانون لابن سينا، ومنها "التذكرة لداوود الأنطاكي، ثم استعنت بالله في جمع ما لخصت منها، وسميته، الدرّالمصون في تدبير الوباء والطاعون، هذه الرسالة وضعها لها محمود بن الشيخ علي بن أمين، مقدمة فيها سبعة فصول وذيّلها بخاتمة وأول مقدمة " الحمد لله رب الارباب فلما وقعت بيدي مببضة رسالة في

¹ - ابن علي ، المنحة القدوسية ...، المصدر السابق ، ص 05.

² - نفسه، ص 07.

³ - نفسه، ص 08.

⁴ - لأبي رأس الناصري كتاب آخر عن الوباء بعنوان " الكوكب الدري في الرد بالجزري ". وهذا الكتاب هو مخطوط قام بتحقيقه السيد بو كعبر بلقردي في عام 1425هـ.

⁵ - أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 11.

تدبير أمر الوباء والطاعون جمعنا السيد محمد بن رجب الجزائري¹. محمد بن سليمان " لابن مريم التلمساني صاحب البستان ". حيث قام هذا الأخير بتنظيم رجزا في الموازين والمكايل الطبية والشرعية.

3- محمد بن يوسف التلمساني:

لقد أسهم في هذا المجال، حيث عُرف بالزهد والتّخصّص في العقائد وفي الطب أيضا، لكنه ربط بين الطب والدين، بل أنّ موضوع الطب الذي عالجه هو مجموعة من الأحاديث الشريفة، حيث فهم السنوسي علم الطب وألف فيه رسالة صغيرة اعتمد فيها على شرح مجموعة من الأحاديث النبوية مثل: (المعدة بيت الداء)، كما شرح الجملة الأخرى (الحمية رأس الدواء) وكذلك (أصل كل داء البردة) وجاء في تفسير العبارة الأولى أن أهضم الثلاثة : هضم في الكبد وهضم في سائر الأعضاء، والسنوسي في شرحه الطبي يذكر الأمراض ويشرح الأحاديث، كما يصف العلاج ومعنى ذلك أنه لم يكن يكتفي بالنقل، بل كان يحكم من التجربة أيضا². ولذلك وجدنا بعض التآليف والرسائل والأراجيز في علم الطب في معظم الأحيان العامة كانت تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة، أو بتعليق تميمة أو بزيارة والي، والمعالجة لم تكن بالأدوية فقط بل كانت عن طريق القرآن الكريم³ والحديث الشريف.

ولجأ بعض الناس إلى التداوي بالسكر والشعوذة والتبرك بالأولياء الصالحين وكرماتهم ونجد محمد بن مسايب وهو من عائلة أندلسية استقرت بتلمسان يتوسلون بالأولياء طلبا للشفاء والعون حيث يقول:

يَا أَهْلَ اللَّهِ غِيثُوا الْمَلْهُوفَ *** مِنْ قَبْلِ مَا يَتَمَرَّدُ فَكُوهُ.
كَيْفَ يَهْتَأُّ مِنْ سَكَنِ الْخَوْفِ *** وَأَتَرَحَّمُ طَلَّابَهُ عَلَيْهِ.

¹ - الحفناوي ، المصدر السابق ، ص 320.

² - khiati, op.cit, p 115.

³ - في القرآن الكريم آيات كثيرة على شفاء الإنسان لقوله تعالى في سورة الإسراء : " وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " (الإسراء: 82) واعتاد سكان الجزائر على استخدام الرقية الشرعية للعلاج. ومثال على ذلك، ما ورد في الحديث الشريف أن جبريل عليه السلام أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمد، أنتشكي؟" فقال: "نعم". فقال جبريل: "بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيقُكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيقُكَ".

وَيَنْ أَهْلَ اللَّهِ كُلُّهُمْ *** وَسَعَى تَحْضُرُ بَرَكَاتِهِمْ.
وَيَنْ أَهْلَ اللَّهِ بِالْجُمْلَةِ *** شَرْقٌ وَغَرْبٌ جَوْفٌ وَقِبْلَةٌ.
مِنْهُمْ سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ *** التَّهَامِي الْحُسْنِي سِبْطَةٌ
وَيَنْ هُمْ هَلِ النَّصْرِيفُ *** عِمَادَ الْخَلْقِ قُوِّي وَضَعِيفُ.
كُلُّ مَنْ رَوْحَ لَهُمْ ضَعِيفُ *** كَرَّمُوهُ يَعْلا قَدْرَهُ.
وَيَنْ سَلَاطِينَ الْأَوْلِيَاءِ *** فِي الْأَوْطَانِ وَكُلُّ ثَنِيَّةٍ¹.

يتكرر هذا الرجاء في أكثر من موضوع معبراً عن نفس الغاية التي تعكس ثقافة ذلك الوقت، حيث كان الوالي الصالح معالجا من كل الأمور النفسية والعضوية، حيث يقول ابن مسايب كذلك:

عِنْدَ سَيِّدِي مُوسَى يَا نَاسٍ *** رَحْتُ لَهُ دَوَانِي.
عَنْ هَذَا الشَّيْخِ الْوَالِي *** مَشَيْتُ لَهُ مُتَكَدِّرُ حَالِي.
عَادَ يَسْكُبُ دَمْعُ جَانِّي *** سَائِلَ طُوفَايْنِ.
كَانَ سَابِقُ فِي أَمْرِ الْعَالِي *** عَلَى يَدِهِ دَوَانِي.
عَلَى يَدِ هَذَا الشَّيْخِ الْعَابِرِ *** مَشَيْتُ لَهُ وَاشْفَى جَمِيعَ الضَّرِّ.
سَيِّدِي مُوسَى بَنَ نَاصِرُ *** قُطِبُ كُلِّ زَمَانِي...².

كانت النساء في المنطقة الغربية تتجه إلى ضفاف الأدوية، حيث كن يتبخرن بالجاوي، للإنجاب ومختلف الأمراض المختلفة³.

ومن خلال هذه الأسطر المستقاة من مخطوطات بايلك الغرب، يتبين أن الطب كان علماً قائماً بذاته خلال العهد العثماني، غير أنه لم يبلغ مستوى التطور الذي شهده الطب في أوروبا نتيجة النهضة الفكرية هناك، إذ كان الطب في المنطقة آنذاك لا يزال مشوباً ببعض الممارسات مثل الشعوذة والتبرك بالأولياء وغيرهما.

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ديوان ابن مسايب ، تق: الحفناوي السحنون وأسماء سيقاوي ، م . و . ك ، الجزائر ، 1989م ، ص 81.

² - محمد بن أحمد ، المصدر السابق، ص26.

³ -E.Destaing, « Fête et costumes chez Beni Snous », **R.A.** , N^o 50 , 1906, p363.

د - المنطق:

ضمن تعليقات محمد الحرشوي على تأليف المستشرق الفرنسي قايتان يذكر العلامة محمد الحرشوي تعريف لعلم المنطق حيث يقول: " هو علم يُعرف به كيفية الانتقال من أمور حاصلة لأُمور مستحصلة"، ويذكر قايتان: " أنه علم يوناني فيلسوفي، وأول من وضعه أرسطو، وكان قبله كتاب المقولات لا غير، والذي أدخله في علوم الإسلام هو المأمون الخليفة العباسي، لما هادن النصارى طلب من ملكهم أن يرسل إليهم كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة من بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع خواصه وشاورهم على ذلك فأشار عليه بحفظها، وعدم إرسالها إلا واحد من كبارهم قال له: " يا أمير جهزها وأرسلها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شريفة إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها، لذلك نقل صلاح الدين الصفدي عن أبي العباس أحمد بن تيمية أنه كان يقول: " ما أظن الله يغفر عن المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخل على هذه الأمة " ¹.

من بين علماء بايلك الغرب الذين خاضوا في المنطق نجد العلامة مصطفى الرماصي وأبو رأس الناصري اللذان قاما "بشرح السلم"، وعلى ضوء هذا ذهب المؤرخ أبو القاسم سعد الله ² بأن إنتاج الجزائريين في علم المنطقة قليل جدا، ويعود ذلك إلى صعوبة هذا العلم، الذي يحتاج إلى الإطلاع الواسع من كتابات الأولين، بالإضافة إلى طغيان علم التصوف على دراسات معظم الجزائريين، حيث ركزوا اهتمامهم على علوم الباطن، واعتبار علم المنطق من علوم الظاهر التي قد تؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة ³.

ففي بايلك الغرب ساهم أبو رأس الناصري، في هذا العلم عندما وضع شرحا على "سلم الأخضر" سماه "القول المسلم في شرح السلم"، في المنطق ⁴، ونجد الإمام السنوسي له جهود في المنطق وذلك بتأثره بعلم الكلام والمنطق في كتب الأشاعرة، حيث وضع مؤلفات ومنها كتابه "المختصر في علوم المنطق"، حيث يقول في مقدمة مختصره، فهذه كلمات مختصرة تتضمن

¹ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 228.

² - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 47.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.2، ص 168.

⁴ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 48.

معرفة ما يضطرّ إليه من علم المنطق لتصحيح ما يكتسب به من التصورات والتّصديقات، وترك كل ما يشوش الفكر مع قلة جدواه وندور استعماله من قواعد وتفرّيعات، ولإمام السنوسي كتب أخرى في علم المنطق منها : " شرح جمل الخونجي في المنطق".

"شرح مختصر ابن عرفة"، الورغمي في "المنطق"، فكّ رموزه وحلّ ما صعب فيه، حيث قال عن شرحه هذا: إنّ كلامه صعب سيّما هذا المختصر، تعبت كثيرا في حلّه لصعوبته إلى الغاية لا"أستعين عليها إلا بالخلوة"، وله شرح على متن أساغوجي في "المنطق" وهو كتاب مهم لدى المتخصصين في علم المنطق¹.

لكنّ بالرغم من أنّ هذا العلم كان قائماً بذاته، وقد أقبل عليه ثلّة من العلماء في بايلك الغرب، فإنّ المساهمات الجزائرية بقيت رهينة الشرح ودراسة أعمال علماء آخرين. ويرجح أنّ قلة الأعمال المؤقّفة في هذا المجال تعود إلى عزوف المؤرخين الآخرين في البايك، نظراً لنزعتهم الصوفية

هـ-الجغرافيا والتاريخ:

-الجغرافيا:

علم الجغرافيا يقول عنه محمد الحرشوي: " أنّه علم عزيز جدا يدرسه الطلبة، وكان يتخطّاه الكثير من الناس، والجغرافيا يعرفها غايتان أنّها علم يعرف به وصف الأرض، وهو علم يوناني ولم ينقل له في العربية لفظ مخصوص"².

يتناول كتاب "القول الأحوط" موضوع الأرض وشكلها وقارات العالم ودوله، وقد أُلّف في علم الجغرافيا في بايلك الغرب عددٌ قليل من المؤرخين، من بينهم القدوة الحافظ العلامة أبو رأس الناصري، الذي صنّف كتابه الجوهر والعرض في وصف السماء والأرض. أمّا الكتب الأخرى، فقد

¹ - محمد بن مريم تلمساني، المصدر السابق، ص ص 265-267.

² - جاء في كتاب "أبجد العلوم" أنّ الجغرافيا علم يُعنى بأحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الجزء المأهول من الكرة الأرضية، وعروض وطول البلدان الموجودة فيها، بالإضافة إلى عدد مدنها وجبالها وصحاريها وبحارها وأنهارها، وغير ذلك من أحوال الربع المعمور. هذا ما ورد في كتاب "مفتاح السعادة". ينظر: صديق بن حسين القنوجي، أبجد العلوم، مر: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م، ص 212.

تطرقنا إليها ضمن علم التاريخ، ومن عناوينها يفهم أن موضوعها يتعلق بالمسالك والطرق، مثل كتاب الزباني: ترجمان المغرب في كنوز المشرق والمغرب، وغيره من المؤلفات.

-التاريخ: ترك الجزائريون أعمالاً هامة في التاريخ والتراجم والسير خلال القرن (15م)، بحيث كان جلّ هذه الأعمال مرتبطاً باسم سلطان من السلاطين أو دولة من الدول المحلية، ممّا نلاحظ أنّ بعض هذه الأعمال، قد كتبه علماء غلب عليهم تخصص آخر عبر التاريخ، لكنّ الذي يلفت النظر هو أن الجزائر لم تلد مؤرخاً كبيراً مثل ابن خلدون، الذي قام بطرح أبرز النظريات في العلوم الاجتماعية التي عرفها المسلمون¹.

ويبدو سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية، قد أضعف العناية بعلم التاريخ وأخبار الأولين ولذلك أنّ كثيراً من الجزائريين الذين كتبوا في التاريخ أمثال محمد بن مرزوق الجد الذي اهتم بوضع سيرة الأمير أبي الحسن على المدن، وسمى كتابه: "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولى أبي الحسن"².

فالعناية بالتاريخ والأخبار لم تكن تحظى بالاهتمام، كما كان منها مكتوباً منذ القديم لم يقلده المقلدون أو يرجع إليه الراغبون، فالتاريخ عند المؤرخين الجزائريين، ظلّ غامضاً، فهم يخلطونه بالدين تارة وبالسيرة تارة أخرى، فالمخطوطات ببايالك الغرب عرفت التاريخ ومنها أبو رأس الناصري، الذي قال: "بأنه لفظ عربي وهو لغة الأخبار ... واصطلاحاً توقيت الفعل بالزمن ليعلم مقدار ابتدائه وانتهائه والنقول الصحيحة هي أدوات التاريخ ليس البحث والنظر"³.

بين أبو رأس الناصري أهمية التاريخ فقال عنه: اعتنى به الأدباء الأفاضل وصلحاء السلف وحذاق الخلف في كل عصر عصابة وأهل إصابة، فألفوا وأجادوا، ثم ذكر أسماء المؤرخين المسلمين بأن وصل إلى السيوطي وأحمد المقري⁴.

¹- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء...، ج.1، المرجع السابق، ص 201-205.

²- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء...، ج.1، المرجع السابق، ص 67.

³- أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 28.

⁴- نفسه، ص 67.

ويقول محمد الحرشوي التلمساني (1826-1896م) الذي علّق على مخطوط قايتان: "القول الأحوط، في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط"، بأن علم التاريخ هو علم جليل يعرف به الأوائل وسالف الأمم، ويتوصل به المنتسب إلى أصله، ويقول لأهله المؤرخون، مشتق من الأرخ وهو الفتى من البقر¹.

ويقال لهم إخباريون، جمع خبري من خبر، وهو لفظ عام خصّ بهذه الطائفة لما لهم من عناية بنقل الأخبار. وقد نسب الجميع إلى العلم، لمشابهته للعلم في المقصود، فيقال فلان من الإخباريين، كما يُقال فلان من المؤرخين: "أخبار إخباري كأخبار وأنصاري، ولولا هذا لردّ في النسب لمفردة كسائر الجموع المنسوب إليها"².

يتطرق أبو رأس الناصري في "زهرة الشماريخ" للذين ألفوا قبل الإسلام، "داهر مؤرخ الفرس، وهريشوش مؤرخ الروم، ويوسف بن قورين بلوفي"، كلاهما من مؤرخي اليهود، وابن سليمان المطمطي من نسابة البربر، نسبه لمطاطة بنت تمزيت بن يضرسين بن مادغس بن بربر³.

كما تطرق إلى المؤرخين المسلمين، فذكر الزهري وابن إسحاق والحميري وابن أبي ليلى⁴. ويذكر صاحب كتاب القول الأحوط أسماء المؤرخين كابن بطوطة، ابن كثير، ابن الأثير، وابن خلكان وابن خلدون⁵. وتطرق كتاب قول الأحوط لمؤرخي الجزائر بما فيهم مؤرخي بابلك الغرب، فقد استلهم غايتان بالحافظ الأديب الحسيب النسب، الجامع البار، عذب الموارد والمشاريع وحلو المقاصد والمنازع، طائر السعد الميمون، أبو عبد الله سيدي محمد بن ميمون، حفيد الشيخ الفقيه الإمام قدوة المتقين، الولي العلامة علم الأعلام سيدي أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري. أعلى الله درجة الجميع، بلا محنة في دار السلام صاحب الكتاب المؤلف في سيرة الباشا السيد محمد بكداش، والمؤرخ الأخير من البابلك الغربي، العلامة الحافظ الذي إلى ذي العرش يأوي الحجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوي صاحب الكتاب في: "الفتح الأول

¹ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 318.

² - أبو رأس الناصري، زهرة الشماريخ في علم التاريخ، تح: الجيس يعقوب، دار الحمراء للنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، 2014م، ص ص 36-37.

³ - أبو رأس الناصري، زهرة الشماريخ، المصدر السابق، ص 36.

⁴ - نفسه، ص 64.

⁵ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص ص 341-342-343.

لوهـران"، ونجد كذلك من المؤرخين أبو زيد الشيخ عبد الرحمن الجامعي التلمساني شارح"رجز الحلفاوي المار في فتح في وهران الثاني"، وكان من أهل الثاني عشر والفقـيه المؤرخ أبو العباس أحمد الفلالي التلمساني صاحب: " التاريخ في الفتح الأول لوهـران".

وكذلك يتطرق قايتان إلى المؤرخ الديميري فيقول: " الحافظ الحجة القدوة المحقق المتقن البارع الجامع كمال الدين أبو عبد الله محمد الديميري، صاحب: " حياة الحيوان"، الذي فرغ من مسودته في شهر رجب سنه ثلاث وسبعين وسبعمائة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثمانئة.

ونجد أحمد الشريف وهو العلامة الحافظ الضابط الفارس في المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول¹، أحمد الشريف الحسني المعروف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين، نشأ رحمه الله بتلمسان، وأخذ العلم عن مشايخها واختص بأولاد الإمام، فتفقه عليها فكان له كتب في التاريخ ككتاب الإشارات².

وفي تلمسان برز المؤرخ الجامع المانع، أبو عبد الله محمد المديوني صاحب كتاب: "البستان في علماء وأولياء تلمسان"³، ومن مستغانم إحدى حواضر البايك نجد السويدي، وهو العلامة أبو القاسم محمد بن داود المستغانمي السويدي صاحب كتاب: " العيش الرغيد في بيان شعوب الهبرة والسويد". وكذلك نجد الحجة القدوة العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد المحلي صاحب كتاب: " الدر الغنيم في أحواز مستغانم ".

وفي فضاء الراشدية ظهر المؤرخ العلامة الرماصي، وهو أبو عبد الله محمد المصطفى الرماصي، صاحب: " الهدية في أخبار الراشدية"، توفي سنة تسعة وثلاثين وقيل خمسين ومائة وألف⁴.

¹ - المصدر نفسه، ص ص 357-358.

² - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 358.

³ - كتاب البستان مشهور ومعروف نشره الشيخ ابن أبي شنب وأعاد تحقيقه الدكتور عبد القادر بويابة.

⁴ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 362.

وكذلك الشيخ المشرفي وهو الولي العلامة المربي القطب الصالح أبو الطاهر عبد القادر بن عبد الله، بن أبي جلال صاحب كتاب: " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت الإِسبانيّين بوهْران كبنّي عامر"، و" أبو رأس الناصري وهو القدوة العلامة محرر النقل في كل فن"، الحافظ محمد أبو رأس الناصري المعسكري الراشدي، حيث له في التاريخ عدة ملفات منها: " زهرة المشاريخ في علم التاريخ"¹، حيث ذكر فيه: "ما قبل الإسلام من النشأة إلى الإسلام أصالة، وما بعده انجرار للكلام"، وكذلك: "المنام السؤل من أول الخليفة إلى بعثة الرسول"، " نصرّة الرحمن في أخبار الجان"، "تحفة الإخوان في بيان أرهاط وقبائل الجان"، "در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة"، "درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة"، " المعالم الدالة على الفرق الضالة"، "الوسائل إلى معرفة القبائل"، وكذلك مخطوط: "الحلل السندسية فيما جرى بوهْران والعدوة الأندلسية" ونجده كذلك بعنوان: " نفيس الجمان فيما جرى بالأندلس ووهْران"، و: " القصص المغرب والحزب المغرب في حال المغرب بما وقع في الأندلس وثور المغرب"²، "غريب الأخبار عما كان بوهْران والأندلس للمسلمين والكفار"، " عجائب الأخبار في لطائف الأسفار كما جرى بوهْران والأندلس للمسلمين مع الكفار"، " ورضة السلون المؤلفة بمرسى تطوان في أخبار الأندلس ووهْران" و" الزهرة الوردية في الملوك السعدية"³.

ومنها: "مروج الذهب في نبذ من النسب ومن إلى الشرف انتهى وذهب"، " الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم"، " المسلك المروم في أخبار الترك والروم"، " تحفة النفساء في ملوك فرنسا" و" القول التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرنسيين"⁴.

ونجد أيضا: "تور الإقتباس في ذكر ملوك كل جنس من الأجناس"، " فتح الرحمن في شرف بني زيان وذكر فروعهم إلى هذا الزمان"، " فتح الجواد في الفرق بين آل زيان وآل عبد

¹ -نشر بتحقيق الأول للشيخ الحبيب يعقوب ، والثاني للدكتور حمدادو.

² - حَقَّقَ هذا المخطوط ونُشر بواسطة المحقق هارون بن عبد الرحمن آل باشا الجزائري، عن دار الإمام مالك في تونس، سنة 2020. وقد جاء ضمن مجموع يحوي ثلاثة كتب أخرى، وهي: "الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة"، "تأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان"، "نشر الدر والجمان في براءة أمير المؤمنين عثمان".

³ -قائتان دالفان، المصدر السابق، ص 364.

⁴ - حَقَّقَ هذا الكتاب الدكتور حمدادو، وهو منشور على الإنترنت. ويُعد كتاباً غريباً، خاصةً إذا علمنا أن الحافظ أبو رأس توفي قبل يوم واحد من دخول فرنسا إلى الجزائر، ومع ذلك أورد في هذا الكتاب تفاصيل غريبة عن هذا الدخول.

الواد و ذكر ملوكهم الأطواد"، " لقطّة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان"¹، "الزهرة السماوية في أخبار الملوك العلوية"، " النور الأثقب في طبقات العرب"، "القصص القتامة في ذكر البربر وزانة"، " القول الأسرب في أخبار أصول وفروع العرب"، " الكلام الفشاش في أخبار سائر المدن والقرى والأعراش"²، "إزالة الصمم في الفرق بين العرب والعجم"، "نقل الواضح المشهور من بدئ الخليقة إلى النفخ في الصور"³.

وفي فناء الراشدية ومن سكان مدينة سيق نجد أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن عدة بن أحمد بن يوسف الزياني صاحب كتاب: "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران"⁴.

وابن مدينة وهران الهبري وهو الفقيه الشجاع أبو عبد الله السيد محمد بن داود آغة الدواوير وأحد أعضاء جماعة المجلس الكبير بوهران، صاحب كتاب: "لوامع العبرة وإزالة الدنس والغبرة في الكلام على أهل الهبرة وسائر أولاد مالك بن زغبة أهل الخصلة والحبرة"⁵.

وتطرق أبو رأس الناصري إلى المؤرخ مسلم بن عبد القادر، حيث وصفه: " واحد من صميم آل حمير وكهلان، وممن انقادت إليهم أزمة ذوي الأقدار، والمقادر السيد مسلم بن عبد القادر، أصلح الله باله ونفي وباله فإنه من أجل أدباء الزمان وأحرزهم لقصب السبق في هذا الميدان ومن مؤلفاته: " أنيس الغريب والمسافر" خاص بأخبار مدينة وهران حققه ونشره رابح بونار عام 1974م، " عقد الجواهر في مدح أبي المرتضى ومحاسن الجزائر"، وطرفته بحكايات ونوادر وغرائب ومفاخر، ففي مدح الداوي حسين آخر دايات الجزائر، وكذلك الآداب والمواعظ والأمثال

¹ - حققه ونشره الدكتور، حمدادو بن عمر .

² - قاتيان دالفان، المصدر السابق، ص 364.

³ - معظم المخطوطات التي ذكرناها غير موجودة. فقد وردت أسماؤها في كتاب "قاتيان القول الأحوط"، أو في كتاب "فتح الإله" لأبي رأس الناصري، ولكنها مفقودة. أما الكتب التي تم تحقيقها، فمعظمها قام بتحقيقها الدكتور حمدادو، وذلك لقربه من عائلة الشيخ محمودي بالبرج التي قدمت له العديد من الكتب ليقوم بتحقيقها ونشرها.

⁴ - حققه الشيخ بوعبدلي المهدي.

⁵ - قاتيان دالفان، المصدر السابق، ص 365.

والحكم وهو التأليف الذي طلب صاحبه من الشيخ أبي رأس الناصري شرحه فكان الكتاب: "إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم وقصائد متنوعة"¹.

ومن خلال هذه المخطوطات، نجد أن المؤرخ كان يعيش ضمن حدود ضيقة فرضتها عليه السياسة والثقافة؛ إذ أن العثمانيين لم يطوروا فكرة التواصل بين المؤرخ وبيئته، فكانت نظرتهم محصورة في حدود القرية أو الناحية أو الحدث نفسه. فمثلاً، كان يكتب عن فتح وهران من خلال سيرة الوالي المسؤول عن ذلك الحدث، كما أن المترجم أو المؤرخ ظلّ حبيس الزاوية أو المدرسة التي تخرج منها.

فلا يكتب إلا في نطاق محصور تمليه ثقافته، ويرى أبو القاسم سعد الله أن المؤرخين الجزائريين افتقروا إلى النظرة الشمولية للتاريخ الوطني، وافتقروا أيضاً إلى التأريخ الإسلامي، ذلك أنه باستثناء بعض الأعمال الجزئية حول السيرة النبوية، لا نجد مؤرخاً جزائرياً قد أرخ للإسلام أو للعرب بالمعنى العام².

فنجد أن بعض المؤرخين ألفوا في السيرة النبوية بعض الأعمال، ونظموا فيها الأشعار والأراجيز، ومن الممكن أن تُعدّ جزءاً من تاريخ السيرة النبوية، مثل أحمد المقرئ. فنجد أن تاريخ السيرة النبوية قد اختلط عند كثير من الجزائريين بشعر المديح النبوي ويعلم الحديث وفروعه.

أما ربط السير والتاريخ بالبايلك الغربي، فيدخل ضمن التاريخ المحلي، حيث برز خلال العهد العثماني هذا النوع من الفنون والعلوم، إذ أن المؤرخين أرخوا لمناطقهم دون سائر نواحي القطر الجزائري، أو لحوادث وقعت في جهاتهم. وفتح وهران أكبر دليل على ذلك، لما حظي به من مؤلفات، يتجلى أثرها من خلال أسماء المخطوطات التي ذكرناها. فالجزائريون لم يكتبوا في التاريخ العام إلا قليلاً، بينما نجد لهم أعمالاً كثيرة في التاريخ المحلي.

العلوم العقلية والنقلية في ثنايا بعض مخطوطات بايلك الغرب:

¹ - أبو رأس الناصري، زهرة الشمايخ في علم التاريخ...، المصدر السابق، ص 326.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، ج.2، المرجع السابق، ص 320.

العلم	المؤلف	عنوان المخطوط
التفسير	أبو رأس الناصري	الإبريز والإكسير في علم التفسير.
الحديث	الشيخ أبو رأس الناصري	شرح على البخاري
	الشيخ عبد الرحمن - المجاجي الوطاسي	على صحيح البخاري
علم الفقه	أبو رأس الناصري	حاشية الخرشي.
	الرماسي مصطفى	حاشية على التتائي.
		حاشية على الخرشي.
	أبو طالب المازوني	حاشية على الخرشي
	عبد القادر بن سنوسي دحاوي	حاشية على الخرشي
	بن عبد الرحمن التلمساني	حاشية على الخرشي
	الإمام السنوسي	مختصر
علم القراءة	أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي قاسم الشهير بابن توزينت التلمساني	التلمسانية.
علم النحو	العربي بن قيران المستغانمي	منظومة
علم البيان، المعاني والبديع	أبو رأس الناصري	الجوهر المكنون
	محمد بن يوسف الزباني	لؤلؤة التبديع في تعداد أنواع البديع.
علم العروض	ابن مرزوق الخطيب	شرح السلم
علم اللغة	أبو رأس الناصري	كتاب ضياء القاموس على كتاب القاموس. الضابط المختصر من الأزهر على قواعد القاموس والجوهر. رفع الأثمان في لغة الولايم الثمان.
علم الأدب	أبو الطاهر الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي	النور الحراق في شرح رجز الأوفاق.
	أبو رأس الناصري	النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريية شرح صغير.

<p>الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية شرح كبير.</p> <p>البشائر والأسعاد في شرح بنات سعاد لامية كعب بن زهير الصحابي.</p> <p>الوصيد في شرح سلوانية الصيد للفجيجي.</p> <p>إزالة الوجع عن قصيدة لامية العجم.</p> <p>نيل الأرب في شرح لامية العرب للشنفري الفاتك.</p> <p>الدرة الأنيقة في شرح العقيقة.</p> <p>قنص الصيد في شرح مقصورة ابن دريد.</p> <p>الكلام المحكي في شرح لامية أمرؤ القيس قفا نبكي الجمان في شرح قصيدة أبي عثمان شرح سادس.</p> <p>نزهة الحبيب على نظم الأديب الحسيب.</p> <p>الجامع بين المدح والتشبيب والتتسيب شرح سابع.</p> <p>لأنوار الجلييلة في شرح القصيدة الخلية.</p> <p>الحلة السعيدة في شرح القصيدة السعيدة شرح خامس.</p> <p>السعي الرابع في شرح عقيقة الشيخ سعيد شرح رابع.</p> <p>فتح الإله في شرح عقيقة ابن عبد الله شرح ثالث.</p> <p>طراز شرح المنداسي لقصيدة المنداسي شرح ثاني.</p> <p>القول الماضي في شرح لامية الدمياطي.</p> <p>العناصر الأمليسية في شرح البذور الغريسية.</p> <p>الرياض المرضية في شرح الغوثية.</p>		
<p>زهرة الشماريخ في علم التاريخ.</p> <p>المعالم الدالة على الفرق الضالة.</p> <p>القصص المغرب والخبر المغرب عن حال المغرب بما وقع في الأندلس وثغور المغرب.</p> <p>درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة.</p> <p>الحلل السندسية فيما جرى بوهراڻ والعدوة الأندلسية، ونشأت قلت نفيس.</p>	<p>أبو رأس الناصري</p>	<p>علم التاريخ</p>

نفيس الجمان فيما جرى بالأندلس ووهران.
عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جرى بالأندلس
ووهران بين المسلمين والكفار.
عجائب الأخبار في لطائف الأسفار عما جرى بوهران
والأندلس المسلمين مع الكفار.
ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس.
الزهرة الوردية في الملوك السعدية.
المنا والسول من أول الخليفة إلى بعثة الرسول.
نصرة الرحمن في أخبار الجان كتحف أودرومرجان.
-حفة الإخوان في بيان أرهاط وقبائل الجان.
در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة.
الوسائل إلى معرفة القبائل.
روضة السلوان المؤلفة بالمرسى تطوان في أخبار الأندلس
ووهران.
مروج الذهب في بنذ من النسب ومن إلى الشرف وانتهى
وذهب.
نباهة الغمر من أنباء الملوك والرؤساء ومن أحسن منهم
ومن أساء.
الخبر المعلوم في كل من اختراع نوعا من أنواع العلوم.
-تحفة النفساء في ملوك فرنسا.
-المسلك المروم في أخبار الترك والروم.
النور الأتقب في طبقات العرب.
الزهرة السماوية في أخبار الملوك العلوية.
لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه
من بني زيان ملوك تلمسان.
فتح الجواد في الفرق بين آل زيان وآل عبد الواد وذكر
ملوكهم الأطواد.

<p>الغر المتين في ذكر بني مرين فتح الرحمن في شرف بني زيان وذكر فروعهم إلى هذا الزمان. نور الاقتباس في ذكر ملوك كل جنس من الأجناس. -القول التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرنسيين. النقل الواضح المشهور من بدئ الخليقة إلى النفخ في الصور. إزالة الصمم في الفرق بن العرب والعجم. الكلام الفشاش في أخبار سائر المدن والقرى والأعراس. -القول الأسرب في أخبار أصول وفروع العرب. القصص القتامة في ذكر البربر وزناتة.</p>		
<p>دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران.</p>	<p>الزياني</p>	
<p>شرح أرجوزة الحلفاوي.</p>	<p>أبو زيد عبد الرحمن الجامعي</p>	
<p>ياقوتة النسب الوهاجة</p>	<p>الشيخ أبو حامد المشرفي</p>	
<p>أرجوزة فتح وهران</p>	<p>الحلفاوي</p>	
<p>تاريخ فتح وهران الأول</p>	<p>أبو العباس أحمد الفلالي التلمساني</p>	
<p>بهجة الناظر</p>	<p>الشيخ عبد القادر المشرفي</p>	
<p>الهدية في أخبار الراشدية.</p>	<p>الرماسي</p>	
<p>ذخائر المغرب الغربي تاريخ بايات وهران المتأخرين أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر</p>	<p>مسلم بن عبد القادر الوهراني</p>	
<p>الأوسط</p>	<p>المغيلي المازوني</p>	
<p>البستان في ذكر علماء وأولياء تلمسان.</p>	<p>محمد بن مريم المديوني</p>	
<p>المسند الصحيح</p>	<p>ابن مرزوق التلمساني</p>	
<p>كتاب الدر الغنيم في أحواز مستغانم.</p>	<p>أبو عبد الله محمد بن أحمد</p>	

المحلي.	
أبو القاسم محمد بن داود المستغامي السويدي	العيش الرغيد في بيان شعوب الهبرة
أبو عباس أحمد بن محمد الشقراني	القول المبين في وقائع الهبرة مع الإسبانين.
أبو العباس أحمد بن محمد المديوني	-الطلع النّضيد حروب الهبرة مع السويدي.
التلمساني أحمد بن هطال	رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري.
ميمون بن محمد الجزائري	التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية.
أحمد بن سحنون الراشدي	الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني.
المقري أحمد التلمساني	رسائل المقري. نفح الطيب.
محمد المشرفي	الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية. السهام الصائبة في رد الدعاوي الكاذبة.
البيدري محمد بن عبد الرحمن.	تتوير قلوب أهل التقوى والمعارف بنسب سادات غريس الموسومين بن شارف.
لحش عبد القادر	إفاقة الأحاسيس عما جهل من علماء غريس.
المازاري	طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر.
ابن زرفة الدحاوي	الرحلة القمرية في السيرة المحمدية.
علم التصوف	أبو رأس الناصري فتح الإله في التواصل إلى حكم بن عطاء الله. كتاب الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي. التشوف إلى مذهب التصوف.

إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس. كشف النقاب ورفع الحجاب على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة.		
منظومة 163 بيتا	الشيخ عبد القادر المشرفي	
منظومة من الرجز 390 بيت.	الشيخ الرقيق بن حوا	
إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين.	الشيخ محي الدين	
كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي وبعض أصحابه الأخيار.	العربي الدرقاوي	
الألباب في رد الفكر إلى الصواب وما يتذكر إلا أولو الألباب.	المغيلي	علم المنطق
شرح جمل الخونجي في المنطق. شرح مختصر بن عرفة. شرح على متن أساغوجي	السنوسي	
القول المسلم في شرح السلم.	أبو رأس الناصري	
شرح السلم	الرماسي	
شرح السلم	أبو رأس الناصري	علم الحساب
أرجوزة النظم الغريب في بسوط الكسور.	علي بن عبد القادر	
الجواهر والعرض في وصف السماء والأرض.	أبو رأس الناصري	علم الجغرافيا
المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية.	ابن سحنون الراشدي	علم الطب
ما وراء الواعون في أخبار الطاعون. الكوكب الدري في الرد بالجدري.	أبو رأس الناصري	
المعدة بيت الداء	محمد بن يوسف التلمساني	
شموس الأنوار.	ابن الحاج التلمساني	

والملاحظ من خلال هذا الجدول أن أبا رأس الناصري أخذت مخطوطاته حصة الأسد في بايلك الغرب ، أما المخطوطات الأخرى فإنقسمت بين الأدباء والمؤرخين، الذين ألفوا في الدين من تفسير وحديث والتاريخ أكثر اهتمامهم بالعلوم الأخرى.

ثالثا - الفنون:

أ- فن الرسم:

❖ **لغة:** أثر الشيء وقيل: بقية الأثر، ورسم الدار: ما كان أثارها لاصقا بالأرض، والثوب المرسم: المخطّط والجمع أرسم، ورُسوم والأول يستعمل في القلّة والثاني في الكثرة، ورسمت النّاقة ترسم رسيما، إذا أثرت في الأرض من شدة وطئها، ويطلق الرسم ويراد به الكتابة، قال: ابن منظور: رسم على كذا، ورشم إذ كتب فتصور الألفاظ برموز مكتوبة في اللّغة على دلالات معنية يسمى رسما¹.

❖ **اصطلاحا:** هو رسم المصحف ويقال له الرسم العثماني، نسبة إلى الخليفة الراشد الثالث عثمان، حيث تمّ في عهده نسخ المصحف وتوزيعه على الأمصار، فاشتهرت نسبة الرسم إليه. ولو نسب الرسم إلى أبي بكر أوزيد بن ثابت لجاز، لقيامهما به قبل عثمان وإن خالفهما في أشياء كثيرة².

لم يكن الرسم منعماً كما كان يعتقد بعض الناس إلى وقت قريب. حقا، إن الفنانين لم يجدوا تشجيعاً كالذي وجده فنانون عصر النهضة في إيطاليا وغيرهم، ولكنهم مع ذلك استطاعوا أن يُعبّروا بالوسائل المسموح بها دينيا وذوقيا. وعلى كل حال، فليس صحيحاً ما يُقال إن الجزائريين لم يكونوا يُنتجون الرسوم الفنية لأن الدين قد حرّمها، أو أنهم لم يكونوا يفهمون البعد وتناسق الألوان في الصور؛ فقد عُثر على لوحة رسمها جزائريون عام 1824م بطلب من حسين باشا، وهي تصوّر المعركة التي جرت بين الجزائريين والإنجليز في السنة المذكورة، وكان الباشا قد وضعها في قصره، حيث ظلّت هناك إلى أن جاء الكونت دي بورمون، قائد الحملة الفرنسية على

¹-ابن منظور ، المصدر السابق، ص 442.

²- أحمد خالد شكري ، المرجع السابق، ص404.

الجزائر 1830م، فأخذها وسلمها إلى قائد أركانها تولوزي، وقد وضعت نسخة من هذه اللوحة في مكتبة الجزائر أما اللوحة الأصلية فلا ندري الآن ما مصيرها ¹.

لقد دبّ العلماء من بينهم علماء بايلك الغرب على الاهتمام بالرسم العثماني تعلقاً وتديساً وتأليفاً، وذلك لشدة ارتباطه بالقرآن الكريم، ولما له من أثر على القراءات، كما أنه ظاهر المخالفة للمتعارف عليه من خط الإملاء، كما تنوعت مؤلفاتهم في هذا الشأن بين نظم وشعر وشرح، جمعوا فيها قواعد هذا العلم ووضّحوا مسائلها على شكل مخطوطات لكنها مفقودة، فمعظم مخازن المخطوطات التي اطلعنا عليها لم نجد بها رسومات مخطوطة، وعند اتصالنا بمالكي والمهيتين بالمخطوط أمثال تقي الدين بوكعبر وصالح الدين بن نعوم، ذكروا أنهم لم يلقوا على مخطوط في الرسم لحد الآن ما عدا الرسومات الزخرفية التي وجدناها في بعض المخطوطات وسوف نعرضها تحت عنوان الزخرفة .

ب- الخط: ظهر الأسلوب العثماني منذ القرن الخامس عشر في الهندسة المعمارية، من مساجد وقصور وبناءات عمومية في الجزائر عامة، والجهة الغربية بالأخص، حيث لعب الخط دوراً بارزاً في إظهار المواهب الفنية المحلية، نظراً لبراعة الخطاطين. وقد أصبحت الزخرفة العربية ظاهرة بارزة في الفن الجزائري، فكانت تكتب على جدران المساجد وأبوابها ومحاريبها. كما اشتهرت أسر بالبناء والنقش والخطوط في بايلك الغرب، على غرار أسرة ابن صار مشق التلمسانية، ونذكر منها المعلم أحمد بن محمد بن صار مشق، الذي بنى جامع العين البيضاء في معسكر سنة 1178هـ، والمهندس الهاشمي الذي قام بترميم جامع سيدي بومدين في تلمسان سنة 1208هـ، ومحمد بن صار مشق الذي وجدت نقوشه على عدة آثار عمرانية

ويعتبر جامع الباي محمد بن عثمان الكبير أحسن نموذج على بروز فن الخط والرسم على واجهته وهو ما يظهر في اللوحة التذكارية من الناحية الجنوبية، حيث جاء نصها على النحو التالي: " الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فقد أنشأ هذه المنارة الوضعية والمأذنة

¹ -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.2، المرجع السابق، ص 445. وللإشارة، فقد اطلعتُ على اللوحة، وأعجبتُ بجمالها وذوقها الرفيع، وبالإبداع الذي أظهره الرسام في هذا العمل الفني الرائع.

المراقبة البديعة عبد الله المجاهد في سبيل الله السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان كان الله له حيثكان سنة 1207هـ¹.

ويظهر من خلال مؤذنته أنه أجمل وأحسن المباني الدينية في وهران خلال الفترة العثمانية، من حيث الرونق، الزخرفة والإبداع² كما تم تشيد مسجد من طرف الباي محمد كبير يحمل اسمه، ونال هذا المسجد إعجاب كثير من الجمهور، فراح الشعراء يتغنون به ويترنمون بزخارف جماله، وبنى مدرسة شهيرة وأكفها ذلك المسجد³.

وورد في بعض المصادر المؤلفة في العهد العثماني إشارات إلى أنه كان بالجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الخط، ومن هؤلاء عبد الله بن العطار الذي عرف بجودة الخط وربما اشتهر به على مقلته، كما تأثر كتاب الجزائر بالخط الأندلسي وذلك لانحدار الكثير من أهل الحواضر ببايالك الغرب، من أصل أندلسي والذي قال عنه ابن خلدون: "... وغلبنه على خطوط إفريقيا، وتبرز لنا مخطوطات بايالك الغرب جمال الخط والألوان والزخرفة على هذه المصنفات فمخطوط الحلل الحريرية لأبي رأس الناصري تميز بجمال الخط، كما استعمل فيه الزخرفة والرسومات و جميع ألوان المذهب الأحمر، الأزرق، البنفسجي، الأصفر والأخضر زيادة على الأسود⁴.

فدخل الخط العثماني إلى الجزائر أسهم فيه حسين⁵ وكان إسمه الأصلي دولار وهو رومي الأصل واشتهر بحسن الخطوط وإتقانها، وأتقن الكتابة ثم فر هربا من قسنطينة سنة 1125هـ عند سيده إلى جزائر غرب، فسمى نفسه حسين ثم قدم القاهرة وأقام بها إلى أن مات، وما يهمننا من حياة هذه الشخصية هو مدى إسهامه في تعليم الخط العثماني للجزائريين، وقد بين لنا المرادي قائلا: " أن حسين الجزائري اشتهرت خطوطه بين كثير من الناس وأخذ عنه الخط أناس كثيرون، وفاق أقرانه وشاع صيته... وكان شهما خليلا له تصرف هام ومهارة في صناعة التوريق".

¹ - ريسلر جاك، الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون، الدار للتأليف والنشر، مصر، 1993م، ص ص 105-106.

² - ينظر ملحق 11، ص 354.

³ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 28.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 321.

⁵ - محمد خليل بن المرادي، المصدر السابق، مج 1، ص 54.

ورغم أن المرادي لم يذكر المدينة التي حل بها حسين ولا حتى التلاميذ الذين تخرجوا على يديه ولا المدة التي قضاها بالجزائر إلا أن أغلب الظن يكون قد أقام بمدينة الجزائر أو إحدى المدن الساحلية كوهرة وتلمسان ومستغانم¹، وتضم مختلف المكتبات بتركيا عدد من المؤلفات الخاصة بالجزائر والمدونة خلال العهد العثماني.

لكن هذه المؤلفات منسوخة بالخط المشرقي فهل يمكن أن يكون الجزائريون دونوها ونسخها عنهم المشاركة وبماذا تفسر وجود العديد من المخطوطات بالخط المشرقي في إسطنبول؟ هل هذا يعني أن العثمانيين تأثروا بالثقافة الجزائرية² فنسخوا بعض الكتب؟.

أما الخط الذي رافقنا خلال عملية البحث في ثنايا مخطوطات بايلك الغرب الجزائري هو الخط المغربي، الذي وجدناه في مخطوطات كثيرة سبق الإشارة إليها في الدراسة البيولوجرافية للمخطوط، ومن خلال هذا نأخذ نموذج محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجديري التلمساني ووصف لمؤلفه: " الزهر النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية رقمه 1621، فما هي أهم الأنماط والصور التي تميز بها هذا المخطوط؟.

النسخة لا تحمل أي إسم للناسخ، وتاريخ الانتهاء منها كان يوم الخميس 11 جمادي الثانية 1194 هـ عدد أوراقها 16 ورقة يشترك الخط المغربي مع الخطوط الأندلسية في طريقة النقط فالفاء مثلا توضع فوقها نقطة، كما يضعها المشاركة أما القاف فتوضاف لها نقطة ثالثة بدل النقطية عند المشاركة، ويتميز الخط المغربي بإغفال نقط الحروف الأخيرة التالية: ن . ف . ق . ي . و، في عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالي.

وأشهر الخطوط المغربية هما: خط المبسوط، وهو الذي كُتبت به المصاحف، ويتميز باحتفاظه بحروف يابسة ورثها من الخط الكوفي، والبسط هو استقامة الحروف من غير تقويس،

¹ - المصدر نفسه، ص 56.

² - ليلي عبد اللطيف أحمد، دراسات في تاريخ و مؤرخي مصر ، مكتبة الخانجي، مصر، 1989م، ص 84.

وخط المجوهر¹: وهو المستعمل في التدوين والمراسلات تغلب عليه الليونة والسرعة، كما يتميز بميل طوابعه نحو اليمين وقيل أنه سمي كذلك تشبيها له بالجواهر²، وما يميز الخط في هذا المخطوط كذلك حرف الهاء المخطوط³. وهي صورة بسيطة إلى حد بعيد أن اقتصر الناسخ على الصعود بالكشيدة إلى ارتفاع معتدل، ثم نزل بها يسارا، فجاءت التاء المربوطة أشبه بساقي مثلثين متساويين.

أما الحديث عن حرف الكاف من خلال المخطوط فجاءت زنادية ومرات مبسوبة، وهي عبارة عن ضلعين متوازيين العلوي منها يشكل بدن الكاف والسفلي هو الخط القاعدي للكشيدة تربطهما رتقة من اليمين وينتهي الضلع الأعلى من جهة اليسار بما يشبه زناد البندقية، ولهذا سميت بالكاف الزنادية، وقد تستعمل هذه الصورة في حال الأفراد، وفي كل حالات التركيب عدا المتطرفة، كما جاءت حال للأفراد والتطرف على صورة كاف دالية، وسميت دالية لأنها أتت مركبة من حرفين، حرف الدال يعلوه ضلع مقتبس من الألف مائل إلى اليمين، وتعدد الصور هو ما نعينه بالليونة والانسيابية في الخط المغربي⁴.

من خلال هذه الأسطر، فمخطوط "الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني" يُعتبر أنموذجاً رائعاً وعينة عاكسة لما امتلكه الخط المغربي خلال الفترة العثمانية ببايالك الغرب الجزائري، من أنماط وصور جعلت منه أكثر الخطوط استعمالاً، فجلّ مخطوطات العلم خُطّت بخط مغربي، وبعيداً عن تنوع صور الحرف باختلاف مواضعها وتنوع صورها في نفس الموضع، لهو خير دليل على أن الخط المغربي يمتلك أنماطاً عديدة منحت الخطاطين فسحةً وسعةً جعلتهم يُقبلون على الكتابة بهذا الخط.

¹ - فائزة إبراهيم، " أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف "، ومراحل تطورها"، مجلة منير التراث الأثري، جامعة تلمسان ، ع.6، 2018م، ص 217.

² - محمد سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع العاشر الهجري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م، ص 51.

³ - الخطف: هو إنقاص العرافة من آخر الحرف . ينظر : فائزة إبراهيم، المرجع السابق ، ص 35.

⁴ - تجدر الإشارة إلى أن هذه المعلومات التي ذكرتها قد استقيتها من خلال تواصلتي مع مجموعة من المهتمين والباحثين في مجال المخطوطات والخطوط العربية، وخاصة المغربية"

ج- الزخرفة: تعرف الزخرفة عند الكثير من مؤرخي الفن وعلى رأسهم المشرقين على أنها ذلك العنصر الفني الذي يضاف إلى الإنتاج أو يدخل عليه لأغراض التجميل¹.

غير أن هذا التعريف لا ينطبق تماما على الزخرفة في الفن الإسلامي، فكثيرا ما نجد الفنان المسلم يجسد تحفة بلغة الجمال على خامات رخيصة في الوقت الذي كان بإمكانه استخدام المواد الثمينة². ولتتبع فن الزخرفة تعتبره مخطوطات أكبر خزانة لهذا الفن، فمخطوط شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، يحوي في صفحاته زخارف بديعة فهذا مخطوط هو ضمن مخطوطات مكتبة الملك عبر العزيز بالرياض بقسم المخطوطات.

وتطرقنا إلى نسخة مصورة من طرف الباحث صلاح الدين بن نعوم يظم في الورقة الثانية رسومات زخرفية، فبعد البسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، التي تبدأ بها كل المخطوطات، وضع الحلفاوي إطار زخرفي مستطيل الشكل مقسم إلى أجزاء مستطيلة، ورسم فيها أشكال هندسية ولونه بالأخضر الفاتح مرة وأخرى بالداكن، واضعابداخله مقدمة الكتاب استهلها: " قال الشيخ الفقيه العلامة النبيه أبوزيد عبد الرحمن الجامعي رضي الله عنه، باللون الأحمر وفي يمين الورقة الثانية ويسار الورقة الثالثة وضع رسومات جميلة على شكل مزهريات متناسقة من حيث العجم كما لونها بالأزرق والأخضر ونلمس في هذه الزخارف فن الرسم الذي كان يتميز به أصحاب المخطوطات، ويظهر هنا في نفائسهم المخطوطة³.

تظهر الزخرفة بشكل بارز في معظم صفحات مخطوط الشماريخ لأبي رأس الناصري. وقد اعتمدنا في دراستنا على نسخة خطية محفوظة ضمن خزانة مخطوطات المكتبة البلدية مصطفى بن تهامي بمدينة معسكر. يبلغ عدد أوراق هذه النسخة 223 ورقة، وتحتوي الورقة الأولى على بيانات الناسخ، وهو عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بغداد المعسكري. ويعد المخطوط تحفة فنية بفضل خطه المغربي الجميل وزخرفته المتميزة، أما الألوان المستعملة فيها من أسود وأزرق وأصفر وأحمر وغيرها.

¹ - إسماعيل الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الفتاح لؤلؤة، الرياض، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998م، ص538.

² - أبو صالح الالفي، الفن الإسلامي أصوله فلسفته ومدارسه، ط.2، القاهرة، دار المعارف، [د.ت]، ص ص 93-94.

³ - ينظر يشرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، المخطوط السابق، الورقة 01، و .

ورقته الأولى بديعة المنظر تحمل شكلا زخرفيا وهو عبارة عن مربعين متداخلين يشكلان نجمة وأحاط بها إطارت ولونها الأصفر والأخضر، كما نوع في سمك الخط مرات بشكل رفيع ومرات بشكل سميك، وكل عنوان في المخطوط يكتبه بشكل مزخرف ويضعه في إطار، ويخص هذا شكلا جماليا للمخطوط، كما يساعد كذلك في التسهيل على القارئ إيجاد بداية العناوين¹، حتى في متن المخطوط نجد أشكالا مزخرفة من ورود بنفسجية وحمراء وأشكال مثل الطيور²، وزين الأبيات الشعرية بالأشكال الهندسية كالمعين والمثلث وهذا يعطي للمخطوط نظرة فيه وجمالية³.

وبعد المخطوط أنموذجا مميزا للزخرفة بأنواعها، إذ تتفرد صفحاته باحتوائها على رسومات زخرفية تكاد تغطي معظم أوراقه، على خلاف العديد من المخطوطات الأخرى التي يقتصر التزيين فيها على الصفحة الأولى فقط.

ومن بين المخطوطات الجزائرية بايلك الغرب التي تحمل رسومات زخرفية نجد مخطوط "دلائل الخيرات"، وهي مخطوطة تحمل ورقتين مزخرفتين فيهما رسومات متنوعة على شكل درج مزين بألوان والثاني يشبه الرمح، وغطيت هذه الرسومات بأقواس مزخرفة وملونة.

ونجد كذلك نسخة مزخرفة، وهي مخطوط نُقل من تلمسان إلى قرطبة سنة 1732م، من مختصر خليل. وقد كُتبت هذه النسخة بالخط المغربي المجوهر بتلمسان عام 1209هـ. ونقرأ في تقييد الختام ما نصه: «كَمَلْ مختصر خليل بن رحمة التلمساني، غفر الله له ولوالديه ولأشياخه، ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا» في عام تسعة بعد المائتين والألف.

¹ - أبي رأس الناصري ، زهرة الشمايخ... ، المخطوط السابق، ورقة 1، 3، 74.

² - أبي رأس الناصري ، زهرة الشمايخ... ، المخطوط السابق، الورقة 87.

³ - نفسه الورقة 98.

وفي ظهريّة هذا الكتاب، وجدتُ وقفية خاصة بالسيدة شاشة بنت الفحصي، على هذه النسخة من مختصر خليل، تأليف ابن طالب بن محمد بن البركة بن رحمة التلمساني، وذلك في شهر ذي القعدة عام 1209هـ.

ونص الوقفية كما يلي: "الحمد لله وحده، وقفتُ لسنة الله تعالى، أنا شاشة بنت الفحصي، هذه النسخة من الشيخ محمد بن البركة، الشيخ سيدي الطبيب بن رحمة، برد الله ضريحه، وجعل الجنة مأواه وفسيحته، وعلى عقبه وعقب عقبه، لا قطع الله له عقباً، قصدت بذلك وجه الله العظيم، ورجاء ثوابه الجسيم، والله لا يُضيع أجرها، ولا يُخيب قصدها. اشتريته من المحبس عليه بستة ريالات بوجهها، في أواخر شهر الله ذي القعدة سنة 1209هـ. وكتب شاهداً وموثقاً عبيد ربه سبحانه، محمد بن مصطفى بن عمارة، غفر الله ذنبه وأوزاره، وجعل الجنة مأواه وقراره. آمين آمين آمين". وقد أُلحق بالطرة توقيع: "أبو عبد الله عبد القادر بن محمد، من كاتبه، عفا الله تعالى عنه."

وفي الكتاب ست صفحات كُتبت في طرتها باللغة الفرنسية، جاء فيها أن السيد فالونديري (Falandry) قرأ هذه النسخة في مدة شهر، من يوم 4 يناير 1836م، وانتهى من قراءتها في فبراير سنة 1836م، وذلك بالمسجد الكبير بتلمسان.

وبالاعتماد على التاريخ الميلادي، فإن سنة 1836م تقابل بالتقويم الهجري عام 1252هـ، فهل تكون هذه النسخة من كتاب مختصر الشيخ الجليل هي نفسها التي استُعين بها في طبعته الأولى ببّاريس سنة 1854م؟، لكن ما حيرني في شأن هذه النسخة، هو وجود سطرين في ظهريتها، يُحتمل أن يكونا بخط مستعربٍ ما، يُفيدان بأن النسخة انتقلت إلى مدينة قرطبة أو طليطلة.

واليكّم نص ذلك: هذه النسخة متاع السيد عبد القادر بن رحمة التلمساني، غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين". أما كلمة "متاع" - أو قد تُقرأ "تباع" - الواردة في هذا النص، فهي من اللهجة المغربية، وتعني أن هذه النسخة في ملك فلان".

وفي الختام، أُشير إلى أن هذه النسخة قد قُوبلت على نسخة المؤلف، كما يُستفاد من طُرُها وحواشيها. وبمقارنتها بنسخ مختصر خليل، تظل هذه النسخة متميزة بجمالها وزخرفتها وحلّتها البديعة.

ومن خلال ذلك، نلاحظ تميز الزخرفة وتعدد أنماطها في العهد العثماني، وتبقى المخطوطات أوفى شاهد على ما خلفه الإنسان من زخارف بديعة وجميلة زيّنت الكتب والبنىات وسواها، ونظراً للحركة العمرانية التي شهدتها بايلك الغرب الجزائري، وباعتبار أن المساجد كانت أكثر المعالم التي حظيت بالاهتمام، فقد اجتهد مؤسسوها في تشييدها وزخرفتها، فغدّت هذه المساجد نموذجاً صادقاً يعكس الحالة المعمارية والفنية التي ميّزت الجزائر خلال العهد العثماني، ومظهراً من مظاهر التعبير الثقافي والجمالي والذوق العام في تلك المرحلة.

فما هي سمات فن الزخرفة المعمارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني؟

يُعدّ المسجد الكبير، المعروف بجامع مصطفى بن تهامي الذي بناه باي الغرب الحاج عثمان، مثلاً حياً يحمل في ثناياه رسومات زخرفية بارزة؛ فالمحراب مثلاً تُوجّ بقبة مضلعة ومتكاملة، وواجهاته الأربع زُيّنت بألوان وأشكال زخرفية مبهرة، وهذا ما نجده كذلك داخل المخطوطات، حيث يظهر هذا النموذج جلياً، وينطبق على معظم مساجد بايلك الغرب كمساجد وهران، وتلمسان، ومستغانم، إذ كانت الزخرفة حاضرة بقوة، سواء في العمارة أو في فنون الكتابة والترزين بالمخطوطات¹.

¹ - للإشارة، فقد قمت بزيارة ميدانية للمسجد يوم 2023/05/04 في الساعة 09:30 صباحاً، وعابنت بنفسي الأشكال الزخرفية الموجودة فيه، والتي تُعد آية في الإبداع.

رابعاً: الفكر الديني عند علماء بايلك الغرب قراءة في التصوف على ضوء مخطوط " كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار .

1- مفهوم التصوف:

يتعذر تقديم تعريف جامع مانع للتصوف، نظراً لطبيعته الروحية الذاتية، إذ يختلف تصويره باختلاف السالكين، وتتنوع تعاريفه بتنوع مشاربهم ومقاماتهم "من جهة نظره الخاصة¹، ولكن كيف تجلّت هذه الظاهرة في المخطوطات الجزائرية؟.

إنّ التصوف هو صورة من صور الرسالة المحمدية التي بعث بها رسول الله ﷺ، يقول مفتي الديار المعسكية العلامة الأصولي الشيخ الهاشمي بن بكار: " واعلم أن طريق الصّوفية هي طريق الأبرار، ولم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتأليف وتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية"².

نبع علم الشريعة من القرآن والسنة، ينبثق من ذات المصدر علم الحقيقة، ذلك العلم المستقل الذي له رجاله الثقات، الذين ينقلونه بإسناد متصل إلى رسول الله ﷺ. وقد أكد الحافظ السيوطي هذا الاتصال، مستنداً إلى منهج المحدثين، رغم وجود من يرى انقطاع السلسلة. ومع ذلك، أجمع العلماء على وجود علم التصوف، من أمثال الحافظ ابن الصلاح والحافظ السخاوي صاحب التويخ. بينما أنكر البعض الاتصال، مستدلين بعدم لقاء الحسن البصري بعلي رضي الله عنها، لكن المحقق سيدي أحمد بن الحسن الغماري الأدريسي نفى صحة هذه الأدلة، مؤكداً أن المنكرين هم مقلدون، ولم تعتمد أحكامهم على تدقيق دقيق في مرويات الحسن، الذي رُويت أحاديثه في سند أبي يعلى وسنن البيهقي كما حقق الإمام الغماري إسناد الطريقة الصوفية الدرقاوية الشاذلية

¹ - بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 15/13) دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي -الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2001م، ص 31.

² - بن بكار بلهاسمي، حاشية رياض النزهة على نسما ت رياض الجنة المصدر السابق، ص 26.

وأكد على صحتها وإتصالها على شرط الشيخين، وبين إختصاص سيدنا علي بعلوم أخرى منها التصوف، وعلى صحة إنتساب الصوفية إليه وهو غاية تحقيقه¹.

إذن، فإن أصل التصوف يعود إلى جدهم الأول، سيدنا رسول الله ﷺ، منهجاً وروحاً، ومنه استمد الأجدادان أصوله وقيمه، الذي وصفه القطب سيدي بن عبد الله شنتوف بسيد لأقطاب وبقطب الأقطاب²، وذكر العارف بن عجيبة في إيقاظ: " الهم لم تكلم على مبادئ التصوف " : " وأما واضح هذا العلم فهو النبي ﷺ، علّمه الله إياه بالوحي والإلهام، فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرعية، فلما تقرّرت نزل ثانياً بالحقيقة، فخصّ بها بعضها دون بعض³، وسيدنا رسول الله ﷺ هو أول من وصف بالعشق الإلهي، حيث أورد أبو حامد الغزالي في كتابه: "المنقذ من الضلال" أنه لطول اختلاء النبي ﷺ بنفسه ، وإنقطاعه عن الدنيا وإقباله على عبادة الله قالت قريش محمد عشق ربه، وفي ذلك قالت نظاما:

كَيْفَ قَالُوا التَّصَوُّفِ بَدْعًا *** وَقَالَتْ قُرَيْشٌ مُحَمَّدٌ عَشِقَ رَبِّهِ.
أَيَعْدُلُ الْكُلُّ فِي الْمِيزَانِ بَضْعًا *** أَمْ مِنْ شُكْرِ أَخَاهُ كَمَنْ سَبَّهِ.
لَا يَسْتَوْفِي مَدْلُولَ اللَّفْظِ صَنْعًا *** وَلَا آزَرَ لِإِبْرَاهِيمَ عَمَهُ.
فَقُولِي (كَبِ الْمَاءِ) لَيْسَ بَدْعًا *** كَقَوْلِ رَبِّ الْمَاءِ حِينَ صَبَّهِ.

هذا العشق الإلهي لا يعرف لدى منهج ولا علم ولا مذهب إلا عند الصوفية، فهم حملة لوائه كما هو ثامن في صحيح مسلم ومسند أحمد وصححه الترميذي⁴، ويمكن القول أن التصوف إتجاه جديد يعبر عن العاطفة الدينية، في صفائها ونقائها، وهو الجانب الروحي الذي يعتمد على منطق الرؤيا والأشراف والمحبة، يكشف في الإنسان البعد المتعالي، ليتحول إلى إنسان كامل، فهو يحول الكشف عن حكمه الله في الحياة وتمتع القلب والروح بلذة المشاهدة.

¹ - الغماري أحمد بن الصديق الإدريسي، البرهان الجلي في إنتساب الصوفية الى علي ، ط.1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1969م، ص ص 23-64.

² - شنتوف بن عبد الله، المصدر السابق، ص 98.

³ - بن عجيبة أحمد بن محمد الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار الفكر، بيروت، ج.1، [د.س.]، ص 05.

⁴ - الترميذي محمد بن عيسى، الجامع الكبير، تح: بشار عواد معروف، مج.5، ط.1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1996، ص 263.

شهد بابلك الغرب تنوعاً واضحاً في الطرق الصوفية، إذ تجمع بين الطرق القديمة التي نشأت مبكراً والطرق الحديثة التي برزت في فترات لاحقة. فهناك طرق أصيلة نشأت في الجزائر وتفرعت داخل البلاد وخارجها، وكذلك طرق أخرى نشأت خارج الحدود ثم دخلت البلاد وتوطنت فيها. وفي هذا السياق، يقدم التلمساني محمد الحرشوي تعريفاً لعلم التصوف ضمن شرحه قائلاً: "هو علم تصفية الباطن من كدرات النفس في جميع المواطن، وعلم التصوف والتوحيد يسميان بالعلم اللادني، يعني الإلهي الذي يتعرف به العبد لربه عز وجل¹.

ومن بين متصوفة بابلك الغرب الجزائري نجد الشيخ الطاهر المشرفي، الذي يقول عنه محمد الحرشوي أنه: "القُدوة الهمّام العلامة الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة، الشيخ المربي في الطريقة، الشيخ المشرفي عاملة الله لطفه الخفي، ولد بوهران، وقرأ العلم بتلمسان، وأخذ الطريقة على الشيخ الصغير بن الدين بن الشيخ الكبير عبد القادر بن محمد، وانتفع به خلق كثير، وظهرت له كرامات، وتخرج عنه جماعة منهم الحافظ أبو رأس الناصري، وتوفي صحوة يوم الخميس العاشر من رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة وألف ودفن من يومه بالكرط².

ومنظومته التي ألّفها في التصوف على طريقة الشيخ زروق، من الزجر فيها مائة وثلاثة وستون بيتاً وتم تأليفه إياها عام خمسين ومائة وألف، فيالها من أرجوزة³ فيالتصوف جليلة⁴.

من رجال الصوفية ببابلك الغرب، نجد أحمد بن يوسف الملياني التلمساني، من أكثر المتصوفة إحتراماً وتقديراً في بداية القرن 16م، فهو الزاهد المقدس في وقته، وموسوعة في العلوم الدينية والأخرية⁵. زار الملياني العديد من المدن كالمدينة وبجاية التي درس بها الإحياء لأبي حامد الغزالي ومواعظ شيخه الزروق، وعند عودته إلى مستغانم دخل في جدال كبير، مع علمائها كعبد الرحمن بن عيسى، الذي تحول بعد ستة أشهر إلى مناصرته له، هذا وقد زار الملياني أرض

¹ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 282.

² - حالياً بلدية بولاية معسكر بالغرب الجزائري.

³ - تتواجد هذه الأرجوزة مخطوطة في الخزنة الحسنية بالرباط، المغرب، وهي منسوخة بخط يد مؤلفها. وقد وضع عليها شرحاً ابن المؤلف، الشيخ طاهر المشرفي، كما كتب عليها تقريراً كل من الشيخ أحمد بن مالك، مفتي المالكية بالجزائر الشيخ أبو رأس الناصري.

⁴ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 297.

⁵ - محمد الصباغ، بستان الأزهار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم: 778، و 25.

الحجاز قبل سنوات من وفاته، ثم عاد إلى موطنه تلمسان، حيث دخل في مشادات كلامية مع متصوفيهها، وقد أمر أتباعه بوضع جثته على ظهر بغله ودفنه، حيث يتوقف هذا البغل.

يعتبر مخطوط: " كنز الأسرار"، لأبي زيان الغريسي مصدرا مهماً، لا يستغني عنه الباحث والمهتم في تاريخ التصوف الإسلامي خصوصاً في العصر الحديث، وهذا لما اشتمل عليه من جوانب هامة، حول سيرة مؤسس الطريقة الشاذلية، وأحد مجدداتها الإمام مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، وتعاليم وآداب الطريقة الدرقاوية، ومنهجها، في التربية والسلوك، وكذلك لإنفراد بذكر مواقف وأحداث تاريخية، لم تذكر في كثير من المصادر التاريخية، بما في ذلك المصادر الدرقاوية نفسها، كما ضم هذا الكتاب بين دفتيه شهادات وأحداث ومواقف لا نجدها في غيره، من تعريف بأعلام الطريقة الدرقاوية الذين بلغوا مراتب الكمال وحازوا قصب السبق والتقدم في الطريقة الدرقاوية الشاذلية.

للمخطوط نسخ عديدة، فتوجد نسخة بالخرانة العامة بالرباط، ونسخة بكلية الآداب بالرباط ونسخة بدار الكتب المصرية، أما النسخة التي وقفت عليها زودني بها الدكتور تقي الدين بوكعبير وهي نسخة مصورة لمؤسسة علال الفاسي بالرباط. وقد حقق هذا المخطوط في الآونة الأخيرة الباحث: " نور الدين ماحي" وهو باحث مختص في المخطوطات من ولاية معسكر. فنسخة علال الفاسي بالمملكة المغربية، التي تحمل الرقم 68، وعنوانها *تقريب وفاة وترجمة العربي الدرقاوي*، تتكون من 88 وجهاً، بمقاس 18×23 سم، ومسطرة بـ 16 سطراً. كُتبت بالخط المغربي، ويعود تاريخ نسخها إلى 29 رجب عام 1333هـ، الموافق لـ 12 جوان 1915م. وقد احتوت طرّة المخطوط على العديد من العناوين الفرعية التي وضعها الناسخ

اشتهر هذا الكتاب تحت عنوان: "كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار"، كما اشتهر تحت عدة عناوين أخرى مثل: "طبقات مولاي بوزيان الغريسي" و

"تقييد وفاة وترجمة مولاي العربي الدرقاوي"، ويقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله: "يبدو أن الإسمين ليسا من وضع المؤلف نفسه، وأن بعض النساخ فقط هم الذين أضافوا الاسم هنا وهناك على بعض النسخ¹."

أ- محتوى ومضمون الكتاب المخطوط:

ألف أبو زيان الغريسي المعسكري، هذا الكتاب رغبة منه في ذكر سيرة شيخة مولاي العربي² بن أحمد الدرقاوي ومناقبه ووصاياه، وما سمع عنه، كما أتبعه الترجمة كبار مريديه ومن أخذ عنهم، حيث يحتوي هذا المخطوط على خمسة أبواب، يضم كل باب منها مجموعة من الفصول، وقد جاءت خطة الكتاب على النحو الآتي:

✓ الباب الأول: في نسب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي.

- فصل في مولده.

- فصل حول حفظ الولي وعصمة النبي.

✓ الباب الثاني: في النشأة الروحية لمولاي العربي الدرقاوي.

- فصل في كيفية ذكر الاسم الأعظم.

- فصل في أحوال الشيخ.

- فصل في مدراج السلوك.

✓ الباب الثالث: في سلوك طريقة الصوفية.

- فصل في قاعدة الأصول التي هي شرط واجب الوصول.

- فصل استطرادي تفصيلي.

- فصل مخالفة المريد لنفسه.

✓ الباب الرابع: في الأحوال التي أدركناه عليها.

- فصل في ذكر شيء من عبادته.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، المرجع السابق، ج. 2، ص 127.

² - يُعتبر من كبار مريدي وممثلي الشيخ العربي الدرقاوي في الغرب الجزائري، وهو من أهم الشيوخ الذين أخذ عنهم، حيث لازمه لمدة 20 سنة. ينظر: نقي الدين بو كعبر، دراسة وتحقيق مخطوط العربي...، المرجع السابق، ص 126.

• فصل في ذكر الشيخ وكيفيته.

• فصل حلقة الذكر.

• فصل أوصافه البشرية والروحانية.

• فصل في فهم رموز أهل التصوف.

• فصل في منح صحبة الشيخ.

✓ **الباب الخامس:** حول كبار تلامذة الشيخ الدرقاوي ومريديه، ويضم ثلاثة فصول:

• الفصل الأول: فيمن صحب الشيخ الدرقاوي ولم يره المؤلف.

• الفصل الثاني: من صحب الشيخ الدرقاوي وتوفي وراء المؤلف.

• الفصل الثالث: في أصحاب الشيخ الدرقاوي الذي لا يزالون على قيد الحياة.

يبدأ المخطوط بالبسملة والصلاة على الرسول وأصحابه، ثم يقول: وبعد، يقول العبد الفقير الطاعن الشريف المعسكري الحسني محمد بوزيان: فقد أردت أن أقيد وفاة أستاذي ومعلمي وعمدتي وعمادي وبغيتي ومرادي، شيخ الطريقة وقُدوة قادة أرباب الشريعة والحقيقة، نخبة الوجود وإنسان عين أهل معرفة العيان والشهود.

يواصل الشيخ محمد بوزيان في رثاء شيخه، ووصفه بخصاله وعلمه وورعه، في عدة ورقات ويذكر أهمية هذا المخطوط، حيث جمع صاحبه بين الشريعة والحقيقة، وبين السلوك والجذب، وبين الجمع والفرق وبين الفناء والبقاء والفقہ والتصوف¹. حيث نجد أن محمد بوزيان يتطرق إلى حياة العربي الدرقاوي المليئة بالتصوف في الباب الذي سماه: " في نسب هذا الإمام وبيان فضله في الأنام"²، ثم تتقلاته وطلبه العلم ويتكلم عن تصوف شيخه في الباب الثالث، فيقول: " اعلم سلك الله بنا وبك سبيل المعارف، وحملنا وإياك في سفينة هذا الرئيس الماهر العارف، ويتحدث عن تصوفه في اللباس، حيث قال: كانت حاله في ابتداء أمره يلبس الخثين كالتليس³، والدربال¹، أو القشابة المقلوبة².

¹ - محمد بوزيان الغريسي، كنز الأسرار في مناقب العربي الدرقاوي، مخطوط، ورقة 5، و .

² - المصدر نفسه، ورقة 17.

³ - التليس: هو نوع من السجاد الخشن الذي يكون في بعض الأحيان رديء الجودة.

وهذا هو سلوك المتصوفة، إذ كانوا يلبسون أقدم الملابس لأنّ حياتهم مرتكزة على حبّ الله، والعمل الصالح، والفوز بالآخرة. وكأنّ كتاب كنز الأسرار يرسم لنا صورة متصوف من متصوفي بايلك الغرب، الذي زهد في الدنيا لكسب الآخرة. ويتجلى هذا في قول محمد أبو زيان، حين سمع شيخه يقول " الذل والفقر وصفان من أوصاف اللازمة لنا، ومع ذلك يتقل علينا أن نكون فقراء أدلة، ولا طريق إلى الحرية يتقل علينا أن نكون فقراء أدلة، ولا طريق إلى الحرية إلا من باب الذلة والافتقار، فعليك أيها الفقير إن شئت أن تفوز وعن الأكوان تجوز أدبها تفتح الكنوز قال قائلهم:

تذلل لمن تهوى لتكب عزة *** فكم عزة قد نالها المرء بالــــذل.

إذ كان من تهوى عزيزا ولم تكن *** ذليلا له فأقرأ السلام على الوصل³.

ونجد العربي الدرقاوي يعرف التصوف ضمن هذا المخطوط، حيث يتطرق محمد بوزيان إلى سبب دخول الدرقاوي السجن، حيث ذهب إليه، وعند حديثه معه قال له: " إذا أطلق الله سراحى من هذا السجن بفضلته سوف أخبر الفقراء بحقيقة التصوف وقيامه بالنفس واتصافها به وإمتزاجها بالذات دما ولحما، حيث يذكر قال لي طيف ذلك قلت لم ؟ قال: " لما كان البارحة بين هؤلاء القوم، وكثر الهرج وهم مجتمعون علينا أخذتني سنة من النوم ووقع لي والحمد الله ، مثل ما وقع لأصحاب النبي ﷺ، يوم أحد، قال تعالى : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ اللَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ)⁴ فلم أدر ما قيل ولا ما كان، فأخبرني كيف كان الأمر...⁵.

يعتبر المخطوط كذلك مصدرا، لمعرفة متصوفة الجزائر بما فيهم بايلك الغرب، حيث ذكر مولاي الغربي بن عطية البوعبدلي الغماري الونشريسي الجزائري الملقب الطويل، حيث أخذ عن الشيخ في كتابه: "الإستمدادات الربانية فيما منّ الله عليّ من بحر الوجدانية"، حيث يقول: وبعد هذا إشتياق نفسي إلى الشيخ مولاي العربي، وذلك أين كنت نائما فرأيتة، قد جاءني فطبعني بطابعه،

¹ - الديال : نوع من اللباس يتكون من عدد أقشمة مرتقعه.

² - محمد بوزيان الغريسي المعسكري، المخطوط السابق، ورقة 44 ، و .

³ - المصدر نفسه، ورقة 67 ، ظ.

⁴ - سورة الانفال: آية 11.

⁵ - محمد بوزيان ، المخطوط السابق، ورقة 77 ، ظ.

فلما ستيقظت زاد شوقي إلى لقائه، فقدمت إليه ببلده بجبال الزيب، وبقيت معه مدة نحو عشرة أيام أو أقل فسرحتني فرجعت إلى بلدتي¹.

هكذا هو الإمام العارف بالله، الداعي إلى السنة والعمل بهما، خاتمة المحدثين والمسندين، حجة الله على المتأخرين، الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الجزائري أصلاً، المكي هجرة، الجغبوني الليبي مدفناً. ولد بمستغانم في الثاني عشر ربيع الأول عام 1202هـ، الموافق 1787م، نشأ في بيت علم وتقى، درس بجامع القيروان بالمغرب، ثم أخذ على علماء البلاد العربية، فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن، وأخذ عن الإمام العربي الدرقاوي، توفي بجغبوب، ليبيا، سنة 1276هـ.

والشيخ النزيه المعظم، المحترم، الوجيه، الشريف الأصل، البركة، النبيل، العارف بالله تعالى، أبو عبد الله سيدي بوعزة التلمساني المهاجي، له زاوية بوجدة وأخرى بتلمسان، فيها أصحاب وأتباع كانوا من أصحاب العربي الدرقاوي، وإليه ينتسب كان عظيم الشأن وجليل القدر، يتكلم بما يبهر العقول، وبما لا يقدر عليه إلا الفحول ويقول: "لو نزل علينا الملائكة من السماء لا تذكرنا معهم" وإذا جلس مع العلماء لا يقدر أحد أن يجادله في شيء². توفي عام 1277هـ، ودفن بمسجد أبي مدين الغوثي المعروف وهو مزار متبرك به³.

من خلال هذا العرض، يتبين أن التصوف قد احتل مكانة مميزة في بايلك الغرب، إذ يعد ظاهرة روحية تسعى إلى ترسيخ القيم الإيمانية. وقد برز في هذا الإقليم رجال من المتصوفة ذاع صيتهم داخل الجزائر وخارجها، وخلفوا مخطوطات تحمل في طياتها هذا العلم. ويعدّ مخطوط "كنز الأسرار" من أبرز الأمثلة على التصوف في بايلك الغرب، إذ يتناول التصوف كظاهرة وعلم، ويتطرق إلى مظاهره من لباس وكلام وسلوك. كما يضم تراجم لمتصوفة الجزائر والعالم الإسلامي في تلك الفترة، حتى كأنه قاموس يضم بين دفتيه أعلام التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني.

¹ - مولاي العربي بن عطية، الإستمدادات الربانية....، المصدر السابق، ص 4342.

² - محمد بوزيان، المخطوط السابق، ورقة 24، ظ.

³ - الكتاني، سلوة الأنفاس....، المصدر السابق، ج.1، ص 524.

الفصل الرابع: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية: بايلك الغرب أنموذجا

أولاً: مخطوط حاشية الرماصي على سيدي خليل للشيخ مصطفى
الرماصي.

ثانياً: مخطوط فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها
الشيخ المجاجي من صحيح البخاري.

ثالثاً: مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير للشيخ أبي رأس
الناصري.

رابعاً: مخطوط إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين للشيخ محي الدين
بن مصطفى المختاري الحسني.

اهتم العلماء الجزائريون خلال العهد العثماني اهتماماً بالغاً بمختلف العلوم، وخاصة العلوم الشرعية بأقسامها المختلفة. وكانت لهم إسهامات خلفوها ضمن مخطوطات لا تزال شاهدة على أعمالهم.

وفي هذه الدراسة، سوف نسلط الضوء على جانب التأليف، وكيف استطاع علماء بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية أن يحافظوا على معالم وأسس الدين الإسلامي الحنيف رغم الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة في ذلك العهد. فقد كانت لهم إسهامات كبيرة في حفظ هذا التراث، رصدناها في نماذج مخطوطة وقع اختيارنا عليها في الفقه والحديث والتفسير، وكذلك العقيدة والتصوف. ومن خلال هذا الفصل، سنحاول رصد هذه النماذج.

أولاً: مخطوط حاشية الرماصي على سيدي خليل للشيخ مصطفى الرماصي:

1: التعريف بصاحب المخطوط: الشيخ " مصطفى الرماصي":

أ-مولده ونشأته:

هو محمد بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، ومرة يضاف إلى اسمه مصطفى فيذكر بـ: محمد المصطفى¹، إنه الشيخ الإمام القدوة العلامة الكبير مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، نسبة إلى رماصة قرب مستغانم²، أخذ الرماصي العلم عن والده الذي كان يعدّ من فقهاء عهده³، ورغبة منه في طلب العلم والتّعليم توجّه إلى معسكر وسمع من كبار علمائها أمثال الشيخ عمرو التّزاري المشرفي المعسكري، ثم انتقل إلى مازونة الواقعة بالغرب الجزائري وأخذ منها عن أكابر أهلها، وتلقّى علومه على يد شيوخها⁴.

اشتهر الشيخ الرماصي بإنتمائه الراسخ إلى المذهب المالكي، فكان بحقّ قطباً مشعاً في سماء العلم، وإماماً يُقتدى به، وواحدًا من كبار العلماء المحقّقين والفقهاء المالكيين في عصره. وقد تلقّى علومه عن نخبة من الشيوخ والعلماء المرموقين، من بينهم الشيخ القلعي، والعلامة محمد بن

¹ - الحفناوي، تعريف الخلف، ...، المصدر السابق، ص 542.

² - تقي الدين بوكعير، المجموع الميسر...، المرجع السابق، ص 210.

³ - البوعبدلي، الأعمال الكاملة...، المرجع السابق، ص 45.

⁴ - الحفناوي محمد، المصدر السابق، ص 578.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

علي بن الخروبي، الذي تلقى عنه العقائد السنوسية، كما درس على يد ابن الشارف المازوني الذي أقرأه صحيح البخاري، وتلقى التصوف عن الشيخ محمد الصحراوي، أما الشيخ التزاري، فقد خصّ الرماصي بقصيدة مدحية عبّر فيها عن مكانته العلمية والروحانية، ومما جاء فيها قوله:

نَوَّرَتْ بِعِلْمِكَ يَارْمَاصِي مُعَسِّكَرًا *** وَطَارَتْ أَخْبَارُكَ مَشْرِقًا وَغَرْبَانَا.
شَرِيعَةُ اللَّهِ دَوَّتْ بِكِتَابِكُمْ *** عَلَى نَهْجِ مَالِكٍ لِدِينَانَا وَأَحْزَرَانَا
وَكَوْنَتْ الْأَفْ مِنْ فِقْهِهِ وَعَالَمٍ *** وَأَبْلَغَتْ النَّاسُ عِلْمَهُ مِنْهُ تَعَالَى.
وَيَعْرِفُ مُصْطَفَى بِالرَّمَاصِي نِسْبَةً *** لِمُسْقِطِ رَأْسِهِ مَوْلِدًا احْتِضَانًا¹.

أخذ الرماصي في مدرسة مازونة الفقهية الفقه والحديث والتوحيد والنحو واللغة والبيان² والمعاني والمنطق والقراءات وغيرها من العلوم، وبعد ذلك رحل إلى مصر في طلب العلم وعمره ستة وعشرون عاما، وأخذ من كبار العلماء هناك أمثال الشيخ الخرشي، وعبد الباقي الزرقاني، حيث ذكرهما الرماصي في بعض أجوبته لأحد تلامذته بقوله: " وأراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني وذلك بمعزل عن التحقيق لأنّ شرحه وشرح الخرشي، لا يعتدّ بهما في بلادنا الراشدية لعدم تحقيقهما وإعتمادهما كلام الأجهوري وهو كثير الخطأ"³.

حظي الرماصي بمكانة علمية مرموقة، حيث كان مرجع العلماء من كل الأوطان، حيث خصّته الكتب التي تحدثت عنه بالمدح والثناء خاصة بعدما أجاز من الجامع الأزهر بمنحه إجازة تؤهله حقّ التدريس في الفقه المالكي، وخاصة مختصر الشيخ خليل⁴ والشيخ الزرقاني وخصّه الشيخ الأمير عبد القادر في مذكراته بالثناء حيث قال: " وناهيك بوطن خرج منه العلامة شيخ الأسلاف محمد مصطفى الرماصي، وما حاكاه من تلاميذته "⁵.

¹ - تقي الدين بوكعبر، المرجع السابق، ص 210.

² - يذكر تقي الدين بوكعبر من رفاق مصطفى الرماصي من بينهم عمر بن دوبة وسيدي العربي بن خطاب، حيث أجاز من طرف شيخه وقال له: " أنت المذهب"، وقال لعمر بن دوبة: " أنت الولي". ينظر: المرجع نفسه، ص 210.

³ - مخلوف محمد، شجرة النور الزكية...، ج.1، المصدر السابق، ص 320.

⁴ - الجندي أبو المودة ضياء الدين (توفي 776 هـ) (هو الإمام العلامة الذي حمل لواء مذهب الإمام مالك بن أنس في مصر خلال عصره. من بين شيوخه: الراشدي، والمتوفي، وابن الحاج. وقد أخذ عنه العديد من الأئمة، منهم: حسن البصري. وله مصنفات مشهورة.

⁵ - المهدي بوعبدلي، الأعمال الكاملة...، المرجع السابق، ص 56.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

ويقول عنه محمد العربي المشرفي: " وانفرد في عهد عصره التحقيق، فلا تجده في نهاره إن لم يكن هناك عدو يحضر في جهاده إلا معتكفا، على كتب المحققين الأقدمين يطالع في خلافتهم، ويرجع ما ظهر له ترجيحه، وكان ينصّ على أعيان المسائل وإجتهادات المجتهدين، وكان القضاة والحكام يعتمدون على نقوله وإذا بلغه عن أحدهم أنه جار في حكمه، نجده يحدّ الناس منه "1.

ب-آثاره العلمية:

من خلال ما تركه من المؤلفات، تبرز مكانته العلمية. فجعل العلم يزدهر في عدّة جهات، وأخذ عنه العلم الكثير أمثال عبد الله بن خدّة، وتعلّم عنه مؤرخون أمثال ابن سحنون الراشدي، وأخذ عنه كبار العلماء أمثال الشيخ عبد القادر السنوسي، وعبد القادر المشرفي، ونجد أن عدد مؤلفاته قليلة مقارنة بمكانته العلمية، والسبب في ذلك كونه رحمه الله يميل ويهتم بالتدريس وتكوين الطلبة أكثر من التأليف، ويصف الحفناوي مؤلفاته بأنها: " بديعة عزيزة المنال، لا يزال الأفاضل يقتنونها مستصغرين فيها نفائس الأموال"2. فجاء بعده ثلة من العلماء والفقهاء، الذين قدّموا بالنقل من مؤلفاته في كتبهم سواء على مختصر خليل أو حواشيمهم على الشروح كالبناني في حاشيته"على شرح الزرقاني على مختصر خليل"، والعدوي في حاشيته"على الخرشي"، حيث أشار الحجوي أن معظم حواشي الفقهاء المغاربة على شرح الزرقاني لمختصر خليل مستمدة من حاشيته3. وترك لنا الشيخ مؤلفات في الفقه والعقيدة، ففي الفقه نجد حاشيته "على جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر"التتائي، حيث قال عنها الغلاوي"4.

وَاعْتَمَدُوا حَاشِيَةَ الْمُصْطَفَى *** عَلَى التَّتَائِي كَسِرَاجٍ مَاطَفِي.

¹ - تقي الدين بوكعب، المجموع...، المرجع السابق، ص 213.

² - الحفناوي محمد، تعريف الخلف...، المصدر السابق، ص 579

³ - العيفاي، المرجع السابق، ص 134.

⁴ - قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 47.

نجدّه أيضا يَخْلَفُ لنا الحاشية على شرح شمس الدين عامر بن ضرب العدوانى التتائى على متن أبي ضياء سيدي الخليل في فقه مذهب الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه، قال مصطفى الرماصي في طلعتها بعد البسملة والصلاة والسلام وتعريفه بنفسه مايلي: "...لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله إذ به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام ...¹.

أما في العقيدة فبالإضافة إلى " الهدية في أخبار الراشدية"، ورسالة في العتاب بخصوص مسائل فقهية قام بشرح "أمّ البراهين"² للسوسى، حيث فرغ منها يوم الجمعة بعد صلاة العصر يوم عاشوراء سنة 1106هـ، وقصيدته الرثائية على شيخه عمرو التتراري، حيث احتوت مئة وخمسين بيتا³. ويبرز الجانب الأدبي عند الرماصي من خلال تقمصه لدور الأديب بامتياز، إذ نظم قصيدة رثائية في شيخه عمرو التتراري، شرح فيها بعض ألفاظها ومعانيها.

كما برز أيضا في مجال الخطابة الوعظية والإرشادية، حيث ألقى عدداً من الخطب الدينية، من بينها خطبته في الاستسقاء، التي قال فيها: "...أيها الناس إن أعلام الغفلات مفصحة بصدق حلول الثلاث وإن الإصرار على السيئات، يؤذن بهجوم مذموم البليات، وأن علينا من الغفلة منه لايقظ هاجعها⁴، وبيننا من الأضرار آفة لاتؤمن مصارعها... اللهم لاتهلكنا بقبيح أعمالنا... فأنزل عليا الغيث من السماء مدرارا، فجد علينا ببلوغ آمالنا، والحمد لله رب العالمين⁵.

من المخطوطات الجزائرية التي تكلمت وتطرقت إلى الشيخ الرماصي نجد الشيخ محمد بن حواء في كتابه " سبيكة العقيان فيمن حلّ بمستغانم من العلماء والأعيان"، حيث يقول:

¹- مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي...، المصدر السابق، مخ، و 1و .

²- تقي الدين بوكعبر، المجموع المنير ...، المرجع السابق، ص 201.

³- زواوي الجيلالي، "نافذة على علماء معسكر رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمر التتراري المشرفي"، المجلة الجزائرية المخطوطات، وهران، ع.3، 2005م، ص 85.

⁴- أبو رأس الناصري، فتح الإله ومنته...، المصدر السابق، ص 79.

⁵- مصطفى الرماصي، خطبة الإستقصاء، مخطوط مصور بالخزانة محمد البشير، البرج، ولاية معسكر، ورقة 01، و.

"مَشَائِخًا :أُئِمَّةُ حِفَاطًا ****مُتَابِعِينَ عِلْمَهُمْ إِيقَاطًا .
أَوَّلَهُمْ شَيْخُ شُيُوخِ الْعَصْرِ ****عِرَّةَ جَمَعَ عُلَمَاءَ الْقَطْرِ .
خَاتِمَةُ الْحِفَاطِ وَالنَّقَادِ ****شَمْسَ بُذُورِ الْأَقْوِيَاءِ الْأَفْرَادِ .
فَاتِحُ قُفْلِ مُشْكَلاتِ الْوَصْمِ ****سِرَاجَ غَبَشِ الظُّلُمَاتِ الدُّهْمِ
رَئِيسَ جَمْعِ الْأَقْوِيَاءِ الْغَوَاصِ ****الْمُصْطَفَى مُحَمَّدُ الرَّمَاصِي¹ .

إنّ هذه الأبيات تبرز بشكل جليّ خصال الشيخ الرماصي، وتكشف عن عمق علمه وسعة اطلاعه، وتدلّ على مدى تضلّعه في مختلف فروع المعرفة الدينية، من فقه وعقيدة وتصوّف، وذلك خلال الحقبة العثمانية بالجزائر بوجه عام، وبإقليم بايلك الغرب على وجه الخصوص. ويبدو من خلال هذه الشواهد أنّ المكانة الرفيعة التي احتلّها الرماصي لم تكن وليدة نبوغه الشخصي ومواهبه العلمية فحسب، بل ارتبطت أيضاً بالسياسة الدينية التي تبناها العثمانيون، والهادفة إلى ترسيخ المذهب المالكي في البنية الفقهية والاجتماعية للجزائر، مع المحافظة على حضور المذهب الحنفي باعتباره المذهب الرسمي للدولة. وهكذا، شكّلت شخصية الرماصي تجسيدا حيا للتكامل المذهبي الذي ميّز تلك المرحلة، وأسهمت في بسط نفوذ المرجعية المالكية في الحياة اليومية والدينية لأهل البلاد. توفي حسب ما ذكرته معظم المصادر سنة (1113هـ/1724م)، عن سنّ جاوز التسعين سنة²، وذكر المهدي بوعبدلي أنه توفي سنة 1137هـ³.

2-التعريف بالمخطوط ومضمونه:

في ظلّ الظروف التي كان يعيشها الشيخ مصطفى الرماصي أثناء الاحتلال الإسباني بوهران، حيث كان مجاهدا من جهة "مدرسا" بجمال الراشدية من جهة أخرى⁴. إلّا أنّ هذا لم يمنعه من التأليف والتّحقيق والتّمحص، وفي هذا الصدد نجد أحد علماء "فاس" أثناء رحلته إلى

¹ - مصطفى الرماصي ، خطبة...، المخطوط السابق، ورقة 2، ظ.

² - مخلوف محمد ، شجرة النور الزكية...، المصدر السابق، ص 482، وينظر أيضا: الكتاني ، فهرس الفهارس...، المصدر السابق، ص 507. ينظر

أيضا: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...، المرجع السابق، ص 152.

³ - المهدي بوعبدلي ، الأعمال الكاملة...، المرجع السابق، ص 60.

⁴ -Garrot Henri , les Juifs Algériens , Leurs Origines, libraire louis Relin , Alger, 1889 ; p 36.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الجزائر وزيارته للشيخ مصطفى الرماصي، أثناء تدريس الشيخ طلبته العلم الشرعي، يقول : " كنت قد وفدت على العالم الراوية النقاد منهل العلم الصفيّ أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى الرماصي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل يأوي إليهم ليلا ويظلّ في النهار بداره، ومسجده يطالع كتبه، فسألته عن ذلك فقال: كنّا على هذه الحالة على عهد الإسبانين خوفا منهم، فإننا كنّا لا نأمن في الدّور من أن يَصِلُوا ليلا، فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل علينا الفرار لغابة الجبل"¹.

فالحاشية في صورتها التأليفية تشكّل وجها مألّوفا" لنوعية التّأليف السّائد في ذلك العصر وسنحاول من خلال ذلك أن نبين فحوى الحاشية، وقيمتها ودورها في تعزيز الجانب الديني ببائلك الغرب لأنّها اعتمدت من طرف العديد من علماء بايلك الغرب مع إضافة علمية للجهة الغربية فكريا وعلميا ودينيا، وتعكس لنا الواقع الذي لطالما كان منحصرا في علوم معينة.

كانت للحاشية قيمة علمية كبيرة، حيث يقول النابغة الغلاوي في سياق ذكر الكتب والمصادر المعتمدة في المذهب المالكي:

وَاعْتَمَدُوا حَاشِيَةَ الْمُسْطَفَى **** عَلَى الْخَلِيلِ كَسِرَاجٍ مَا انْطَفَأَ.

فالمخطوط الذي بين أيدينا دائما ضمن مخطوطات خزانة الشيخ بلقرّد بوكعبر، حيث يبدأ ب: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا، هذه أسئلة للشيخ الفقيه الصالح سيدي علي... وتتلوها أجوبتها للشيخ الفقيه المحقّق المدقّق سيدي مصطفى رحمه الله ورضي عنه ونفع به آمين"².

أما نهاية المخطوط، وكتب مُسلّمًا على من يقف عليه:

¹ - حمدادو بن عمر، "تعريف بتراث المخطوط للشيخ مصطفى عبد الله بن مؤمن الرماصي"، مجلة الحضارة الإسلامية، ، وهران، ع 04، مج 15، 2014م، ص 148.

² - مصطفى الرماصي ، حاشية الرماصي على سيدي خليل ، المخطوط السابق، ورقة 1، و .

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

عبيد الله أصغر عبيد الله وأحقرهم محمد المصطفى الرماصي، طالبا منه صالح الدعاء بالتوفيق،
لما هناك لتشتتالبال، وقصورالباع، وندور الإطلاع... أسكنهم الله في الجنان وإليه المرجع
والمثاب¹.

بلغ عدد المخطوط (672 ورقة)، موزعة بين الأسئلة والأجوبة، حيث عدد أوراق الأسئلة
ثلاث مائة ورقة ونصف صفحة والباقي للأجوبة، نجد أن المخطوط أوراقه في حالة جيدة، واللغة
المستعملة في الكتاب هي لغة الفقه، والتي يغلب عليها الدقة والمصطلحات الفقهية والإختصار
والإشارات ذلك لأنها لم تكن موجهة لعامة الناس، وإنما هي للفقهاء وطلبة العلم الذين يحسنون فهم
هذه اللغة، يحوي الكتاب مقدمة² موضوع مسألة الفرق بين التأويل والقول³، ثم تأتي تسعة
وعشرون بابا:

فالباب الأول يسمى باب "أحكام الطهارة" تناول فيه مجموعة من المسائل منها:

التطهر بماء البرك، وغلبة الظن بنجاسة معتبرا وإن لم يظهر التغيير، منشأ الفرق بين
المرقد والمسكر، معنى كراهة العاج، رماد النجاسة، الجبن إذا تحول المسح على الخف إذا
أصابته نجاسة، الصلاة بالثوب النجس، العجز عن الماء والنسيان والإكراه والإغماض والمرض،
القراءة والذكر الكنيف، معنى ملازمة السلس، وجوب الغسل بتجديد الإسلام عند البلوغ، هل الغسل
يجزئ عن الوضوء، تجديد النية أثناء الغسل للمحدث هل العبد يملك؟ وهل لسيده ملك على ما
يملكه؟ التيمم على الصعيد النجس، نجاسة القصة.

الباب الثاني تناول "الصلاة" وما يتعلق بها من الأحكام حيث جاءت المسائل المطروحة
كالتالي: " الصلاة لوقت الأسفار، توبة تارك الصلاة وسقط الحد عنه بأدائها، الاجتهاد في استقبال
القبلة، الاعتدال والطمأنينة في الصلاة، ترتيب الفوائت، يسر الجهر، رجوع الإمام للعدلين حال

¹ - مصطفى الرماصي ، حاشية الرماصي على سيدي خليل ، المخطوط السابق ، الورقة 87 ، ظ.

² - بدأ كتابه بدباجة مختصرة بين فيها فضل علم الفقه ودافعه لتأليف هذه الحاشية .كما أشار إلى مزايا شرح التيتائي، وذكر منها :الاختصار في العبارة،
وأسلوبه وعباراته الحسنة، وجمعه لكثير من الفوائد؛ لأن التيتائي رجل أديب كما قال.

³ - مصطفى الرماصي، مختصر ...، المخطوط السابق، ورقة ، 1 ، و.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

السهو في الصلاة، سلام المأموم لظنّ سلام إمامه ثم يقوم للقضاء، المصلي يذكر سجدة، أو سجدتين، من الركعة الأولى وهو راكعا في الثانية، ضابط الطول لمن صلى صلاته قبل إتمامها، اعتبار طول الوقت من خروج من المسجد، الأولى بتقديم الإمامة للصلاة ، بما يقطع السفر بحيث تسقط الأحكام المتعلقة به، مخالفة نية الإمام لنية المأموم في السفر، صلاة الجمعة في المسجد العتيق أو الجديد، حكم صلاة الخوف وهل هي سنة أو مباح، قبول التوبة من المؤمن مطلقا دون الكافر، مفهوم الصف في الجنائر، طريقة حمل نعش الميت، كيفية إخراج الزكاة في حالة نقصان الزكاتين أو إحداهما، إختلاط الأحوال وكيفية ضمّها في الزكاة، ضياع مال المزكي قبل وصوله لمستحقه من تعدّد، من تلزمه نفقته ولم يجد إلا صاعا واحدا أو بعض صاع في زكاة الفطر¹.

ثم يأتي باب الصيام الذي تناول: مسألة رجوع الزوجة على زوجها بالأقلّ من القيمة، فكفارة الصيام.

ثم باب الحجّ تناول السائل التالية: أصل التخيير في جزاء الصيد في الحجّ، عدم الحكم في صيد حمام مكة.

ثم باب الأضحية يتحدث عن: أخذ العوض في الأضحية.

ثم إلى باب الإمام، فتحدث عن اليمين المعقودة على بر، ثم مسألة الحنث في اليمين على عدم المساكنة، وضابط كثرة الزيارة.

ثم يأتي باب الجهاد يتكلم عن: تعيين غير البالغ في الجهاد، تعريف الغنيمة، وتفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾²، تناوب المسلمين في الجهاد، المهادنة إذ لم يكن إمام.

يذهب الرماصي إلى شرح باب النّكاح حيث يتطرق إلى: شهادة الأبداد في النّكاح، استئذانالبكر في النّكاح، من كانت وقد تزوجها رجلان... وجهل الأحقّ بها، كيف العمل في

¹ - مصطفى الرماصي، مختصر ...، المخطوط السابق، ورقة 20-26، و، ظ.

² - سورة الحشر، الآية: 6.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الصدّاق والميراث، معنى الولي الذي يجوز له فسخ النكاح، إبطال السيد أو السلطان الدين، من تزوج الأمة ثم إتباعها من سيدها قبل البناء، الشروط التي لا يقتضيها العقد ولا ينافيها، تحليف أحد الزوجية الآخر فيها يفيد إقراره، قبض ولي السفينة صداقها، حكم الوليمة، حقيقة الإكراه، الشكّ في عدد الطلاق، وأخيرا يمين المولي إذا كانت مما لا يكفر.

ثم يأتي باب العدة يتناول ثلاث مسائل تتمثل في نظر النساء المعتدة عن الشكّ في الحمل، مدة العدة للحائض الحرة والأمة، استبراء الأمة عند بيعها، وإلى المولي يتناول مسألة واحدة وهي: معنى استغناء¹ الصبي عن اللبن حقيقة أو حكما وهو باب الرضاع.

ثم انتقل إلى باب البيع، والذي يتناول فيه: حكم من اشترى من مضغوط ونحوه، بيع الحيوان المذبح واستثناء قدر معين من وزنه، على المنع في بيع الدينار بمثله، قضاء قرض التصديق بالبضاعة المغشوشة، الفاكهة التي يُجرب فيها الربا، معنى بيع الحاضر للبادي وبيع السمسارة والدالين، بيع العينة، انتقال الخيار إلى الورثة، كيفية تقويم العيب في المبيع، الرجوع بالثمن أو القيمة في حال تعدد المبيع وظهور عيب في بعضه، معنى المراجعة،

ثم انتقل إلى باب السلم، حيث تطرّق إلى مسألتين هما: علة منع السلم في حال تعيين العمل منه، أو العامل، ثم جواز قبول صفة الطّعام المسلم فيه قبل محله إن حلّ أجله.

ثم باب الرهن الذي يتكلم عن كيفية رهن الكتابة وخدمة المدير وكيفية ضمان الفضلة إن كان الرهن ثوبا ونحوه، حكم المخالفة في الرهن، كأن نرهن طعاما بدل دارهم مسماة ...، اشتراك² منفعة الرهن في رهن الثياب.

وانتقل إلى باب الصلح وفيه الإقرار بالحقّ سرا وجدهاعلانية، المصالحة عن الدراهم وعرض من التركة، مصالحة الزوجة عن نصيبها من الإرث بذهب.

¹ - مصطفى الرماصي، مختصر ...، المخطوط السابق، الورقة 23-49، ظ، ط.

² - مصطفى الرماصي، مختصر ...، المخطوط السابق، الورقة 49-58، ظ، و.

ثم باب الضمان يُجيب عن مسألة الحملاء في الضمان ورجوع المؤدي على الحملاء بالحق الذي أداه للغريم.

وباب الإقرار عالج مسألة من أقرّ بقرض وادّعى قضاءه على وجه الشكر، من استلحق صيبا في ملك غيره، ومن باع صيبا ولدا عنده وأعتقه المشتري ثم استلحقه البائع أما باب الشفاعة فيحدث عن أخذ الشفاعة غير مقابل مال.

وباب القسمة مفاده قسمة القرعة وقسمة المراضاة.

أما باب القراض، فمسائله تتعلّق باجتماع الإجارة والقراض، كمن أراد القراض ودفع مالا مع أجرة أو معاً قبل أن يبين العامل ذلك. ومن مسائله: متى يُجبر العامل على بيع سلع القراض وقت اقتسام الربح بين العامل ورب المال؟ وهل يجوز للعامل أن يشترط على رب المال الإنفاق من رأس المال فيما لا يُنفق فيه عادة؟.

ثم انتقل إلى باب الإجارة، فتحدّث فيه عن كراء الأرض بالطعام، ومن باع لرجل سلعة على أن يتجر له بثمنها سنة. وتطرّق إلى التمييز بين ما تُستوفى به المنفعة وما تُستوفى منه. ومن مسائل الباب أيضاً: مبنى اختلاف الفقهاء في فسخ الإجارة أو عدمه عند نزول المطر المانع من الحرث، أو كسر آلة الحرث ونحوها.

أما باب الجعالة، فتناول فيه مسألة الجُعْل، مثل: هل كراء السفينة لا يكون إلّا إلى البلاغ كالجعل؟ ثم تساءل: هل الإجارة أعمّ أم الجُعْل؟.

ثم في باب إحياء الموتى، تطرّق إلى مسألة ضوابط القرب في إحياء الأموات لأهل الذمة، كما تناول مسائل الاحتطاب من المقابر، والاحتشاش، والنوم وقت القيلولة في كل مسجد.

أما باب الوقف، فقد تناول تعريف الوقف باعتباره حبساً مؤبداً لا يرجع ميراثاً، ثم تطرّق إلى حكم الودائع إذا جهل أربابها.

وفي باب الهبة، عُرِضت مسألة: هل يدخل الولد السفية في أحكام الهبة؟

ثم جاء باب القضاء، وتناول مسائله التي تتدرج تحت رجوع القاضي عما قضى به، ومعنى رفع الخلاف، وطول الزمان المعتبر في شهادة السماع.

ويأتي بعده باب أحكام الدماء والقصاص، وقد عالج مسألة اعتبار القصد في الجنايات.

أما باب حد الشارب، فتحدّث فيه عن كيفية التقويم، وما إذا أُلْتُفِت البهائم ليلاً، ثم مسألة المقوّم إذا عاد الشيء إلى ما كان عليه أو إلى حال أحسن: هل يرجع بما دفعه أم لا؟.

ثم دخل في باب العتق، وكان محوره حكم بيع الأمة الحامل، واستثناء حملها من العتق.

أما الباب الأخير، فهو باب الوصايا.

3-المنهج المستعمل في كتابة المخطوط:

الأجوبة التي بينا أيدينا فقهية. فالمخطوط فقهي أكثر منه عقائدي إذ اعتمد فيه الشيخ الرماصي على التصويب والتصحيح وإمعان النظر، ونجده يُعَقِّب على كلٍّ من خليل والتائي ضمن أوراق الحاشية، ففوة أسلوب الرماصي تكمن في قوّة النقد والتحقيق لديه باعتباره كان عالماً بالفقه المالكي¹ وأقوال الأئمة. والدليل على ذلك نقلهم عن حاشيته في مؤلفاتهم الفقهية، فالرماصي الذي وضع الحاشية على شرح التائي لمختصر خليل أوضح في البداية الغاية من التأليف، حيث قال: " لما كان علم الفقه من أفضل العلوم بعد كتاب الله تعالى وسنة رسول الله إذا به تُعرف الأحكام ويتميز الحلال عن الحرام، وقد صنف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تُحصى، وأحسن ما صُنِف في ذلك مختصر خليل.

¹ - نجد أن هذه الميزة لم تقتصر على هذا المؤلف فقط، بل عند تصفحنا لمؤلفه الآخر في الفقه، وهو حاشيته على شرح الخرشي، وجدنا أن الخرشي كان يورد الإشكالات مع الإجابة عنها. إلا أن الرماصي لاحظ أن الخرشي كان مقلداً ومتبعاً لشيخه الأجهوري. ومثال على ذلك، قوله فيه: "أراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني، وذلك بمعزل عن التحقيق، لأن شرحه وشرح الخرشي لا نكتثر بهما في بلادنا لعدم تحقيقهما، وعمدتهما على كلام الأجهوري وهو كثير الخطأ." ينظر: الزاوي الجليلي، نافذة ...، المرجع السابق، ص 85-100.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

ف نجد أنّ من الحاشية فقهية تهتمّ بالفقه المالكي المغربي، الذي كان عمدة متصوفة بايلك الغرب و طلبتهم، حيث تميز الرماصي بتعقيبه على آراء الفقهاء الذين ينقل أقوالهم ثم يناقشها ويصولها ويقارنها بغيرها¹ فهذه الخصال والميزات أعطت مخطوطه مكانة منفردة ومثال عن ذلك من الحاشية قوله و هو يعقد على قول الأجهوري والزرّقاني حين ذكر شرح قول خليل: " كان يطحن لك كلّ يوم " فعقّب بعدما ذكر شرح الشيخ الثنائي القائل²: " وسكت كما يلزمه إذا لم يفسخ كما ذكر قول الأجهوري: " فيه نظر لأنّ هذا مع الفسخ أمّا على النفي فعليه جمع الكراء ونحوه الزرقاني ثم قال وفيه نظر³.

ونجده يتبع منهجي التعقيب والنقد حين عقب على الأجهوري الذي شرح قول خليل: " ولا يطالب إن حضر العزيز موسرا، قال الرماصي معقبا على قول الأجهوري: " ولو كان كثير المطل والرد وليس كذلك لأن التقيد بما لم يكن ملوا ذكره ابن الحاجب ف قيل التي للتمريض⁴، كما تظهر جرأة الرماصي وهو يعقب على الثنائي بالتعقيب فيقول: " فافهم، سبق قلم، فيه نظر، الصوان كذا⁵.

ولم يعقّب على المعلومة الدينية فقط، بل ذهب إلى اللّغة والإعراب حيث أعاب على الثنائي من عدم التعليق على شرحه لقول خليل: " نتكل ما على الملقى " حيث قال الثنائي: " بفتح القاف اسم مفعول: " فقال الرماصي: " أنظر تسليمه لهذا الإعراب مع أنّه غير صواب لأنّه يصير إسم مفعول من ألقى وليس معنى لقي الثلاثي الذي فيه كلامنا، فكان عليه الاقتصار على ما قاله ابن غازي⁶، فيدخل الرماصي المنهج المقارن في كتابه أثناء شرحه هذا يظهر المنهج المقارن وفي هذه المسألة ذكر قول بن عرفة وفي منعه بمثلي.... ونقل قول المدونة وقول ابن عبد السلام: " أمّا

¹ -بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2017، ص 85.

² - مصطفى الرماصي، شرح الحاشية....، المخطوط السابق، الورقة 27، و.

³ - مصطفى الرماصي، مختصر...، المخطوط السابق، الورقة 14، و.

⁴ - نفسه، الورقة 19، ظ.

⁵ - مصطفى الرماصي، مختصر...، المخطوط السابق، الورقة 12، و.

⁶ - نفسه، الورقة 115، و.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

المصالحة عن العين بمقوم ... وزاد وذكرها وحكاها المازاري: وقال "وقد حكى عليه الاتفاق" وذكر سماع يحي عن ابن القاسم فقال مخالف له " ونقل عن ابن رشد¹.

نجد الشيخ الرماصي يُجَلِّي شخصية المحقق الفقهي في أبهى صورها، إذ توافرت لديه آليات النقد العلمي الرصين، ومهارات التحليل والتدقيق، ومَلَكة التحريز والمحيص، وهي من أهم أدوات الباحث المتبصر في دقائق المذهب. فقد انتهج الرماصي منهجية عملية دقيقة في تعامله مع المتن والشروح، تمثلت في تعقيباته المحكمة، وموازناته الرصينة بين الأقوال، ما يشير إلى تمكنه العميق من مناهج التحقيق النقدي في الفقه المالكي.

وقد سار في هذا السياق على نهج ما خلص إليه كبار محققي المالكية، خصوصاً في مرحلة نضج المذهب واستقراره، من تقديم المدونة على غيرها من المصادر، كالموطأ وسائر مدونات أعلام المذهب، معتبراً إياها المرجع الأوثق والأكثر تعبيراً عن اختيارات المدرسة المالكية في طورها النهائي. ولم يكن هذا التقديم عشوائياً أو اتباعاً محضاً، بل كان ثمرة نظر دقيق وترجيح علمي مبني على موازنة متأنية بين الروايات والمصادر.

استطاع الرماصي أن يجمع، في منهجه النقدي، بين أدب الفقيه الناقد وصرامة المحقق المنهجي، فلم يكن يتعسف في رده، ولا يسلم بكل ما يُنقل، بل يتروى، ويحرر مواضع الخلاف، ويُعلّق على العبارات، ويوجه الأقوال، وينبّه على السهو، في أسلوب علمي رصين يجمع بين العمق والتحقيق، وبين الورع والانضباط.

4-المصادر والمراجع التي اعتمد عليها:

✓ "شفاء الغليل في شرح مختصر خليل" المعروف بـ "شرح البساطي"، للشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم البساطي (ت 842هـ) أحد تلاميذ الشيخ خليل.

¹ - مصطفى الرماصي، مختصر ...، المخطوط السابق، الورقة 113 و.

✓ شرح محمد بن أحمد بن محمد بن مزروق الحفيد(ت 842هـ) المسمى "المترع النبيل في شرح مختصر خليل".

✓ شرح التتائي الكبير المسمى "فتح الجليل في حل مقفل خليل".

✓ "التاج والإكليل في شرح مختصر خليل" للشيخ محمد بن يوسف العيدري المعروف بالمواق (ت 897هـ).

✓ "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل" للشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني الشهير بالخطاب(ت 953).

✓ شرح الشيخ سالم الصنهاوي (ت 1015هـ) المسمى "تيسير الملك الجليل لجمع الشروح وحواشي خليل"، فهذه شروح المختصر التي نقل منها، أما مصادره كانت كتب التفسير والفقه واللغة، حيث يشير أحيانا إلى مؤلفها بالتصريح أو يذكر اسم الكتاب. ومن أهم مصادره:

"المدونة" للشيخ سحنون، "تهذيب المدونة" للبرادعي، "التوضيح" للشيخ خليل، كتاب "الطراز" لسند بن عرفة، "جامع الأمهات" لابن الحاجب، "عقد الجواهر" لابن الشاش. ومن النسخ الموجودة:

- نسخة بمكتبة تطوان المغرب مسجلة تحت رقم 09.
- ثلاث نسخ بمكتبة مسجد تازة بالمغرب: الأولى رقم 247 والثانية تحت رقم 248 والأخيرة تحت رقم 695.
- نسخة المكتبة الوطنية المغرب تحت رقم 31.
- نسخة المكتبة الوطنية الحامة تحت رقم 241.

بالإضافة إلى تلك الدرة الثمينة النفيسة التي يفتنيها الشيخ بلقرد، والتي تعدّ شاهداً حياً ودليلاً ساطعاً لا يدع مجالاً للشك على عنايته الفائقة، وحرصه المتواصل، وسعيه الدؤوب في الحفاظ

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا
على جمال المخطوطات العربية الإسلامية، وصونها من عوادي الزمن، وصيانتها بما يليق قيمتها
التراثية والدينية.

5- جوانب من ملاح الحياة الدينية على ضوء المخطوط:

يعدّ "المختصر" للشيخ خليل بن إسحاق من أبرز الكتب الفقهية في المذهب المالكي وأشهرها،
وقد حظي بمكانة رفيعة منذ تأليفه، لما جمعه بين دفتيه من جلّ مسائل الفقه المالكي وأصوله
المعتمدة. وقد أولاه علماء بايلك الغرب عناية فائقة واهتماماً كبيراً، ظهر في شروحاتهم ونظمهم
وتعليقاتهم المتنوعة عليه، إذ خصّ هذا المصنّف بالكتابة من قبل عدد من أعلام الجزائر، أمثال
المؤرخ أحمد بن القاسم البوني القسنطيني، والشيخ حسن القماري، والشيخ عبد الرحمن الديسي، وغيرهم،
ولا تزال الكتابات تُنسخ حوله إلى يوم الناس هذا، نظراً لما يحمله من عمق علمي وأهمية فقهية
بالغة.

وعند انتقال العالم الرماصي إلى القاهرة، أفاد من فقهاءها وتتلّمذ على يد عدد من أعلامها،
ومن أبرزهم الشيخ علي بن زين العابدين الأجهوري (ت 1066هـ)، صاحب "الشرح الشهير على
مختصر خليل" الموسوم بـ "مواهب الجليل لحلّ ألفاظ خليل"، فوقف الرماصي على منهج علماء
المشرق في الشرح، واستوعب أساليبهم ومواردهم في تناول هذا المتن.

ولعلّ اهتمام الشيخ الرماصي بهذا المصنّف، وما أبداه من عناية به، إنّما يُضاف إلى سلسلة
الإعجاب الكبير الذي أبداه الأئمة والعلماء عبر العصور تجاه هذا الكتاب الجليل، فقد أثّروا عليه،
وأشادوا بمكانته، وامتدحوه في مقدمات شروحهم.

ومثال ذلك ما أورده ابن الغازي في مقدمة شرحه، حيث يقول: "... إن مختصر الشيخ خليل
بن إسحاق من أفضل نفائس الأعلام، وأحقّ ما رمق بالأحداق، وصرفت له همم الحذاق ..."¹.

¹ - بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (ت 919هـ)، شفاء الغليل في حل مقفل خليل، تح: احمد بن عبد الكريم نجيب ، ج.1، ط.1، مركز
نجيبوية المخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، 2008م ، ص 112.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

أما العلامة الخطاب: " مختصر الشيخ العلامة ولي الله خليل بن إسحاق الذي أوضح به المسالك إذ هو كتاب صغير حجمه وكثير علمه، جمع فأوفى وفاق أضرابه جنسا ونوعا واختصّ بتبيين ما به من الفتوى وما هو الأرجح والأقوى ..."¹.

أما أحمد التنبكتي: " وقد عكف الناس على مختصره وتوضيحه شرقا وغربا حتى اقتصرُوا في بلاد المغرب مثل "فاس" و"مراكش" في هذا الوقت على المختصر فقط، فصار قصارهم مع الرسالة"².

جاء هذا الشرح نتيجة لمراسلات علمية ومسائل فقهية متفرقة وُجّهت إلى العلامة الشيخ الرماصي، فجمعها وتناولها بالشرح والتفصيل، مما يعكس سعة علمه وعلو كعبه في الفقه المالكي. وسنحاول من خلال هذه الصفحات تسليط الضوء على بعض من هذه المسائل، علماً أنّ الشرح قد تناول سبعا وثمانين مسألة دينية فقهية، شرحها وبوّبها بأسلوب محكم ومنهجية دقيقة، الأمر الذي جعله يُعدّ بحقّ من أعمدة الفقه المالكي في بايلك الغرب، حتى لُقّب بـ "محقق الفقه المالكي"، لما تميّز به من دقة في النقل، وجودة في التعليل، وسداد في الرأي.

ويظهر من خلال هذا المخطوط أنّ الشيخ الرماصي لم يكن مجرد ناقل لأقوال الفقهاء، بل كان يعلّق عليها، ويعقّب بالتصويب أو الاعتراض، ويقارن بين الآراء، ويوازن بينها بميزان العلم والدراية.

ومن أبرز ما ورد في هذا المصنّف، ما يلي:

-العبادات وما يتعلّق بها:

أ-باب في "أحكام الطهارة" وما يناسبها:

¹- محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، تح: زكريا عميرات ، ج.1، دار عالم الكتب، القاهرة، 2003م، ص 01.
²-أحمد بابا التنبكتي أبو العباس (ت 1036هـ)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق : الحميد عبد الله الهرامة، ط.2، دار الكتب ، طرابلس -ليبيا ، 2000م، ص 168.

يعتبر الباب الذي فتح به الشيخ خليل مختصره، حيث سبقه بمقدمة يقول فيها: "يقول الفقير المضطرّ لرحمة ربه المنكسر خاطره لقلّة العمل والتقوى خليل بن إسحاق المالكي..."، ونجد جل أصحاب المخطوطات يظهرون نزعتهم التواضعية¹، ثم ينتقل إلى حمد الله وشكره ويبين أنّ هذا التأليف يسلك منهج الإمام مالك بن أنس وجاء ليجيب عن بعض التساؤلات التي شغلت الفقهاء والعلماء باعتبارها مرتبطة بدينهم وعقيدتهم².

نجد الرماصي يعلّق على موضوع الطّهارة، حيث يشرح بعض المصطلحات التي أوردها الشيخ خليل فنجد الشيخ خليل يبيّن أنّ الماء الطاهر عندما يتعرض لتلوث مهما كان مصدره النّجس فإنّه يصبح غير صالح الطّهارة، في ضيف الرماصي قول مالك بن أنس أنّه لا بأس بماء تلوث، لكن بعد ذلك أصبح نظيفا فيقول: "نتن من الحمأة أي أنّه يمكن أن تدخل بعض الملوثات الماء، لكن لا تفسده، بحكم أنّه يكون ساري لجريان، ثم ينتقل إلى الحديث عن حكم الملح المطروح في الماء، هل هو كالتراب في عدم سلبه الطّهورية لماء، أم أنّه يسلبه طهوريته.

يورد اختلاف الأئمة في ذلك، ويتحدث عن سقوط الحشرات في الماء، حيث يورد لنا الشيخ خليل في مصنفه ويقول: "الطاهر ميت ما لادم له"³، ويشرح الرماصي ذلك بذكره هذه الكائنات كالنّحلة والزنبور والعقرب والجراد وغيرها، ويتحدث عن الخنزير، ويقول الرماصي أنّ ابن عرفة يذكر أنّ لبن الخنزير نجس فهو يفسد الماء إذا سقط عليه، ويقول الرماصي، أنّ بعض الأمور تكون نجسة لكن مع مرور الوقت تتطهر وتطهر ما حولها، حيث نجد بعض الأشجار تُسقى بماء نجس ثمّرها ويقولها طاهرتان، وكذلك بعض القمح يكون نجسا فيزرع وينبت طاهره⁴، فسبحان الله خالق الكون، ويخوض الرماصي في موضوع الطّهارة لكونها عماد الدين، حيث يشرح أنّه من صلى بثوب نجس عالما غير مضطرّ متعمداً أو جاهلا، أعادا ولو صلى ناسيا⁵.

¹ - مصطفى الرماصي ، مختصر خليل ...، المخطوط السابق، ورقة 1 ، و .

² - مخطوط نفسه، الورقة 324 و .

³ - نفسه، الورقة، 11 ، ظ.

⁴ - مصطفى الرماصي، مختصر خليل ...، المخطوط السابق، الورقة 14 ، و .

⁵ - نفسه، الورقة 7، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

بعد انتهائه من مسائل الطهارة العامة، يشرع الشيخ خليل في تناول فرائض الوضوء وسننه وفضائله، مفصلاً القول فيها بترتيب منهجي دقيق، يمرّ عبر مختلف مراحل الوضوء وأركانه. وقد التزم الشيخ الرماصي في شرحه بهذا الترتيب، فنقل ما أورده خليل نقلاً أميناً، وأضاف إليه تعليقات مقتضبة، اقتصر في الغالب على الجوانب اللغوية، كشرح الألفاظ التي قد تبدو غريبة أو صعبة الفهم لدى القارئ.

في هذا الموضع، يستعرض الشيخ خليل آراء عدد من كبار فقهاء الإسلام الذين كان لهم بالغ الأثر في بناء صرح الفقه المالكي، أمثال ابن يونس، وابن القصار، وابن الحاجب، والمارزي، مستنداً إلى تراثهم الغني ومواقفهم الأصولية في الأحكام.

عند الحديث عن مسألة ترتيب فرائض الوضوء، يبيّن خليل أهميتها، فيشير إلى كونها محل نظر واختلاف، في حين يُعلّق الشيخ الرماصي على ذلك مبيناً أن الترتيب سنة لا فريضة، ويُعزز رأيه بما ذهب إليه الإمام ابن رشد، الذي قال:¹ "وهو المعلوم من مذهب ابن القاسم وروايته عن مالك ونقل ابن العباد عن مالك أنه واجب به وقال أبو مصعب ومال إليه ابن عبد السلام".

ويلاحظ من خلال شرح الرماصي المختصر كثرة نقله عن أئمة المذهب المالكي، وهو أمر لم يكن مجرد استشهاد عابر، بل كان مقصوداً لتحقيق القطع في المسائل، وللدلالة على أن القول المُعتمد هو قول جمهور أئمة المذهب، لا اجتهد شخصي خارج عن الأصول. وهذا المنهج يُبرز مدى التزام الرماصي بمدرسة المذهب، وحرصه على تقوية المرجعية الفقهية لما ينقله ويفتي به.

ويظهر كذلك أن الرماصي كان دقيقاً في إسناد الأقوال إلى أصحابها، فيذكر أسماءهم ويحدد مصادر آرائهم، مما يدلّ على أمانته العلمية وانضباطه المنهجي، وإن كان أحياناً يورد بعض الأقوال بصيغة مختصرة دون توسع، وربما يكون هذا نابغاً من طبيعته التعليمية في الشرح، أو مراعاة لمقام التبسيط والاختصار.

¹ - مصطفى الرماصي، مختصر خليل، المخطوط السابق، الورقة 20 ، و .

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

ولعلّ الدافع الأساس لهذا الحرص على إرجاع الأقوال إلى أصحابها، هو سدّ ذريعة التأويل الخاطئ أو التحريف المتعمد لكلام الأئمة، وتحقيقاً للضبط في النقل، وصوناً للتراث الفقهي من التبديل أو التحوير، خصوصاً في المسائل التي قد تتخذ ذريعة للخلاف أو التأويل المخلّ.

وما إن بلغ الشيخ الرماصي باب "الطهارة"، حتى انطلق فيه بأسلوب العارف المتقن، والفقهاء المتمكن، فبسط القول فيه بسطاً وافياً، وتناول مسأله بشيء من التأنّي والتدقيق، وكأنه يعيد بناء هذا الباب لبنةً لبنة، حرصاً على إزالة كل غموض، ودفع كل إشكال، خاصةً لدى طلاب العلم والمتعبدّين في بايلك الغرب.

لقد تطرّق، في شرحه، إلى أدقّ الأمور المتعلقة بالوضوء والغسل، فبيّن ما ينبغي على المسلم مراعاته عند الاغتسال، ومن ذلك غسل اليدين قبل إدخالهما في إناء الوضوء، وهو من السنن المؤكدة، مستشهداً بحديث أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها: "أدّيتُ لرسول الله غسله من الجنابة، فغسل يديه وكفيه مرتين أو ثلاثاً". وقد أورد الرماصي هذا الحديث مع تأكيد قول الشيخ خليل، موثقاً ذلك بالأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويظهر من منهجه في هذا الشرح أنّه لم يكن يهدف إلى مجرد الإيضاح، بل كان يسعى إلى ترسيخ الفهم السليم، ودفع التأويلات الخاطئة التي قد تُشوّه فقه الأئمة، فجاء شرحه محكم البناء، قويّ التعليل، متين الاستدلال، وكأنه أراد بهذا المصنّف أن يكون مرجعاً فقهياً معتمداً يُزيل اللبس ويقوّم الفهم في مسائل الطهارة وسائر أبواب العبادات.

ب-باب الصلاة:

لغة: هي الدعاء لقوله تعالى: **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ** ¹ **إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ¹. فهي عمود الدين والركن الأوّل بعد الشهادتين.

¹ -سورة التوبة، الآية: 103.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

اصطلاحاً: هي عبادة الله تعالى تتضمن أقوالاً وأفعالاً مخصوصة ومعلومة، تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم ويقصد بالأقوال أي القراءة والتكبير والتسبيح وغيرها¹.

وأما الأفعال فهي القيام والركوع والسجود وغيرها² والصلاة التي يريد بها الله تعالى هي الصلاة التي يخشع فيها صاحبها ويحافظ عليها بشروطها وآدابها³، فكيف شرحها مصطفى الرماصي في مختصر خليل؟.

وعند حديثه عن الإمامة في الصلاة، يتوقف الشيخ الرماصي ليبين أن الإمامة لا تقتصر على الرجال البالغين أو الشيوخ فقط، بل إن الصبي المميز، في بعض الحالات، يجوز له أن يؤم الناس في الصلاة، إذا استوفى الشروط المطلوبة. وقد نقل الشيخ خليل في "مختصره" أن من شروط الإمامة أن يكون الإمام ذكراً بالغاً، مما يفهم منه استبعاد الصبي من الإمامة، غير أن الرماصي، في شرحه، يفتح باب التوضيح والمناقشة، فيشير إلى وجود قولٍ معتبرٍ في المذهب المالكي يجيز إمامة الصبي المميز، خاصة إذا كان عارفاً بأحكام الصلاة، مجتهداً في طلب العلم، ملتزماً بالآداب الشرعية.

ويورد الرماصي في هذا السياق أقوالاً لعدد من علماء المذهب المالكي الذين ذهبوا إلى جواز إمامة الصبي، ومن أبرزهم الإمام ابن عرفة، الذي رجح هذا القول في بعض المواضع. وبهذا، يُظهر الرماصي سعة فقهه، وحرصه على عرض الأقوال الخلافية مع التعليل والترجيح، دون تعصب، بل بروح علمية راقية تراعي مقاصد الشريعة وظروف الواقع⁴.

وينتقل إلى ضرورة السجود عند قراءة سورة السجدة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾⁵، فعلى المسلم أن يسجد

¹ - أحمد بن حمدي الصاعدي، دعائم التمكن، الجامعة الإسلامية ، ط.32، المدينة المنورة، 2000، ص55.

² - راشد بن حسين عبد الكريم ، الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية، ط.4، دار الصميعي، السعودية ، 2010م، ص 126.

³ - علي عبد اللطيف منصور ، العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، ج.61، ، الجامعة الإسلامية، السعودية، 1404هـ، ص 122.

⁴ - مصطفى الرماصي، مختصر خليل.....، المخطوط السابق، الورقة 123، و.

⁵ - سورة السجدة ، آية: 15.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

ويخصّ جسمه الله عزّ وجل وأنّ كل العلماء يتفقون حولها، وكأنّ الرماصي يورد أهمية السجود وهنا نرجح أنّ هناك فئة كانوا يتغاضون عنها وكأنّها سنة، فجاء بأقوال المحدثين والعلماء والمفسرين لضرورة الخفض، ثم الرفع وإكمال الصلاة¹.

وهنا يتطرق الشيخ الرماصي إلى ما قد يقع فيه الإمام من هفوات أو سهو أثناء الصلاة، ويعرض آراء العلماء حول هذه المسائل الدقيقة. فقد اتفق الفقهاء على أنّ سهو الإمام في ترك قول أو فعل غير ركن، لا يبطل الصلاة، ويُجبر بالسجود، لكن إذا كان السهو في ركن، فالأمر يختلف.

من المسائل التي أشار إليها الرماصي: إذا زاد الإمام ركعةً سهواً، فالمأموم غير مطالب بمتابعته بعد التيقّن من الزيادة، بل يجب عليه أن يجلس للتشهد ثم يسلم، أما الإمام فيسجد للسهو.

أما إذا نسي الإمام سجدةً من ركعة، وتبيّن الأمر بعد السلام، فعليه قضاء الركعة بعد السلام، ثم يسجد للسهو. وإذا تبيّن للجماعة كلهم، أو الغالب منهم، أنّ السجدة قد سقطت من الركعة الأولى مثلاً، فإنهم مطالبون بإعادة الصلاة، ومن لم يُعدها معهم، فصلاته حينئذٍ باطلة عند كثير من فقهاء المالكية، لأنه تعمّد ترك ركن من الصلاة بعد تيقّنه.

أما إذا وقع السهو من الإمام وحده، والمأمومون قد أدّوا صلاتهم على وجه صحيح دون أن يتأثروا بخطئه، فلا يُطلب منهم إعادة الصلاة، ويُعيد الإمام وحده، باعتبار أنّ الخلل تعلق به دون غيره.

ويظهر من طرح الرماصي لهذه المسائل أنه لا يكتفي ببيان الحكم، بل يحرص على التفصيل في الحالات المتعددة، مستعرضاً الأقوال الفقهية في كل حالة، ومرجّحاً منها ما يناسب

¹ -مصطفى الرماصي، مختصر خليل، المخطوط السابق، الورقة 123، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

قواعد المذهب ودقائقه، وهو ما يُعطي لشرحه قيمة علمية بالغة، خاصة في فقه الإمامة والجماعة¹.

كما تحدث الرماصي على المسجد وآداب دخوله، فيجب على داخل المسجد أن يركع قبل الجلوس وهما ركعتين تحية المسجد، وتحدث كذلك على النافلة، حيث تجب على من يحافظ على صلاته أن يلتزم بها وذلك للأجر العظيم لها وهي حيث المصنف أربع ركعات قبل الظهر واثنان بعدها، اثنتان قبل العصر، وروي أربع واثنان بعد المغرب ويذكر أنه من يتطوع ويصلي في أي وقت فأجره عند الله دائما يدعم قوله بأقوال ابن الحاجب وابن عرفة وابن عمر وابن حبيب وغيرهم من الفقهاء².

ولمكانة الصلاة العظيمة في الإسلام، ولما لها من منزلة رفيعة باعتبارها عماد الدين وأول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، أفرد لها الشيخ الرماصي حيزاً واسعاً من شرحه، فخصّها بأكثر عدد من الأوراق، واعتنى بها عناية بالغة، شرحاً وتفصيلاً وتحليلاً. فقد تناول في شرحه جميع ما يتعلق بالصلاة من أقوال وأفعال، وبين فرائضها، وسننها، ومستحباتها، ومكروهاتها، وحتى دقائق مسائلها التي قد تخفى على كثير من الناس، مُدلاً على أقواله من الكتاب والسنة وأقوال أئمة المذهب المالكي.

ولم يكن شرحه مجرد نقل وتكرار، بل تميّز بالسعي لإزالة الغموض الذي كان سائداً في المجتمع الجزائري آنذاك، وخاصة في منطقة بايلك الغرب، حيث انتشرت بعض المفاهيم الخاطئة، وسادت تأويلات غير منضبطة في أمور العبادات، فكان هذا الشرح بمثابة مرجع موثوق يُعيد ضبط المفاهيم وفق أصول المذهب، ويقرب العلم من الناس، ويردّ الفهم إلى أصوله الصحيحة.

¹- مصطفى الرماصي، مختصر خليل، المخطوط السابق، الورقة 122، ظ.

²- نفسه، الورقة 127، و.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجاً

فجاء عمل الرماصي جمعاً بين التحقيق والتبسيط، وبين الأمانة في النقل والاجتهاد في البيان، مما يدل على رغبته الصادقة في إصلاح الواقع الديني، وتوجيه الناس إلى ما يصح به عملهم، وتستقيم به عبادتهم، في وقت كانت الحاجة فيه إلى الفقه والتعليم ماسة وملحة.

ج-باب الصوم:

لغة: هو ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام... وقيل الصائم صائم، لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح، وقيل الصامت: صائم لإمساكه عن الكلام، لقوله تعالى: **فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا**¹، وقيل الفرس صائم لإمساكه عن العلف مع قيامه والصوم ترك الأكل وكل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم².

اصطلاحاً: الصوم عبادة عظيمة، يُقصد بها الإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، بنية يُبَيِّتُها المسلم، وذلك في وقتٍ مخصوصٍ يبدأ من طلوع الفجر الصادق وينتهي بغروب الشمس، أي بدخول وقت المغرب. وهذه العبادة من أعمدة الإسلام، وقد خصها الشرع الشريف بمنزلة رفيعة، وأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضلها أحاديث صحيحة وحسنة، رواها الأئمة الأعلام، وأثبتها العلماء في مصنفاتهم، تدلّ على عظيم أجر الصائم، وما أعدّ الله له من الثواب والمغفرة والرضوان.

ولمكانة الصيام هذه، فقد تناوله الشيخ خليل بن إسحاق في مختصره، وضمنه مسائل دقيقة تتعلق بأركانه وشروطه ومبطلاته، فجاء كلامه وجيزاً بليغاً، محكم العبارة، دقيق الدلالة، مما استدعى عناية الشُّراح لفهمه وتفصيل مقاصده.

وقد كان من بين هؤلاء الشُّراح العلامة الشيخ الرماصي، الذي أولى باب الصوم اهتماماً بالغاً، فأفاض في شرحه، واستوعب مسأله، وحرص على توضيح المجمل، وشرح المبهم، والتنبيه على

¹ - سورة مريم، الآية: 26.

² - ابن منظور، المصدر السابق، ص 350.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجاً
المسائل الخلافية، وفق ما استقرّ عليه العمل في المذهب المالكي. فكيف تمّ شرحه في مختصر
خليل من قبل العلامة الرماصي؟.

استهلّ الشيخ الرماصي باب الصيام ببيان المسألة الأولى التي تتعلّق بثبوت شهر رمضان،
وهي رؤية الهلال أو إكمال عدّة شعبان ثلاثين يوماً، فأورد في هذا السياق قولاً مهماً، يبرز منهجه
في الجمع بين النقل والتوضيح، إذ يقول: "يتحقّق رمضان بكمال شعبان ثلاثين يوماً، ولم يحكم به
حاكم، وكذا ما قبله أن توالى الغيم ولو شهوراً كثيرة؛ في الطراز عن الإمام مالك رضي الله عنه
يُكملون عدّة الجميع، حتى يظهر خلافه اتباعاً للحديث، ويقضون إن تبين لهم خلاف ما عملوا
عليه".

في هذا النقل يُظهر الرماصي تمسّكه بمنهج الإمام مالك في تحريّ الرؤية الشرعية وعدم
البناء على الظنون أو الحسابات الفلكية، ما لم تتحقّق الرؤية البصرية أو تكتمل العدّة، وقد دعم
ذلك بالحديث الشريف وبآراء أئمة المذهب.

ثم يتوسّع في شرح المصطلحات الفقهية التي أوردها الشيخ خليل في مختصره، موضحاً ما
قد يخفى من عباراته المختزلة، وخاصة قوله: "بكمال شعبان"، فينبّه إلى أن المقصود ليس فقط
تمام الشهر عدداً، بل أيضاً ألا يُبنى صوم رمضان على غيم أو شك، وإن استمر الغيم شهوراً،
كما نقل عن الإمام مالك في الطراز.

ويقول الرماصي - في توضيحه للعبارة - إنه إن لم يكن قبل شهر شعبان ثلاثة أشهر
تامة، فلا يُحكم بتمام أربعة أشهر كاملة توالياً، بل يجب الاعتماد على الرؤية الشرعية أو إكمال
العدّة، وعند ظهور الهلال يُحسب رمضان من بعد تمام ثلاثين يوماً لشعبان، وهذا ما يدلّ على
دقة الرماصي في التفريق بين الظاهر والناذر، بين التمام في الحساب والتمام في العمل الشرعي.

ويتّضح من هذا كلّهُ أنّ الرماصي لم يكن مجرد ناقل، بل كان عالماً مدقّقاً، ذا نظرة فقهية
عميقة، يجمع بين أمانة النقل، وبصيرة التحليل، وحرص على توجيه الناس إلى العمل الصحيح.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وقد جاءت شروحه هذه متماشية مع ما كان عليه علماء بايلك الغرب، الذين جعلوا من مختصر خليل مادةً فقهيةً أساسية، ومرجعاً لا غنى عنه في الفقه المالكي¹.

من خلال شرحه لمختصر خليل، يبدو الشيخ الرماصي وكأنه لا يكتفي بشرح الألفاظ وتفسير العبارات، بل يتجاوز ذلك ليفتي ويجيب عن أسئلة معاصريه، ويضع بين أيدي القراء خلاصة اجتهاده العلمي وفقه نظره، فكثير من المواضع التي وقف عندها في هذا الشرح تشير بوضوح إلى أنها كانت محل تساؤل أو إشكال لدى علماء بايلك الغرب وطلبة العلم فيه. فجاء شرحه لا ليكون تفسيراً لمتنٍ فحسب، بل ليكون توجيهاً فقهياً حياً يلامس الواقع، ويجيب عن حاجات الناس ومسائلهم العملية.

إنّ الرماصي - في هذا السياق - اتخذ من "مختصر خليل" منطلقاً للبيان والفتوى، واستثمر مواضع الإيجاز فيه ليوضح، ويفصل، ويعلّل، مستنداً إلى أمهات كتب المالكية، وأقوال أئمتهم الراسخين، مما جعل من شرحه هذا عملاً علمياً رصيناً، يربط النظر الفقهي بالممارسة الواقعية.

ومن هذا المنطلق، فإنّ هذا المصنّف لا يُعدّ مجرد شرح لمتن دراسي، بل يُعتبر بحق مرجعاً فقهياً ذا طابع إفتائي، يعكس تفاعل فقهاء بايلك الغرب مع النصوص الشرعية، واستجابتهم لحاجات الناس ومشاكلهم الدينية.

لذلك فإنّ شرح الرماصي لمختصر خليل يُعدّ من أبرز وأهمّ المصنّفات الفقهية التي عرفها هذا الإقليم، لما يجمعه من عمق فقهّي، وأمانة علمية، ومراعاة لواقع الزمان والمكان، فضلاً عن أسلوبه الرصين الذي يُبرز تمكّنه من أدوات العلم الشرعي، وحرصه على الإصلاح الديني والتوجيه السليم.

د-باب الزكاة:

¹ - مصطفى الرماصي، مختصر خليل، المخطوط السابق، الورقة 257، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

لغة: من الزكاء وهو النماء والزيادة ويقال زكا الزرع إذا نما وزاد، وقال الراغب: أصل الزكاة هو النماء الحاصل ببركة الله تعالى¹.

كما قال ابن أثير في النهاية: وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح فالزكاة طهارة الأموال². وزكاة الفطر للأبدان وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾³، أي طهر نفسه من الذنوب وقوله تعالى: ﴿...﴾⁴، أي فلا تمدحوها سبيل الفخر والإعجاب، و نجد أيضا قوله تعالى: ﴿فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾⁵، أي صلاحا وتقى

اصطلاحاً: هي حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة وهم الأصناف الثمانية المشار إليهم في قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)⁶ فريضة من الله ﷻ والله عليم حكيم⁶.

فهذه الصور والآيات العديدة تدلّ على وجوب الزكاة وأهميتها وعظيم شأنها، فأجمع المسلمون على وجوبها كما اتفق الصحابة رضي الله عنهم في عهد أبي بكر الصديق على قتال من ينفىها⁷ أي عدم وجوبها وإخراجها.

استهلّ الشيخ الرماصي الحديث عن الزكاة في الورقة 325، حيث أورد أسماء علماء الفقه الذين تحدّثوا عن الزكاة وفصلوا القول فيها، كناصر الدين الكفّاني في حاشيته على "التوضيح"، وابن رشد، وابن عبد السلام، وغيرهم.

¹-الحسين بن محمد الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1981م، ص 398.

²-ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج.3، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، ص 308.

³-سورة الشمس، الآية: 09.

⁴-سورة النجم، الآية: 32.

⁵-سورة الكهف، الآية : 81.

⁶-سورة التوبة، الآية: 60.

⁷-يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي، الإفصاح عن المعاني الصحاح ، ج.1، ط.2، المكتبة الحلبية بحلب، سوريا، 1322هـ ، ص 131.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وقد تطرّق إلى المصطلحات اللّغوية والشرعية المتعلقة بهذا الركن العظيم من أركان الإسلام، فبيّن أن الزكاة تُطهّر المال، ويقول: "سمّيت زكاة لأن المال يزكو بها، أي ينمو ويكثر"، ثم ذكر: "فعل بالفتح، يُقال: زكاء المال زيادته ونماؤه، وزكا أيضاً إذا ظهر."

ثم أورد في المصنّف أمثلةً عن زكاة الشاة، ويحتمل أن بايلك الغرب كان منطقةً رعوية بامتياز، وكأنّ الرماصي أراد أن يُظهر ضرورة إخراج الزكاة من الأغنام، حيث يقول: "الصوف التام أي المستحق للجز يوم شراء الغنم للتجارة، فيزكي ثمنها لحول الثمن الذي اشترى الأموال أو الغنم به"¹. وهذا تخريج لبعض الشيوخ كابن الحاجب، وابن سلام، وغيرهم.

ثم يتحدث الرماصي عن الممتنع عن دفع الزكاة ويورد أقول الشيخ خليل، ثم يفصل فيها ويذكر أنّه من يمتنع عن دفعها يقلّل الله رزقه في الدنيا قبل الأخرة وإن تاب بعد ذلك فعليه كفارة على العمل والذي قام به².

ونجد الرماصي يشرح وفي نفس الوقت يعتب على بعض النصوص التي أخذت من نسخ مختلفة ويتتبّع انتقادات العلماء لبعضهم البعض ويرجّح هذا، اختلاف النسخ الأصل المنقول منه وأمثله عن ذلك قول الرماصي: "... واقتصر المؤلف (يقصد خليل) على البيوت لأنّه لم ينقل من المدونة إلّا ذلك. ونجده في نفس الوقت -في باب الزكاة- يتبع منهج الإنصاف وعدم التحامل، حيث نراه في مواضع كثيرة مقراً وراضياً ومسلماً ومُصوّباً.

فنستشف في باب الزكاة عدة أمور قام بها الرماصي في ذكر كلام الشيخ خليل وكل ما يتعلق بالزكاة سواء الأغنام أو الحرث أو الدواجن وغيرها³.

ثم يعقّب الشيخ الرماصي في مواضع كثيرة، ويعتمد في تعليقاته واستدراكاته على المراجع الأصلية والأمّهات في المذهب المالكي، مستنداً إلى أقوال العلماء المتقدمين وشرّاح "المختصر"،

¹ - مصطفى الرماصي، مختصر خليل ...، المخطوط السابق، الورقة 325، ظ.

² - مخطوط نفسه، الورقة 345، ظ.

³ - نفسه، الورقة 324، و.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وهنا تتجلى بوضوح شخصية الرماصي الفذة، ذات البصيرة العلمية والفقهية، وكأنه أراد أن يُعرف فقهاء وأدباء بايلك الغرب بهؤلاء الأعلام من علماء الأمة، فينقل أقوالهم بدقة ويسندها إلى مصادرها. ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في سياق حديثه عن فطرة العيد: "وما ذكره عن الزناتي من عدم جواز الحلق، نقله الأفقهي في (شرح الرسالة)، في باب الفطرة عن الطبري، انتهى".

ومن خلال هذه الأسطر وغيرها، يتجلى لنا البعد الديني والعلمي لهذا المصنف، فقد خاض الرماصي في عمق الفقه المالكي، وشرح "مختصر خليل" الذي يعد من أعمدة المصادر الدينية في المذهب، فأدخل إلى الجهة الغربية من البلاد صرحاً علمياً وفقهياً عظيماً، أزال به الغموض عن قضايا كثيرة كانت عالقة في أذهان أهل المنطقة.

استطاع الرماصي أن يُغريل المذهب المالكي، ويُعيد ترتيب مسائله واستنباطاته، من خلال حاشيته هذه، بعد مراجعته الدقيقة لأصول المذهب وأمّهات كتبه، فاستحق أن يُوصف بعد صدور هذا الشرح بـ"المحقق"، لأنه امتلك أدوات النقد، والتّحقيق، والتّحرير، وسلّط من خلال هذا المصنّف الضّخم الضّوء على جهود ومؤلفات علماء المذهب المالكي، قديمها وحديثها.

ونظراً لكبر حجم هذا المصنّف وغزارة مادته، فقد اقتصرنا - في هذه الدراسة - على بعض الجوانب الدينية فقط، مع أمل كبير في أن يواتينا الوقت لاحقاً للتوسع في قراءة الجوانب الأخرى التي تناولها المصنف، كأبواب الميراث، والجهاد، والنكاح، وغيرها من المسائل التي لا تقل أهمية عن ما ذكر.

ثانياً: مخطوط فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها الشيخ المجاجي من صحيح البخاري¹.

1: تعريف الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي:

¹ - البخاري هو الإمام الحافظ المحدث، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صاحب "الجامع الصحيح" وغيره. وقد رحل في طلب علم الحديث إلى الأمصار، حيث قال: "أُهِمْتُ حفظ الحديث وأنا في الكتاب ابنَ عشر سنين. فلما بلغت ثمانين سنة، صنفت "قضايا الصحابة والتابعين" وأقوالهم، وصنفت كتاب "التاريخ الكبير" إذ ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أيضاً: "أخرجت الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، وما أدخلت فيه إلا ما صح". ينظر: قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 125.

أ- ولادته وتعلّمه:

هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر، إشتهر باسم المجاجي نسبة إلى مكان ولادته بمنطقة مجاجة قرب مدينة شلف غرب الجزائر، أمّا تاريخ ولادته فكثير من المترجمين وقعوا في الخلط بينه وبين عبد الرحمن الفاسي وبروكلمان وابن شنب وغيرهم¹. كون المجاجي لم يستقر بمكان واحد، بل عاش متنقلا من مجاجة ثم تلمسان وبعدها إلى فاس، ولا ندري هل عاد منها أو لا؟.

وهنا يقول العلامة أبو رأس الناصري في كتابه " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ": " دخل الفقه الأعظم الأكرم سيدي أحمد بن القاضي أحد آباء صاحب المغارسة، وهو الذي ترجم لملوك الزيانيين بتلمسان في شأنه، وأشار إليهم بحربه ومناجزته. وكان هذا العالم من أهل بجاية وقد ذكره صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة، في نوازل النّكاح وما يتعلق بها، وبنوه، وإخوته وخولته، وقومه، هم الذين آووا الشيخ علي بهلول الرّماصي وأخذوا منه العلم الظاهر والباطن، ووقفوا عليه الأوقاف وبعد موته رضي الله عنه، خلفه ابنه محمد بن علي والشيخ أبو علي، فكان الشيخ عبد الرحمن صاحب المغارسة، أحد تلامذتهما نفعا بهم أجمعين..."².

يستتبط من هذا الكلام أن أصل المجاجي من بلاد القبائل، ثم بعد ذلك انتقلوا إلى مجاجة عند سقوط جيجل بيد العثمانيين، وهو أحد أحفاد أحمد بن القاضي شيخ إمارة كوكو وأحد تلاميذ ابن علي أبهلول المجاجي الوطاسي، كما ذكر أبو رأس وولادته أكيد في القرن 10 هـ³.

تعلم الشيخ المجاجي على يد شيوخ بلدته مجاجة، حيث تلقى فيها المبادئ الأولى الأساسية للعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى المرحلة الثانوية، حيث تعلّم على الشيخ أبهلول المجاجي، الذي ذكره أبو رأس الناصري سابقا: "العلوم المختلفة"، حيث كان يقصد الشيخ طلابه من الجزائر وتلمسان وفاس وغيرها⁴، وبعد ذلك انتقل إلى مدينة فاس، حيث تعلّم على يد شيوخها،

¹ - كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب ...، ج.2، المرجع السابق، ص 460.

² - أبي رأس الناصري، عجائب الأسفار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 1633، ورقة 25 و.

³ - الحفناوي، تعريف الخلف...، ج.2، المصدر السابق، 224، ينظر أيضا : قايتان دالفان ، المصدر السابق، ص 145.

⁴ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.2، المصدر السابق، ص 108.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

ثم ارتحل إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحجّ، وقام خلال هذه الرحلة بوصف مامرّ به في طريقه وذلك بقوله: "تشق الفياضي فدّفاً بعد فدّفاً، جبّالا وأعاراً وأرضاً وطيّاً، نجده يصف البيوت والآبار.

بعد أداء لفريضة الحجّ دخل إلى مصر وتزامن دخوله لمصر بمناسبة عاشوراء أول محرم سنة (1054هـ / 1653م)، فاحتفل بالمناسبة معهم وزار الجامع الأزهر وحضر المجالس عند شيوخه وعلمائه، مثل الشيخ علي الأجهوري، ثم عاد عبر ليبيا وتونس ووصف طبيعتها الخلابة، كما ذكر الطابع للمعماري لبعض مدن سواء بتونس وغيرها¹.

وأثناء رجوعه إلى الجزائر عبر مدينة غرداية وبسكرة، ويقول² عن بلاد الجزائر، من خلال رحلته المشهورة: " أتينا بلاد العلم والخير والتقى "، حيث خصّه أهله باستقبال عظيم، فهو الرّكب الذي شارك فيه المجاجي، يمثّل وسيلة لطالبي العلم، فمن خلاله يتعرفون على العلماء، ويستفيدون منهم، وينشرون الكتب كما يقومون بنسخها واستعارتها، وكان اهتمام المجاجي بذلك كبير، نجد هذا الركب وسيلة لنشر العلوم والتواصل الثقافي بين المناطق العربية³. ويعتبر فرصة الإطلاع على القضايا والآراء والمؤلفات الحديثة⁴.

كان للمجاجي مجلس عظيم يتهاافت عليه الطلاب من كل مكان يُلقى فيه صحيح البخاري، وجعل من مسجد عين البيضاء، مكانا يلقى فيه دروسه⁵، كما نال حظوة عند العثمانيين، بفضل مواقفه ضد الإسبان الغزاة لساحل الجزائر. وأثناء مجالسته لطلاب العلم تُنقل الأحاديث بطريقتين: إمّا قراءة الشيخ كما قالها النبي ﷺ وطالب يسمع، وهذه طريقة يعترض عليها الإمام أبو

¹ -عبد الرحمن بن محمد بن خروب المجاجي ، رحلة المجاجي ، تح: آل سيد الشيخ سعاد، ط.1، مركز جمعة المساجد الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2017م، ص ص 19-23.

² - لم يكن المجّاجي أميراً لركب هذا الحجّ رغم علمه ومشخته، بل كان عبد الكريم الفكون هو قائد ركب الحج. وكانت أسرته قد توارثت الإمارة. ينظر: عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663)، تح: الفاضلي سعيد والقرشي سليمان ، مج.1، دار السويدي ، الامارات العربية المتحدة، 2006م، ص 269.

³ - عبد الرحمن بن محمد بن خروب المجاجي ، المصدر السابق، ص 151.

⁴ - نفسه، ص 158.

⁵ - محمد بن مصطفى بن زرفة الدحاوي ، تلخيص الجمان من حياة الحيوان، تح: بوكعبير تقي الدين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران ، احمد بن بلة ، 2017م، ص 27.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

حنيفة، الذي يرى أن قراءة الطالب بحضور الشيخ أصح من الطريقة الأولى وهنا نجد الطالب يقول : " حدثني ، أخبرني ، أسمعني ، أو يقول سمعت، ... والطريقة الثانية الطالب يقرأ والشيخ يسمع، وهنا أغلب المحدثين ، يسمون ذلك بالعرض¹، وفي أيامنا هذه الطريقة أكثر استعمالا وعلى العموم وفي كلتا الطريقتين ، فإن الشيخ يعطي الطالب إجازة، يأذن له فيها برواية ذلك الحديث ، أو ذلك المجموع، بحيث يسرد سلسلة الرجال الذين عن طريقهم تلقى الحديث أو المجموع ،

ب- مؤلفاته:

لقد أحصينا ثلاثة مؤلفات للشيخ المجاجي، لكن قيمتها ومكانتها تضاهي الآلاف من الكتب وذلك الاعتماد عليها من طرف علماء وفقهاء وأدباء وهي:

- "التعريج والتبريج في ذكر المغارسة والتصبير والتوليج".
- "كليات في ضبط أسماء الرجال والنساء، الواقعة في صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك.

والكتاب الذي بين ثناياه، نحن بصدى دراسة الجوانب الدينية له "فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث، التي اختصرها الشيخ العارف بالله من صحيح البخاري".

إن رصيده العلمي يتمثل في علم الفقه والتصوف والتاريخ والفلك والأدب والسفر²، وإلى جانب التأليف اشتهر بالنسخ، حيث قام بنسخ العديد من القصائد والمؤلفات في السيرة كالثمائل المحمدية للترمذي، وشفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي³.

وحين شرع في تأليف كتبه، اعتمد المجاجي على مجموعة من المصادر التي أشار إليها صراحةً في مصنفاته، إما بذكر اسم الكتاب أو الإحالة إلى مؤلفه. وقد تنوعت هذه المصادر بين الفقهية والصوفية والحديثية، فنجدّه يستند إلى كتاب أبي زروق البرنسي، وإلى مصنفات الإمام

¹ - القاضي عياض، الإماع ، تح: سيد احمد صقر ، ط.1، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م، ص 69.

² - قايتان دالقان، المصدر السابق، ص 47.

³ - عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، رحلة المجاجي، المصدر السابق، ص 19.

السنوسي، وابن الصلاح، والإمام النووي، وابن مرزوق، وغيرهم من الأعلام الذين كان لهم بالغ الأثر في تكوينه العلمي والمنهجي.

توفي المجاجي سنة 1020هـ، ويُعدّ محمد البشير ظافر الأزهري هو الوحيد -فيما بلغنا - الذي تطرّق إلى وفاته، وذلك في كتابه "الياقوتة الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، حيث نقل خبره عن كتاب فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر، لمؤلفه العلامة المؤرخ الشيخ مصطفى بن فتح الله¹.

2- التعريف بالمخطوط ومضمونه:

يعتبر شرح العلامة الشيخ عبد الرحمن المجاجي الوطاسي على صحيح البخاري، من أعلى النفائس التي تعالج وتتطرق إلى علم الحديث². والمخطوط الذي بين أيدينا يُعدّ من بين النواذر التي تزرخ بها مكتبة بلقرد بوكعبر، وهو شاهد على غنى المخزون التراثي المحلي وثرائه. جاء هذا المخطوط في 584 ورقة، مما يدلّ على حجمه الكبير ومادته الغزيرة، ويمتاز بخصوصية واضحة تُميّزه عن المخطوطات السابقة، إذ لم يُكتب بخطّ الشيخ المجاجي نفسه، بل نُسخ بعناية ودقّة على يد الشيخ سي الطاهر المحفوطي، أحد كبار قضاة الأمير عبد القادر، ممّن عرفوا برجاحة العقل ورسوخ العلم. وقد تقلّد هذا الشيخ الجليل منصب القضاء بعد انتهاء الحكم العثماني في الجزائر، ما يُضفي على المخطوط بعداً تاريخياً وقيمة علمية مضاعفة.

يلاحظ أنّ المخطوط جاء مبتور الآخر، أي أنّ نهايته غير مكتملة، ومع ذلك فإنّ ما وصل إلينا منه كُتب بخطّ عربي جميل، تتجلّى فيه ملامح الدقة والمهارة، خصوصاً في رسم الحروف وضبط العلامات، والعناية بألف الوصل، وجرة الصلة، وتقدير ظواهر التسهيل، والإبدال، والتقليل، التي تُعدّ من سمات الترصين الكتابي في المخطوطات التراثية. ويبلغ معدّل الأسطر في الصفحة

¹ - محمد البشير ظافر الأزهري، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، مطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقة، مصر، ط.1، 1325هـ، ص 290.

² - علم الحديث : هو علم يُعرف به معاني كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويُعبّر عنه بالسُنّة. ويُفرّق به بين الرواية الصحيحة والضعيفة إلى غير ذلك. ولأئمة الحديث مصطلح يُسمى "علم مصطلح الحديث"، الذي يحتوي على ستة وثلاثين قسماً. ومن كتب الحديث المشهورة كتاب ابن جريج وكتاب الجامع الكبير للثوري. ينظر: قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 117.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الأولى ما بين 23 و 24 سطراً، وهو توزيع متناسق يعكس خبرة الناسخ. كما أن عناوينه والتوجيهات والتببيات خُطَّت بخط بارز نوعاً ما، يُسهِّل على القارئ التمييز بين المتن والهوامش، ويظهر وعي الناسخ بأهمية التنظيم البصري للنص، من خلال التمييز الواضح بين المتن والعناوين، مثل عبارة "الحمد لله" أو "قوله" أو حرف "الواو" ونحوها. وجاءت واستعملت فيه الألوان العديدة كالأزرق¹ والأحمر² والبنفسجي³ والبنّي، وهي ألوان تضيف على النص بُعداً جمالياً، وتُسهِّل عملية التصفح والتمييز بين المقاطع المختلفة.

من بهاء المخطوطات وأبهتها أن تفتتح بما يرضي الخالق ويبارك القول والعمل، وهكذا جاءت بداية هذه الدرة المخطوطة، حيث استهلّت بالبسملة، تليها الصلاة والسلام على سيدّ الخلق وخاتم المرسلين، محمد ﷺ. ثم انساب القلم بكلمات يغمرها التواضع وتعلوها مسحة من التذلل والرجاء، يقول فيها المؤلف: "يقول أفقر الورى وأحقّهم، وأعصاهم لربّه، وأصغرهم وأنجسهم، عبده وأخسهم، وأقلهم قدراً عنده، وأذلهم، وأكثرهم تكاسلاً: عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي، كان الله له، ورحمه، وغفر له ولوالديه. آمين آمين". إنها مقدّمة تعكس روح التواضع التي طبعت شخصية المؤلف، وتُظهر سمّاً من سمت العلماء الذين كانوا يرون أنفسهم على الدوام في حضرة الجلال الإلهي، فلا مجال فيها لادعاء أو كبر.

فمخطوط عبد الرحمن المجاجي يندرج ضمن علم الحديث، وقد بين فيه المصنّف، رحمه الله، مكانة هذا العلم الشريف، مبرزاً فضله وعلوّ شأنه بين سائر العلوم. ثم انتقل إلى بيان الدافع وراء تأليفه لهذا المصنّف، حيث يقول: "وكانت قراءة الحديث تحتاج إلى شروط جمة وتلزمها

آداب مهمة أعظمها الاحتراز من الخطأ في إعرابه ومن اللّحن في مضبوط ألفاظه فتحرّك من الغرام الساكن لضبط تلك الأماكن وإن لم أكن أهلاً: " للوقوف على تلك السّاحة ولا كنت قطّ ممن

¹ -الأزرق لأسماء الأعلام والتببيات.

² -الأحمر لنصوص الأحاديث.

³ -البنفسجي تكرر في كلمات " قلت " ، " قال " " وإن قلت " أما البني للشرح والتوضيح والتعليل.

يحسن تلك الساحة، لكنني حملتني على ذلك"¹. الغيرة الإيمانية وقادتني إلى تكلف النصحية الإسلامية...²

جاء المخطوط مقسماً إلى أبواب وفصول، على منهجية دقيقة وترتيب علمي متزن، يُيسر على القارئ التلقي والفهم. حيث تناول الباب الأول ذكر مناقب وخصائص كتاب الإمام البخاري، وقسمه المؤلف إلى ثلاثة فصول، على النحو الآتي:

- الفصل الأول: في ذكر سيرة الإمام البخاري، وزهده، وشمائله، وفضائله التي طبقت الآفاق.
- الفصل الثاني: في بيان مكان ولادته، ونشأته، وتحصيله لعلم الحديث، وما اتصل بذلك من رحلاته العلمية.
- الفصل الثالث: في ذكر أسرته، وما عُرف عن والديه من صلاح وتقوى، وفضل عائلته على مسيرته العلمية.

أما الباب الثاني، فقد خصّصه المؤلف للحديث عن علم الحديث الشريف وما يتعلّق به من مسائل وآداب، وقسمه إلى ستة فصول، وهي:

1. آداب المحدث، وما ينبغي أن يتحلّى به من صفات وأخلاق.
2. آداب طالب الحديث، وأسس التلقي والطلب.
3. كيفية رواية الحديث، وضوابط النقل والإسناد.
4. أشهر كتب الحديث، ومناهج التصنيف فيها.
5. بعض ألقاب الحديث، وما تدلّ عليه من مصطلحات خاصة بالمتقدمين.
6. المتابعة والشاهد، وتفصيل القول فيهما باعتبارهما من أدوات الترجيح والتوثيق.

¹ - عبد الرحمن المجاجي، فتح الباري....، المخطوط السابق، و 1 و .

² - نفسه، الورقة ، 58. و .

3-الحياة الدينية على ضوء المخطوط:

لقد أولى محدثو الجزائر، ولا سيما في بايلك الغرب، علم الحديث النبوي الشريف عناية فائقة واهتماماً بالغاً، إدراكاً منهم لمكانته المحورية في صيانة السنة النبوية المطهرة، وحفظها من التحريف والضياع. ولم يقتصر هذا الإهتمام على التلقي النظري، بل تجلّى في جهود علمية وعملية متكاملة، إذ رحل عدد كبير من العلماء إلى المشرق الإسلامي، وخاصة إلى الحواضر العلمية الكبرى مثل الحجاز ومصر والشام، والتقوا بأعلام المحدثين هناك، فنهلوا من معين علمهم، واستجازوهم، ونسخوا أمّهات كتب الحديث وعلومه، وعادوا بها إلى بلادهم يحملون كنوزاً معرفية ثمينة.

بذل هؤلاء العلماء جهوداً جبارة في نشر هذه المعارف بين طلبة العلم، فقاموا بتدريس كتب الحديث، وشرحوا معانيها شرحاً وافياً، وبيّنوا أحكامها واستنبطوا منها المسائل الفقهية، كما فسّروا ألفاظها الغريبة، وعرفّوا برجال الإسناد الواردين فيها، وناقشوا علل الروايات، ووازنوا بينها، وساهموا بذلك في إثراء المكتبة الحديثية الجزائرية بمصنفات وشروح وحواشٍ وتعليقات نفيسة.

لم تكن عنايتهم بكتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، وهو الكتاب الذي ظلّ مدار الفقه المالكي قرناً طويلة، بأقل من اهتمامهم بالصحيحين؛ صحيح البخاري وصحيح مسلم. فقد برزت منذ العصور الأولى للإسلام في بلاد المغرب الإسلامي، وفي الجزائر خاصة، نخبة من العلماء الذين نذروا أنفسهم لخدمة الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ، وواصلوا هذه الخدمة على مرّ العصور، جيلاً بعد جيل، حتى عصرنا الراهن.

وفي هذا السياق، يندرج المخطوط الذي بين أيدينا - وهو من تأليف العلامة المجاجي - بوصفه شاهداً علمياً مهماً على عناية علماء بايلك الغرب بعلم الحديث، وحرصهم على ترسيخه بين أبناء الأمة. ويُعدّ هذا المخطوط نموذجاً من النماذج التي تعبّر عن إسهام علماء المنطقة في شرح كتب الحديث، والتعريف بمصطلحاته، وإبراز مكانة الحديث النبوي في منظومة العلوم الإسلامية. ومن خلال هذا العمل، نسعى إلى تسليط الضوء على مظاهر هذا الاهتمام، وكشف

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

أوجه العناية التي أولاها العلماء لهذا العلم الشريف، ودراسة أثر هذا المخطوط في خدمة الحديث وعلومه في البيئة الثقافية والدينية لبائلك الغرب.

يعتبر الجامع الصحيح¹ للإمام البخاري، من أهم مصادر السنّة النبوية، كما يعدّ أصحّ الكتب وأوثقها بعد كتاب الله تعالى، كما اتفق عليه جلّ العلماء، ومما يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: "لا أعلم كتاباً في الأرض أكثر صواباً من كتاب مالك"، وهي شهادة عظيمة تُبرز مكانة هذا المذهب السنيّ المتين، الذي ساد وانتشر في ربوع المغرب الإسلامي.

ومن هذا المنطلق، نسعى في هذا المقام إلى الكشف عن أهمية هذا الصرح الديني والعلمي العريق في بايلك الغرب، مستنيرين في ذلك بما ورد في مخطوط المجاجي، الذي يعدّ مرآة صادقة تعكس الحضور الفقهي والعلمي للمذهب المالكي في تلك الربوع خلال حقبة تاريخية مفصلية.

أ-رواية الحديث بالبائلك قبل مجيء ووصول صحيح البخاري:

نجد أنه منذ سنوات عديدة اتجه علماء بايلك الغرب لدراسة التراث الإسلامي، الذي نعلم أنه في الغالب عبارة عن متطلبات شرعية تساهم إلى حدّ كبير في دراسة الأحكام الشرعية، فالعلماء اهتموا أولاً بالموطأ للإمام مالك²، ويُعدّ كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس أحد الكتب الحديثية التي نُقلت إلى الجزائر عموماً، وإلى بايلك الغرب على وجه الخصوص، حيث حظي باهتمام بالغ من قبل العلماء والطلبة على حدّ سواء. وقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في تشكيل البنية الفقهية والعلمية للمنطقة، إذ انتشر بشكل واسع بين حلقات الدرس والزوايا، وتداولته الأيدي نسخاً وقراءةً وشرحاً، حتى غدا من أبرز المراجع المعتمدة في دراسة الحديث والفقه المالكي على السواء.

¹ -يحتوي صحيح البخاري على تسعة مجلدات، وبوبت حادثة وفقاً للكتب والأبواب الفقهية، بحيث أصبح كتاباً للتشريع الإسلامي، وهو يضم: 7275 حديثاً.

² -الموطأ مالك: الموطأ هو كتاب لإمام دار الهجرة، مالك بن أنس بن مالك. عندما أراد الإمام مالك أن يؤلف كتابه، بقي متفكراً في الاسم الذي سيطلقه عليه. يقول: "نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: وطئ للناس هذا العلم، فسمي كتابه الموطأ." وقد شرح هذا الكتاب أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الباقي الزرقاني، الزرقاني. ينظر: القصة، في سير الاعلام النبلاء، ص 41. وينظر ايضاً: حلية الاولياء، ص 237، نقل عن قايتان دالفان، المصدر السابق، ص 20.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

والذي زاد انتشاره والاهتمام به هو المذهب المالكي، الذي كان سائدا في الجزائر إذ كان العلماء والفقهاء مقلدون للإمام مالك رحمه الله، ويرجع اختصاص أهل المنطقة الغربية للجزائر بالمذهب المالكي إلى رحلاتهم المتكررة إلى الحجاز قصد الحج إلى بيت الله الحرام، والمدينة يومئذ دار علم، وشيخهم حينها وإمامهم مالك عليه رحمة الله، وعزز هذا الاتباع لعلم الحجاز طابع البداوة الذي، كان عليه غالبا على أهل البايك الغربي، وكانوا بذلك أميل إلى أهل الحجاز لمناسبة البداوة، كما ذكر ابن خلدون¹. فأصبح المذهب المالكي تقريبا مذهب عهد الرستميين مذهب الجزائريين جميعا فقها واعتقادا فانتشرت منذ تلك الفترة.

من الأسباب الرئيسة أيضا نخبة من أبناء الجزائر الذين رحلوا إلى بلاد المشرق قصد الحج والرواية والتفقه، ونقلوا مختلف العلوم ونشروا بالبايلك الغربي، واستمر الإهتمام بالموطأ والعناية به لأنه الكتاب الأساس للمذهب، وبعدما انتشر بالجزائر واستقر، وصل الجامع الصحيح للبخاري إلى الجزائر².

ب- العمل بالصحيح البخاري في بايلك الغرب:

اهتم العلماء الجزائريون بصحيح البخاري حفظا وشرحا وتديسا³. فنجد تأليف المستشرق الفرنسي غايتان دالفان المعنون بالقول الأحوط يتطرق إلى العلماء الذين اهتموا بصحيح البخاري، فيذكر العلامة أبو رأس الناصري الذي له شرحين هما:

• الأول: "سماء النور الساري في شرح صحيح البخاري".

• الثاني: "السبيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري".

كما له تخريج على دلائل الخيرات ولعل هو الذي أشار إليه دالفان عندما قال: " مع تأليفه الذي وضعه في الحديث"⁴.

¹ - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 356.

² - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص ص 268-341.

³ - تقي الدين بوكعبير، صحيح البخاري وشروحه، المرجع السابق، ص 78.

⁴ - غايتان دالفان، المصدر السابق، ص 146.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

هذا بالإضافة إلى الإمام عبد الله محمد بن القاسم الأنصاري الرصاع وهو من أهل مدينة تلمسان (ت 894هـ)، وقد ألف كتاب التسهيل والتقريب وتصحيح الرواية الجامع الصحيح ونجد كذلك الإمام محمد بن يوسف السنوسي، الذي شرح جزء منه فقط، ونجد كذلك المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ت 581 هـ) صاحب الجمع بين الصحيحين، وكذلك الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي (ت 569هـ)، صاحب كتاب مطلع الأنوار على صحاح الآثار، حيث خصه لصحيح الموطأ ومشارك الأنوار للقاضي العياض¹، خصه لمسلم والبخاري، حيث قام من خلاله بجمع وضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، ونجد كذلك الشيخ أبو محمد الداودي التلمساني (ت 1271هـ)، الذي ولي قضاء تلمسان، حيث قام بشرحه لكن لم يكمله، ونجد كذلك محمد بن عبد الله الجيلالي وصاحب² مدرسة المحمدية الذي بناها الباي محمد الكبير، حيث تميز بمجلته الذي كان دائما مملوء بالطلبة والشيوخ³.

نستخلص من هذا أن علماء بايلك الغرب كانوا يعملون بالصحيح حفظاً وتدریساً، وهو ما يتجلى بوضوح فيما خلفوه من مخطوطات نفيسة. ومن بين الشواهد الدالة على ذلك ما ورد في مصنف السهام للشيخ محمد المشرفي، حيث يروي قصة معبرة عن مكانة الحديث الشريف في البيئة العلمية آنذاك، فيقول: "وقد تلقيت عن شيخنا السيد الحاج عمر بن سوده المزي أنه جالس يوماً السيد ابن عبد الله المذكور، فأفضى بهم الحديث إلى الحفظ، فقال شيخنا المذكور: إنه كان عندنا هنا بفاس بعض العلماء يحفظ صحيح البخاري. فقال الشيخ سيدي ابن عبد الله: فلا غرابة في ذلك، لأن كان عندكم بعض العلماء بهذه المثابة، فإنّ جلّ علمائنا على هذا. فقال: أو تحفظه؟ فقال: نعم. قال الشيخ: فأمرتُ بإحضار نسخته من صحيح البخاري من خزانة القرونين ونحن بها، فأحضرت، ففتحت الجزء الأول، وذكرت أول الحديث، فجعل يقرأ بسنده إلى آخره... فتحقّق عندي أنه يحفظ الصحيح بأسانيده، رحمه الله"⁴.

¹ - نسخ مخطوطاته في المتحف البريطاني والقاهرة وتوجد نسخة منه بجامعة القرويين، تحت رقم: 594-624-1641.

² - عبد الحي الكتاني، فهرس للفهارس...، المصدر السابق، ص 332-333.

³ - محمد مصطفى بن زرفة الدحاوي، تلخيص الجمان...، المصدر السابق، ص 227.

⁴ - تقي الدين بوكعب، صحيح البخاري وشروحه، المرجع السابق، ص 26.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

بالاطلاع على بعض أوراق المخطوط الذي هو قيد التحقيق، والذي يعود للمؤلف المجاجي، تبين لنا - مع التزامنا بالأمانة العلمية - أن ما وصلنا لا يمثل كامل المتن، بل هو مقتطفات محدودة منه، غير أنها كافية لتظهر ملامح المنهج الذي اعتمده المجاجي في تدوينه، ودقته في الوصف والسرد والتحليل.

لقد بدا واضحاً من خلال هذه الصفحات أن المجاجي أولى سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إهتماماً بالغاً، حيث جاءت معالجته لتفاصيلها مفعمة بالدقة والتبجيل، ومؤطرة بمسحة دينية وروحية لا تخفى على القارئ المتأمل. ومن أبرز المواضع التي تناولها المؤلف بإسهاب، وصفه الدقيق للحظة نزول الوحي على النبي الكريم ﷺ، وكيف تجلّى ذلك من خلال لقاء جبريل عليه السلام به، حيث أبدع المجاجي في رسم المشهد الأول للوحي بأسلوب بياني يتسم بالرهبة والسكينة معاً.

كما أفرد المؤلف مساحة وافية لوصف الحالة النفسية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم إثر هذا الحدث الجلل، مستشهداً بالحديث الشريف الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين دخل عليها وهو يرتجف ويقول: "زملوني زملوني"، فصور المجاجي هذا الموقف بلمسة وجدانية مؤثرة، معتمداً على النقل والتفسير والتأويل، ومبرزاً من خلال ذلك تعاطف أم المؤمنين وحنوها، في لحظة مفصلية من بعثته الشريفة.

لم يكتف المجاجي بنقل الحدث فحسب، بل عمد إلى التوسع في ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، متناولاً نسبها، ونشأتها، ومكانتها في بيت النبوة، ودورها في رواية الحديث، وهو ما شكّل جزءاً معتبراً من المخطوط، حيث امتدّ هذا التناول المفصل من الورقة (75) إلى الورقة (96)، في سرد غني بالمعلومات التاريخية والروحية.

انتقل المجاجي، بعد هذه المعالجة السردية، إلى الشقّ الحديثي من عمله، حيث خصّص حيزاً مهماً لشرح الأحاديث النبوية، معتمداً في ذلك أسلوباً يقوم على ترجمة الصحابي الراوي

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا للحديث، ليمهد بذلك لفهم أفضل لمضمون الحديث وسياقه، ومبرزاً العلاقة بين الراوي والمروي، في إطار منهجي يتسم بالترتيب والدقة والاستقصاء.

ج- علم الحديث:

عرف العهد العثماني بعهد السنة، حيث دوّنت فيه السنة وعلومها تدوينا كاملا، وقد خطا التأليف خطوة أخرى على أيدي علماء الجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة، فقد عمل البعض على جمع الأحاديث التي رواها الصحابة رضي الله عنهم، فألفوا مخطوطات جمعوا فيها هذا العلم، وكان لصحيح البخاري اهتمام كبير لدى علماء بايلك الغرب على غرار أبي رأس الناصري والمجاعي وغيرهم¹.

- الباب الثاني من المقدمة في ذكر فصول تتعلق بعلم الحديث:

- الفصل الأول: في الكلام على معرفة آداب المحدثين:

استهلّ المجاعي هذا الفصل بالتنويه إلى المكانة السامية التي يحتلها علم الحديث في منظومة العلوم الشرعية، مبيناً أن الاشتغال به لا يليق إلا بمن تركى في الظاهر والباطن، وتهذب بأخلاق العلماء، وتخلق بآداب حملة الحديث النبوي. ويبدأ بعرض جملة من الأئمة الذين استقى من معينهم العلمي، وفي مقدمتهم العالم الحافظ المتقن، تقي الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح، الذي كان له أثر ظاهر في توجيه مسار التأليف في هذا الفن.

ثم يمهّد المجاعي للقول، مقدّماً له بكلام يدلّ على سعة إطلاعه، وحسن تبويبه، وحرصه على ترتيب المسائل على وفق ما جرى عليه عمل أهل الحديث، فيقول: " تغمده الله من كتابه الذي ألفه في فنون علم الحديث في النوع السابع والعشرين منه "².

¹ - عبد الرحمن المجاعي، فتح الباري....، المخطوط السابق ، ورقة 112 ، و .

² - نفسه ، ورقة 113 ، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

بعد أن يُبرز مكانة الحديث، يستأنف المجاجي تناوله لهذا العلم الجليل، مبيناً أنه من أشرف العلوم وأزكاها، إذ يليق بأصحاب المروءات ومكارم الأخلاق، ويتناغم مع محاسن الطباع ونبل السجايا، في حين أنه ينأى كل النأي عن سفاف الأخلاق ورديء الخلال، ولا ينسجم مع من شانت شمائلهم أو ساءت أخلاقهم.

ثم يتابع وصفه لهذا العلم، كاشفاً عن جوانب من جلاله وفضله وسموه في ميزان الشريعة والعقل: " أنه علم من علوم الآخرة لا من علوم الدنيا فمن أراد التصدي لسماع الحديث والإفادة لشيء منه فليقدم تصحيح النية وإخلاصها، وتطهير قلبه من الأغراض الدنيوية، وأدناسيها وليحذر بنية حب الرياسة وروعونتها".

ومن هذا المنطلق يواصل المجاجي بيانحول حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في سياق يُبرز فيه القيمة الدينية لهذا المخطوط، إذ لم يقتصر فيه على الجمع والنقل، بل جعله وسيلة لتحبيب الناس، وخصوصاً الطلبة، في زيارة الأماكن المقدسة، وعلى رأسها مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد لاحظنا توسّعه الملحوظ في الحديث عن فضل زيارة قبر الرسول ﷺ، حيث خصّص لذلك الباب الخامس من مؤلفه، مبيناً ما في هذه الزيارة من تعظيم لشعائر الله، وربطٍ روحي بين الأمة ونبينا الكريم.

أورد المجاجي في هذا الباب عدداً كبيراً من الأحاديث النبوية التي تدل على فضل هذا المقام الشريف، ومن أبرزها قوله ﷺ: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري"، وهو حديث عظيم في دلالته، متين في إسناده، دعه المجاجي بأسانيده متعددة، منها ما رواه عن الإمام الطبري، ومنها ما عزاه إلى المازري، مما يدل على رسوخه في علم الرواية، وحرصه على التوثيق المعتمد على أئمة الحديث.

وعلى هذا الأساس، يُدرج المؤلف نصّ هذا المخطوط على فضل الإشتغال بطلب الحديث، ويبين منزلته العالية بين سائر الأعمال، مستنداً إلى أقوال الأئمة وجلة من الروايات المأثورة، حيث يقول المجاجي: "ورويناً عن سفيان حديثاً قال: ما أعلى عملاً هو أفضل من طلب الحديث، لما

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

أراد الله به خيراً"، وهو قولٌ عظيم يدلّ على ما في هذا الفن من شرف، وعلى أن إرادة الخير بالعبد تُستدلّ بسعيه في طلب الحديث النبوي وحفظه ونشره.

يواصل المجاجي عرض مروياته، فيُورد أسماء من الصحابة الذين نقلوا الأحاديث، وكأنه يسعى إلى تعريف الطالب والمهتم بهذا العلم بمصادره الأولى، والرجال الذين حملوه للأمة جيلاً بعد جيل. كما يذكر جماعة من التابعين وأئمة الحديث، كعبد الله بن المبارك، وأبي جعفر، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ممّن كان لهم أثر مشهود في خدمة السنة.

ويبرز المجاجي أثر الإشتغال بذكر الصالحين، فيقول إن الله تعالى يُنزل رحمته عند ذكرهم، ويجعل من حولهم مظنةً للتيسير والتوفيق، ويأخذ بالنفوس إلى التخلّق بالأخلاق الزكية، والتحلي بالآداب المرضية.

ثم ينتقل إلى الحديث عن طالب العلم، فيؤكد أن من اشتغل بأمور الدين ينبغي أن يكون من خير الناس وأفضلهم سيرة، ويستشهد بما روي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، حيث يقول: "أنه قيل له: أيرحل الرجل في طلب العلم؟ فقال: بلى والله، يستعمل ما يسمعه من الأحاديث بالصلاة والتسبيح وغيرها من الأعمال الصالحة." وهو كلام يعبر عن منهج متكامل لا يفصل بين العلم والعمل، بل يجعلهما متلازمين في طريق الهداية والنجاة.¹

ومما تقدّم يتّضح لنا جلياً وضوح القيمة العلمية والروحية التي حظي بها علم الحديث والسنة النبوية الشريفة في بايلك الغرب إبّان العهد العثماني، فقد كان لهذا العلم مكانة راسخة في قلوب العلماء والطلبة، تُترجمها تلك المخطوطات التي ألّفها وجمعها أهل العلم، والتي شكّلت دعامة أساسية في حفظ الحديث الشريف وتداوله، جيلاً بعد جيل.

ولم تقتصر هذه الجهود على التدوين فحسب، بل كانت هذه المخطوطات أدوات تعليم وتكوين، تُدرّس للطلبة وتُتناقل بين المهتمّين، مما ساهم في ترسيخ منهج أهل السنة والحديث في

¹ - عبد الرحمن المجاجي، فتح الباري....، المخطوط السابق، الورقة 113، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الجهة الغربية من الجزائر. ويأتي "صحيح البخاري" في طليعة المؤلفات التي نالت عناية فائقة، حيث أُحيط بالشرح والتقييد والإسناد، وأصبح محوراَ للدروس والقراءة والمجالس العلمية، وهو ما يدلّ على عمق الارتباط بين علماء تلك الجهة وميراث النبوة الذي حفظته الصدور والسطور على حد سواء.

ويمكن القول، في ضوء هذه الأوراق القليلة، إنّ المجاجي قدّم عملاً علمياً غنياً ومتكاملاً، يجمع بين السيرة والحديث، وبين الترجمة والتحليل، في أسلوب مطعمّ بالبعد الروحي والمعرفي، مما يجعل من مخطوطه هذا مرجعاً ثميناً ينتظر أن يُستكمل تحقيقه ليستفيد منه الباحثون في مجالات السيرة النبوية والدراسات الحديثية والتاريخ الإسلامي.

ثالثا : مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير للشيخ أبو رأس الناصري.

1-التعريف بصاحب المخطوط:

أ-مولادته ونشأته:

هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن ناصر الراشدي أبو رأس الناصري المعسكري المازوني، ولد عام (1150هـ / 1751م)، بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري في بيئة فقيرة، ممن بيت علم وصلاح، ونشأ في بيت كرم وتقوى، حيث لعبت أسرته دورا هاما في حياته الثقافية والاجتماعية¹.

كان والده عالما فقيها ولغويا، وقد حفظ القرآن الكريم على يد أبيه وهو في سن الثامنة، مات أبوه فكفله أخوه عبد القادرالذي بعثه إلى زاوية القيطنة، ثم توجه إلى مازونة واتصل بعلمائها². توفي رحمه الله يوم 15 شعبان 1238هـ الموافق 27 أفريل 1827م عن سن تجاوز فيها التسعين، ودفن بمعسكرولا يزال مزاره إلى اليوم مشهوراً ويتبرك به³.

ب- شيوخه:

تتلمذ عدد كبير على يد أبي رأس الناصري ومن مختلف المذاهب والمشارب، حتى أنه ألف في ذلك ما سماه " لبّ أفيأخي في عدة أشياخي"، وأشار إلى بعضهم في كتابه " فتح الإله".

ومن أبرزهم:

¹-لحشر عبد القادر بن مليود بن محمد بن لحشر الزحاف، إفاقة الإحاسيس عن ماجهل من علماء غريس، مخطوط موجود بمكتبة بلقرد بوكعبر، معسكر، الورقة 08 ، ظ.

²-أبو قاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص 168.

³-بلهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص 13.

- 1- الشيخ أبو المكارم وأبو الطاهر عبد القادر بن عبد الله المشرفي (ت 1192هـ/1778م) وهو من كبار شيوخ أبي رأس الناصري صاحب كتاب: " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانين من الأعراب كبنى عامر"، الذي شارك في مقاومته الإسبان بمدينة وهران¹.
- 2- عثمان بن عبد الله النجدي الحنبلي(ت 1290هـ) صاحب كتاب: " المجد في تاريخ نجد" أشار له أبو رأس بقوله عثمان الحنبلي².
- 3- عبد الله بن حجازي الشرقاوي الأزهرى الشافعي(ت 1228هـ) صاحب الكتب النافعة منها. "فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي"³.
- 4- الإمام محمد بن محمد مرتضى الزبيدي أبو الفيض(ت 1205هـ) الحنفي صاحب التأليف الشهيرة منها: "إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين " وكتاب "تاج العروس في شرح القاموس" أخذ عنه أبو رأس الناصري بعضا من البخاري وبعضا من مسلم وبع من الرسالة القشيرية، أي سماعا وأجازه الزبيدي في الباقي.
- 5- محمد بن محمد بن أحمد عبد القادر السنباي الأزهرى المشهور بالأمير (ت 1232هـ) المالكي صاحب الشروح، والحواشي الفقهية واللغوية والكتب الجيدة منها كتب المجموع وشرحه⁴.
- 6- الشيخ محمد الصادق بن أفغول وكان من بين أهم شيوخ العلامة أبي رأس الناصري، حيث قال عنه: " انتهت إليه رئاسة التدريس، وشدت إليه الرحال من زاوة وغريس"⁵.

ج- تلامذته:

لقد كان الحافظ أبو رأس الناصري علامة عصره في جميع العلوم، فلا غرابة أن يتتلمذ على يديه عدد هائل من الطلبة، حيث يقول في هذا الصدد: " حتى اجتمع عندي في بعض السنين سبعمائة وثمانون طالبا"، نذكر منهم:

¹-الزركلي، الأعلام، ج.1، المصدر السابق، ص 70.

²- أبو رأس الناصري، فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 85.

³-لقد ترجم له أبو رأس الناصري في كتابه " فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 61.

⁴-الحفاوي محمد، أعلام الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ص 365.

⁵-أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 20.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

1- الشيخ بن عبد القادر السنوسي بن عبد الله بن دحو بن زرفة¹، حيث أفرد الشيخ أبو رأس بتدريس الفقه في حلقة خاصة لما اكتظ المسجد بالطلبة².

2- الشيخ السيد بن عبد الله المشرفي، حفيد الشيخ عبد القادر المشرفي كان عالما فقيها وكان ممن وقّع وثيقة مبايعة الأمير عبد القادر³.

3- الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي، كان كاتباً عند الباي محمد بن عثمان، كما عيّن مساعداً لرباط ايفري بوهراي خلال الحصار الثاني عليها عام 1792م، وقد كلفه الباي بتسجيل حوادث الفتح كلها فسجلها، وجمعها في كتاب سماه: " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"⁴.

فالعلامة أبو رأس تخرج على يده عدد لا يحصى من العلماء كالشيخ سيدي عبد الله السقاط المشرفي، الشيخ سيدي عبد القادر المزيل الشيخ سيدي محمد المهاجي وغيرهم.

د - رحلاته:

قام أبو رأس الناصري بعدة رحلات في الجزائر وخارجها، وهكذا زار الجزائر العاصمة سنة 1789م، فاستقبله علماؤها وأعيانها منهم أحمد بن عامر⁵ ومحمد بن قادم فكان له مناصرة فابهر مستقبله لما له من قدر وكفاءة وغيرة علم، وتوجه إلى مدرسة مازونة الذي قال عنها: " ثم سافرت أول صومي لمازونة"⁶، كذلك سافر إلى قسنطينة حيث التقى بالشيخ عبد الكريم محمد فكون وأبي العباس والشيخ محمد العباسي⁷.

¹ - أبو رأس الناصري، إسماع الأصم وشفاء السقم....، المصدر السابق، ص 23.

² - أبو رأس الناصري، فتح الإله....، المصدر السابق، ص 73.

³ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر....، المرجع السابق، ص 232.

⁴ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 34.

⁵ - أبو رأس الناصري، فتح الإله....، المصدر السابق، ص 109.

⁶ - يقول أبو رأس عن هذه الرحلة: "استضافني الفقيه محمد بن مالك، وجمع عليّ العلماء، فتمادوا في سؤالي أسئلة صعبة وعظيمة. فتفاوضنا فيها مفاوضة كبيرة حتى قرب الفجر." ينظر: أبو رأس الناصري، فتح الإله....، المصدر السابق، ص 91.

⁷ - المصدر نفسه، ص 98-99.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

أما رحلاته خارج الجزائر فكانت بدايتها إلى مدينة فاس سنة 1801م، حيث اجتمع بعض علمائها كالشيخ الطيب بن كيران¹ وحظي باستقبال السلطان المولى سليمان وجرت له مناظرات مع العلماء، ولقب بشيخ الإسلام وحافظ المغرب الأوسط².

ثم ذهب إلى تونس فاستقبل من طرف باي بن حمودة باشا، بكل احترام واجتمع عليه العلماء والشعراء، وخطب فيهم فكان مشهودا³، كما نزل في تونس عند شيخها المفتي محمد بن المحجوب⁴ وواصل رحلته إلى طرابلس (ليبيا) ومنها إلى الإسكندرية، حيث التقى بشيخه الإمام اللغوي والمحدث وصاحب التصانيف الشهيرة المرتضى الزبيدي، فقرأ عليه واستجازه فأجازه في الصحيحين وغيرها من الكتب. وكان كل ما حلّ ببلد إلاّ وسبقه خبره، وبعد ذلك ارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ولقي هناك الشيخ عصمان الحنبلي وقرأ عليه المذهب⁵ الحنبلي⁶.

وكانت له مناظرات مع بعض شيوخ الوهابية في الحرمين، ثم كانت له رحلات أخرى للشام، حيث ناقش بعض علمائها في قضية الحبس حيث رجحوا إلى رأيه، ثم حلّ إلى الرملة إحدى مدن فلسطين، حيث لقي مفتيها وعلمائها فاجتمع بهم وناقشهم قول قضية الدخان والقهوة، ثم توجه إلى غزة، حيث زار قبر هاشم الجدّ الثالث للرسول ﷺ، وناظرا علماءها وناقشهم ثم توجه إلى العريش⁷.

العريش⁷.

¹ - أبو رأس الناصري ، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 102.

² - لحرش عبد القادر، المخطوط السابق، ورقة 23.

³ - نفسه ، ورقة 24 ، و .

⁴ - أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 109.

⁵ - تعد هذه الحجة الثانية للشيخ أبي رأس الناصري، سنة (1226هـ/1811م).

⁶ - أبو رأس الناصر، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 116.

⁷ - نفسه، ص 120.

يُرى لنا من خلال هذه الرّحلات قوة علم أبي رأس الناصري واعتزازه به، حيث كان يناظر أينما حلّ ونزل ولاشكّ أنّ هذه الرّحلات أكسبت أبا رأس الناصري رصيذا علميا كثيقا وأربطته علاقة وطيدة بالسلطة العثمانية ببابلك الغرب¹.

هـ-مصنفاته:

كثيرة هي تآليف الشيخ وكان الحامل له على الاعتزاز بها، حتى قال عن نفسه أنّه لا يعلم أحد أكثر تآليفا منه إلّا ما كان من السيوطي². وقال الشيخ بن بكار المعسكري: " بلغت مؤلفاته الفائقة نحو مائة واثنين وثلانين تآليفا³. ولقد أحصيت للشيخ 136 كتابا أهمّها: "عجائب الأسفار وطرائف الأخبار"، الذي يعدّ مصدرا هامّا يستمدّ منه المعاصرون بحوثهم.

يذكر الشيخ أبو رأس الناصري في كتابه فتح الإله قائمةً بعددٍ من مؤلفاته التي ألفها حتى ذلك الحين، وقد بلغت - كما نصّ هو نفسه - ستين كتاباً. وهذا العدد، وإن كان كبيراً في حدّ ذاته، فإنّه لا يعكس بالضرورة مجمل إنتاجه العلمي، بل يدل - من وجهٍ آخر - على أن كتاب فتح الإله لم يكن من أواخر ما خطّه يراع الشيخ، وإنما كان من جملة ما ألفه في إحدى مراحل عطائه، إذ ترجّح الشواهد والدلائل أن الشيخ قد واصل التآليف بعد ذلك، وأضاف إلى رصيده العلمي كتباً ومصنفات أخرى، ما يدل على استمرارية نشاطه العلمي والفكري، وعلى امتداد تجربته التأليفية عبر مراحل زمنية متعددة. ومن هنا، فإن فتح الإله يُعدّ شاهداً على جزء من مسيرته لا على نهايتها، ودليلاً على حيوية قلمه وغازة عطائه الذي لم ينقطع عند حدود هذا المؤلّف.

الوقوف على مؤلفات الشيخ أبي رأس الناصري يكشف بوضوح عن تنوع الفنون والعلوم التي طرقها، ويبين سعة اطلاعه وتعدد معارفه، فقد كتب في علوم شتى، شملت التآليف، والحديث، وأصول الفقه، والفقه المالكي، والمنطق، واللغة، والتصوف، وعلم الكلام، والتاريخ،

¹ - كانت للشيخ أبي رأس علاقة وثيقة بالباي محمد بن عثمان، حيث كان صديقه وشاركه في فتح مدينة وهران عام 1792م. كما بنى له صديقه الباي مصطفى مسجداً، يحتوي على غرفة تُسمى "بيت المذاهب الأربعة"، وتضم أكثر من 3000 مجلد، حيث كان يدرّس فيها لحوالي 780 طالباً في معسكر. ينظر: لحرش عبد القادر، المخطوط السابق، ورقة 10 ، و.

² - أبو رأس الناصري، فتح الإله....، المصدر السابق، ص 182.

³ - بلهاسمي بن بكار، كتاب مجموع الحسب والنسب ، مطبعة بن خلدون ، تلمسان، 1961، ص 13.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا والأنساب، والرسم القرآني، والطب، وغيرها من المجالات التي قلّ أن يجتمع لها نظير في مؤلف واحد.

-ومن بين هذه المؤلفات، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- مجموع البحرين
- الطراز على نظم الخراز في الرسم
- الدرر اللوامع
- مفاتيح الجنة وإسنادها في اختلاف العلماء في معناها
- المدارك في ترتيب فقه مالك
- شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس
- تفسير القرآن
- زهرة الشماريخ في علم التاريخ
- حاشية المكودي على ألفية ابن مالك
- الحل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية
- درّ السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة
- مروج الذهب في نبذ من النسب
- درة الشقاوة في حرب درقاوة¹.

وتُظهر هذه العناوين مدى عمق المعرفة التي كان يتحلّى بها الشيخ، وسعة اهتماماته التي تجاوزت حدود العلوم الشرعية إلى علوم اللغة، والتاريخ، والأنساب، بل وحتى الطب والرسم القرآني. ويُعدّ هذا التنوّع في التأليف دليلاً على موسوعية فكر الشيخ أبي رأس الناصري، وعلى غزارة إنتاجه العلمي الذي يُعدّ مصدراً ثميناً للباحثين في مجالات شتى.

¹ - "ظهرت فرقة صوفية تائرة على الحكم العثماني، وذلك بسبب انتشار الظلم في تلك الفترة. وعلى ما يبدو، كان أبو رأس يؤيد الوجود العثماني في الجزائر."

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

من أقوال العلماء في الشيخ أبي رأس الناصري قال الشيخ السنوسي الحجاوي وهو أحد طلبته: كان شيخنا حافظ عصره وإمام قطره الشائع عنه أنه لا يزيد على أمره في مطالعة الدرس لما منحه الله من سيلان الذهب وسعة خاطر¹.

وقال عنه صاحب مخطوط الإنصاف: " هو حبر الذي تلاطمته بالطائف أمواجه والعنصر الذي إمتلات بالمعارف أودجه والطود الذي سالت بأعناق الفضائل فجابه، قد تنسم نورة العلوم وإمتطاه، وأخذ الكمالات عن الكمل وأعطاه، وارتفع بهمة عالية أعلى المناصب، ولا ينكر فضله إلا ناصبي ناصب². كما قال عنه العربي المشرفي صاحب كتاب: " ذخيرة الأواخر " ما يلي: " وكانت للشيخ أبي رأس الناصري اليد الطولى في التاريخ العربي والعجمي، من أول الدنيا إلى آخرها، وكان في علم الفروع آية، وفي السيرة النبوية والتاريخ حافظا وحجة رحمه الله "3.

و-العقبات التي واجهت العلامة أبي رأس الناصري:

إن أبا رأس الناصري امتحن مرتين في حياته في المرة الأولى أثناء حروب درقاوة (1803-1816م)، حيث قال: " ثم عمّتنا فتنة درقاوة، وإن لم نكن فيها، كما قال الشيخ عامر الشعيّ للحجاج، " وقد خطبتنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة. ولا أقوياء فجرة. فاتصلت علينا أواصر النكبات والبلايا من الخوف والجوع والورع الذي في الفؤاد مودوع. وقد ناداني لسان الحال، يقول دع الدفاتر لزمان الفاتر فطرحت الكتب بمتروك مكان، واستمرّ عليها النسيان حتى نسجت عليها عناكب الهجران "4.

وأما المحنة الثانية، فكانت أشدّ وقعاً وأعمق أثرا، إذ نشبت بسبب تأليف صنفه الشيخ في علم الأنساب، تناول فيه مسألة حساسة تتعلق بنسبة بعض القبائل أو العائلات في إحدى المناطق إلى

¹ - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج.3، ص547.

² - بن أبي طالب الحسني ، الإنصاف في نصرة نجل الحفاف ورد إعتراضات السفاسف ، مخطوط مصور بمكتبة نقي الدين بوكبر، معسكر، الورقة 3، ظ.

³ - العربي بن علي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول فيما يتنظم من أخبار الدول، تع: عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ، 2001، ص 04.

⁴ - إبن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى...، المصدر السابق، ص 47.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الجانب النبوي الشريف. وقد جاء في هذا التأليف نفي صريح لتلك النسبة، ما أثار حفيظة من كانت نسبتهم موضع تشكيك، وأشعل نار الخصومة بينهم وبين المؤلف، إذ عدّ ذلك مساساً بمكانة اجتماعية ودينية مترسخة، واعتداءً - في نظرهم - على شرف الانتماء إلى بيت النبوة الطاهر.

وقد ترتّب عن هذا الموقف العلمي الذي اتّخذه الشيخ ما يشبه العاصفة من السخط والاعتراض، بلغت حدّ المحنة، إذ واجه من جرّائها كثيراً من النقد وربما التضييق، لا شيء إلاّ لأنّه قدّم رأياً علمياً يستند إلى التدقيق والتوثيق، متحرراً من العاطفة، ومسترشداً بمقاييس علم النسب وأصوله، في وقت كانت فيه الحساسية تجاه النسب النبوي في أعلى درجاتها.

لعلّ هذه المحنة تُعدّ دليلاً آخر على جرأة الشيخ في قول الحق، وصلابة موقفه في الدفاع عن الحقيقة، مهما كانت العواقب، ومهما بلغت شدة الاعتراضات. وأهل تلك المنطقة كانوا يُعرفون بالشرف ممّا أدّى إلى غضبهم وحرق كتبه وفي ذلك يقول صاحب: " القول الأحوط ": بعد موته بأمد حصل له نقض عند أهل الراشدية وسببه أنّه ألف كتاباً في النسب وصحّح فيه من هو شريف من غيره فحصل الإنكار بذلك¹.

2-التعريف بالمخطوط ومضمونه ومنهجه.

يعدّ كتاب "الإبريز والإكسير في علم التفسير" من بين الدرر العلمية الثمينة التي خلفها الشيخ أبو رأس الناصري، والتي تشهد على سعة اطلاعه، ودقة نظره، وحسن منهجه في تناول علوم القرآن الكريم. وهو من المؤلفات التي تدلّ على نضج فكره وغزارة علمه، وتُعدّ بحقّ شاهداً على إسهامه في علم التفسير في البيئة المغاربية.

غير أنّ الأقدار شاءت أن يتعرض هذا المؤلف، كسائر تراث الشيخ، لمحن التشتت والضياع، حيث فقد معظمه، كما ضاعت رسائل ومصنفات أخرى له، بلغ عددها - حسب ما تمّ إحصاؤه 136 - مؤلفاً، لم يبقَ منها سوى نسخ نادرة، وفرادات متناثرة هنا وهناك. ومن تلك

¹-قائتان دلفان، المصدر السابق، ص 103.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

النوادر التي حالفنا التوفيق في الوقوف عليها، هذه النسخة الخطية من الإبريز والإكسير، المحفوظة ضمن رصيد المخطوطات بمكتبة بلقرد بوكعبر، والتي اعتمدناها في هذه الدراسة.

تتكوّن هذه النسخة من 74 ورقة (لوحة)، وتحمل على صدرها - أي في اللوحة الأولى - عنوان المؤلف مكتوباً بخط المؤلف نفسه، حيث جاء فيه قوله :سميته الإبريز والإكسير في علم التفسير، متجنباً فيه الإطناب المملّ، والاختصار المخلّ".

يُستفاد من هذه العبارة أنّ الشيخ كان واعياً لأهمية التّوازن في العرض العلمي، مجانباً التّطويل المملّ الذي قد يذهب بالتركيز، ومتحرّزاً من الإيجاز المخلّ الذي يطمس المعنى ويضيع المقصد، وهو ما يدلّ على حسن تبويبه، وحرصه على وضوح المعنى وجلاء المقصود في تناول النّص القرآني. كما يبرز هذا المنهج وسطية الشيخ في التّأليف، وتقديره لاحتياجات القارئ والمتلقّي، سواء كان طالب علم أو عالماً متمرساً.

نجد هذه النسخة في حالة جيّدة أوراقها كاملة، لا تعاني من البتر أو التّلف فهذا المخطوط الذي بين أيدينا يشمل تفسير قرابة جزأين¹، ويذكر لنا أبو القاسم سعد الله حول منهج الكتابة: "ومما عرفناه عن أبي رأس النّاصري نستطيع أن نحكم بأنّ تفسيره سيكون محشواً باستطراد الأخبار والإعراب والحكايات ونحوها".

ويذكر كذلك أنّ عبارات العلامة أبو رأس الناصري كانت سهلة، وألفاظه قريبة من العامّة. أمّا التفسير في حدّ ذاته فقد يكون مقتصرًا فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستبطاء والتّفرّع، ومهما يكن فإنّ تفسير أبي رأس يذكر المرء بتفسير الثعالبي، لأنّ كليهما كان يجمع الزهد مع العلم، كما كانا في فترة اضطربت فيها الأحوال السياسية في البلاد، فضلاً عن تقارب حجم تفسيرهما².

¹ - أبو رأس الناصري، الإبريز والإكسير...، المخطوط السابق، ورقة 1، و .

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج.2، المرجع السابق، ص 19.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

لم يكن من المؤلف في البيئة العلمية لعلماء الجزائر - ولا سيما في بايلك الغرب - أن يُقدّم العلماء على تفسير كامل للقرآن الكريم، غير أنّ أبا رأس الناصري كسر هذه القاعدة، وارتقى إلى مقام رفيع بين المفسرين، حيث نال شرف تفسير كتاب الله كاملاً، وهو إنجاز قلّ أن يتكرر، وضع اسمه إلى جانب نخبة من كبار المفسرين في الغرب الإسلامي، أمثال الثعالبي، والشوشاوي، والمجاعي، وغيرهم ممن ختموا مسيرتهم العلمية بتفسير الذكر الحكيم.

تميز تفسيره بجملة من الخصائص التي تدلّ على عمق تكوينه وتنوّع معارفه، من أبرزها تنوع مصادره التي اقتبس منها، والتي اتسمت بالأصالة، وسلامة المضمون، وغنى المحتوى. فقد أحسن المؤلف الاستفادة منها، فاستخرج منها ما يخدم غرضه التفسيري، وانتقى منها ما يلائم السياق، فكان انتقاءه علمياً دقيقاً، بعيداً عن الحشو أو التقليد الأعمى.

ولم يقتصر تفسيره على بيان المعاني الظاهرة، بل اشتمل أيضاً على تنبيهات عقديّة، وتأمّلات فقهية، ولمحات تاريخية، وإشارات لغوية وبلاغية، تتمّ جميعها عن عمق الفهم ودقة النظر. وقد أضفى هذا التنوع على التفسير مسحة شمولية، تجعله مصدراً غنياً للباحثين والمهتمين بمختلف العلوم الشرعية واللغوية. وفمن يقرأ تفسير أبي رأس لا يكاد يعدم فائدة، ولا يخلو له موضع من قاعدة، أو لطيفة، أو توجيه علمي رصين، مما جعله بحق علامة بارزة في التراث التفسيري المغاربي.

أضف إلى ذلك عناية العلماء بروايته والحرص على نقله، وقد نصّ على خبر ذلك الكتاني حيث قال: " كما وبكلّ أسف لم نتصل به بإسناد عمومي، ولكن في نحو الفقه والتفسير بإسناد محقق، نعم نروي عن أبي اليسر المهنودي عن الأستاذ أبي رأس عنه، والغالب على الظن أن الأستاذ السنوسي لا يعقل استجازته عامة ¹."

¹-الكتاني، أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، تح: نور الهدى عبد الكتاني، مركز التراث الثقافي المغربي، دار بن حزم، 1998، ص 321.

يظهر من خلال المخطوط أن أسلوب أبي رأس الناصري يمتاز بالسهولة والوضوح، مما يجعله قريباً من فهم القارئ، ومناسباً لشرح معاني القرآن دون تعقيد. وتكمن أهمية هذا الأسلوب في خدمة كتاب الله وتيسير فهمه، فضلاً عن إحياء التراث العلمي الجزائري. وقد سَمَّى المؤلف هذا المخطوط أيضاً بـ "الإبريز والإكسير في علم التفسير"، وهو إسم يدل على قيمة العمل ومكانته العلمية: " بمجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير"¹.

جاء في هذا المصنّف لأبي رأس الناصري توظيف لبعض الألفاظ العامية، مما يعكس توجهه نحو تبسيط المعاني وتقريبها من المتلقي. ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ² قال: فأبصر واستدف تحبون الموت ولا نحبا نحن؟ فقال له: أنتم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم فكيف تحبون الانتقال من دار عامرة إلى دار خراب، ونحن عمرنا آخرتنا وخربنا دنيانا فنحبا الانتقال للعمارة من الخراب"، فذكر كلمة استدف باللغة العامة.³ أثناء طريقة العرض يبدأ أبو رأس الناصري بتقديم تعريف لعلم التفسير وبين الفرق بينه وبين التأويل⁴.

ثم يشرع الشيخ العلامة أبو رأس الناصري في تفسير البسمة بإيجاز واضح، يبين فيه معانيها الأساسية دون إطالة مملة، ثم ينتقل إلى تفسير سورة الفاتحة، باعتبارها أم الكتاب، ومفتاح القرآن، ومجمع أصول العقيدة والعبادة، فيعرض لمعانيها بأسلوب ميسر جامع بين اللغة والمعنى.

بعد ذلك، يبدأ في تفسير سورة البقرة، حيث يسير آيةً آيةً، متناولاً الجوانب العقيدية والتشريعية والبيانية فيها، حتى يبلغ الآية 137 من السورة، وهي قول الله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾⁵، فيتوقف عندها، وكأنه أراد أن يجعل منها خاتمة لما وصل إليه من التفسير، لما تحمله من معانٍ عميقة في التوكل على الله، والثقة بنصره، والاكتفاء به سبحانه في مواجهة الخصوم والأعداء.

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 179.

² - البقرة، الآية: 17.

³ - أبو رأس الناصري، الإبريز و الإكسير ...، المخطوط السابق، ورقة 25، و.

⁴ - نفسه، ورقة 01، و.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 137.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وبلاحظ أنّ توقفه عند هذه الآية قد يكون له دلالاته الخاصة، سواء من الناحية العلمية أو النفسية أو حتى التاريخية، إذ قد يكون مرتبطاً بظروف تأليف المخطوط أو بانشغالات الشيخ في تلك الفترة، مما يجعل الآية وقفة تأمل لا خاتمة عادية.

- قيمته العلمية:

إنّ العلماء الجزائريين لم ينقطعوا قطّ عن الإشتغال بالقرآن الكريم، حفظاً وتدبراً، درساً وتفسيراً، بل ظلّ ارتباطهم به متيناً في جميع الأحوال، سواء في أوقات السلم والاستقرار أو في ظروف الحرب والاضطراب، فكانوا على الدوام يحملون مشعل الهداية، ويعترفون من معين القرآن الذي لا ينضب.

من أبرز التفسيرات التي أخرجها بايلك الغرب تفسير العلامة أبي رأس الناصري العسكري، وهو تفسير جدير بالعناية، جدير بأن يُدرس ويُقرأ، لما يتضمّنه من عمق علمي وتنوّع معرفي، ولما يحويه من ذخائر فكرية ثمينة.

وقد صاغ فيه أبو رأس خلاصة آرائه، ومجموعة من اختياراته في مسائل شتّى، بدءاً من التفسير اللغوي والبلاغي، وانتهاء بتوجيه القراءات، جامعاً فيه بين مذاهب مختلفة ومدارس متنوعة، مما يضيف على عمله صبغة موسوعية متميّزة. ومما يلاحظ على هذا التفسير أنّه من المختصرات النافعة، لا من المطوّلات المملة، فهو بعيد عن الإطناب المفرط، ومنزه عن الحشو والارتجال والاستطرادات الخارجة عن مقصد التفسير.

لقد اهتمّ المؤلّف اهتماماً بالغاً بالمعاني اللغوية للآيات، وتوسّع في إيراد الإعراب وتوجيهه، معتمداً على أمهات كتب النحو واللغة، كما أولى عناية فائقة بالقراءات القرآنية، فبين الأوجه المختارة عند القراء، كما هو ظاهر في تفسيره لسورة الفاتحة، حيث أشار إلى الأوجه السبعة المشهورة، واكتفى بذكر السبعة أيضاً في سورة البقرة، ملتزماً بالمنهج التوثيقي والاختياري الدقيق.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

لم يغفل أبو رأس البعد التاريخي في تفسيره، بل ضمّنه إشارات تاريخية ثرية، خصوصاً حين يتعلّق السياق بذكر الأمم الغابرة، فأوقف القارئ عند مآلاتهم، وذكر أحوالهم، وبين تراجمهم، وأوضح أماكن سكناهم، وسجّل الأزمنة التي عاشوا فيها، فجمع في تفسيره بين المعارف الدينية والعلوم الإنسانية، مما يجعل من تفسيره مرآة صادقة لثقافة عصره، ونتاجاً علمياً يُعتدّ به في ميدان الدراسات القرآنية في الجزائر¹.

كما امتاز الكاتب بشيء، من الدراسات الفقهية، وأشار إلى بعض الفقهاء من المذهب المالكي وخارجه، لأنه كان ضليعاً في الفقه على المذاهب الأربعة عموماً، والفقه المالكي خصوصاً، بل وكان له مدرسة في معسكر مخصّصة لذلك².

كل ذلك يعبر عنه بقوله: "وقد طالما خطر في المخاطر، المسن في اللهو استبيان، وقد اعتمد في التفسير على البيضاوي والخفاجي وابن جزّي، والسيوطي والطبري وأبوحيان وغيرهم، وذكر أسماء الكتب التي اعتمد عليها وهي: "أنوار التنزيل للبيضاوي"، والتسهيل لابن جزّي" و"الجلالين للسيوطي"، كما اعتمد على كتب الأخبار، فنجدّه يعتمد على النقل المجرد من التحميص والنقد كما اعتمد على تاريخ ابن خلدون ناقلاً: " من كتاب العبر"³ وكانت عناية أبي رأس بالقرآن وتفسيره كبيرة، حيث سنة العلماء منذ القدم.

نجد هذا الصرح الثمين يعرفنا على المفسرين والفقهاء والمحدثين في تلك الفترة لذلك فهو مصدر ثمين لمعرفة أمهات الكتب في ثنياء يقول : " انظر شرحنا لدلائل الخيرات ويقصد به كتابه المعروف بـ " الآيات البيّنات في شرح دلائل الخيرات " ، كما أنّه لم يتطرق إلى تفسير الآيات فقط بل سبقه بسبب نزول الآية في حدّ ذاتها ، كما تقمّص دور الشارح بامتيّاز، فمثلاً تطرق لأسماء

¹ - وذلك بإعتماده على كتب التاريخ خاصة ابن خلدون .

² - قايتان دالقان، المخطوط السابق، ص 102.

³ - إسمه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الملائكة على غرار جبرائيل وميكائيل وإسرافيل " وكون أبو رأس الناصري أديب أبدع في قضايا اللغة والبلاغة¹، حيث امتاز أسلوبه باستعمال اللغة الدقيقة السهلة الواضحة.

تدلّ القيمة العلمية لهذا التأليف على أهميته البالغة، وهو ما جعل له عدة عناوين مختلفة، وقد ظهرت في هذا السياق تباينات حول نسبة هذه الكتب. ففي كتابه "فتح الإله"، صرح أبو رأس الناصري بأنه كان يفسّر عشرين حزباً في كل سفر، بينما ورد في شمس المعارف أنه كان يفسّر خمسة عشر حزباً فقط في كل سفر. وقد جاءت عناوين تلك المؤلفات على النحو الآتي:

- الإبريز والإكسير في علم التفسير
- الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز.
- إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمان والتكلم مع صاحب عمدة البيان.
- السيوف القوامع في شرح الدرر اللوامع.
- إزالة الألغاز في شرح الدرر اللوامع.
- توضيح المعاني في شرح حرز الأمان.
- إعانة القدير في شرح النشر والتيسير.
- تكميل التبيان في ضبط الجواهر الحسان.
- تذييل الإتيان في أحكام القرآن.
- فتح المنان في ترتيب نزول القرآن.
- سرّ الرحمن في جمع القرآن، وسبب جمعه على هذا المنوال².

وعند الانتقال إلى معرفة سبب تأليف هذا المخطوط يقول العلامة أبو رأس الناصري: " وغاية الغرض من هذا التأليف نفع نفيس لا غير، وأقدم لها ما هو من الأعمال خير". ونجد من خلال ذلك بروز الدافع الشخصي للكتابة، من أجل طلب العلم والتعليم، فلم يطلب من أحد الكتابة

¹ - أبو رأس، الإبريز والإكسير... المخطوط السابق، الورقة، 42 و 43، ظ.

² - تقي الدين أبو كعب، تفسير سورة الفاتحة للشيخ أبي رأس الناصري من خلال مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير، ألفا للوثائق، الجزائر، 2002م، ص ص 139-140.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

على غرار مؤلف الرماصي، وتبرز قيمة التّواضع في شخصيته عندما يقول: " فيظبطني عن هذه المنية المرجاة كون بضاعتي في التفسير مزجاة"¹.

من خلال كتاب الإبريز تتجلّى أماننا القيمة العلمية السّامية للعلامة أبي رأس الناصري، حيث نلمس بوضوح تميزه في علم التفسير، تميّزاً ينبع من قريحة فكرية وقّادة، لا من مجرد التّلمذ التقليدي على الشيوخ. فقد تجلّى نبوغه في هذا الفن لا نتيجة الحضور في مجالس المناظرات أو الاستماع للمحاضرات، وإنما بفعل جهد فردي خالص، ومطالعة موسوعية واعية.

يُعدّ كتابه "فتح الإله" خير شاهد على هذا المسار العلمي الاستثنائي، فعند التأمّل في قائمة شيوخه التي أوردها، لا نجد من بينهم علماء بارزين في علم التفسير، مما يدل دلالة لا لبس فيها على أن العلامة أبا رأس قد ارتقى في مدارج هذا العلم بذاته، معتمداً على مطالعة أمهات كتب التفسير، وسابراً أغوارها بفكر نقدي وتحليلي دقيق.

وهذا ما يبرز طابعه الاستقلالي في التعلّم، ويؤكد أنّ بروز اسمه في علم التفسير لم يكن وليد التلقين، بل ثمرة اجتهاد شخصي دؤوب، ومثابرة علمية جعلته يحجز له مكانة مرموقة بين أعلام الفكر التفسيري في بايلك الغرب، في عصر قلّ فيه أمثاله ممن يجمعون بين سعة الاطلاع وعمق الفهم.

أما المصادر التي اعتمد عليها في التّأليف ذكرها بنفسه في المقدمة وهي:

- البحر المحيط لأبي حيان التوحيد.
- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي.
- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للقاضي البيضاوي.
- كتاب المحور المجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية الأندلسي.

¹ - تقي الدين أبو كعبر، تفسير سورة ...، المرجع السابق، ص 139.

- تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.
- كتاب كشف الكشاف للإمام عبد الرحمن القزويني، بالإضافة إلى تفسير البيضاوي، تفسير ابن جزّي الغرناطي، تفسير الجلالين وحاشية الخفاجي على شفا القاضي عياض.¹
- 3-الحياة الدينية على ضوء مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري:

تجدر الإشارة إلى أننا لن نتطرق إلى جميع جوانب الحياة الدينية على ضوء المخطوط نظرا لضخامة المخطوط وتشعبه لذلك ارتأينا أن نأخذ نماذج لمعالجتها:

أ- مفهوم التفسير والتأويل عند أبي رأس الناصري:

حرص المؤرخون والعلماء الجزائريون على التطرق لمعنى التفسير، ولعلّ ما دعاهم إلى ذلك وردّ كلمة التأويل في القرآن الكريم قريبة من المعاني السابقة للتفسير في نحو قوله تعالى: ﴿آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾².

وقوله على لسان صاحب موسى: ﴿سَأُنَبِّكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾³. ويعرّف عالم التفسير المستشرق الفرنسي غايتان: " صاحب القول الأحوط " أنه التبيين لغة، أمّا اصطلاحاً فهو بيان معاني القرآن الكريم، بما هو مأثور عن النبي ﷺ ، أو الصحابة أو التابعين وإستخراج أحكامه وحكمه.

في مخطوط الإبريز يعرف التفسير على أنه مأخوذ من الفسر في اللغة، وهو الكشف والإبانة، أمّا أول تفسير ألف في الإسلام فنجد اختلافا في الآراء، حيث نجد الشاطبي في شرحه للمباحث الأصلية: " هو تفسير ابن عباس الذي ألفه أصحابه مجاهد وعطاء "⁴. أمّا الحافظ أبو

¹-عبد الفتاح عبد الله بركة ،مبادئ الأخلاق الصوفية وأثرها في الحضارة الإسلامية ، دار الإمام الرازي للنشر والتوزيع ،القاهرة ، 1900م، ص 04.

²-سورة يوسف، آية : 101.

³-سورة الكهف، آية : 78.

⁴-غايتان دالفان، المصدر السابق، ص 64.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

رأس الناصري في تفسيره "الإبريز" يقول: " أول من صنف في التفسير الإمام مالك جعله بالإسناد على طريق الموطأ"¹.

ب-عناية أبي رأس الناصري بالقرآن وتفسيره:

لقد جاء تفسير أبي رأس الناصري زاخراً بالكنوز العلمية، ومشحوناً بالذخائر المعرفية، حيث جمع فيه خلاصة فكرٍ واسع، وتجربة علمية غنية، فكان بحقّ مرآةً تعكس عمق ثقافته، وسعة اطلاعه، وتنوع مصادره. تميز هذا التفسير بتنوّع نقولاته التي استقاها من أقوال الصحابة والتابعين، مستنداً في ذلك إلى ما توفّر له من روايات مأثورة وآثار معتبرة، الأمر الذي أكسب تفسيره طابعاً شمولياً يزواج بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المستتير.

وقد استعان أبو رأس في تفسيره على ما أوتي من مواهب فطرية، وملكات لغوية سليمة، نشأ عليها واكتسبها من بيئته العربية الصافية، فكان يفسّر الآيات بعين العالم المدقّق، وذوق الأديب المتأمل، ولسان العربيّ المبين. كما أفاد من محفوظاته الواسعة، ومما استقاه من مشايخه الذين تلقّى عنهم العلم، والذين كانوا موزعين بين المشرق والمغرب، فكان بذلك حلقة وصل بين مدارس التفسير المختلفة، يجمع بينها ويوفّق، دون أن يُغلب مدرسة على أخرى.

كتب أبو رأس تفسيره هذا وفق ما يستحضره من معاني، وما يستلهمه من تدبّره للنص القرآني، وما يستنبطه من دلالات عميقة، تتمّ عن نضج فكري وبصيرة نافذة. فكان تأليفه ثمرة تأمل وعبادة، ومزيجاً من الفهم الحيّ للنص والتنزيل، والرؤية الشخصية العميقة التي أضفاها عليه بطابعه الخاص.

من أقوال أولئك الذين ركبوا سفينة هذا العلم، الذي ترعرع في زمان النبي ﷺ قبل أن يشتدّ عوده ويتقوى فيما بعد، ساق أبو رأس الناصري في مقدّمة الأوائل من العلماء والقراء والحفاظ الذين شرفهم الله بالسبق في هذا الفن¹.

¹-أبو رأس الناصري ، الإبريز والإكسير....، المخطوط السابق، الورقة ، 4، 5، ظ، و.

ج- نظرة أبي رأس الناصري لأول من جمع القرآن:

يرى أبو رأس الناصري أن أول من جمع القرآن الكريم هو الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد بنى هذا الرأي على خلفية الخلاف المشهور بين العلماء حول تحديد أول من تولى جمع القرآن: هل هو أبو بكر، أم عمر، أم علي رضي الله عنهم جميعاً؟.

يُشير أبو رأس إلى هذا الخلاف قائلاً إنَّ سبب ترجيحه لأبي بكر يعود إلى ما نُقل عن الإمام ابن كثير، حيث ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد طلب آية من كتاب الله، فقيل له: إنها كانت مع فلان وقد قُتل يوم اليمامة. عندها قال عمر: "إن الله قد أمر بجمع القرآن"، فكان هذا الموقف دافعاً لجمعه في مصحف. ومن هنا نُقل أن أبا بكر هو أول من أمر بجمعه رسمياً في مصحف واحد.

مع أن هذا الأثر يُعد منقطعاً من حيث الإسناد، نظراً لانقطاع في سلسلة روايته، إلا أن مضمونه ينسجم مع الوقائع التاريخية التي تشير إلى أن مبادرة الجمع بدأت في عهد أبي بكر، بعد استشارة عمر، ثم تطوّرت لاحقاً في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يوصل أبو رأس الناصري حديثه عن مسألة جمع القرآن، مستعرضاً آراء العلماء والمحدثين، ومن بينهم الحسن البصري، الذي يُذكر في بعض الروايات مع هذه القضية، مع أنه لم يدرك زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولهذا فقد علّق الحافظ ابن حجر على المسألة بتعليل بين ووجهيه، فقال: "فإن كان محفوظاً، جمع على أن المراد بقوله: فكان أول من جمعه، أي أشار بجمعه في خلافة أبي بكر الصديق، فنُسب الجمع إليه كذلك"².

¹-أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي بغداد، روح المعاني المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص 102.

²-أبو رأس الناصري، الإبريز والإكسير....، المخطوط السابق، ورقة 12، و .

يُشير المخطوط أيضاً إلى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد اعترف بفضل أبي بكر في جمع القرآن، وذلك في الحديث الذي أخرجه ابن أبي داود في كتابه "المصاحف"، حيث قال: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمه الله."

وهذا الاعتراف من علي رضي الله عنه يُعدّ دليلاً قوياً على أن الجمع الأول للقرآن الكريم قد تمّ بمبادرة من أبي بكر الصديق، وبمشورة عمر، مما يعكس إجماعاً ضمناً بين كبار الصحابة على هذا الدور المحوري لأبي بكر، وهو ما تنبّاه أبو رأس في تفسيره وأكدّه من خلال النقول الدقيقة عن أهل العلم.

د - تفسيره لسورة الفاتحة:

استهلّ الحافظ أبو رأس الناصري تفسيره لسورة الفاتحة بالحديث عن فضل الحمد والشكر لله عزّ وجلّ، مبيناً مكانتهما العظيمة في الدين، ومبرزاً أثرهما في تهذيب النفس ودوام النعمة، ويقول في هذا السياق: "سميت بأَمّ القرآن وسميت إماماً لها، لأنها أصله ومنشؤه وأساسه لما تضمنته من المعاني الثلاثة التي هي أصول مقاصد القرآن على الوجه الإجمالي: أولها ثناء، ووسطها تعبد، وآخرها وعد ووعد، ثم يصير ذلك مفصلاً في سائر السور، فكانت منها بمنزلة مَكّة من سائر القرى، لأن الأرض دُحيت من تحتها، فشأنها أن تسمى أم القرآن، كما سميت مَكّة بأَمّ القرى، وتسمى أيضاً "فاتحة الكتاب" لأنها مُفَتِّحُهُ ومبدؤه وأيضاً "بالسبع المثاني"، "لأنها سبع آيات باتفاقاً لأنّ الشافعي يعدّ البسملة آية منها"¹. وتظهر صوفية أبي رأس الناصري في تفسيره وهذا ما يعكس ميله للتصوّف وهو يدقق في معاني كلمات الكفر والإيمان واليقين².

عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾³، يروي المجاجي واقعة جرت في مجلس علمي حضره بجامع الجزائر الأعظم، فيقول: "فقلت بحضرة مجلسه بجامع

¹-الناصرى، الإبريز والإكسير....، المخطوط السابق، الورقة 5، ظ.

²-موصدق خديجة، "مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري المعسكري"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، مج.5، ع.6، 2009، ص 201.

³- سورة الفاتحة، آية: 07.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الجزائر الأعظم: لم لا التفات؟! فهذا الأسلوب انتقل من خطاب المخاطب إلى الغيبة؟، أي أن الآية ابتدأت بضمير الخطاب "أنعمت عليهم"، ثم تحول السياق إلى الغيبة "غير المغضوب عليهم"، دون أن يقال: "غير الذين غضبت عليهم".

ويُجيب المجابي عن ذلك بما فتح الله عليه به، قائلاً: فوقفت، ثم قلت - والله أعلم - إن هذا من جهة الأدب؛ لأن النعمة خطاب مباشر من الله تعالى، يناسبه التوجه، وأما الغضب فلا يليق أن ينسب إليه مباشرة، تأدباً وتعظيماً.

ويعضد هذا التفسير بما أورده أبو رأس الناصري في تفسيره، إذ يستشهد بآيات أخرى من القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾¹، وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾²، حيث يُعلّق قائلاً: "لم لم يقل: أمرضني؟! بل قال: وإذا مرضت، تأدباً، مع أن المرض والشفاء كلاهما من الله وحده." ومثل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾³. لم يقل: ومن عصاك، بل جاء السياق بلفظ الغيبة، تأدباً وتنزيهاً. ويعلّق أبو رأس الناصري على هذه الأساليب القرآنية قائلاً: "هذه من دقائق التعبير في القرآن الكريم، التي لا يقدر عليها البشر، وهي من وجوه بلاغته وأسرار نظمه المعجز"⁴.

هـ - شذرات من تفسير لسورة البقرة:

بالاعتماد على ما سبق من عرضٍ لمنهجه في تأويل الآيات ومراعاته لبلاغة التعبير القرآني، ننتقل إلى مظهر آخر من مظاهر تميز أبي رأس الناصري، وهو اجتهاده في تفسير سورة البقرة، حيث بدا تفسيره لهذه السورة مثلاً للتحقيق والإبداع. فقد ارتقى هذا التفسير مرتقى خاصاً، تميز فيه بأسلوب تحريري متفرد، لم يكن تابعاً لأقوال العلماء على وجه التقليد، ولا مجرد تحشية

¹ - سورة الشعراء، آية 78.

² - سورة الشعراء، آية: 80.

³ - سورة إبراهيم، آية : 36.

⁴ - أبو رأس الناصري، الإبريز والإكسير...، المخطوط السابق، ورقة 36، و .

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

على أصل مشهور، أو اختصار لعمل ذائع، كما جرت العادة في تقييدات كثير من أهل عصره من حواشٍ ومختصرات وتعليقات.

خرج الشيخ أبو رأس الناصري بتأليفه عن هذا النمط المكرور، فصاغ تفسيره في قالب يجمع بين التدقيق العلمي والإنشاء البياني، على غير مثالٍ سابق، مستنبطاً المعاني، محللاً للألفاظ، مخالفاً عند الحاجة، مناقشاً للرأي، محاوراً للطرح، ومعارضاً للمألوف إن اقتضى البيان، مما أضفى على عمله مسحة اجتهدية تظهر قوته في التحرير وجراته في التفسير.

وقد بنى هذا العمل على مصادر متنوعة تميّزت بالأصالة والسلامة، واستطاع أن يوظفها توظيفاً علمياً رصيناً، مقتبساً منها ما ينسجم مع السياق ويخدم الغرض، مبتعداً عن الحشو والتكرار، مما يبرز مهارته في التعامل مع النصوص واختياره الذكي لمواطن الاستشهاد.

ومما يزيد سورة البقرة بهاءً وشرفاً، أنها اشتملت على لطائف عقدية، وفقهيات دقيقة، ومسائل تاريخية موثقة، إلى جانب إشراقات لغوية، وأسرار بيانية بديعة، تعكس مدى عمقها وثرائها، وتجعلها ميداناً خصباً لاستخراج الفوائد والقواعد المتنوعة، على اختلاف مجالاتها ومقاصدها. فهي بحق، سورة جامعة، لا يكاد يمرّ القارئ أو الطالب أو الباحث على آياتها، إلا ويظفر بدرر من المعاني، وقواعد منضبطة، وتببيها نافعة، سواء في باب العقيدة، أو الفقه، أو اللغة، أو البلاغة.

وهنا تتجلى الأهمية الدينية والعلمية الكبرى لهذا المخطوط التفسيري الذي اعتنى فيه الشيخ أبو رأس الناصري بسورة البقرة، خاصة في سياق بايلك الغرب الجزائري، حيث نال هذا التفسير عناية فائقة من العلماء والطلبة والنُساخ، لما حواه من علم، وما حمله من منهج، حتى حرصوا على نقله، وتداوله، والاعتماد عليه في مجالس الدرس والتعليم.

وقد أشار إلى هذه العناية العلامة محمد الكتاني، في قوله: كما أنا - للأسف - لم نتصل به بإسنادٍ عمومي، ولكن في نحو الفقه والتفسير بإسنادٍ محقق، نعم، تُروى عن أبي اليسر

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

المهنودي، عن الأستاذ ابن السنوسي، تفسير الشيخ أبي رأس عنه، والغالب على الظن أن الأستاذ السنوسي لا يُغفل استجازته عامّة¹ ولو صحت هذه الرواية الخاصة، فإنّ الشيخ أبا رأس الناصري يُعدّ من العلماء الذين اشتغلوا بتدريس علم التفسير، ولم يقتصر عطاؤه فيه على التدوين فقط، بل بلغ هذا العلم مشافهة، وحرص على ختم تفسيره شفها في مجالس التعليم، مما يدلّ على عمق تمكنه فيه، وعلى دوره الفعّال في نشر هذا العلم بين طلبة بايلك الغرب ومريديه.

يفتح الشيخ أبو رأس الناصري تفسير سورة البقرة، بالإشارة كونها من السور المدنية، أي من السور التي نزلت على النبي ﷺ بالمدينة المنورة بعد الهجرة، وهي بذلك تنتمي إلى المرحلة التشريعية من الوحي، التي تميزت بكثرة الأحكام والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ويشير المفسر إلى أن عدد آياتها هو مئة وسبعة وثمانون آية²، معدوداً على طريقته في العدّ، وقد درج في مقدمة تفسيره على تقديم تعريف شامل بالسورة، متناولاً اسمها، وسبب تسميتها، والظروف العامة التي نزلت فيها. كما لا يغفل ذكر سبب النزول، لما له من أهمية في فهم السياق العام للآيات، مما يعكس حرصه على تقديم تفسير يقوم على الإحاطة بجوانب السورة قبل الخوض في بيان ألفاظها ومعانيها.

ويرتهن أبو رأس الناصري في تفسيره إلى أقوال العلماء في كل مسألة من مسائل السورة، معتمداً أسلوباً حوارياً يظهر جلياً من خلال استعماله لعبارات مثل: "قلت"، "قال"، "قيل"، "فالجواب"³. وهي عبارات تُبرز الطابع النقاشي والتحليلي لتفسيره. فمخطوطه لم يقتصر على مجرد عرض للأحداث أو نقلٍ تقريريّ، بل جاء تفسيره قائماً على طرح المسألة، ثم بيان الاحتمالات الواردة فيها، ومناقشة أوجهها العلمية واللغوية. ويولي اهتماماً خاصاً بعلم القراءات، حيث يستعرض أوجه القراءة المختلفة للآية، مستنداً على ذلك بما يدعمه من أبيات الشعر، وموظفاً علوم البلاغة من مجاز، واستعارة، وبيان، فضلاً عن علم النحو.

¹ - أبو رأس الناصري، فتح الإله....، المصدر السابق، ص 151.

² - أبو رأس الناصري، الأبريز والإكسير... المخطوط السابق، ورقة 12، ظ.

³ - ينظر الملحق رقم 12 و 13، ص ص 355-356.

ومن النماذج التي أوردها الدالة على هذا التوجه، قوله:

وَأُعْجِبُ لِلْمَرْءِ مَعَ عِلْمِهِ *** أَنْ لِيَالِي عُمَرِهِ سَارِيَّةً¹.

إذ يوظف هذا البيت لإبراز معنى بلاغي يعمق الفهم القرآني، ويعكس مدى استحضاره للأدب واللغة في خدمة التفسير.

ويتطرق في الورقة 41 إلى موضوع الإسرائيليات، مُعَقِّباً ومُفسِّراً، وموارداً لأقوال السابقين وأحاديثهم في هذا الباب، متناولاً ذلك بنوع من التحليل والتمحيص. ومن المسائل التي عرضها في هذا السياق، ما يتعلق بلغات آدم عليه السلام، حيث قال: " إِنَّ اللّسانَ الأوّلَ عربي وهو لغة آدم، وإن كان الله علمه اثنتين وسبعين لغة أخرى، ولما أكل من الشجرة تكلم بالسريانية، ولما تاب ردت إليه العربية، وجرت في بنيه إلى أن تبلبلت الألسنة بعد الطوفان². وهذا القول يعكس إهتمام المفسر بنقل الروايات التي وردت في التفاسير السابقة، مع الإشارة إلى مصادرها، بما يوسع أفق القارئ، ويُمكِّنه من الإطلاع على إختلاف المرويات في هذا الشأن. والراجح أنه ليس عشوائياً ولا منعزلاً عن نهج المؤلف، بل هو متصل برغبته في استقصاء الأقوال، وبيان التعدد في الروايات، ما يبرز دقته في جمع المادة العلمية، وسعيه إلى تتبع الأسانيد والآراء المختلفة، بما يمنح تفسيره طابعاً موسوعياً وتحليلياً في آنٍ معاً.

ولا شك أن هذا العرض الموجز لا يُمكن أن يفي بحق هذا التفسير، ولا أن يحيط بما بذله أبو رأس الناصري من جهد في شرحه لسورة البقرة، إذ وقف عند كل لفظة منها وقفة تحليل وتأمل، جامعاً بين الفهم اللغوي، والامتداد التاريخي، والتفسير البياني، ما جعل من عمله هذا مرجعاً معتبراً في بايلك الغرب الجزائري، وعمدة يعتمد عليها طلبة العلم والمهتمون بالتفسير وعلوم القرآن في تلك الربوع.

¹ - أبو رأس الناصري ، الإبريز والإكسير...، المخطوط السابق، ورقة 35، ظ.

² - نفسه ، الورقة 41، و.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وبعد هذه الرحلة المعرفية التفسيرية، التي عرّفنا بجانب من شخصية الإمام أبي رأس الناصري، وكتابه الموسوم بـ "الإبريز والإكسير في علم التفسير"، تكشف لنا جانب آخر من عبقريته العلمية، يتكامل مع ما عُرِف به من تميّز في الفقه والتاريخ والأدب، ألا وهو البعد التفسيري الذي تميّز بسعة الإطلاع، وعمق الفهم، وبعد النظر، وإتساع أدوات التحليل، ما يجعله بحق من كبار المفسرين الذين أنجبتهم تلمسان في العصر العثماني.

ولعلّ من اللازم في هذا المقام أن أهمس في أذن الباحثين المهتمين بالتراث المخطوط، أن يُولوا عناية خاصة بهذا السفر العلمي النادر، وأن يسارعوا إلى التنقيب عن بقية أجزائه المفقودة، إذ إن هذه النسخة الوحيدة - حسبما وصل إلينا - تتوقف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾¹.

وإن دلّ هذا التوقف على شيء، فإنما يدل على أن ما ضاع من هذا التفسير لا يقل أهمية عما وصل إلينا منه، بل ربّما كان حاوياً لمباحث أخرى تزخر بجواهر معرفية ولطائف تفسيرية لم تُدرك بعد، وهو ما يزيد في مسؤوليتنا البحثية والعلمية في تتبع بقية أجزائه المفقودة وهو ما يستدعي من أهل العلم ومراكز البحث بذل المزيد من الجهد في إستكمال هذا العمل، حفظاً لتراث علمي جزائري أصيل يكاد أن يطوى في طيات النسيان.

يُعدّ هذا التفسير بحق من الإضافات النوعية في مجال التفسير القرآني، لما يحتوي عليه من مضمون علمي راقٍ، يجمع بين روح التراث وعمق الاجتهاد. فهو ليس مجرد تجميع لأقوال السلف من المفسرين، بل هو عمل اجتهادي واعٍ، قدّم فيه الشيخ أبو رأس الناصري خلاصة منتقاة من أبرز التفاسير السابقة، ثم أضاف إليها من آرائه وفهمه ما يعكس شخصيته العلمية المستقلة، وإطلاعه الواسع على علوم القرآن، واللغة، والبلاغة، والفقه. وهذا ما يجعل تفسيره محل اعتبار وتقدير، ويؤهله ليكون من المصادر التي يعتدّ بها في الدراسات التفسيرية، ويجعل من صاحبه أحد أبرز علماء عصره الذين تركوا أثراً بيّناً في ميدان التفسير.

¹ -سورة البقرة، الآية: 137.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجاً

تُقضي بنا هذه الدراسة إلى نتيجة بالغة الأهمية، وهي أن علم التفسير كان حاضراً بفاعلية وعمق في أوساط علماء بايلك الغرب، ولم يكن علماً مهمشاً أو ثانوياً، بل شكّل أحد أبرز مجالات إشتغالهم العلمي. ويُعدّ كتاب "الإكسير في علم التفسير" خير شاهد على هذا الحضور، إذ يُمثّل أنموذجاً متكاملًا لتوجّه التفسير في تلك البيئة العلمية.

وقد أُلّف هذا الكتاب المفسّر الحافظ، الفقيه، الصوّفي، الأديب، البلاغي أبو رأس الناصري، وهو من العلماء الذين جمعوا بين علوم الشريعة واللغة والتصوف، فانعكس ذلك في أسلوبه التفسيري الغني والمتنوّع. فقد اعتمد في تفسيره على التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وضمّن كتابه مقاربات صوفية وإضاءات فقهية، ما جعله يجمع في مؤلفه بين مدارس التفسير المختلفة، ضمن رؤية علمية موسوعية متوازنة.

ورغم أنّ ما وصلنا من تفسيره لا يتجاوز سورة الفاتحة وجزءاً من سورة البقرة، إلا أن ذلك الجزء يحمل بين طياته ثروة معرفية ومنهجية تدلّ على ما قد يكون ضاع أو لم يُكتشف بعد من بقية تفسيره. وهو ما يدفعنا إلى الأمل في العثور مستقبلاً على بقية هذه الدرر التفسيرية المفقودة، والتي قد لا تزال مطمورة في الخزائن أو مغمورة في طيات النسيان.

ولولا ما جاء في رسالة "شمس المعارف - وهي وثيقة تاريخية بالغة الأهمية - والتي تؤثّق آخر ما كتبه الشيخ من مؤلفات، وتُثبت نسبة عدد كبير من الكتب إليه، لما أمكننا اليوم أن نعلم بوجود هذا التفسير أصلاً، أو ندرك قيمته في المشهد التفسيري في الجزائر في العهد العثماني.

رابعاً: مخطوط إرشاد المريدين إلى طريق المواصلين للشيخ محي الدين بن مصطفى:

1- الشيخ محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني:

أ-نسبه ومولده:

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

هو الإمام العلامة المجاهد، الحاج السيد محيي الدين بن العلامة مصطفى القادري، من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

ينتمي الشيخ محي الدين إلى عائلة هاشمية مرابطية، وعلمية يعرفها القاضي والداني: " فأجدادهم من لدن السيد عبد القوي كانوا ملوكا " بتقريست وتقدمت (تيارت حاليا) تميزوا بالعلم والعمل¹ ويقول عنهم العربي المشرفي: " ومن شرفاء الشهرة بغريس أيضا " أولاد سيدي عبد القادر بن المخطر "، قائمة العلم والعمل، فأسلافهم كانوا ملوكا في الأرض ...².

والد الشيخ محي الدين هو الإمام العلامة مصطفى الذي عند استشهاد والده (محمد المجاهد) في حرب الاسبان بوهران، تولوا أعمامه تربيته، ودرس علي يد علماء معسكر منهم شيخ الجماعة عبد القادر بن عبد الله المشرفي³.

للشيخ محي الدين شقيق وهو العلامة علي أبو طالب⁴، وأختٌ وحيدة هي ليلي كلثومة، أما والدته فهي السيدة الجليلة الطاهرة ابنة العلامة الفقيه القاضي أحمد أبو معزة.

ب- مشيخته وكراماته:

تولى الشيخ محي الدين مشيخة زاويته القيطنة بعد وفاة والده 1797م، كثر في عهده الطلبة والمريدون والزوّار، كما تنافس الأغنياء في النفقة على الزاوية (فبلغ من المعارف أقصاها، ومن العوارف منتهاها، وشدّت إليه الرّحال من الضواحي والأمصار، لتلقّي العلوم وتلقين الأذكار، وقد

¹ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ج.2، ص 297، ينظر أيضا: القاضي حشلاف، المصدر السابق، ص 125. وطيب بن المختار، المصدر السابق، ص 337.

² - أبو حامد العربي المشرفي، اليواقيت الثمينة...، المصدر السابق، ص 87.

³ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ص 338.

⁴ - العلامة علي أبو طالب : العلامة علي أبو طالب هو ولي الله الشيخ علي، أبو طالب بن مصطفى (1784 - 1842م). أخذ العلم عن أخيه الشيخ محي الدين والشيخ أحمد بن مكي الخروبي، قاضي معسكر. هاجر إلى فاس، وأخذ عن علمائها، ودُفن بالقرب من مقام سيدي أبي مدين. ينظر: الغريسي محمد لعرج، المصدر السابق، ص 401.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وفدت النفوس على محبته، والقلوب على مودته، فمارمقه طرف إلوأحب أن يفديه بفؤاده، ولا نال أحد دعوته إلا وظهرت بركتها في نفسه، وماله وأولاده¹.

كما وصفه الشيخ السنوسي:

وَأَنْتَ مَا زِلْتَ تُهْدِينَا إِلَى سَنَنِ *** تُهْدِي إِلَى الْحَقِّ لَمْ يُثْنِكَ طُغْيَانٌ.
تَقْرِي الضُّيُوفُ وَتَسْعَى فِي حَوَائِجِهِمْ *** وَتَحْمِلُ الْكُلَّ لَا غَشُولَارَانِ.
مَنْ يَسْتَجِرْ بِكَ يَأْمَنَنَّ أَنَّ عَدَاهُ عِدَّةٌ *** تَحْمَى الدِّمَارُ وَيَرْجَى مِنْكَ إِحْسَانٌ.
تَدْرُسُ الْعِلْمَ أَحْيَانًا وَأَوْنَةً *** تُلَقِّنُ الذِّكْرَ (فَالْطَّمَانُ رَيْنٌ)².

حالف التوفيقُ الشيخَ محي الدين، وهياً الله له الأسباب، فتهيأت له سبل السفر إلى الديار المقدسة، ليؤدي فريضة الحج ويقف بمشاعرها الطاهرة، مستمداً من أنوارها القدسية ومقاماتها الروحية. وفي طريقه المبارك، مرّ بتونس، ثم طرابلس، فالإسكندرية، حيث لقي طائفة من العلماء الراسخين، والأعيان المرموقين، الذين أحاطوه بالتقدير والتكريم، وأظهروا له من المودة ما زاد في سمعته الطيبة وأذاع ذكره في الحواضر والبادي. وهكذا اتسع نفوذه، وامتد أثره، حتى صار موضع ثقة ومرجع هداية، يؤخذ عنه العلم، وتُستلهم من سيرته معاني الصلاح والسداد. وهو الدور الذي كان يقوم به في التحكيم وفصل الخصومات، وكما آل الأمر إلى الاختلاف والنزاع وسريان الدفاع والانتقام وأخذ الثأر³.

كانت زاوية الشيخ محي الدين تُعدّ ملاذاً للفقراء، وملجأً للضعفاء والمظلومين، ومأوىً للتائبين العائدين من زلاتهم، يستظلّون فيها برحمة العلم ونور الهداية. وقد أشار محمد باشا إلى هذا المعنى، حين ذكر أن الباي محمود، المعروف بلقب "المقلش"، قد زحف على ابن الشريف في غريس، فغلبه وظهر عليه، ففرّ هذا الأخير بأهله وأولاده، منتقلاً من تلمسان إلى جبال بني يزناسن، حيث قضى نحبه هناك. وبعد وفاته، عاد أهله وذووه إلى مواطنهم الأولى، وقد كانت

¹ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ج.2، ص 302.

² - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ج.2، ص 303.

³ - القاضي الطيب بن المخطار، القول الأعظم...، مخطوط السابق، ورقة، 17، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

زاوية الشيخ محي الدين حينها من أبرز الحصون الروحية والاجتماعية التي يلجأ إليها من اضطربت بهم السبل وضافت بهم الأحوال.

يقول الباشا ونزلوا في حمى سيدي الجدّ بالقيطنة لائذين به، فعفانهم الباي حفظا لذمته، ورعاية لمقامه ...¹.

ساهمت هذه الزاوية في لعب دور المدرسة بامتياز، حيث تقلّد الكثير من علماء معسكر التدريس فيها، حيث قال محمد الأعرج السليمانى: " ومن المدرسين بها من أعلام العلماء، الشيخ أبو رأس الناصري، وعالم غريس الشيخ محمد المشرفي تلميذ الشيخ مصطفى الرماصي صاحب الحاشية على التتائي².

كانت علاقته بالسلطة العثمانية جيدة ويظهر لنا ذلك في عدة مناسبات، فنجد حين انتصر الباي محمد المقلش على الثائر الدرقاوي، توجه للشيخ محي الدين إلى الباي وهناه بانتصاره فقام الباي وأكرم منزله وأعظم وفادته³.

كان الشيخ محي الدين ذا مكانة علمية كبيرة، حيث ذكره علماء فصاحب: " دليل الحيران"، يقول: " شيخ الجماعة السيد محي الدين بن المخطر الفقيه ...⁴. وقال العلامة السليمانى بن الأعرج: " العارف بالله الدالّ عليه، العلام العامل، الورع الكامل سيدي محي الدين⁵.

وفي تقرير الشيخ الطيب بن عبد الرحمن لكتابه إرشاد المريدين قال واصفا إياه: الإمام الفاضل المبجل، الذائق العامل، خلاصة الزمان وقدوة أهل الإيوان والمكان، السيد محي الدين بن مصطفى الحسني...⁶.

¹ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ج.1، ص 76.

² - محمد الأعرج السليمانى، تسهيل المطالب... ، المصدر السابق، ص 401.

³ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ج.1، ص 77.

⁴ - محمد بن يوسف الزيانى ، المصدر السابق، ص 72.

⁵ - محمد الأعرج السليمانى، تسهيل المطالب....، المصدر السابق، ص 401.

⁶ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين...، المخطوط السابق، ورقة 01، و .

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وقال عنه صاحب (اليواقيت الثمينة): " كان كأسلافه من العلماء الأعلام، الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام¹.

وقال البيطار في الحلية(الشيخ العالم العامل، والفرد الأوحد، الفاضل أهل المعارف والأحوال، وتاج الأتقياء، وعالم الأصفياء، وسراج الأولياء...².

وكان لهذا النجاح الباهر، الذي بلغه الشيخ محيي الدين بعد جهدٍ دؤوب وسعيٍ متواصل في ميادين العلم والتربية والدعوة، جانبٌ سلبي لا يخلو منه حال العظماء وأهل الفضل، إذ سرعان ما ظهرت فئة من الحاسدين والوشاة، ممن أعمى الحقد أبصارهم، وأغراهم الحسد على الوقیعة والتشويه، وقد سجّل الباشا محمد ذلك في قوله: " وقد حسده بعض معاصيره فوشى إلى حسن باي ...". وهذا ما جعل الباي يأمر الشيخ بالاقامة والسكن بوهـران، فقبل الشيخ المحي وانتقل مع ابنه وبعد سنتين تقطّن الداي لخطئه وأذن للشيخ بمغادرة وهران³.

غير أنّ هنري تشرشل يورد رواية مغايرة لما ذكره الباشا محمد، حيث يقول إنّ الشيخ محيي الدين استدعي وهو في منطقة جديوية، وقد كان حينها عازماً على أداء فريضة الحج، وهي واقعة لم يتطرق إليها الباشا في روايته، مما يفتح المجال للتساؤل حول الملابس الحقيقية التي أحاطت بهذه الدعوة المفاجئة، والغاية الكامنة وراء استدعائه في ذلك التوقيت الحرج، وهو على أعتاب رحلة روحية كبرى نحو بيت الله الحرام: " وكان قبل هذه الواقعة عازماً " على الحج فمنعه منه ...⁴. وذكر صاحب: "دليل الحيران": "منع العلامة السيد محي الدين ... من الحج وأسكنه بوهـران...⁵.

¹ - محمد البشير ظافر الأزهرى، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب المدينة، المصدر السابق، ص 216، مخلوف محمد، شجرة النور الزكية، ج.1، المصدر السابق، ص 581.

² - عبد الرزاق البيطار، حلية البشر...، المصدر السابق، ج.3، ص 1490.

³ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ص 79.

⁴ - هنري تشرشل، حياة الأمير، المصدر السابق، ص ص 42-44.

⁵ - الزباني محمد بن يوسف، المصدر السابق، ص 320.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وقد أثار هذا الحدث أسى عميقاً في نفوس العامة والخاصة، من العلماء والأشراف ووجهاء القوم وأعيان البلاد، لما كان للشيخ محيي الدين من مكانة سامقة ومحبة راسخة في القلوب، فعمّ الحزن أوساط المجتمع، وتوالت عبارات المواساة، وتلّيت الرسائل ونُظمت الأشعار في التخفيف عن محنته ومصابه، حتى إنّ بعض عوام الناس - ممن غلبت عليهم المحبة الصادقة - عبروا عن حزنهم بكلمات مؤثرة، ومن ذلك ما قاله السيد السنوسي بن عبد القادر الحسني الراشدي

عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ لَا تُفْرِعْكَ إِشْجَانُ
وَلَا تُرْعِكَ بِمَافَا جَتِكَ وَهَرَّانُ
أَمَّا هِيَ الدَّارُ لَا تُؤْمِنُ غَوَائِهَا
بَلَيِّ هِيَ الدَّارُ أَغْيَارٌ وَأَحْزَانُ¹.

2- مضمون المخطوط:

المخطوط الذي بين أيدينا هو مخطوط يتناول جانب العقيدة والتصوّف للإمام شيخ الجماعة العلامة محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، فهو إضافة هامة في ميدان الشريعة، خاصة فيما يتعلّق بالتّوحيد والتّصوّف، والنّسخة المخطوطة من خزائن الشيخ أحمد بن محي الدين الحسني، قام بنسخها محمد بن محمد الملقب بالدراجي². وكان الفراغ منها يوم الخميس في آخر شهر جمادى الأولى 1867م، وحالة المخطوطة جيّدة بها أثر التّمزق في اللوحة الأولى، وفي نفس الورقة نجد ترميم لهذا التمزيق، أمّا باقي الألواح في حالة جيّدة.

كُتبت هذه الدرة المخطوطة بخط مغربي، وبقلم أسود وأحمر لتمييز الألفاظ³، وكان يكتب بعض الألفاظ بزيادة سمكها، حيث قام بتحقيق المخطوط الباحث صلاح الدين بنعوم الذي تنقل إلى سوريا وقام بجلب المخطوط وتحقيقه، وقد زودنا بنسخة مصورة منه، إذ الكراسة تقع في ستة

¹ - محمد باشا الجزائري، المصدر السابق، ج.2، ص 303.

² - نُسخ هذا المخطوط في حياة الأمير عبد القادر وأخيه الشيخ أحمد، الذي كان يملك الخزانة (المكتبة). ينظر: صلاح الدين بن نعوم، إتحاف المريدين...، المرجع السابق، ص 59.

³ - يستعمل الخط الأحمر في كتابة لفظ محمد فقط .

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

عشر لوحة، حيث يبدأ نص التأليف فيها من ظهر اللوحة الأولى، بعد أن سبقه في وجهها تقريظ الشيخ الطيب بن عبد الرحمن¹، وينتهي النص عند اللوحة الرابعة عشر، ويليه في اللوحتين الأخيرتين تخميس الشيخ عبد الرحمن بن أبي معزة لقصيدة الشيخ العربي الدمناتي في مدح باي وهران، كتبها الشيخ أحمد بن محي الدين بإملاء من عمه الشيخ علي أبو طالب الحسني.

يتّضح من خلال الفحص المادي لأوراق المخطوط أن جميعها كُتبت بثبات دقيق، حيث احتوت كل ورقة على تسعة عشر سطراً دون تفاوت، ممّا يدل على انضباط الناسخ وحرصه على التنسيق الشكلي للمخطوط. غير أنّه لم يلتزم الصمت التام في نقل النص، بل نراه يتدخل أحياناً، لا في صلب المتن، بل في الهوامش، حيث يُبدي ملاحظات توضيحية ويشرح بعض الألفاظ التي قد يشكل معناها على القارئ، فيسهل بذلك في تسهيل الفهم دون المساس بجوهر النص الأصلي. ومن أمثلة ذلك ما نجده في الورقة السابعة، حيث ورد في المتن قوله: (أخذتم عملكم، يعني علماء الرسوم...)، فعقّب الناسخ في الهامش باستطراد توضيحي قائلاً: (علماء الرسوم هم علماء الظاهر)، وهو بذلك يرفع اللبس ويقرب المعنى، ويظهر حرصه على الجمع بين الأمانة في النقل والإفادة في الشرح.

ما يميّز هذا المخطوط أنّه فيه ثلاثة شيوخ من فضاء بايلك الغرب: فالكاتب وهو المؤلف الشيخ المحي الدين، أمّا النّاسخ هو السيّد محمد الدراجي، كما نجد في اللوحتين الأخيرتين تخميس الشيخ عبد الرحمن بن أبي معزة لقصيدة². ويوجد بالمخطوط نفسه تقريظ العلامة الشيخ الطيب بن عبد الرحمن، ففي اللوحة الأولى يظهر ذلك، حيث قال الشيخ الطيب ما نصّه: (كان ذلك باعثاً

¹ - قام الشيخ الطيب بن عبد الرحمن بتقريظ هذا العمل، وقد كتب هذا التقريظ بعد أيام قليلة من فراغ الشيخ محي الدين من التأليف. يُستدل على ذلك من قول المؤلف: "بدأت تقييده صبيحة ثاني يوم النحر، وتمّ في رابعة قبيل العصر عام 1235 هـ." وقد أشار الشيخ العربي الدمناتي في مدحه لباي وهران إلى أن الشيخ أحمد بن محي الدين كتب هذا العمل بإملاء من عمه الشيخ علي أبو طالب الحسني. ويبدو أن الشيخ الطيب كان مُطلِعاً على مراحل تأليف الشيخ محي الدين للرسالة، وكان ملازماً له أثناء عملية الجمع والتحرير. وقد صرّح بوقوفه على العمل وقراءته ثم موافقته على صحته، حيث يقول: "قلما كمله وسرده وأحسن جمعه وسدده، وقفت عليه وقرأته، فوجدته تقييداً للطالبيين..."

² - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين ...، المخطوط السابق، ورقة 7، و.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

الإمام الفاضل المبجل الذائق العامل ... السيد محي الدين بن مصطفى الحسني على أن جعل في ذلك تأليفا مقنعا أو حصنا مانعا (...)¹.

أ-الدافع وراء تأليف المخطوط:

إن دوافع تأليف المصنّفات لدى شيوخ بايلك الغرب تتنوّع وتختلف باختلاف الشخصيات والسياقات والغايات، فنجد كل مؤلف يعبر عن باعته الخاص الذي حمّله على التدوين، وفق ما يراه من حاجة دينية أو علمية أو اجتماعية أو شخصية. وقد جرت عادة العلماء والمصنّفين، خصوصاً في المخطوطات، أن يُصدّروا أعمالهم ببيان الدافع الذي أملى عليهم التأليف، إمّا لبيان النية، أو لرفع الإلتباس، أو توثيق السياق الذي ولد فيه النص.

في هذا الإطار، يذكر الشيخ محي الدين الحسني أنّ السبب الذي حمّله على تصنيف رسالته هذه، لم يكن من باب الترف العلمي أو اجترار ما قيل، بل جاء استجابة لطلب ملحّ من بعض المقربين منه، ممّن عرفوا قدره العلمي، وألحوا عليه أن يضع بين أيديهم مؤلفاً يعالج مسألة بعينها أو يرفع عنهم إشكالاً وقعوا فيه. وقد صرّح بذلك في مقدّمة رسالته، حيث قال: (هكذا ما أمكنني تقييده نصيحة لنفسي والإخوان، حفظني الله وإياهم من شرّ الشيطان، وذلك لما ألحّ عليّ من تجب موافقته، ولا تسعني مخالفته أن يبيّن له ما ذكر على نحو ما سطر)².

كما وضّح لنا الشيخ الطيب بن عبد الرحمن في تقرّظه دوافع كتابة الشيخ محي الدين للمخطوط، حين قال: (ولما كثرت الأقاويل الواهية، والاستحسانات المنبودة الرابية، الحائدة عن سند العلماء الكرام، ومأثور الصحابة العظام التي لم يعضدها نقل أصلا ولم يؤيدها خبر محلا " .

وترددت بين المحافل والجموع، حتى نقلها كل ذي لبّ مصدوع بأنّ من قال: (لا إله إلا الله) مفردة عن محمد رسول الله ﷺ، فهو كافر ... وكانت الأنقال الصّاح جارية بخلاف ذلك، بل

¹ - نفسه، ورقة 01، و.

² - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين ...، المخطوط السابق ، ورقة 2، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

بصحة إسلامه، وكمال إيمانه، ووفور أجره، وعلو منزلته، وكونه ذاكر للنبي ﷺ مستحبا كان ذلك باعثا للإمام الفاضل المبجل ... السيد محي الدين بن مصطفى¹.

تطرق إلى هذا المصنف الأمير محمد باشا في ذكر مناقب جده، حيث يذكر في كتابه تحفه الزائر: " وألف في التصوف كتابا "جليلا" سماه إرشاد المريدين وقد طابق اسمه مسماه².

ومما يزيد هذا المصنف قيمة واعتبارا، ويضفي عليه مزيدا من الأهمية في ميزان التأليف العلمي، أن هذه الرسالة المباركة هي من تصنيف واحد من أعلام الوطن الراشدي، ومن كبار رجالات العلم والجهاد والتصوف في بايلك الغرب، وهو شيخ الجماعة بمدينة معسكر، الإمام العلامة، المجاهد الرباني، السيد محي الدين بن مصطفى بن المختار الغريسي موطنا، الحسني نسباً، القادري طريقةً وسلوكاً. فقد اجتمعت فيه شمائل العلم والعمل، وخصال الورع والجهاد، وامتزج في شخصه نور النسب الشريف، بنور التربية الصوفية الأصيلة، فكان بحق منارة يهتدي بها طلاب العلم، وقدوة يقتدى بها في السلوك والبيان، والإضاءة التي ما تكاد تتير دروب طالب العلم بغية معرفة ربه والركون على طريق الحق والهدى.

ب- منهج الشيخ محي الدين في كتابه إتحاف المريدين:

بداية ومن خلال الإطلاع على نص الشيخ محي الدين "إتحاف المريدين" يظهر لنا حرص الإمام على تبيان "جواز الأفراد" وإقامة الدليل وذلك بالإعتماد على مختلف المصادر. فالمؤلف استهل كتابه ببيان أصول الطريق، من حيث التنزيه، ومقام علم الباطن وأهله³، ثم في الذكر وخصائصه ومراتبه وآثاره، ثم خصّ الكلام عن حكم الذكر⁴ (لا إله إلا الله) مفردة، وهو المقصود، وختم الرسالة بالتحذير من الغرور والتكبر.

¹ - نفسه، ورقة 3 ، و.

² - محمد باشا الجزائري ، المصدر السابق، ج.2، ص ص 303-304.

³ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين ... المخطوط السابق، الورقة 2، ظ.

⁴ - نفسه ، الورقة 4 ، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

نجد أنه لم يعتمد على التبويب الذي يميز بين النصوص، لكن تحليل الرسالة يظهر تباينا بين الفقرات. واعتمد في مصنفه على النقل من النصوص وهذا منهج جلّ علماء بايلك الغرب فنقل مثلا عن الرندي بن عباد من كتاب: " غيث المواهب العلية"¹.

وعن ابن حجر في: " فتح الباري" أو عن ابن زكري في " شرح النصحة "² أو عن الهيثمي في "الفتاوى الكبرى الفقهية " يقتبس من النصوص محلّ الشاهد منها، فيسقط بعض العبارات والجمل، ويشير إلى ذلك بقوله في آخر الاقتباس (انتهى بترك بعضهم)، وفي مواضع يزيد مستشهدا بالآيات والأحاديث ضمن النصوص المنقولة، وشارحا على طريقة المشاركة في الشرح بالمزج، ومثال ذلك ما جاء في النص عن ابن حجر وابن زكري:

وليس هؤلاء مقلّدين لأبائهم ولا لرؤسائهم، لأنهم كانوا لو كفر آبائهم ورؤسائهم لم يتبعوهم، بل يجدون النّفرة عن كلّ ما سمعوه ممّا يخالف الشريعة، بل يقع بينهم التباغض، كما قال ﷺ: "الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" والوجود يشهد لذلك لمن أنصف، والإنصاف تقوى الله تعالى³.

العبرة التي وردت بين قوسين في هذا الموضع، ليست من أصل المتن المنقول من فتح الباري ولا من شرح النصيحة، وإنما هي من إضافات المصنّف نفسه، أدخلها ضمن الاقتباس على سبيل الشرح والتوضيح، مستأنسا في ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومستشهدا به لتقوية المعنى وتأكيده المقصود. ويبدو من هذا الأسلوب أنّ المصنّف كان يسير على نهج المشاركة في الشرح بالمزج، حيث يدمج بين المنقول والمعقول، ويضمّن النص الأصلي تعليقاته وتفسيراته،

¹ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين الى طريق الواصلين ، تح: صلاح الدين بنعوم ، دار سادة المالكية، ط.1، الجزائر، 2022م، ص 94.

² - المصدر نفسه، ص 71. يتطرق إلى قول ابن زكري: (وارفح العلماء وأعلامهم منزلة أهل العلم بالله تعالى ، وهم الأولياء رضي الله عنهم) ، وهذا في مؤلف شرح النصيحة الكافية . ينظر: زروق أحمد البرنسي الفاسي النصيحة الكافية، تح: قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض ، مكتبة الظلال ، الإحساء، ط.1، 1414هـ/1993م، ص 23.

³ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إتحاف المريدين...، المخطوط السابق، ورقة 6، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

دون أن يقطع سياق الاستشهاد. وهذا ما يدلّ على براعته في استحضار النصوص الشرعية، وعلى تمكنه من توظيفها توظيفاً علمياً دقيقاً يخدم غرضه في التأليف والبيان¹.

للمخطوط أهمية كونه يعالج قضية دينية محورية استدعت من الشيخ محي الدين التدخل لحلّ المشكل الذي كان قائماً، وخاصةً وأنّ الأمر يتعلق بالتوحيد والإيمان بالله ورسوله، وحتىّ التقريب الذي أضافه الشيخ الطيب عبد الرحمن فهو مظهر من مظاهر النشاط العلمي والثقافي بحاضرة معسكر، ونجده مؤرخاً وأديباً وفقهياً بالرغم من ضياع جلّ تراثه، ويؤكد هذا تلميذه العلامة العربي المشرفي ويصفه كونه حَذَقَ اللسان، فصيحاً، أديباً².

ج- مصادر المؤلف:

لقد استند المؤلف في تصنيفه إلى منهج علمي رصين، ابتدأ فيه بالإحتكام إلى نصوص القرآن الكريم، باعتباره المصدر الأول للتشريع والهداية، ثم تثنّى بالسنة النبوية الشريفة، باعتبارها البيان العملي والتطبيقي للوحي، وقد اعتمد في ذلك على جملة من أمهات كتب الحديث المعتمدة عند أهل العلم، من أبرزها: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، والسنن الكبرى للبيهقي، وصحيح ابن حبان، والسنن الكبرى للنسائي، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه، والسنن والأحكام للمقدسي، وموطأ الإمام مالك.

كما رجع إلى كتب أخرى جامعة في باب الترغيب والترهيب والزوائد والمسانيد، مثل: الترغيب والترهيب للمنذري، ومجمع الزوائد للهيثمي، ومعجم الطبراني، والفردوس للدليمي، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي، وبلوغ المرام لابن حجر العسقلاني، وكنز العمال للمتقي الهندي. ولم يكن اعتماد المؤلف على السنة اعتماداً عاماً، بل أحسن الانتقاء، وأورد النصوص من مظانها المعتمدة وأصولها الصحيحة التي تلقّتها الأمة بالقبول، مما يدلّ على عمق نظره وثبته في النقل. ويمكن إجمال أهم مصادره الحديثية فيما يلي:

¹ - بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد الدين الخطيب، المكتبة السلفية، 1997م، ص 25.

² - أبو حامد العربي المشرفي، اليواقيت الثمينة...، المصدر السابق، ص 25.

• كتب التصوف والعقيدة:

- "أصول الطريق"، "النصحية الكافية" لأحمد زورق وشرحها لابن زكري التلمساني.
- "لطائف المتن والحكم العطائية" لابن عطاء الله السكندري.
- "الطبقات الكبرى" للشعراني.
- "الرسالة القشيرية" لأبي القاسم القشيري.
- "نشر المحاسن الغالية" لليافعي.
- "لوامع الأنوار وروض الأزهار" للأزهري عبد الحافظ.
- "الفتح الرباني والفيض الرحماني" للشيخ عبد القادر الجيلاني.
- "إحياء علوم الدين" للغزالي.
- "بهجة النفوس" لابن أبي حمزة.
- "فتح الله في مولد خير خلق الله" للبناني فتح الله.
- "بذل المناصحة في فعل المصافحة" البوسعيدي أحمد الهشتوكي.
- "حلية الأولياء" لأبي نعيم.
- "غيث المواهب العلية" الرندي ابن عباد.
- "الفوز والانتباه في بيان من لا يلتفت إلى ما سواه" للبيومي.
- "الفوائد اللطيفة في شرح ألفاظ الوظيفة" للسجاعي.
- "الشفاء" للقاضي عياض.
- "شرح الفريدة البهية في علم التوحيد" للدريير.

• كتب الفقه:

- "الفتاوى الفقهية الكبرى على مذهب الإمام الشافعي" للهيثمي.
- "المختصر" للعلامة خليل.
- "شرح الخرشي لمختصر خليل" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي.
- "مواهب الجليل، شرح مختصر خليل" للخطاب.

▪ "المختصر الكبير" لابن عبد الحكم.

• كتب التفاسير:

▪ تفسير الجلالين "جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

▪ "الجواهر الحسان" للثعالبي.

▪ "ذيل تاريخ بغداد" لابن البخار.

▪ ديوان عبد القادر الجيلاني.

▪ "نزهة المجالس" للصفوي.

نلاحظ من خلال تصفّح المخطوط أن المؤلف كان واسع الإطلاع، شديد العناية بأقوال العلماء؛ إذ لا تكاد تخلو ورقة من أوراقه من ذكر إسم واحد أو اثنين، بل أحياناً ثلاثة من المفسّرين أو الفلاسفة أو الأعلام الذين استند إليهم في بناء أطروحته وتدعيم حججه. وقد كان أحياناً يكتفي في بعض المواضع بذكر أسماء هؤلاء العلماء دون الإشارة إلى عناوين مؤلفاتهم، كما في قوله: قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي¹، وقال ابن زكري². أو يترك النسبة على عمومها كقوله يقول أهل السنة³.

3- واقع الحياة الدينية على ضوء مخطوط إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين.

يحمل هذا المخطوط في طياته معالجة دقيقة لمسألة من مسائل العقيدة، هي من صميم علم التوحيد، وقد جاء مؤلف الشيخ محي الدين استجابة لواقع فكري وديني ملتبس، أثار فيه بعضهم أقوالاً شاذة حول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فكان لا بد من ردّ علمي يضع الأمور في نصابها.

¹ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين، المصدر السابق، ص 78.

² - نفسه، ص 81.

³ - نفسه، ص 79.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وعلم التوحيد، أو ما يُعرف بعلم العقائد أو أصول الدين، هو أشرف العلوم وأعلاها قدراً، إذ هو العلم الذي يعرف العبد بربه، ويوجهه إلى إخلاص العبادة له وحده لا شريك له، ويؤسس لعقيدة سليمة تقوم على النقل الصحيح والفهم الراسخ.

وقد أولى علماء بايلك الغرب الجزائري هذا العلم اهتماماً خاصاً، فصنّفوا فيه وردّوا على من خالف أصوله. ومن هؤلاء الإمام العلامة أبو رأس الناصري في كتابه "الحاوي في نبذ التصوف"، وكذلك الشيخ محي الدين الذي أبان في هذا المصنّف عن غيرته على صفاء العقيدة، فتصدى للأقوال الفاسدة، وبيّن ضوابط التوحيد وحدوده، متوسلاً في ذلك بأسلوب علمي محكم يجمع بين الرواية والتحليل

هذا، فإنّ حاضرة معسكر ببائلك الغرب من أهمّ الحواضر العلمية التي اختصّ أعلامها بتلقين هذه العقائد، حتى أخبر الشيخ أحمد المقرئ في حاشيته "على صغرى السنوسي في العقائد" أنّ سنده في علم التوحيد يتصل إلى علماء الراشدية العارفين بهذا الشأن ومثله ذكر قاضي مراكش الشيخ عيسى السكتاني في حاشيته على الصغرى¹. نذكر من أشهرهم العلامة محمد بن يحيى، العلامة عبد القادر بن مختار المعروف بسيدي قادة، العلامة المحقّق الرماصي، الحافظ أبو رأس الناصري ... الخ.

وقع اختيارنا على هذا المخطوط ليكون أنموذجاً ممثلاً لعلم التوحيد في حاضرة بايلك الغرب، لما يحمله من قيمة علمية وفكرية تعبّر عن التّصور العقدي لدى أحد أعلام المنطقة، وهو الشيخ العلامة محي الدين. وجاء هذا الاختيار بالنظر إلى قلة الدراسات التي تناولت تراث هذا العالم الجليل وفكره العقدي، رغم ما تميّز به من وضوح في المنهج، وسداد في الاستدلال، وتنوّع في المصادر. ومن هنا، فإنّ هذا العمل يُعدّ محاولة علمية لرفع جزء من الحجاب عن الفكر الكلامي بالغرب الجزائري، من خلال تحليل التّصور المعرفي لعلم التوحيد كما صاغه الشيخ محي الدين في كتابه: "إرشاد المريدين".

¹ - بكاري عبد القادر، "الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية"، أبو رأس الناصري أنموذجاً، مجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع.6، 2013م، ص 122.

أ-مقام علم التوحيد عند الشيخ محي الدين:

يؤكد العلامة محي الدين المعسكري كسلفه من العلماء وما اتفقوا عليه على أهمية علم التوحيد فيقول في كتابه أن الإسلام هو: " أن نشهد أن لا إله إلا الله ¹، ويركز على هذا في حديثه ويتطرق إلى مناظرات ومحادثات الرسول ﷺ حول معنى الإسلام، وجواب المصطفى أن الإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا الله ². ثم ينتقل إلى أركان الإسلام الباقية فيدعم شرحه بآيات من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ³. ويقول كذلك وإن سألت عن صفاته فقل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا (4)﴾ ⁴.

يتجلى أثر الشيخ العلامة محي الدين في هذا المصنف من خلال بصماته الواضحة في قضايا التوحيد، حيث يتناول بعض مسائله تعليقا وتحليلا، ويؤدي فيها رأيه مستندا إلى نصوص الشرع، مستخرجا منها الدلالة العقدية. غير أنه لا يلبث أن يبتعد عن قضايا التوحيد المحضة، ليتناول موضوعات أخرى يغلب عليها الطابع الصوفي، مما يدل على أن تصنيفه لم يكن مخصصا أصلا لعلم التوحيد، بل جاء ضمن رؤية شمولية تعلني من شأن التصوف كطريق للتركية والسمو الإيماني، دون أن يغفل الأصول العقدية في السياق.

ب-علم الباطن من خلال المخطوط:

ينتقل الحافظ إلى التحدث عن علم الباطن وهنا الحديث عن التصوف باعتبار علم الباطن هو بلوغ العبد درجة الإحسان والخلاصة السنية وسلامة العمل من الرياء، ويذكره المناوي في

¹- محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين ...، المخطوط السابق، ورقة 1، و .

²- نفسه، الورقة 1، ط.

³- سورة الحشر، الآية: 22.

⁴- سورة الإخلاص، الآيات: 01-04.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

"فيض القدير" عن الغزالي هو العلم المفروض في الجملة ثلاثة: علم التوحيد، وعلم السر، وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة¹.

وما ورد عن علي وغيره علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى وحكم من أحكامه، يقذفه في قلوب من يشاء من عباده، حيث يتطرق الشيخ محي الدين إلى سيدنا علي رضي الله عنه -وكرم وجهه- وحديثه عن علم الباطن²، ومدى أهميته. وهنا تظهر النزعة الصوفية للإمام وتأكيده على وجوب طلب علم الباطن. والحقيقة يعتبر طهارة للظاهر من المعاصي والباطن من أمراض القلوب كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمْ وَبَاطِنَهُ³ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنِّمْ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ⁴﴾.

بادرة الأمر من خلال هذا المخطوط يرى لنا أن الشيخ محي الدين يقرّ بأن الشريعة ذات ظاهر وباطن، وأن الظاهر قد يختلف عن الباطن في بعض المواضع، مما يبرز عمق نظره في التعامل مع النصوص ومقاصدها. ويتجلى موقفه الواضح في مسألة الكفّ عن الواقعة في أهل الله تعالى، حيث دعا إلى توقيهم وإحترامهم، مؤسّساً لذلك بمبادئ أخلاقية متجذّرة في روح الشريعة.

تتضح في هذا السياق، القيمة الدينية والأخلاقية لمخطوطات بايلك الغرب، إذ لم تنحصر موضوعاتها في قضايا العبادة فقط، بل تناولت السلوك والمعاملات، مما يعكس شمولية الرؤية الإصلاحية لدى علمائه. وقد صدر الشيخ هذا الباب بحديث النبي ﷺ: « من لسانه ويده»⁴، ليؤكد لنا أن كمال التدبّر لا يُقاس بكثرة الشعائر، بل يُقوّم بسلامة المعاملة وحسن الخلق".

¹ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، ارشاد المريدين ...، المخطوط، الورقة 02، و .

² - نفسه، الورقة 2، و .

³ - سورة الأنعام، الآية : 120.

⁴ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، ارشاد المريدين ...، المصدر السابق، ص ص 75-76.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

وكذلك قول المصطفى ﷺ : «الغيبة ذكر أخاك بما يكره» ويكثر في أحاديث المصطفى وأقوال الأئمة والشيوخ في أذية الناس وإلحاق الضرر بهم وما يترتب عنه من إثم عظيم¹

ج- مقام العلماء والأولياء من خلال المصنف:

إن لكل مؤمن نصيب من ولاية الله ومحبة وقربه ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية والقلبية التي يتقرب بها إلى الله، ونجد الشيخ محي الدين يقدم أنموذجين من عباد الله، ألا وهم: العلماء والأولياء. وحديثه على هذه الفئة برزت فيها صبغة الموضوعية فأعطى لكل طائفة حقها من حب الله ورعايته، فالمفاضلة بينهما حسب رأيه لا تجوز، باعتبار أن لكل منهما رتبة عالية فإن الله تعالى أثنى على العلماء والأولياء في الكتاب والسنة ويذكر العلامة الدليل من القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾².

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾³. ثم ينتقل إلى فضل الولي حيث يورد الحديث النبوي يقول الرسول ﷺ: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» وقوله تعالى: ﴿وَلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)﴾⁴.

ويخوض في الموضوع ويضيف الفئتين ومكانتهما، حيث يذكر في الورقة الثامنة (8) أن أولياء الله تعالى هم الذين تولاهم الله تعالى فصاروا أحبائه، وذلك لأجل ما وصفهم به من الإيمان والتقوى. أما أهل العلم فيجب أن يكون العالم صالحا ويعمل بعلمه، ويورد قول الشيخ عبد القادر⁵ رضي الله عنه: " العلم ينادي بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل فترحل بركته"⁶.

¹ - نفسه ، ص ص 73-74.

² - سورة فاطر ، الآية : 28.

³ - سورة المجادلة ، الآية : 09.

⁴ - سورة يونس، الآيات : 62-64.

⁵ - الشيخ عبد القادر الجيلاني: هو إمام الأولياء، محيي الدين أبو محمد الحسن الموسوي الحنبلي. اشتهر بلقب الجيلاني نسبة إلى جيلان، وهي بلدة تقع وراء طبرستان. أقام في بغداد ودُفن فيها سنة 561 هـ. ومن أشهر مؤلفاته كتاب الفتح الرباني. ينظر: محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحاذئة الأكياس بمن أقيروا من العلماء والصلحاء بفاس ، تح: الكتاني محمد حمزة ، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، ج.1، ص ص 243-244.

⁶ - الجيلاني عبد القادر، الفتح الرباني والفيض الرحماني ، تح: محمد خالد لقطار ، دار الفكر ، بيروت ، ط.1، 1432 هـ / 2010م، ص 41.

د-الفقر ومراتب العباد من خلال المخطوط:

وأنت تقرأ المصنّف يتبادر إلى ذهنك أنّ الشيخ يتطرق إلى موضوع الفقر إجتماعيا، لكن العلامة يذهب بالمصطلح إلى درجة من الرقيّ الفكري الديني فيقصد بالفقر ويعرفه في الإصطلاح على أنّه عبارة عن خلوّ القلب مما سوى الله تعالى وحقيقته ما بينه الرسول ﷺ لجعفر الخدي¹. رضي الله عنه فإنه قال: " خدمت ستمائة شيخ فما وجدت من شفا قلبي في أربع مسائل حتى وقف عليّ رسول الله ﷺ في النوم وقال لي: اسأل عن مسألك فقلت: يا رسول الله ﷺ ما العقل؟ فقال: أدناه ترك الدنيا وأعلاه ترك التفكير في ذات الله تعالى، لأنّ الخوض في ذات الله إشراك، ثم قلت وما الفقر؟ فقال: هو سرّ من أسرار الله تعالى يودعه في قلب من يشاء فمن كتّمه فهو أهله وزاده الله منه ومن باح به نفاه الله عنه².

وهنا تتجلى لنا النظرة الإيجابية لقضية قد تُعدّ في ظاهرها سلبية داخل المجتمع، كالفقر مثلاً، غير أنّ الشيخ محي الدين ينظر إليها من زاوية إيمانية تُخرجها من هذا الإطار الضيق، فيربطها بحكمة الله عز وجل القائم على تدبير كل شيء، فيُظهر أنّ الفقر لا يضرّ من استقام على دين الله، وثبت على طريق الحق، بل هم، عنده، من أهل الجنة، لأنّ المعيار في النجاة ليس الثراء، وإنما الصدق مع الله والوفاء بحقوق الشرع.

ثمّ ينتقل في تحليله إلى الحديث عن مراتب العباد، مُقسّماً الناس إلى طبقات بحسب حالهم مع الله، مستنداً في ذلك إلى أقوال شيوخه، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، الذي يقول: "الخلق على ثلاثة أضرب: عامي، وخاص، وخاص الخاص". ويقصد بالعامي، المسلم التقّي الذي يأخذ بالشرع ولا يفارقه، ويتمسّك بالهدي الظاهر، دون تكلف في المعرفة أو طلب للمراتب العالية، لكنه مستقيم وثابت. وقد ركّز الشيخ محي الدين على هذه الفئة بالذات،

¹ - جعفر الخُدي هو أبو محمد جعفر بن محمد الخواص البغدادي. توفي سنة 348 هـ. كان من أفتى وأجل المشايخ، وقد أسند الحديث ورواه. كما كان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وسيرهم. ينظر: السلمي محمد بن الحسين ، طبقات الصوفية ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط.2، 1424هـ/2003م، ص ص 326-327.

² - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، ارشاد المريدين ...، المصدر السابق، ص 83.

فأشاد بها وبين جزاءها العظيم عند الله، مؤكداً أن هذا الجزاء مرهون بأداء حقوق الشرع كلها، دون إخلال¹.

هـ- تناول المخطوط لموضوع الذكر وفضله:

إن الذكر لله تعالى هو السبيل الأوثق لنيل تصديق الربّ لعبده، ومن صدّقه الله فقد رُجي له أن يُحشر في زمرة الصادقين، وقد ورد أن بيوت الجنة تُبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر، أمسكت الملائكة عن البناء. والذكر، في نظر الشيخ محي الدين، ليس مجرد ترديد، بل هو مفتاح لتيسير العسير، وتسهيل الصعاب، وتخفيف المشاق.

ونظراً لأهمية الذكر ومكانته في تزكية النفس وإشراق القلب، أفرد له الشيخ حيزاً واسعاً في مخطوطه، فتناول فضله، ومجالسة أهله، وخصائصه، ومراتبه، وآثاره. وقد استهل حديثه عنه بقوله: «أما ذكر الله، فيكفي شرفاً لأهله»، ثم استشهد بالآيات الكريمة الدالة على علو منزلته، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾². وقوله أيضاً: ﴿وَقَوْلُهُ أَيْضًا: ﴿

﴿4.

ويشير في هذا جانباً من صحيح البخاري الذي كان مصدراً هاماً لجل علماء بايلك الغرب الجزائري، حيث بين فيه فضل الذاكر، حيث أورد لنا جزاء الذاكرين حيث يقول المصطفى ﷺ: "لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الدُّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى : فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ- مَا يَقُولُ : يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ : فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: : فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: وَأَشَدُّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرُ لَكَ تَسْبِيحًا : يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ : يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْنَاهَا : يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْنَاهَا؟ : يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْنَاهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً :

¹ - نفسه، ص 84.

² - سورة البقرة الآية: 152.

³ - سورة الأنفال: الآية 45.

⁴ - سورة الرعد، الآية 28.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

يَنْعَوِّدُونَ؟ قَالَ: يَ :¹ يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا : يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً : فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ : هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَتَنَقَّى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ."²

ومن هذا الحديث نستشف فضل الذكر والذاكرين واستند الشيخ محي الدين إلى أحاديث عديدة عن مسلم والبخاري والترمذي ولابن أبي شبيبة، وصنّفه على أنه أقرب الطرق إلى الله ويسند الشعر في حديثه، حيث يقول:

وَالذَّكْرُ أَعْظَمُ بَابٍ أَنْتَ دَاخِلُهُ *** اللَّهُ فَاِجْعَلْ لَهُ الْإِنْفَاسُ حِرَاسًا³.

ثم تطرّق إلى حكم الجهر بالذكر ويورد نص السيوطي⁴ بأنّ الجهر به مندوب، وأنّه لا كراهية في الجهر بالذكر بل فيها ما يدل على استحبابه إما صريحا أو التزاما⁵. في حين يذكر أنّ بعض المحدثين والعلماء وجدوا في الجهر به وصول الإنسان إلى الرياء أو غيره، لكن حسب رأيه أنّ الجهر أفضل لأنّ فائدته تتعدى إلى السامعين فنجد أنّ العلامة الشيخ محي الدين يتطرّق إلى الذكر وكأنّه يضعه كمقدمة ومدخل لموضوع رسالته، والتي مفادها الذكر وحكم الذكر بـ: "لا إله إلا الله مفردة".

حكم الذكر ب " لا إله إلا الله مفردة:

إنّ لا إله إلا الله هي أفضل الكلام بعد القرآن، وهي أحبّ الكلام إلى الله وأفضل الكلام وهي كلمة الإخلاص وهي أول شيء دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأول شيء دعا إليه النبي ﷺ أن قال لقومه: قولوا: " لا إله إلا الله"، تفلحوا هي كلمة التوحيد. فعن الشيخ محي الدين

¹ محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين، المخطوط السابق، و 5، ظ.

² إسماعيل البخاري، كتاب الدعوات، باب فل ذكر الله عز وجل، حديث رقم : 6408، ص 1596.

³ محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين، المصدر السابق، ص 95.

⁴ السيوطي: هو الفقيه، الحافظ، المحدث أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. توفي سنة 911 هـ. له تأليفات كثيرة، وقيل إنها بلغت ستمائة كتاب. ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج.1، ط.1، 1387/1926م، ص 335.

⁵ السيوطي، الحاوي للفتاوي، تح: عبد اللطيف حسن، ج.1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1421/2000م، ص 379.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

يستهل كلامه بالأجر العظيم وراء ذكرها ويذكر الآيات التي تدلّ على صحّة هذا الذكر كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾¹.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾². ويتطرق الشيخ إلى آيات عدة وأحاديث وأقوال الشيوخ التي تثبت استحباب قوله³، ولا جدل إذ ذكرها الإنسان مفردة وحتى المصطفى، كان يذكرها في العديد من الأحيان مفردة، حيث يقول: "أفضل ما قلت والنبليون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"⁴. ويدعم حديثه بقول الشيخ خليل وما زاده الإمام الخرشي وابن زكري والحطاب ويذكر ما يثبت جواز إفراد "لا إله إلا الله"، ويدعمها بأن ذكر الله تعالى هو ذكر لرسوله المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام⁵.

يبين لنا الشيخ محي الدين في مصنفه أن ذكر الله تعالى لا ينبغي أن يصرف الذاكر عن ذكر النبي ﷺ، إذ لا تعارض بين محبة الله ومحبة رسوله، بل إن إكمال الإيمان لا يكون إلا بهما معاً. وفي هذا السياق، يظهر موقف الشيخ محي الدين مجرداً من التعصب أو التشنّج، متحرراً من التقليد الأعمى، مستسلماً لما تملّيه نصوص الشريعة، متبّعاً فيها أقوال الأئمة والعلماء الأقرب إلى قناعاته، دون أن ينكر على المخالف، ما لم يكن في قوله تحامل أو مخالفة صريحة لأصل من أصول الدين.

هذا المنهج هو ذاته ما نجده عند العلامة الشيخ أبي رأس الناصري، الذي تطرّق هو الآخر إلى هذه المسألة في كتابه المعروف "الحاوي في نبذ التصوف"، فتناول جواز الإفراد بلفظ الجلالة - أي قول "لا إله إلا الله" مفردة - وهي المسألة التي شغلت بال أهل بايلك الغرب في ذلك

¹ - سورة محمد، الآية: 19.

² - سورة الصافات، الآية: 35.

³ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين ...، المخطوط السابق، ورقة 13، ظ.

⁴ - البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، الجامع لشعب الإيمان، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد مكتبة الراشد، الرياض، ط.1، 1423هـ/2003م، ج.2، فصل في أئمة ذكر الله حديث رقم: 570، ص 96.

⁵ - محي الدين بن مصطفى المختاري الحسني الجزائري، إرشاد المريدين، المخطوط السابق، ورقة 12، ظ.

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا
العصر، حتى أصبحت موضع نقاش بين علمائه ومؤرخيه، لما أثارته من جدل في أوساط الزوايا
والمتصوفة.

ويلاحظ أن الشيخ أبي رأس، رغم إنصافه وموضوعيته، لم يتخلّ عن عرض رأيه العقدي
بوضوح، فناقش المسألة المعروفة بـ"حكم الذكر بالله مفردة"، وذكر فيها قول الإمام الخطاب في
شرح مختصر خليل، عندما سئل العز بن عبد السلام عن ذلك، فأجاب بأنها "بدعة". لكن الحافظ
أبي رأس لم يتوقف عند هذا القول، بل نقل ما يخالفه من كلام شهاب الدين الخفاجي في شرحه
لخطبة الشفاء، ثم علّق قائلاً: "وهذا هو الحق"، مشيراً إلى أن القول بجواز الأفراد هو الذي ترجّح
عنده، بل وأكد أن عدة رسائل ألّفت في الرد على رأي العز بن عبد السلام في هذا الباب.

ومن جهة أخرى، فإن الحافظ أبا رأس نفسه، رغم دفاعه عن الأفراد، ذهب إلى اعتبار الذكر
الجهري بدعة، حيث قال في الحاوي: "قلت: الذكر فالجهر به بدعته مطلقاً، إلا إذا كان السر
يؤدي إلى الترك".

ومن خلال هذه المعالجات الدقيقة لمسائل الذكر، يتبيّن لنا أن مخطوطات بايلك الغرب
تناولت البعد الديني العقدي بجدية وعمق، وعالجته معالجة علمية، بعيدة عن الشعبوية أو التقليد.
فقد كان علماءها فقهاء ومجتهدين كالرمّاصي، ومحدثين مطلعين كالمجّاجي، ومفسرين نابھين
كأبي رأس الناصري، يجمعهم اطلاع واسع على أمهات الكتب، وتأصيل علمي رصين

و-التحذير من الغرور والكبر:

إن الكبر داء خطير، وشر مستطير، عواقبه وخيمة ونتائجه سيئة في الدنيا والآخرة من ابتلي
به قاده إلى كل سوء ومنعه من كل خير، فهو من كبائر الذنوب فنجد العلامة محي الدين فتح الله
له سبعون باباً " من الفقر وقال ﷺ: "من تزحزح لغني طالبا ما في يديه، ذهب ثلثا دينه".

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

ولا تطلب رضي الناس بسخط الله تعالى قالت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: " من طلب رضي الله بسخط الناس، كفاه الله الناس، ومن طلب رضي الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ".

وختم مؤلفه بقول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: " إن الله عز وجل أخفى ثلاثة أمور في ثلاثة أمور: أخفى رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطاعات شيئا لعل فيها رضاه. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن من المعاصي شيئا لعل فيها سخطه. وأخفى أوليائه في خلقه، فلا تحقرن أحدا من خلقه لعل يكون وليا من أوليائه".

يُستشف من خلال هذا المصنّف أن العلامة محي الدين كان ابن بيئته، متأثراً بسياق عصره الذي تميّز بتغلغل الروح الصوفية في الفكر العقدي، فانصبغت عقيدته وآراؤه الكلامية بصبغة صوفية معتدلة، جمعت بين العقل والعرفان، وبين البرهان والذوق، دون أن يطغى أحد الجانبين على الآخر. فكان نموذجا حيا لما يمكن أن نسميه "العقلانية الصوفية"، أو الاعتدال الكلامي، حيث لم تلغ عنده النزعة العقلية طراوة الذوق الصوفي، كما لم يفرط في النصوص بحجة الكشف أو الحدس.

وفي هذا السياق، يمكن القول إنّ الإمام محي الدين يُعدّ ظاهرة علمية في بايلك الغرب، بالرغم من قلة ما وصل إلينا من تصانيفه، إذ يكفي مصنّفه إرشاد المريدين ليشهد على عمق رؤيته واتّساع أفقه. فقد قدّم فيه معالجة هادئة ومترنة للمسائل الخلافية، متجرداً من التعصب، رافضاً التشنّج، ساعياً إلى جمع الكلمة وتفهمّ المواقف المختلفة، وهو ما يتجلى في ردّه على من تحامل من المخالفين بعضهم على بعض، إذ لم يقتصر على الرد، بل أوضح سياق كلامهم وبين مقصودهم، في بُعد تربوي واضح يروم الإصلاح لا الخصام.

وبذلك، لم يكن الشيخ محي الدين مجرد ناقل لتراث من سبقه أو مكرراً لما دونه الأوائل، بل كان بمثابة الجسر الذي ربط بين معارف متوارثة ومفاهيم متجددة، فقد نهل من معين علم الكلام الأصيل، وغرف من بحر التصوّف النقيّ، ونسج بينهما نسيجاً علمياً وفكرياً متوازناً، يقوم على

الفصل الرابع:.....: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية : بايلك الغرب أنموذجا

منهج المقاربة والتكامل لا الصدام والمغالبة. وهذا الأسلوب جعل من آرائه وإجتهاداته العلمية ذات صدى مؤثر في محيطه، وذات وقع خاص لدى المعنيين بالفكر الديني في بيئته، لما اتسمت به من رصانة في الطرح ووسطية في الرؤية وإنفتاح في الفهم.

ويختتم مصنفه لما له أهمية ولذكره فيه آيات عديدة من القرآن الكريم¹، يذكر العلامة محي الدين في هذا المصنف أنه علينا بالتسليم والتواضع لله عز وجل ولأوليائه الصالحين فإنه من تواضع لله رفعه، والرفعة لا تكون إلا بقدر النزول ويورد قول الشيخ عبد القادر:


مِنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِتَكَبُّرٍ *** تَجِدُهُ صَغِيرًا فِي الْعُيُونِ الْأَجَلَةِ².

ومما ينبغي التنبيه إليه أن باب التوبة لا يُغلق في وجه العبد مهما بلغت ذنوبه أو تقدّمت به السن، فالمعصية في الكبر لا تسقط وجوب التوبة، ولا يجوز أن يكون الطمع في الدنيا أو الميل إلى أهلها دافعاً لمخالفة الحق وموالاته الباطل. ويورد في هذا السياق قول الحسن البصري رضي الله عنه: لما سأله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه: "ما ملاك الدين؟" قال: "الورع"، فقال له: "وما آفة الدين؟" قال: "الطمع". ومن فُتح له باب من الطمع، تعجّب الحسن منه وقال: "مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة"³.


¹ - سورة الإحقاف، الآية: 20، سورة الزمر ، الآيات: 71، 72. سورة الأعراف، الآيات: 40، 41، سورة القصص، الآية: 83 ، سورة غافر، الآية: 60 ، سورة النساء، الآيات: 172-173. سورة آل عمران، الآية: 140، سورة الإنسان: الآيات: 1، 2، سورة الطارق الآيات: 5-7. سورة عبس الآيات: 17، 22، سورة النحل: أية 78. ينظر القرآن الكريم.

² - الشيخ عبد القادر، الديوان ، المصدر السابق، ص 100.

³ - زين الدين أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ، تع: القاضي زكريا بن محمد الانتصاري ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، 2007، ص 54.



خاتمة



لقد ظلت المخطوطات على مرّ العصور الحاضن الأمين للمعرفة، والمعبر الصادق عن حركية الفكر العلمي في المجتمعات الإسلامية، إذ حفظت نتاج العقول، وروح الاجتهاد، وسيرورة التفاعل بين النصوص والمؤلفين، وبين الواقع والتفسير. وإنّ الإهتمام بالمخطوط لا يعني العودة إلى الماضي من باب الحنين، بل يُمثّل استدعاءً فاعلاً لذاكرة علمية وثقافية كان لها دور بارز في صياغة الهوية، وتوجيه السلوك الفردي والجماعي، وتثبيت المرجعيات الدينية والفكرية على أسس راسخة.

وفي هذا الإطار، جاءت دراستنا الموسومة بـ: "الأهمية الثقافية والدينية للمخطوطات الجزائرية خلال العهد العثماني – بايلك الغرب أنموذجاً" لتسلّط الضوء على زاوية منسية من زوايا الذاكرة الوطنية، وتعيد إلى الواجهة مجهوداً علمياً هائلاً قام به علماء هذا القطر في ظرف زمني كانت فيه المخطوطة أداة المعرفة الأولى، ووسيلة التعليم، ومرجع التحصيل، وسند التكوين.

وقد كشفت الدراسة عن جوانب متعدّدة من عناية علماء بايلك الغرب بالمخطوط، سواء من حيث التأليف أو النسخ أو التدريس، وهو ما يدل على الحيوية الفكرية التي ميزت هذا الإقليم، وعلى مساهمته الواضحة في بناء الثقافة الإسلامية الجزائرية خلال العهد العثماني.

وبعد إستعراض المادة العلمية وتحليل النصوص المخطوطية، واستقراء السياق الثقافي والديني الذي أحاط ببائلك الغرب خلال العهد العثماني، أمكننا من خلال هذه الدراسة الوصول إلى مجموعة من النتائج التي تعكس عمق الأثر الذي تركته المخطوطات في تشكيل الهوية العلمية والدينية للمنطقة. وقد ساعدنا تتبّع النماذج المدروسة، والإطلاع على أقوال العلماء وتراجمهم، وتحليل بنية المخطوطات ومضامينها، على رسم صورة متكاملة عن هذا الإرث الحضاري المهمّ.

من خلال هذا المسعى البحثي، الذي أتاح لنا الغوص في بنية المخطوطات ومعاينة سياقاتها الثقافية والدينية، تبين لنا – بعون الله وتوفيقه – عدد من النتائج الجوهرية التي تسلّط

الضوء على الأثر العميق والفاعل الذي أحدثته هذه المخطوطات في تشكيل المشهد العلمي والفكري والديني في بايلك الغرب خلال العهد العثماني.

وفيما يلي عرض لأبرز ما توصلنا إليه من نتائج:

❖ شكّل بايلك الغرب، عبر محطات تاريخية متعاقبة، مركزاً مشعاً في ميادين العلم والمعرفة، إذ عُرف بحيوية فكرية متجددة أثمرت إنتاجاً معرفياً زاخراً، تجسّد في كمٍّ معتبر من المخطوطات. وقد حافظ هذا الزخم الثقافي على إستمراريته خلال العهد العثماني، ما يدلّ على عمق الترسيخ العلمي الذي عرفته الجهة الغربية من البلاد.

❖ عرف بايلك الغرب حضوراً قوياً لمؤسسات ثقافية ذات إشعاع علمي، تجاوز صداها حدود الإيالة الجزائرية، ما يعكس مستوى راقٍ من النمو المعرفي الذي لم يكن وليد الصدفة أو منبتّ الجذور، بل كان ثمرةً طبيعية لجملة من العوامل المتداخلة. في مقدّماتها: حركية العلماء وتواصلهم العلمي بين الجزائر والمغرب الأقصى، حيث شكّلت الرحلات العلمية وسيلة أساسية في تبادل المعارف وتراكم الخبرات. يُضاف إلى ذلك الدور البارز الذي اضطلع به بعض البايات في رعاية الحركة الفكرية، وفي مقدّمهم الباي محمد الكبير، الذي أولى العلماء عناية خاصة، وشجّعهم على التأليف، وخلق لهم مناخاً محفّزاً على الإنتاج العلمي والتدوين.

❖ ساهم الموقع الإستراتيجي الذي تميّز به بايلك الغرب، شأنه شأن باقي البايليكات، في جعله محطّ أنظار القوى الأجنبية، وعلى رأسها إسبانيا، التي طمحت إلى بسط نفوذها على المنطقة. وقد انعكست هذه الأطماع بوضوح في واقع الإقليم، مما دفع عدداً من علماءه إلى توثيق هذه المرحلة الحرجة من خلال مخطوطات تتغلّ أبعاد التهديدات وتصف حال البلاد في ظل التريص الإستعماري. ومن أبرز هؤلاء المؤلفين: أبو رأس الناصري، وابن سحنون الراشدي، وابن زرفة الدحاوي، وغيرهم ممن أسهموا في تسجيل وقائع تلك المرحلة بأقلامهم، فجعلوا من المخطوط مرآة ناطقة بتاريخ المقاومة الثقافية والسياسية.

❖ يُعزى الفضل في تحرير وهران وإستعادة بايلك الغرب لهيبته ومكانته إلى شخصية الباي محمد الكبير، الذي مثل بحق أحد أعمدة النهضة السياسية والعلمية في المنطقة. فقد استطاع هذا القائد أن يعيد رسم ملامح القوة والسيادة، لا فقط على المستوى العسكري، بل أيضاً من خلال ما أنجزه من إصلاحات حضارية ومبادرات دينية كانت محل إشادة في التراث المخطوط. وقد تناولها عدد من المؤلفين المعاصرين له واللاحقين عليه، مسلطين الضوء على أثره العميق في النهوض بالمنطقة، علماً وثقافةً ودينًا.

❖ شهدت حواضر البايك، خلال العهد العثماني، إزدهاراً لافتاً في الحياة الثقافية، تجلّى في كثرة المؤسسات العلمية وإنتعاش حركة التأليف والتصنيف. وقد ترك هذا الحراك الفكري بصمات واضحة في شكل مخطوطات قيمة ألّفها أعلام بارزون من علماء المنطقة. ومن أبرز هذه النماذج: أبو رأس الناصري بمؤلفاته "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" و"فتح الإله"، وابن زرفة بمخطوطه "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، فضلاً عن ابن هطال التلمساني في "رحلة الباي محمد الكبير إلى الغرب الجزائري"، وغيرها من الأعمال التي تُعدّ شواهد حيّة على حيوية العقل الجزائري وثنائه المعرفي في تلك الحقبة.

❖ شهد بايلك الغرب خلال العهد العثماني تأسيس عدد معتبر من المدارس والكتاتيب، التي ارتقت إلى مراتب عالية من الشهرة والإحترام، كما تواترت الإشارات إلى ذلك في مدونات التراث المخطوط. وقد برزت من بينها مؤسسات تعليمية مرموقة في تلمسان، ووهران، ومازونة، ومعسكر، التي شكّلت منارات علمية في زمانها. وقد عبّر المؤرخ أبو رأس الناصري عن هذا الوهج العلمي بقوله البليغ: "هي المدينة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها"، في إشارة إلى غزارة الإنتاج المعرفي وتعدد حلقات العلم التي عُرفت بها تلك الحواضر.

❖ شكّلت الزوايا في بايلك الغرب ركيزة إستراتيجية في البنية الثقافية والدينية، إذ كانت بمثابة همزة وصل بين المناطق الداخلية والخارجية. ويُعدّ إنتشار الطريقة السنوسية أحد أبرز مظاهر هذا الإمتداد، حيث امتد تأثيرها من المغرب إلى المشرق، وبُستدّل على ذلك بتأسيس الشيخ السنوسي زاوية الجغبوب بليبيا، التي لا يزال صداها حاضراً في المشهد الديني إلى يومنا هذا.

❖ مثل الوقف والإجازات العلمية دعامة أساسية لإستمروية الحركة الثقافية والعلمية في المنطقة، كما ظلّ التعليم متمركزاً حول العلوم الشرعية بالدرجة الأولى. وتعدّ المخطوطات الدينية، وعلى رأسها مخطوط "إتحاف المريدين" للشيخ محيي الدين والد الأمير عبد القادر، من أهم ما خلفه علماء بابل في الغرب؛ إذ شكّلت مرجعاً معرفياً يرجع إليه الطلبة والباحثون في مجالات الشريعة والعقيدة.

❖ رغم وجود رصيد لا بأس به من المخطوطات ذات الطابع الديني والثقافي في المكتبات العامة والخاصة على حد سواء، إلا أن الباحث يواجه صعوبات حقيقية في الوصول إلى المخطوطات المحفوظة في الخزائن الشعبية والمكتبات الخاصة، وذلك بسبب تخوف مالكيها من ضياعها أو فقدانها. وغالباً ما يشترط الاطلاع عليها وجود معرفة شخصية أو توصية من جهة موثوقة.

❖ تباينت مواقف أصحاب التراث المخطوط من السلطة العثمانية في الجزائر؛ إذ أبدى عدد كبير منهم ولاءً واضحاً للنظام القائم، وقد انعكس ذلك في مضامين مؤلفاتهم، ومن أبرزهم: أبو رأس الناصري، والأغا بن عودة المازري، وابن سحنون. في المقابل، ظهرت أصوات معارضة نادرة، من أبرزها المؤرخ أبو عثمان سعيد المنداسي، الذي عاش في القرن السابع عشر، وانتقد الحكم العثماني بشدة في قصيدته النونية المشهورة.

❖ تميّزت مخطوطات بابل في الغرب بخطها المغربي، الذي تباينت ملامحه من مصنف لآخر، واستعملت في كتابتها أنواع متعدّدة من الورق المقاوم لعوامل الزمن. وقد كتبت بعض المخطوطات بخطوط مؤلفيها، فيما نُسخت أخرى بأقلام غيرهم، وأضيفت إليها لاحقاً حواشٍ وتعليقات وتقييدات، مما يعكس حيوية التفاعل مع النصوص، وإمتداد أثرها في حلقات العلم المتعاقبة.

❖ لقد ازداد اهتمام الباحثين والمؤرخين بالمخطوطات في السنوات الأخيرة، وذلك يُعزى إلى قيمتها العلمية، والتاريخية، والفنية، إضافة إلى كونها جزءاً هاماً من التراث الوطني لمختلف البلدان العربية.

❖ عرفت الجزائر خلال العهد العثماني، بما في ذلك بايلك الغرب الجزائري، انتشاراً لظاهرة التصوف والتقليد والدروشة، مما أدى إلى ضعف العلم وانحطاط العلوم. أما الأدب والشعر وفنونهما، فلم يتجاوزا المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية. وكان منتوج علماء الجزائر يغلب عليه طابع التقليد من حيث التفكير وجمود العقول.

❖ إن للمخطوطات مكانة كبيرة في الحفاظ على تاريخ المجتمعات، من بداية التدوين إلى يومنا هذا. ويعود ذلك بالطبع إلى ما تحمله هذه الدرر من موروث ثقافي وعلمي عظيم. وتعدّ المخطوطات من أهم وأولى المصادر التاريخية التي يلجأ إليها الباحثون والمؤرخون في كتاباتهم التاريخية، للحفاظ على تراثهم الثقافي. فكلما ازدادت المحافظة على هذا الموروث، كلما تمسكنا بإرث الأجداد. إن هذا الموروث يمثل كنزاً بالنسبة لنا، فهو يُطلعنا على أسرار الأمم السابقة وكيف تعايشت مع بيئتها.

❖ كانت التمردات والثورات المحلية (مثل ثورة التجانية والثورة الدرقاوية) في بايلك الغرب الجزائري انعكاساً للأوضاع التي عاشها المجتمع الجزائري. فقد كانت تمردات شعبية وانتفاضات ضد جور العثمانيين، خاصة في أواخر عهدهم، جراء سياساتهم الضريبية. كما أنها حاولت وضع حد لامتيازات الأجانب في البلاد، مما أدى إلى إنهاك القوى العثمانية في الجزائر. وقد استنزفت قوى المجتمع الجزائري بشرياً ومادياً، وبالتالي لم تزد البلاد أمناً واستقراراً، بل عرضتها لمخاطر خارجية، ولا سيما الغزو الأجنبي الذي تمكنت فرنسا من تحقيقه سنة 1830م.

بعد هذا المسار البحثي الذي سعيينا من خلاله إلى مقارنة موضوع "الأهمية الثقافية والدينية للمخطوطات الجزائرية خلال العهد العثماني - بايلك الغرب أنموذجاً"، تبين لنا أن هذه الرقعة الجغرافية لم تكن مجرد مجال إداري أو سياسي فحسب، بل كانت فضاءً معرفياً نشطاً، عرفت فيه الحركة العلمية أوجهاً، فانبثقت فيه المدارس، وشيّدت الزوايا، وتأسست الكتاتيب، وشهدت الساحة الثقافية فيه تلاقحاً علمياً واسعاً بين العلماء، مما أدى إلى بروز إنتاج مخطوطي نوعي يُعدّ اليوم من الكنوز التراثية الثرية التي تحفظ لنا جانباً مهماً من الذاكرة الدينية والثقافية للمنطقة.

وقد كشفت الدراسة أن بايلك الغرب لم يكن معزولاً عن الفضاءات الثقافية المجاورة، بل كان جزءاً من شبكة تواصل علمي بين المغرب الأوسط والمشرق والمغرب الأقصى، ساهمت فيه الرحلات العلمية، والبعثات التعليمية، ونظام الإجازات والوقف. كما أبرزت أن المؤسسات الدينية، من زوايا ومساجد، لم تكن مراكز للعبادة فقط، بل مراكز لإنتاج المعرفة ونقلها وتداولها، وهو ما يظهر جلياً فيما خلفه علماء هذه الجهة من مؤلفات ومخطوطات تحمل أبعاداً دينية وتاريخية وتعليمية وتوثيقية.

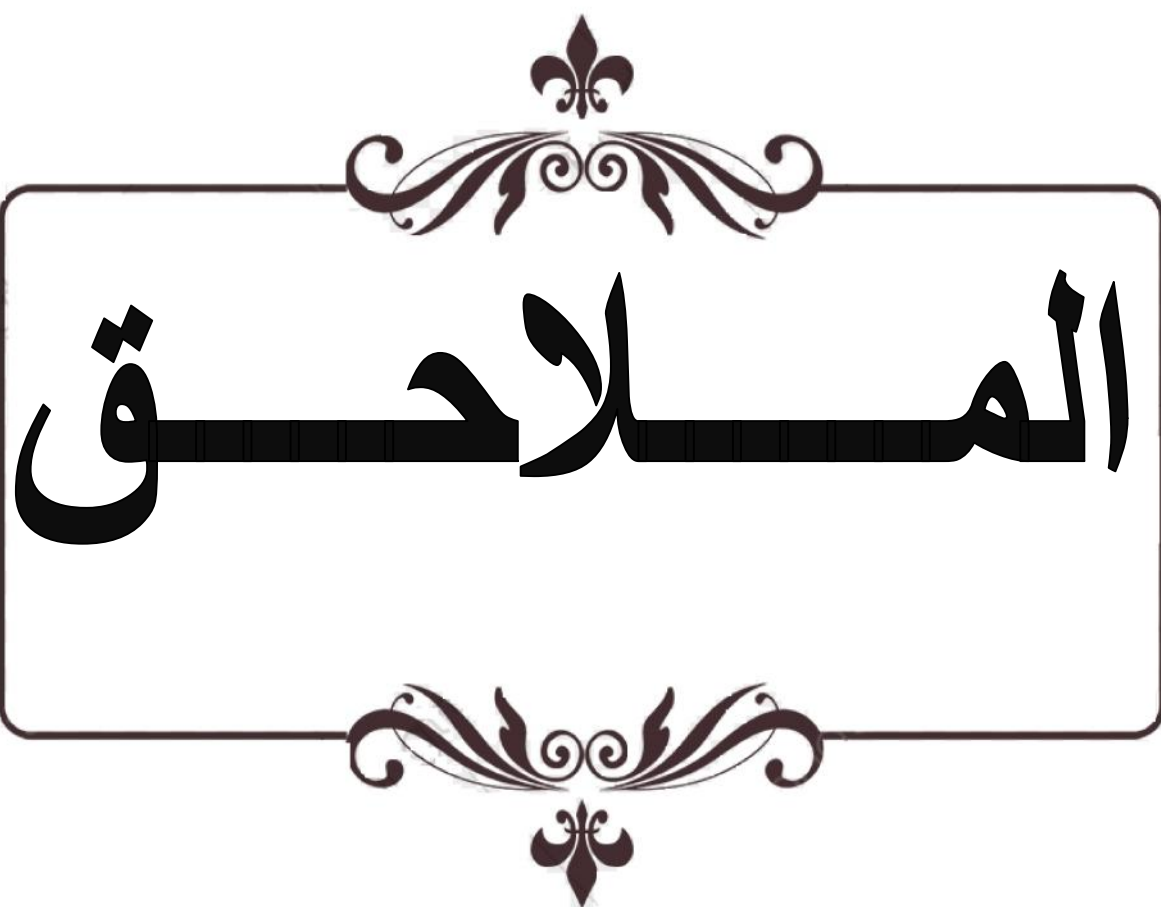
وبناءً على ما توصلنا إليه من نتائج، يمكن اقتراح جملة من التوصيات نراها ضرورية لمزيد من الإثراء العلمي ولتنمين هذا التراث المهم:

1. ضرورة جرد علمي شامل للمخطوطات الموجودة في الخزائن العامة والخاصة داخل بايلك الغرب، والعمل على فهرستها وتصنيفها، حتى يسهل على الباحثين الوصول إليها، مع توثيق معلومات دقيقة عن نسخها وتواريخها ومضامينها.
2. تشجيع الرقمنة والتصوير الإلكتروني للمخطوطات، خاصة تلك التي توجد في حوزة الخزائن الشعبية والعائلات، لحمايتها من التلف والضياع، وتيسير تداولها بين الباحثين عبر قواعد بيانات علمية.
3. إطلاق مشاريع تحقيق علمي لمجموعة من المخطوطات المهملة أو غير المدروسة بعد، خاصة ما يتعلق منها بعلم الحديث، والتاريخ المحلي، والرحلات، والتراجم، لما لها من أهمية في إعادة تركيب المشهد الثقافي والديني للمنطقة.
4. ربط البحث العلمي الجامعي بالمخطوط المحلي، وذلك من خلال تشجيع طلبة الدراسات العليا على اعتماد هذه المادة التراثية كمصدر أو موضوع لأبحاثهم الأكاديمية.
5. ضرورة فتح حوار علمي مع أصحاب الخزائن الخاصة، لإقناعهم بأهمية التعاون مع الجهات العلمية والثقافية، وتقديم الضمانات الكافية لحفظ حقوقهم الفكرية وحماية تراثهم من المصادرة أو الضياع.

6. دعم التكوين الأكاديمي في مجال علوم المخطوط، بما في ذلك مهارات التحقيق، والدراسة النصية، والتوثيق، والنسخ، من خلال إدماج هذه المهارات في البرامج الجامعية أو من خلال دورات تدريبية متخصصة.

7. توسيع البحث في العلاقة بين المخطوط والسلطة الحاكمة خلال العهد العثماني، لمعرفة أوجه الدعم أو الرفض التي وجدت في ثنايا النصوص، وما تعكسه من مواقف سياسية وفكرية.

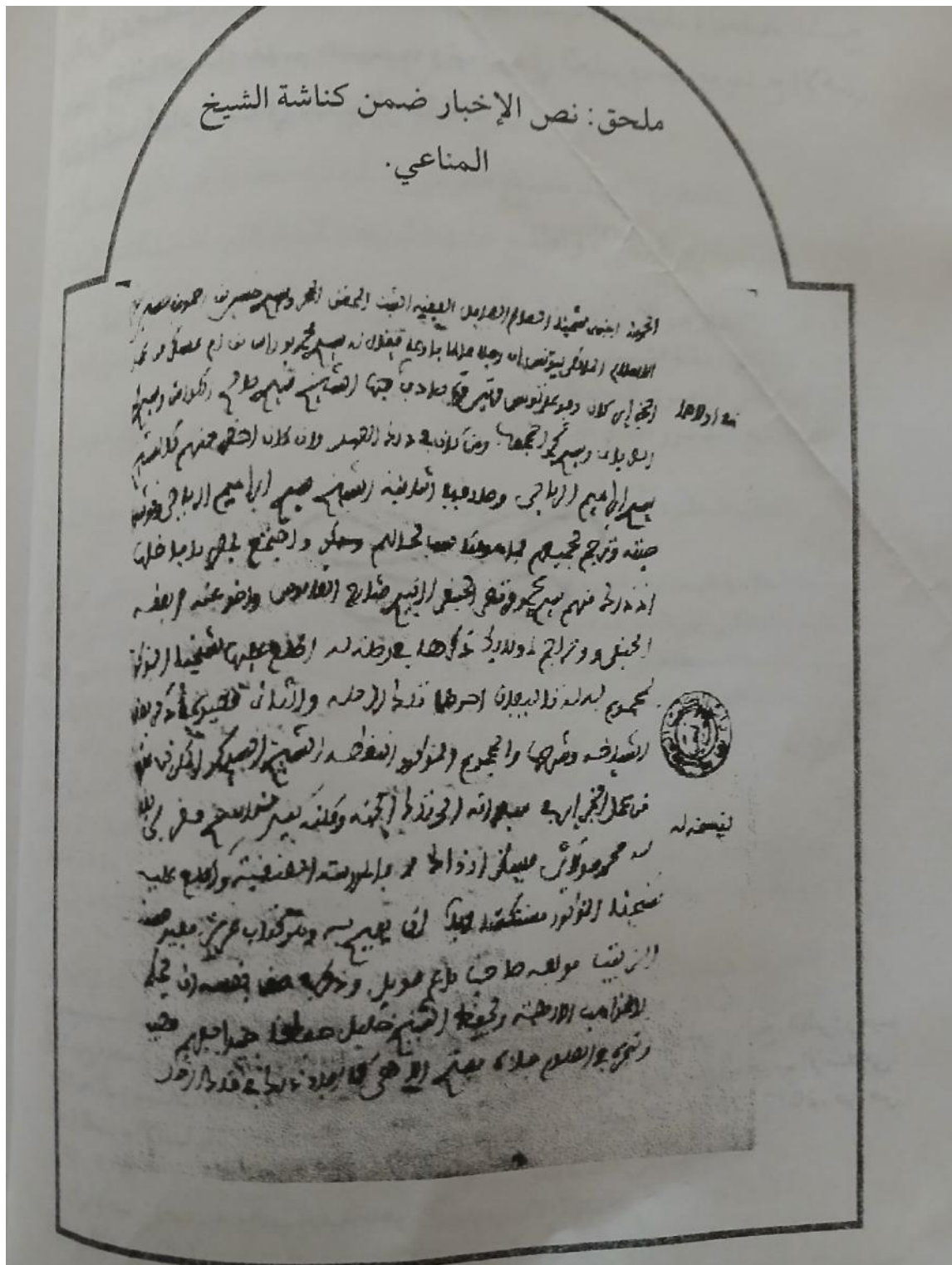
وفي الختام، نؤكد أن هذه الدراسة ليست نهاية القول، بل دعوة مفتوحة لمزيد من التعمق في هذا المجال الزاخر، ونأمل أن تسهم في تنشيط الوعي بقيمة التراث المخطوط، ليس فقط بوصفه مادة علمية جامدة، بل كجسر يربطنا بهويتنا الحضارية، وبضيء لنا ماضينا لنفهم حاضرننا ونرسم مستقبلنا.



فهرس الملاحق

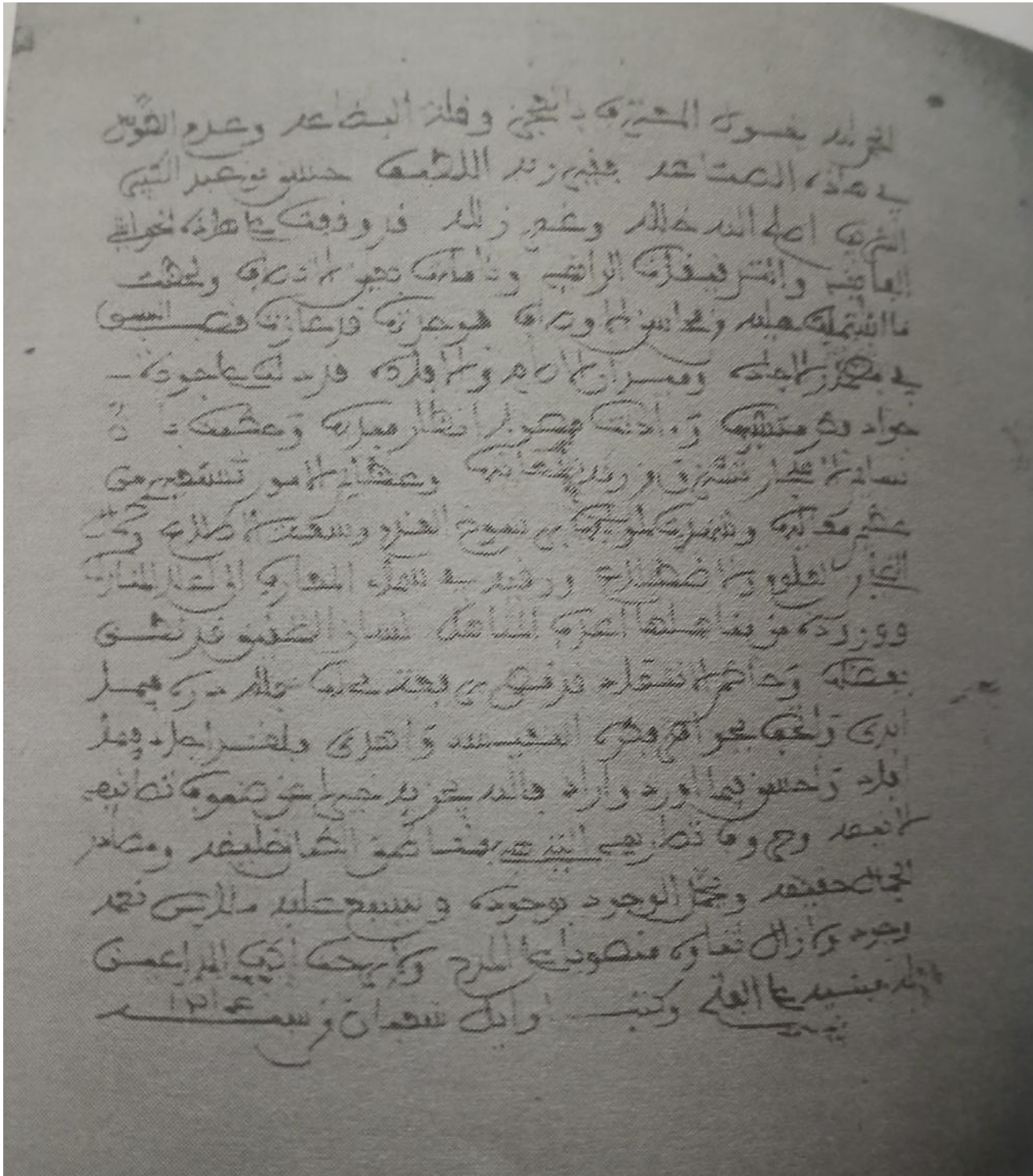
الرقم	مضمون المحتوى	الصفحة
01	يمثل كناشة نص الأخبار ضمن كناشة الشيخ المناعي	344
02	يمثل تقریض الشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف لكتاب عقد الحواشي للشيخ أبي راس الناصري.	345
03	يمثل نص إجازة العلامة الشيخ سيدي محمد أبي راس المعسكري ، للشيخ عبد القادر ابن عبد الله الدحاوي.	346
04	يمثل تعليقات محمد الثابتي	347
05	يمثل تقييد الشيخ أبي راس الناصري حول نسب المشارف من خلال تقييد الشيخ محمد بن محمد المصطفى المشرفي	348
06	يمثل تخميس للعلامة عبد الرحمن ابن أبي معزة لقصيدة العربي الدمناتي في مدح باي وهران.	349
07	يمثل تقریض حول وصف ومدح لشيخ الطيب بن عبد الرحمن لشيخ محي الدين ومخطوطه ارشاد المريدين.	350
08	يمثل نص نقيشة حول وقف خاصة بالسيدة شاشة بنت فحصي.	351
09	يمثل نازلة حول الطلاق أبدى أبي راس الناصري رأيه فيها.	352
10	يمثل نسختين من مخطوط " نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع " لابي راس الناصري.	353
11	يمثل مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير بوهران.	354
12	يمثل مخطوط الإكسير والإبريز ورقة الأولى من المخطوط.	355
13	يمثل مخطوط الإكسير والإبريز الورقة الأخيرة.	356
14	مخطوط الرماصي على شرح خليل ورقة الأولى	357
15	يمثل مخطوط الرماصي على شرح خليل ورقة الأخيرة	358
16	يمثل مخطوط شرح على صحيح البخاري لصاحبه المجاجي الورقة الأولى	359
17	يمثل مخطوط شرح على صحيح البخاري لصاحبه المجاجي الورقة الأخيرة	360
18	يمثل مخطوط إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين لصاحبه محي الدين بن مصطفى الجزائري الورقة الاولى.	361
19	يمثل مخطوط إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين لصاحبه محي الدين بن مصطفى الجزائري الورقة الاخيرة	362

الملحق رقم 01: يمثل كناشة نص الاخبار ضمن كناشة الشيخ المناعي¹.



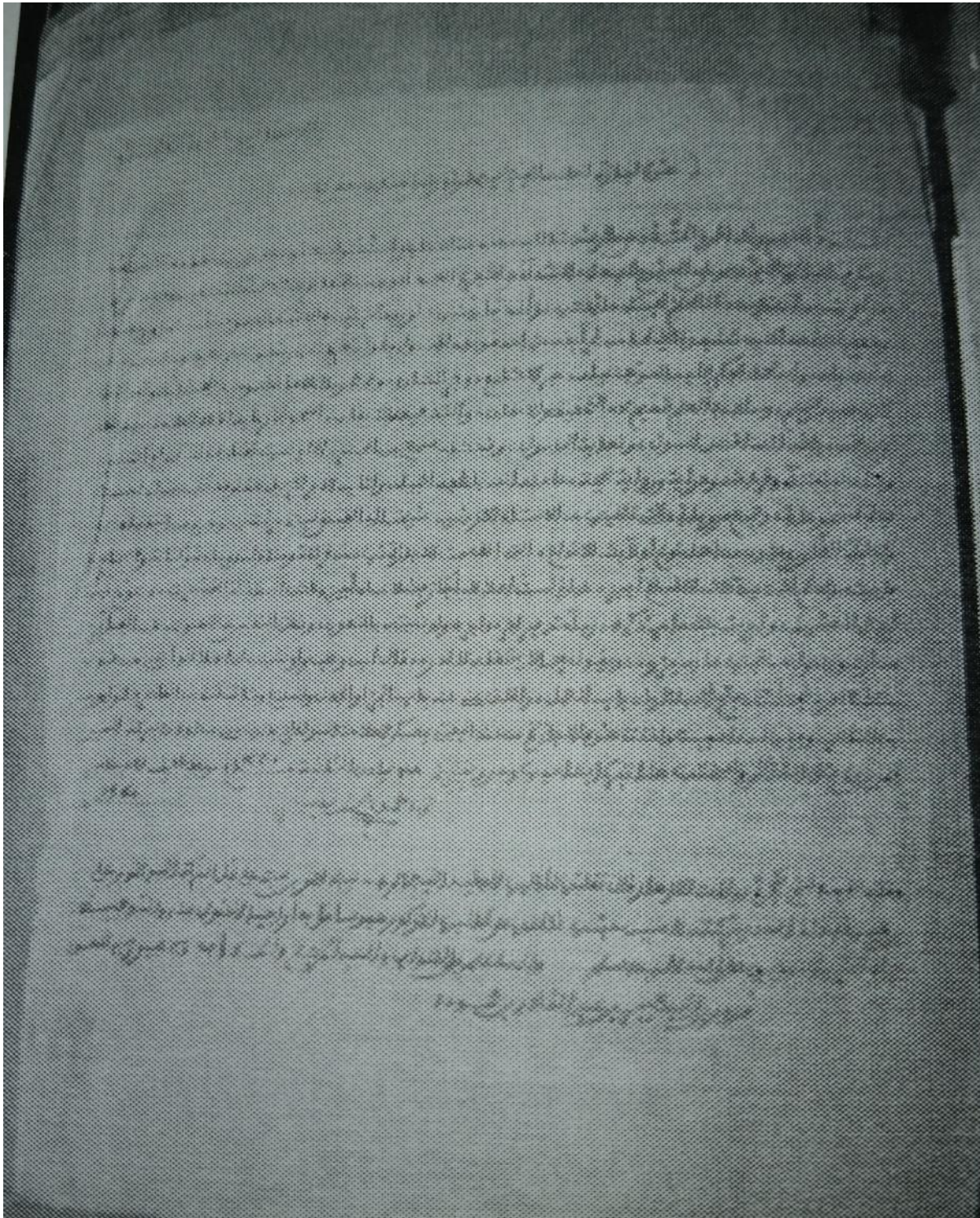
¹- مخطوط مص الاخبار ضمن كناشة الشيخ المناعي ، مكتبة صلاح الدين بنعوم، معسكر ، ورقة 03، ظ.

الملحق رقم 02: يمثل تقرير الشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف لكتاب عقد الحواشي للشيخ
ابي راس الناصري¹.



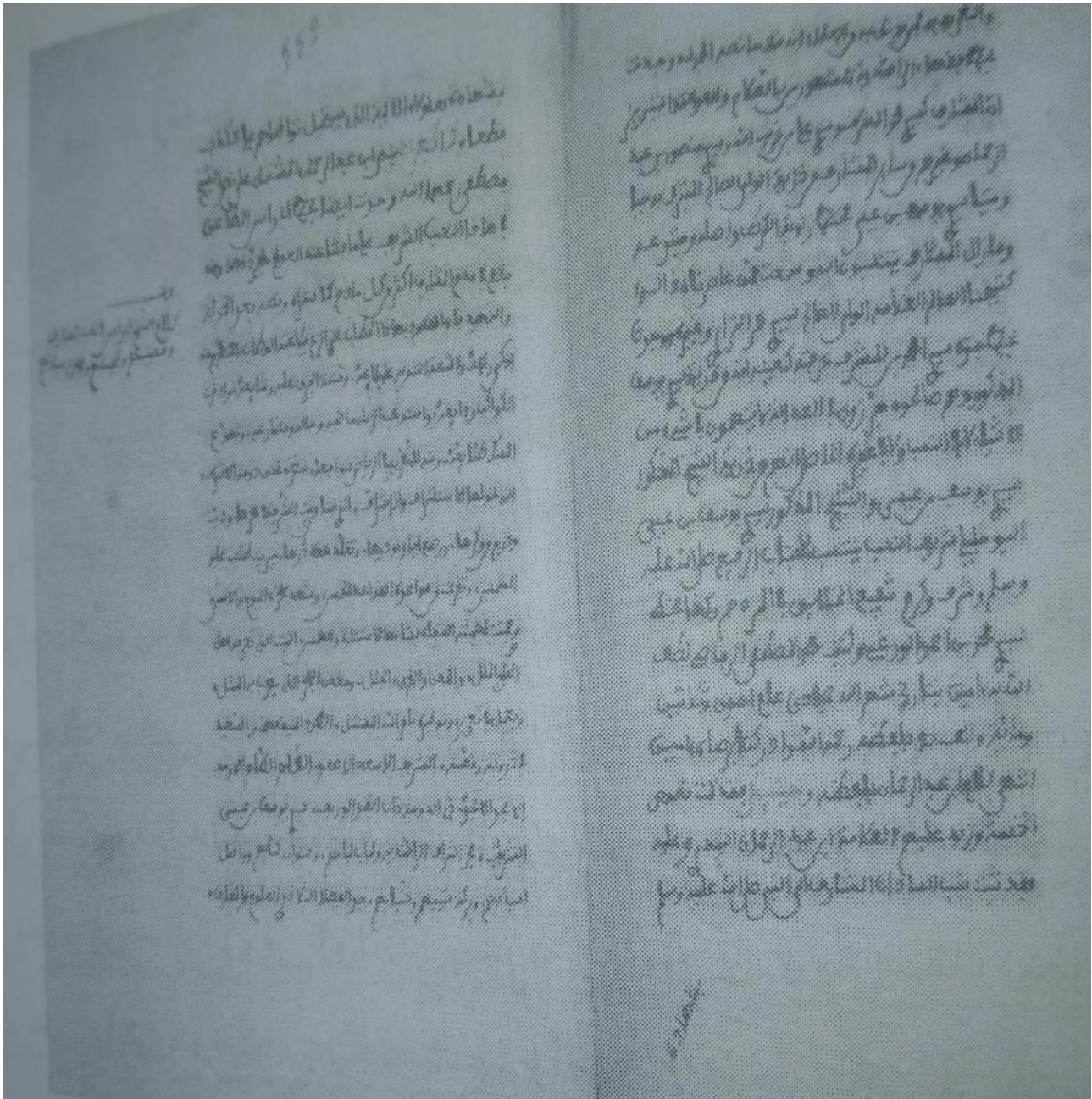
¹ - ابي راس الناصري، تقارير اعلام ومشايخ عصر الشيخ ابي راس الناصر على كتابه " واسطة عقد الحواشي على جيد شرح الشيخ الخراشي، مكتبة بلقرد بوكعبير ، معسكر .

الملحق رقم 03 : نص إجازة العلامة الشيخ سيدي محمد أبي راس المعسكري ، لشيخ عبد القادر
ابن عبد الله الدحاوي¹.



¹ - أبي راس الناصري، مخطوط نص إجازة العلامة الشيخ سيدي محمد أبي راس المعسكري ، لشيخ عبد القادر ابن عبد الله الدحاوي ، مكتبة بلقرد بوكعير، معسكر.

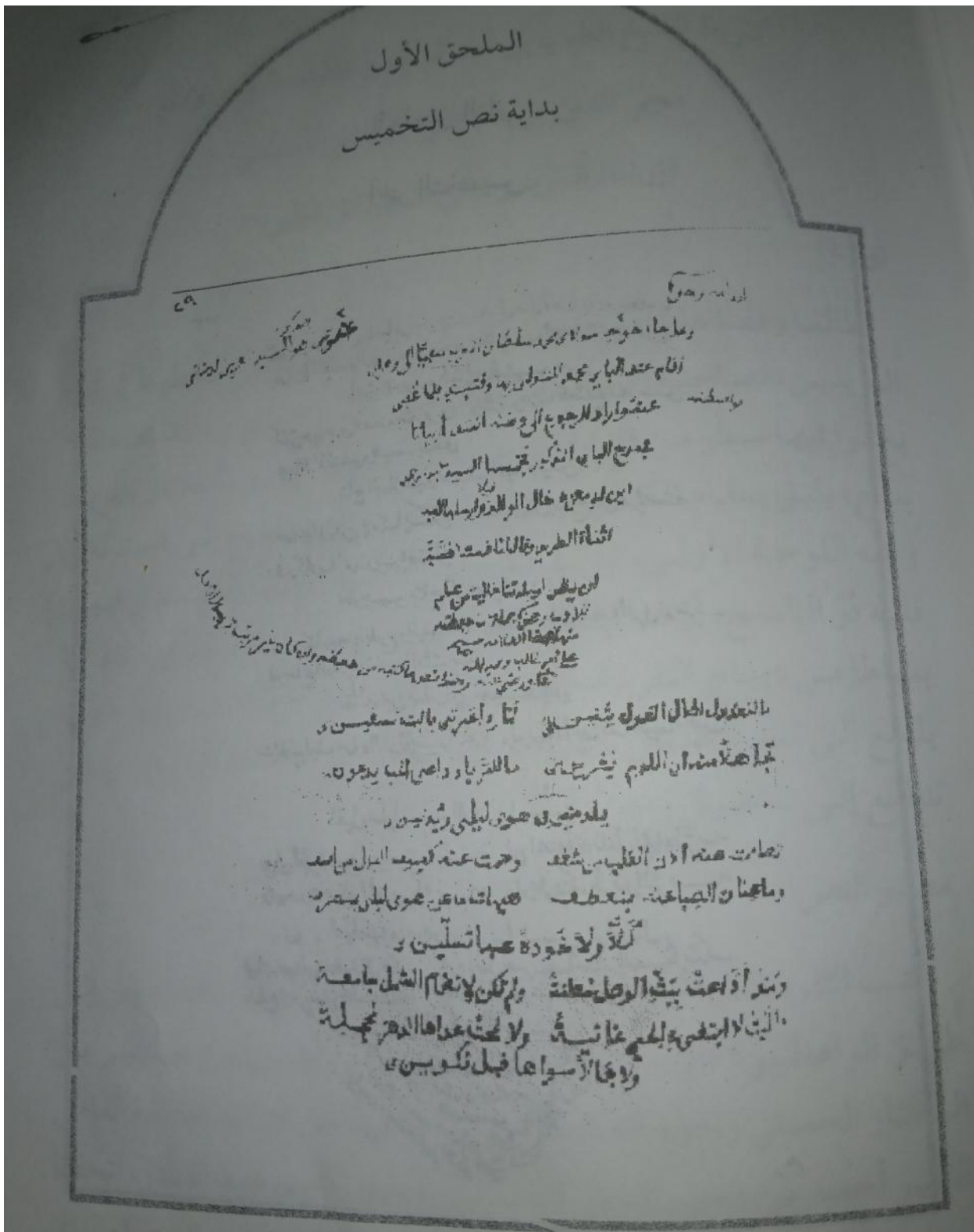
الملحق رقم 05: يمثل تقييد الشيخ ابي راس الناصري حول نسب المشارف من خلال تقييد الشيخ محمد بن محمد المصطفى المشرفي¹.



¹- تقييد الشيخ ابي راس الناصري حول نسب المشارف من خلال تقييد الشيخ محمد بن محمد المصطفى المشرفي،

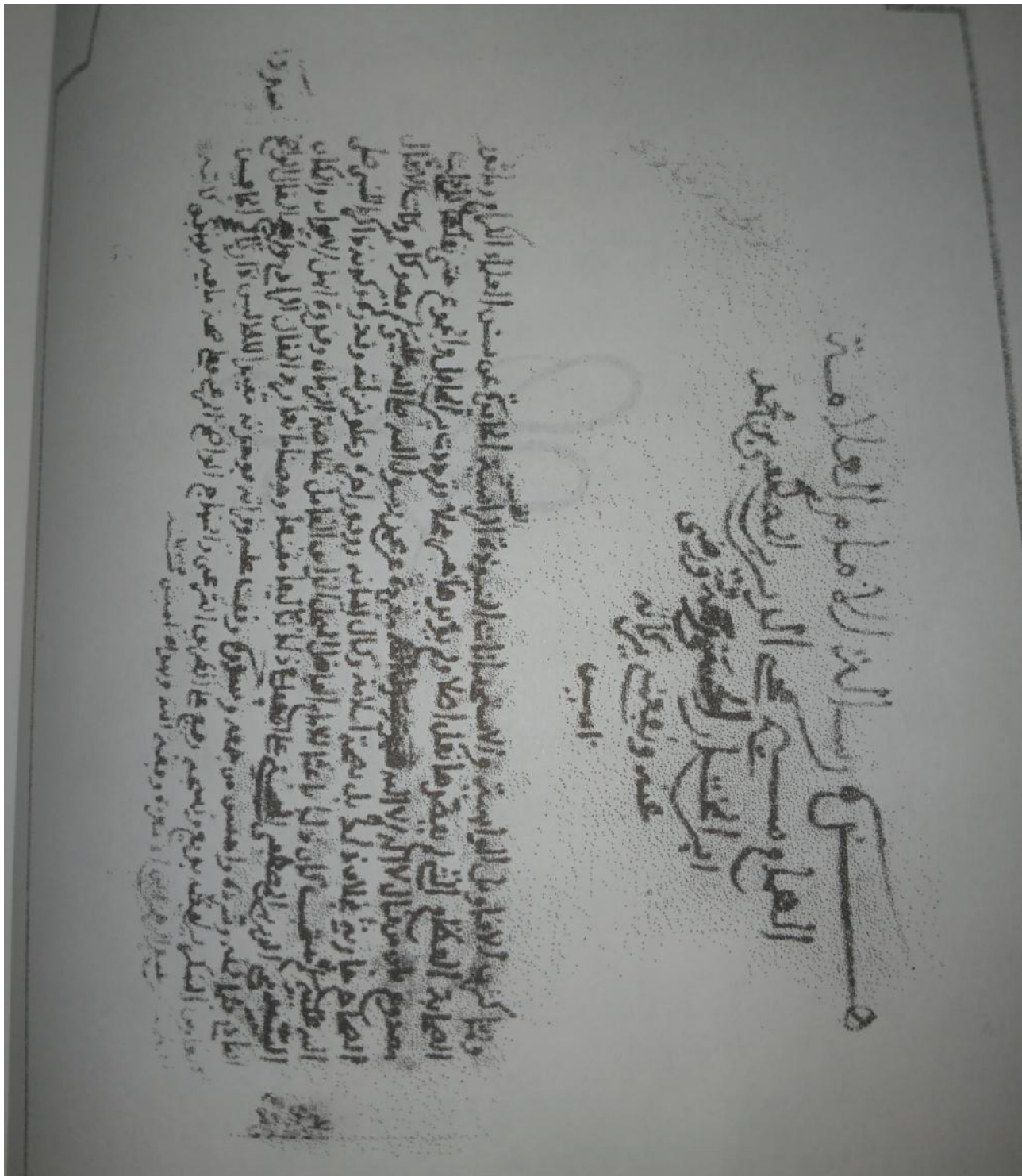
مخطوط متواجد بمكتبة بلفرد بوكبير، معسكر.

الملحق رقم 06: يمثل تخميس العلامة عبد الرحمن ابن ابي معزة لقصيدة العربي الدمناتي في مدح باي وهران¹.



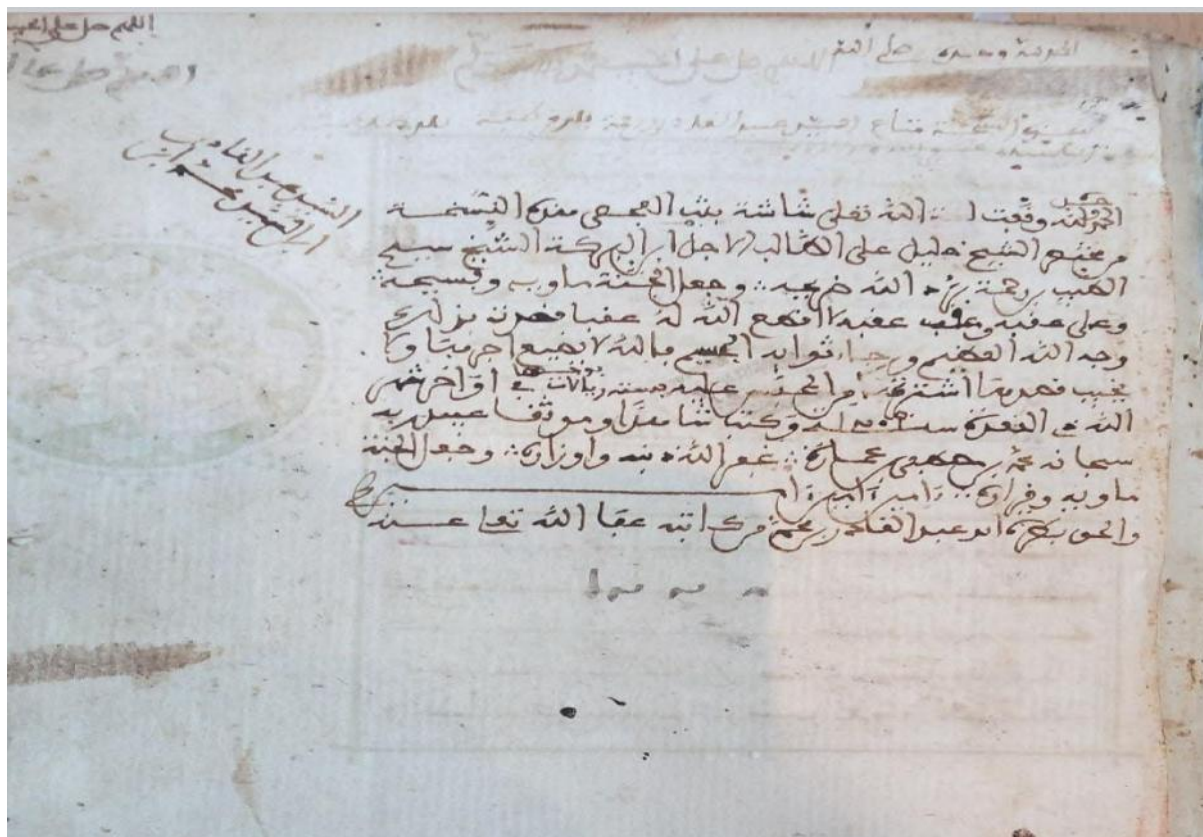
¹ - محي الدين الحسني ، ارشاد، المخطوط السابق، مخطوط متواجد بمكتبة صلاح الدين بن نعيم، معسكر، ورقة الأخيرة، ظ.

الملحق رقم 07: يمثل تقریض حول وصف ومدح لشيخ الطيب بن عبد الرحمن لشيخ محي الدين ومخطوطه ارشاد المريدين¹.



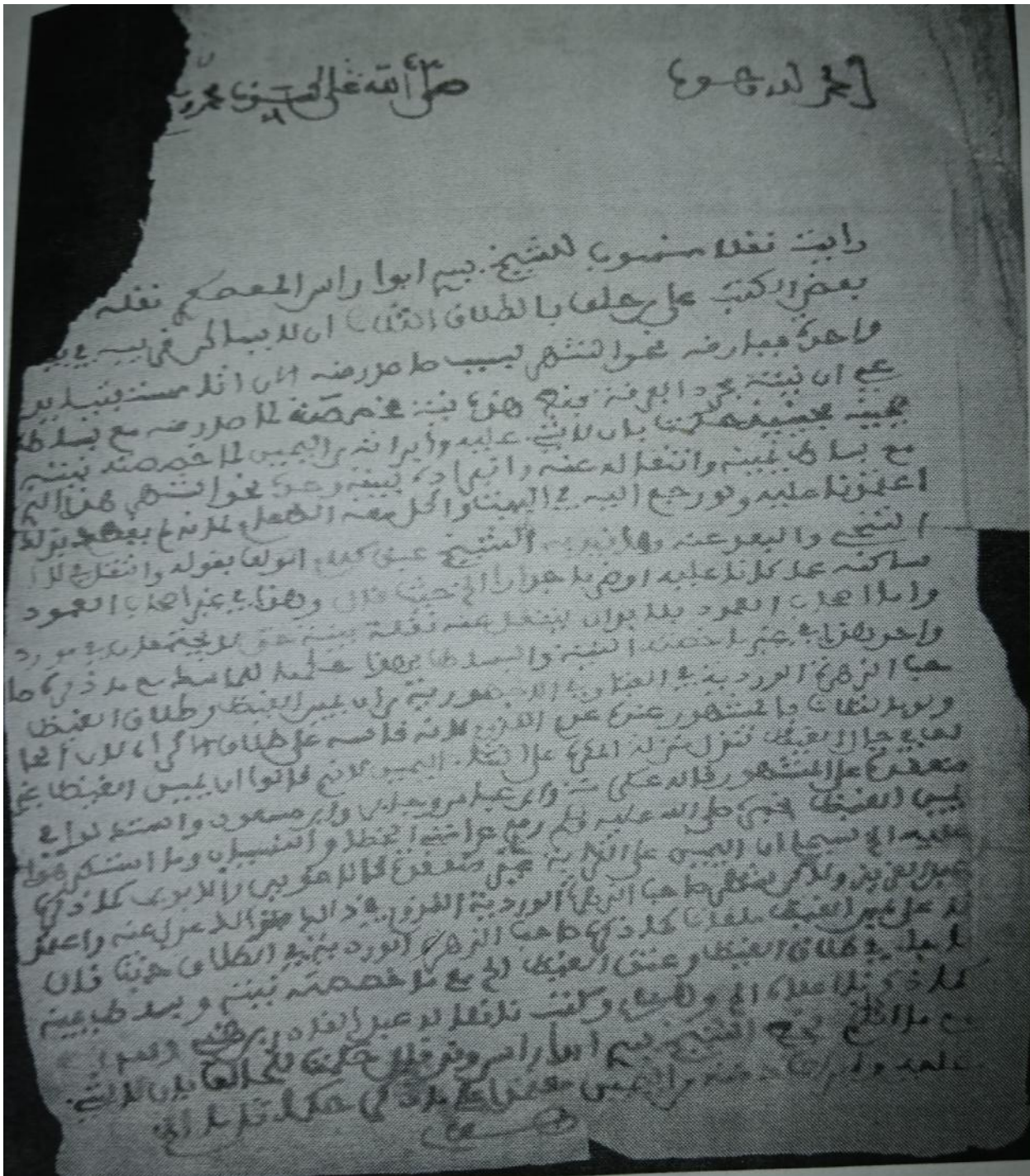
¹ - طيب بن عبد الرحمن ، تقریض لكتاب ارشاد المريد لشيخ محي الدين الجزائري الحسني، مخطوط متواجد بمكتبة صلاح الدين بنعوم، معسكر .

الملحق رقم 08 : يمثل نص نقيشة حول وقف خاصة بالسيدة شاشة بنت فحصي¹.



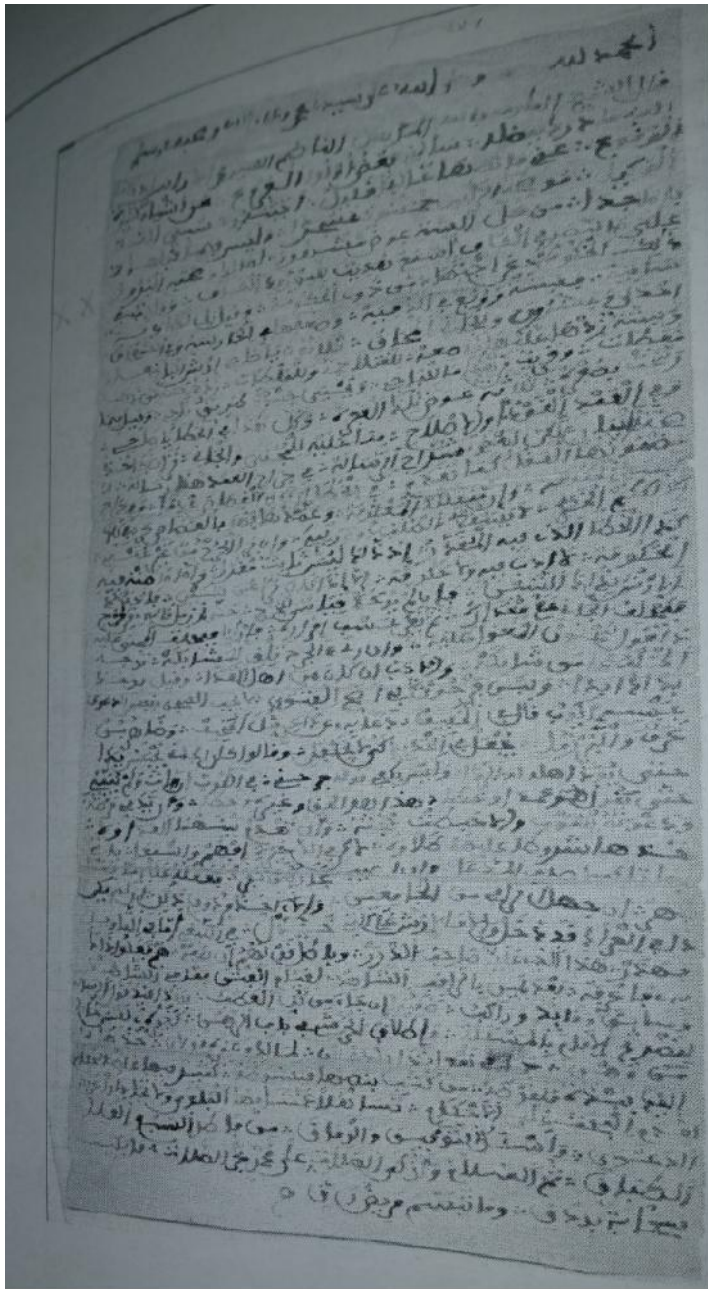
¹ - بن رحمة التلمساني، شرح من مختصر الشيخ خليل ، مخطوط مصور ضمن مكتبة استاذ صلاح الدين بن نعوم، معسكر.

الملحق رقم 09 : يمثل نازلة حول الطلاق أبدى أبي راس الناصري رأيه فيها¹.

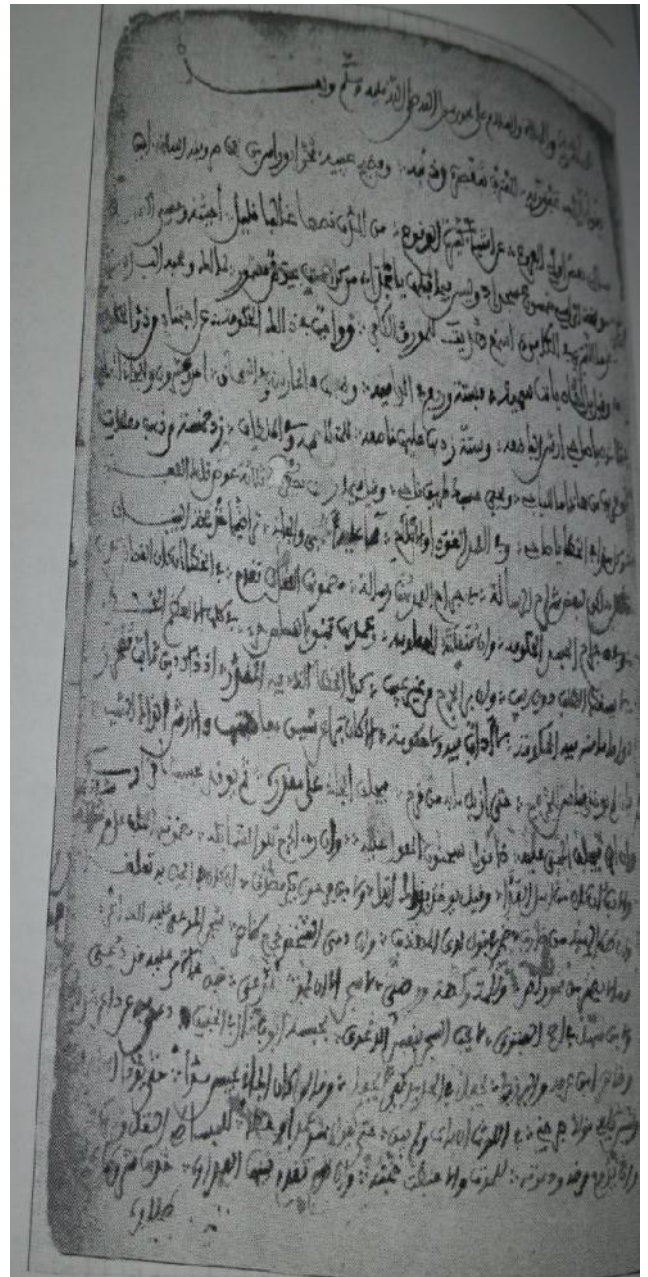


¹ - نزلة نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع، مخطوط متواجد بمكتبة تقي الدين بوكعبر ، معسكر .

الملحق رقم 10 : يمثل نسختين من مخطوط " نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع"
لابي راس الناصري¹.



النسخة (ب)



النسخة (أ)

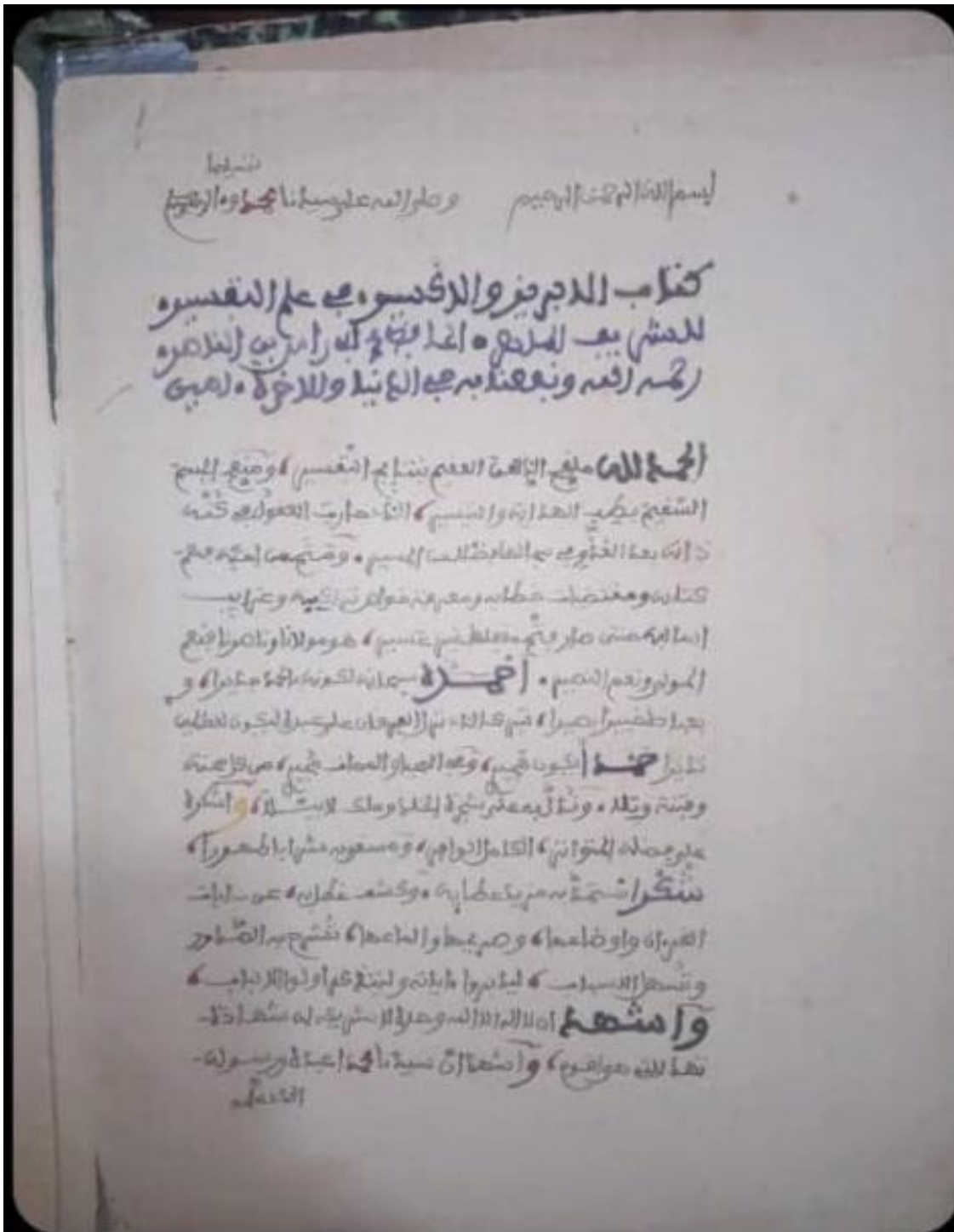
¹ نزلة نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع، مخطوط متواجد بمكتبة تقي الدين بوبكر، معسكر.

.....:
الملحق رقم 11: يمثل مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير بوهران¹.



¹ - صورة ملتقطة من طرف الباحثة يوم 20 مارس 2023. الساعة : 00: 10.

الملحق رقم 12: يمثل مخطوط الإكسبير والإبريز ورقة الأولى من المخطوط¹.



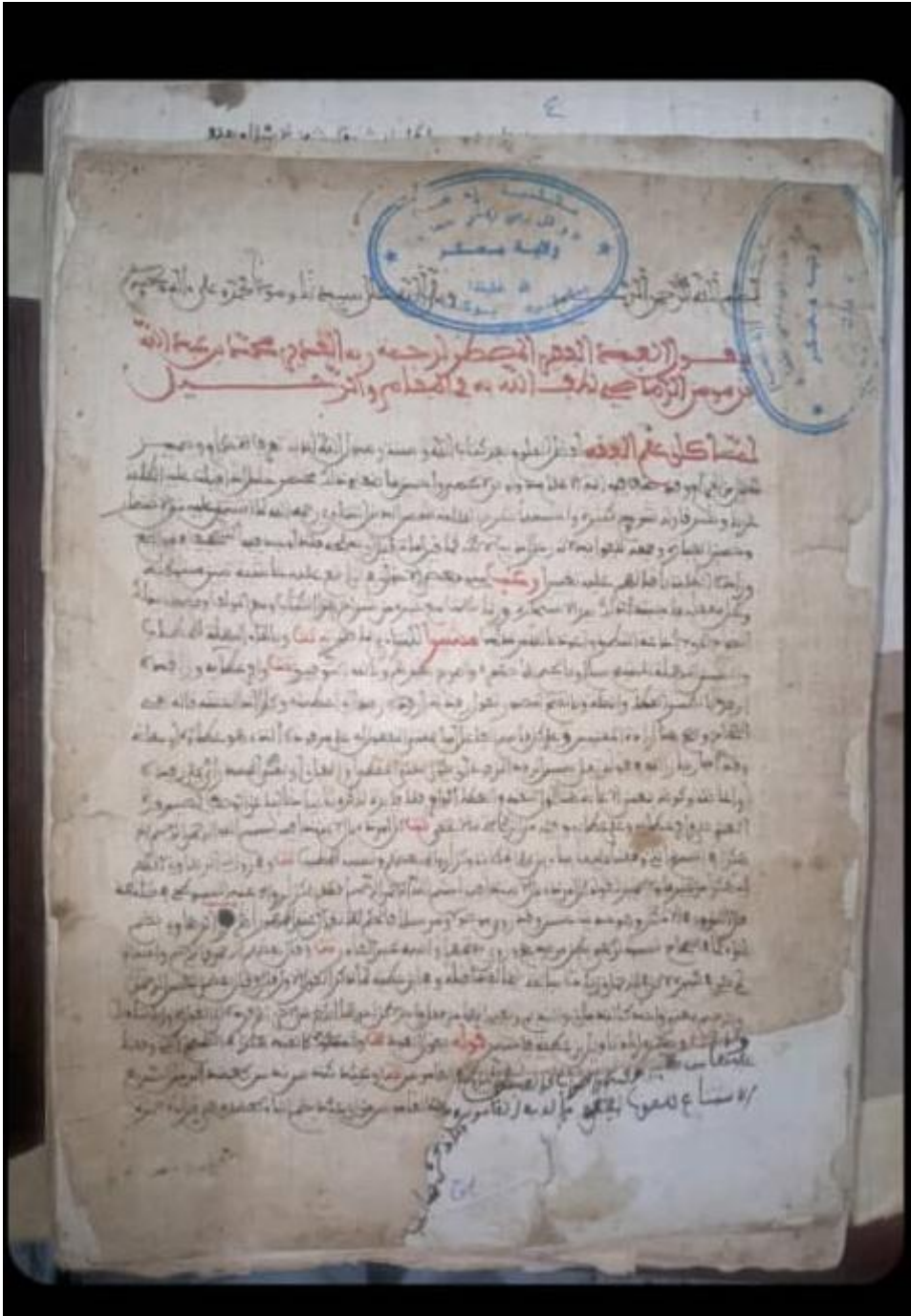
¹ - أبو رأس الناصري ، الإكسير والإبريز ، و.1.

الملحق رقم 13: يمثل مخطوط الإكسير والإبريز الورقة الأخيرة¹.



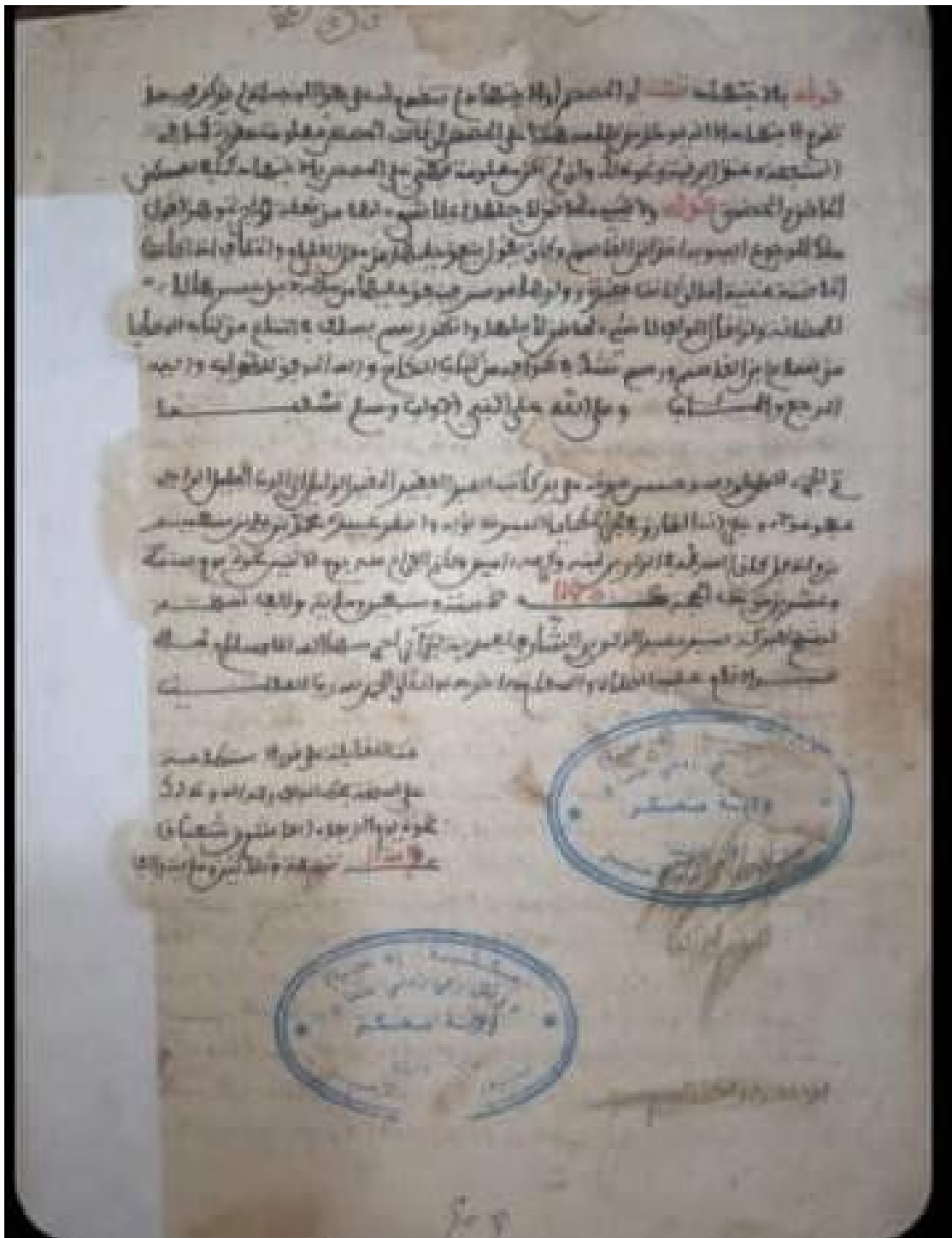
¹ - أبو رأس الناصري، الإكسير والإبريز ... ، و، الأخيرة.

الملحق رقم 14: مخطوط الرماصي على شرح خليل ورقة الأولى¹.



¹ -مصطفى الرماصي، مخطوط شرح خليل، مخطوط متواجد بخزانة بلقر بوكعبر، معسكر ، ورقة 01..

15: يمثل مخطوط الرماصي على شرح خليل ورقة الأخيرة¹.



¹ - مصطفى الرماصي، مخطوط شرح خليل ، المخطوط السابق، الورقة الاخيرة.

الملحق رقم 16: يمثل مخطوط شرح على صحيح البخاري لصاحبه المجاجي الورقة الأولى¹.



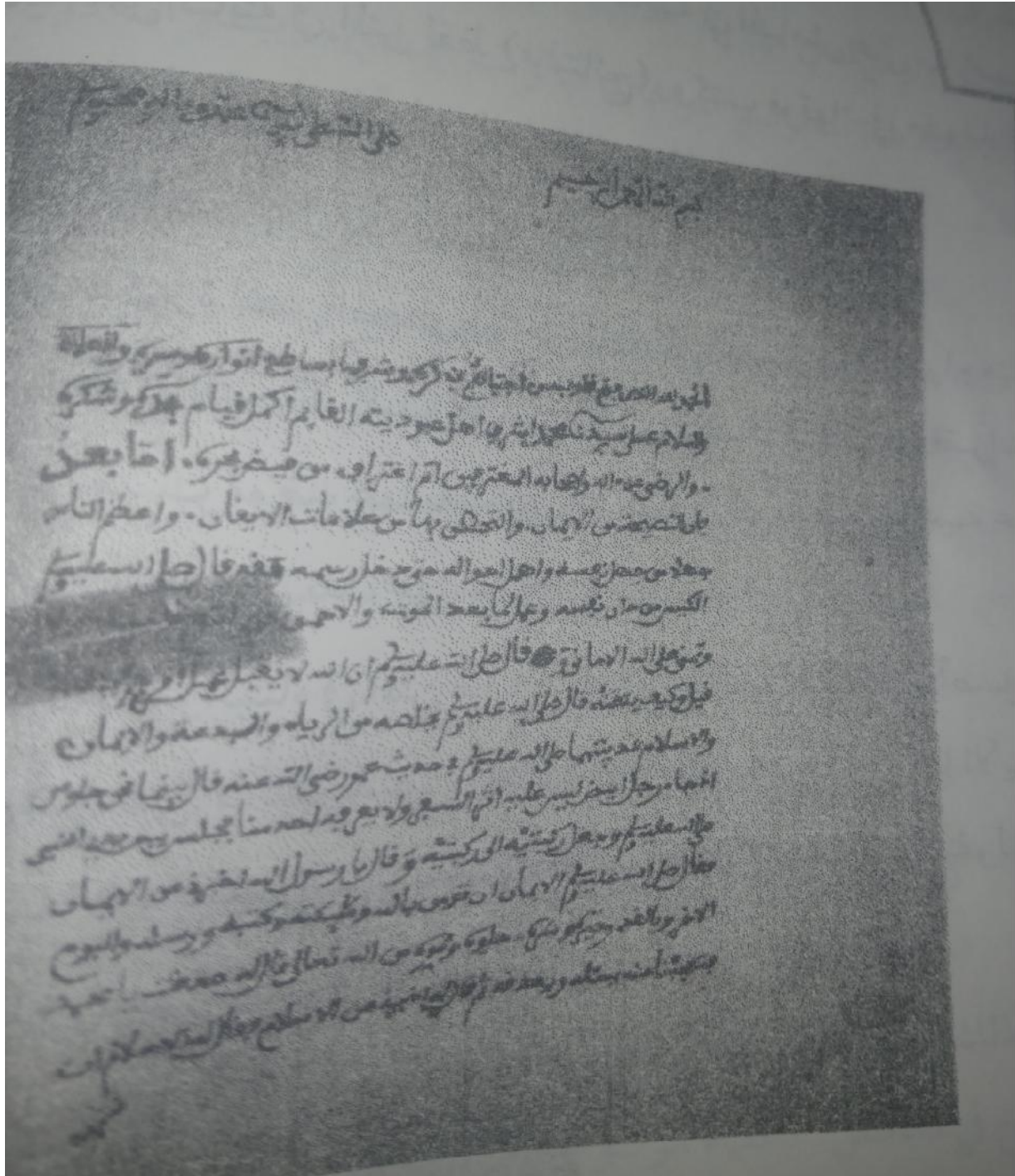
¹ -المجاجي، مخطوط شرح صحيح البخاري، مكتبة بلقرد بوكعبر ، معسكر الورقة، 01.

الملحق رقم 17 : يمثل مخطوط شرح على صحيح البخاري لصاحبه المجاجي الورقة الأخيرة ¹.



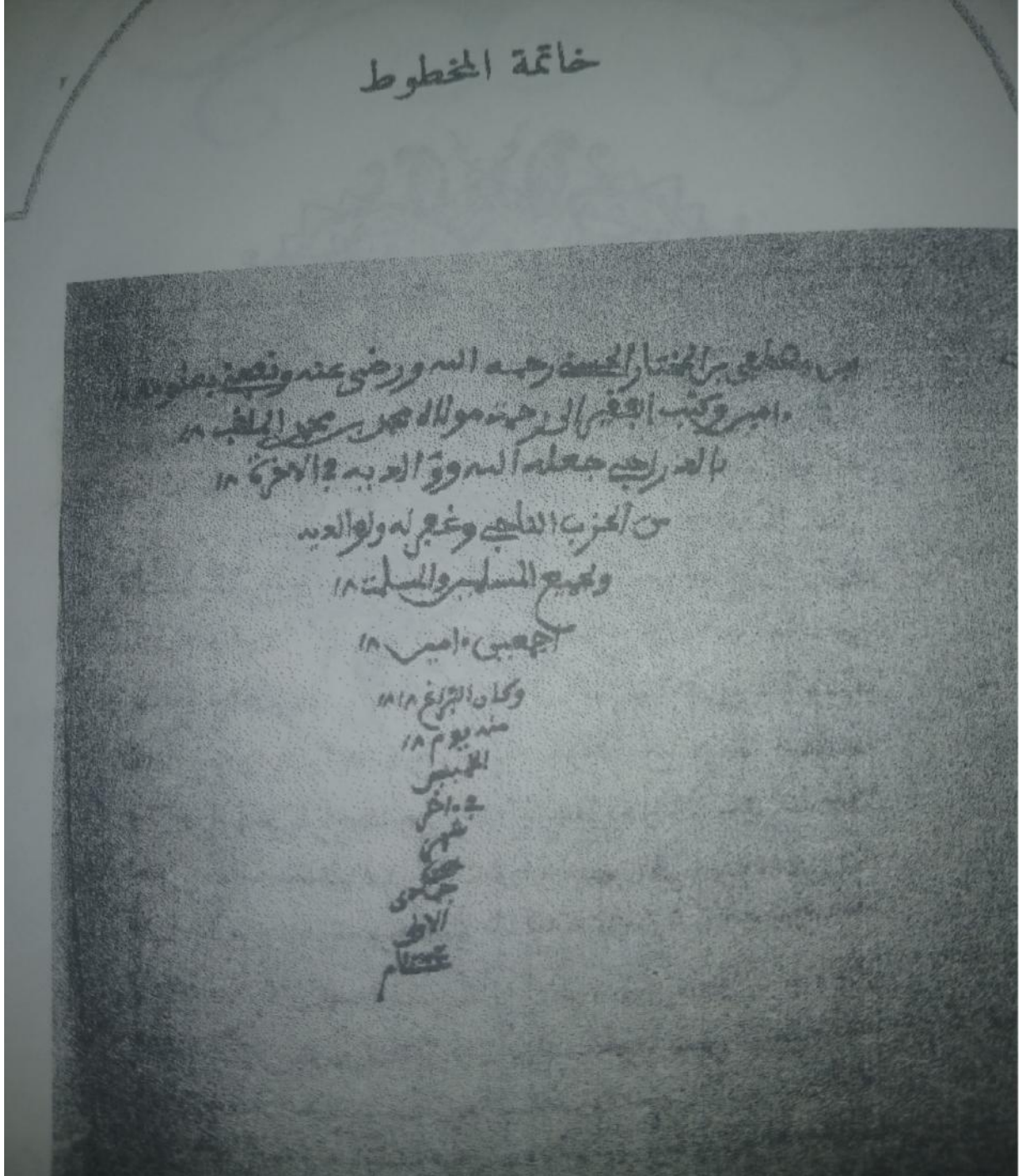
¹ - المجاجي، مخطوط شرح صحيح البخاري، المخطوط السابق، و الأخيرة.

الملحق رقم 18 : يمثل مخطوط ارشاد المريدين الى طريق الواصلين لصاحبه محي الدين بن مصطفى الجزائري الورقة الاولى¹.



¹ - محي الدين بن مصطفى الجزائري ارشاد المريدين الى الطريق الواصلين ، مخطوط متواجد بمكتبة صلاح الدين بن نعم ، معسكر ، ورقة الاولى.

الملحق رقم 19: يمثل مخطوط ارشاد المريدين الى طريق الواصلين لصاحبه محي الدين بن مصطفى الجزائري الورقة الاخيرة¹.



¹ - محي الدين بن مصطفى الجزائري ارشاد المريدين المخطوط السابق، ورقة الاخيرة.



قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع ملك فهد للطباعة المصحف الشريف، الإصدار 2.1.

الحديث النبوي الشريف:

1. البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط.1، دار ابن كثير، بيروت: ، 2002م.
 2. الترميذي محمد بن عيسى ، الجامع الكبير، تح: بشار عواد معروف ، مج.5،، ط.1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1996م.
- اولا : المصادر .

1-المخطوطات :

1. ابن العربي علي حازم ، برادة المغربي، "جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التيجاني"، المكتبة التجارية الكبرى، نسخة مصورة ، منحة لنا من طرف الاستاذ نور الدين مسؤول عن مكتبة مصطفى بن تهامي معسكر .
2. ابن محمد المغوفل عبد الله، مجموعة القصائد ، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 2259.
3. أبو راس الناصري، الدر المهدي على لغوثية ابي المهدي، مخطوط مصور بمكتبة الشيخ بلقرن بوكعبر، معسكر.
4. أحمد الثابتي ، مخطوطة عبار عن تعليقات، موجود بخزانة محمد بنعوم ، معسكر.
5. أحمد المقري أبو العباس، رحلة إلى المشرق والمغرب. مخطوط موجود مكتبة الوطنية الجزائر، تحت رقم: 3191.
6. أحمد بن علي، شجرة نسب أولاد سيدي أحمد بن علي، وثيقة مخطوطة بخزانة صلاح الدين بنعوم، معسكر.

.....:
7. الأخضري عبد الرحمن، "الرسالة القديسية"، مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية،
تحت رقم: 2646.

8. بلهاشمي بن بكار، حاشية رياض النزهة على نسمات رياض الجنة، مكتبة صلاح الدين
بنعوم ، معسكر،

9. بن أبي طالب الحسني بن عبد القادر بن علي ، الإنصاف في نصرة نجل الحفاف ورد
إعتراضات السفساف، مكتبة تقي الدين بوكعبر، معسكر.

10. بن أحمد الحلفاوي محمد ، شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، مخطوط
موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2521.

11. بن رقية الجديري محمد ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها
جنود الكفرة ، مخطوط متواجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم: 2523.

12. بن سحنون الراشدي أحمد، الأزهار الشقيقة المتوضعة بعرف الحقيقة، مخطوط
متواجد بمكتبة الوطنية، تحت رقم : 243.

13. بن عبد الجليل سيدي محمد ، الجوهرة الكبرى، مخطوط بالمكتبة الرباط بالمغرب،
تحت رقم 730.

14. بن عبد القادر علي، أرجوزة النظم الغريب في بسوط الكسور، مخطوط مجموع
بالمكتبة الوطنية، تحت رقم 2067.

15. بن عبد الله التلمساني سيدي سعيد ، الدرة الأنيفة في شرح العقيدة ، مخطوط متواجد
بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 3195.

16. بن عبد الله الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية
الجزائرية تحت رقم 3322.

17. بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبي زيد عبد الرحمن ، عقد الجمان النفيس في ذكر
الأعيان من أشرف غريس ، نسخة مصورة في مكتبة الشيخ بنعوم، معسكر ، تحصل
عليها من مكتبة شيخ المغوفل.

-:
18. بن علي السنوسي محمد، ايقاض الوسان في العلم بالحديث والقرآن، نسخة مصورة تابعة لخزانة الرباط، تحت رقم : 720.
19. بن علي السنوسي محمد، بغية المقاصد و خلاصة المراصد، مخطوط مصور من خزانة الرباط، تحت رقم 723.
20. بن محي الدين مصطفى المختاري، إرشاد المرددين إلى طريق الواصلين ، مخطوط مصور في مكتبة صلاح الدين بنعوم تحصل عليه من خزانة الشيخ أحمد بن محي الدين الحسني بسوريا.
21. بن مصطفى المشرفي محمد بن محمد، تقييد نسب المشارف، مخطوط مصور الخزانة الحسنية ، الرباط ، رقم 13959.
22. بن ميمون محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر ، تحت رقم : 1625.
23. الجديري محمد بن رقية ، الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة، مخطوط متواجد بمتحف مدينة وهران ، تحت رقم : 14.
24. الحسني التلمساني محمد بن يوسف السنوسي، تفسير ما تضمنته كلمة حيز البرية من غامض الصناعة الطبية ، مخطوط بالخزانة القرويين ، نسخة مصورة، زودنا بها الباحث تقي الدين بوكعبر.
25. السليمان بن محمد بن الاعرج ، تقييد في تاريخ وانساب غريس مخطوط بمكتبة الشيخ بوكعبر بلقرد ، معسكر .
26. سيدي عيسى بن موسى التوجيني، تعليق على غوثية مخطوط بمكتبة بلقرد بوكعبر، معسكر .
27. الصباغ محمد القلعي ، بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار " ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 778.

-:
28. عبد القادر لحرش، إفاقة الأحاسيس عن ما جهل من علماء غريس، مخطوط مصور بمكتبة تقي الدين بوكعبر، معسكر.
29. العضوني التلمساني المغيلي، شرح التلمسانية في الفرائض، مخطوط بالخرانة تمكروت، نسخة مصورة.
30. محمد الثابتي، تقييد نسب أولاد سيدي علي، مخطوط بخرانة السيد أحمد الثابتي الحفيد، معسكر، نسخة مصورة مكتبة صلاح الدين بنعوم.
31. المديوني ابن مريم، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1736.
32. المزيلي محمد الجوزي، فتح الرحمن في شرح عقد الجمان، مخطوط مكتبة بوكعبر تقي الدين، معسكر.
33. المشرفي العربي، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، مخطوط مصور بالخرانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 1476.
34. مصطفى الرماصي، خطبة الإستقصاء، مخطوط مصور للباحث تقي الدين بوكعبر، بخرانة محمد البشير، البرج، ولاية معسكر.
35. مصطفى المختاري الشيخ، نسب سيدي أحمد بن علي ضمن مجموع عقائد في النسب، مخطوطة مصورة من طرف الباحث صلاح الدين بنعوم بخرانة المشارفه، تيزي - معسكر.
36. الناصري ابو راس، وشفاء السقم في الامثال والحكم، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت 5553.
37. الناصري أبو رأس، الخبر المعرب في اخبار الاندلس والمغرب، مخطوط يتواجد بمكتبة بلقرد بوكعبر، معسكر.
38. الناصري ابوراس، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، مخطوط مصور بالخرانة العامة الرباط، تحت رقم: 920.

.....
39. الناصري أبي رأس، عجائب الأسفار وطرائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم : 1632.

40. الناصري ابو راس، الابريز والاكسير في علم التفسير ، مخطوط متواجد مكتبة الشيخ بلقرد بوكعبر ، معسكر.

41. المجاجي عبد الرحمن ، فتح الباري في ضبط الفاظ الاحاديث التي اختصرها الشيخ المجاجي من صحيح البخاري، مخطوط متواجد بمكتبة الشيخ بلقرد بوكعبر ، معسكر.

42. رماصى مصطفى ، حاشية الرماصي على سيدي خليل ، مخطوط متواجد بمكتبة الشيخ بلقرد بوكعبر ، معسكر.

ب- المصادر المطبوعة :

43. ابن خلدون عبد الرحمن، مزيل الملام عن أحكام الأنام ، تح: فراد عبد المنعم ، دار الوطن، الرياض ، 1996م.

44. ابن عسكر محمد بن علي ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي ، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والترجمة والنشر ، 1397هـ/1977م .

45. ابن محمد الحسني الإدريسي الكتاني، سلوة الأنفاس ومحاذة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تح: الكتاني محمد حمزة ج.1، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، المغرب، [د.م]. [د.س].

46. ابن محمد الحسني الإدريسي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تح: إحسان عباس، ج.1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1402هـ/1982م.

47. ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب ، تق: عبد القادر العليلي، دار لسان العرب ، بيروت ، [د.س].

48. أبو القاسم ابن حوقل ، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، [د.س].

-:
49. أبو زكريا يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تح: مخطار حساني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، [د.س].
50. أبي زرع الفاسي بن علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مر: عبد الوهاب المنصور، ط.2، المطبعة الملكية ، الرباط، 1999م.
51. أحمد القلقشندي أبي العباس، صبح الأعشى ، دار الكتب المصرية، ج.1، القاهرة، 1922م.
52. أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر، الجامع لشعب الإيمان، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد مكتبة الراشد، ج.2، الرياض ، ط.1، 1423هـ/2003م.
53. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج.2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2002م.
54. البرنسي الفاسي زروق أحمد ، النصيحة الكافية ، تح: قيس بن محمد آل الشيخ مبارك ، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض ، مكتبة الظلال ، الإحساء، ط.1، 1414هـ/1993م.
55. البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد، الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، تح: مصطفى السقا حامد عبد المجيد، ج.1، دار الكتب المصرية ، ط.1، القاهرة ، 1996م.
56. البغدادي الخطيب، إجازة المجهول والمعدوم ، وتعليقهما بشرط، ط.21، تح: يوسف معشوق ، ط.1، دار الناشر المكتب الإسلامي الحياة التراث ، 2004م.
57. بن ادريس الكتاني الشريف جعفر، الشرب المحضر والسر المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر، دار الكتب العلمية - بيروت - 2004 .
58. بن الحسين السلمي محمد ، طبقات الصوفية ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.2، 1424هـ/2003م.

59. بن الصديق الإدريسي الغماري أحمد، البرهان الحلي في إنتساب الصوفية إلى علي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط.1، 1969م.
60. بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، 1997م.
61. بن خروب المجاجي عبد الرحمن بن محمد ، رحلة المجاجي ، تح: آل سيد الشيخ سعاد، مركز جمعة المساجد الثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة، ط.1، 2017م.
62. بن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي بوعبدلي ، [د.ط.]، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية سلسلة التراث، الجزائر، 2012م.
63. بن عبد الحكم الشيخ عتبه الجيلالي، المرأة الجلية ، تح: حسين جيلالي بن فرح ، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م.
64. بن عبد الرحمن الطرابلسي محمد، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، تح: زكريا عميرات ، ج.1، دار عالم الكتب، القاهرة، 2003م.
65. بن عبد القادر الوهراني المسلم، أنيس الغريب والمسافر، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983م.
66. بن عبد القادر مسلم، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمه الأنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.
67. بن عبد الله الزركشي محمود ،أعلام المساجد بأحكام المساجد ، تح: أبو الوفي مصطفى، ط.4، [د.ن] ، القاهرة ، 1996م.
68. بن علي المرادي محمد الجليل ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية ، مج.1، ط.3، بيروت، لبنان، 1988م.
69. بن علي المسعودي ابن الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد يحي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2005م.

70. بن علي بن غازي بن محمد ، شفاء الغليل في حل مقفل خليل ، تح: احمد بن عبد الكريم نجيب ، ج.1، مركز نجيبوية المخطوطات وخدمة التراث ، القاهرة، ط.1، 2008م.
71. بن محمد الحسني بن عجيبة أحمد ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار الفكر، بيروت، ج.1، [د.س].
72. بن محمد العياشي عبد الله ، الرحلة العياشية (1661-1663)، تح: الفاضلي سعيد والقرشي سليمان ، مج.1، دار السويدي ، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.
73. بن محمد بن مريم أبو عبد الله، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، مطبعة الثعالبية، 1908م.
74. المختاري الطيب بن المختار الغريسي ، كتاب القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ، ضمن كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والادب ، في أربعة كتب للهاشمي بن بكار ، تلمسان، المطبعة الخلدونية ، 1961م.
75. بن مرزوق التلمساني محمد ، المسند الصحيح الحسن في ذكر المآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن ، تح: ماريا في سوس ييخرا ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، [د.س].
76. بن ميمون محمد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تح: محمد بن عبد الكريم ، ش.و.ن.ت، الجزائر ، ط.2، 1981م.
77. بن هبيرة الحنبلي يحي بن محمد، الافصاح عن المعاني الصحاح، ج.1، ط.2، المكتبة الحلبية بحلب، سوريا، 1322هـ .
78. بن يحيى الونشريسي أبو العباس أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
79. بن يوسف الزياتي محمد، دليل الحيران وأنيس السهران ، تح: المهدي بوعبدلي، دار المعرفة ، الدولية الجزائر، 2013م.
80. بن يوسف السنوسي محمد ، السنوسية الكبرى، بيروت، دار القلم ، 1982م.

-:
81. البيدري محمد بن الحاج، تنوير قلوب أهل التقوى والمعارف بذكر نسب سادات غريس الموسومين بالمشارف، نور لنشر والتوزيع، الجزائر، 2022م.
82. التلمساني أحمد ابن هطال ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1969م.
83. التتبكتي أحمد بابا ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، منشورات الدعوة الإسلامية، ط.1، ، ليبيا، 1989م..
84. التتبكتي أحمد بابا أبو العباس، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، تق : الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتب ، ليبيا ، ط.2، 2000م.
85. الجبرتي عبد الرحمن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج.3، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1997م.
86. الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج.3، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، [د.س].
87. الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، 1984، [د.ط].
88. الجيلالي جلول ، النفيس في ذكر أعيان غريس ، منشورات دار الأديب ، [د.م]، 2016م.
89. الجيلاني عبد القادر، الفتح الرباني والفيض الرحماني، تح: محمد خالد لعطار، دار الفكر ، بيروت ، ط.1، 2010م.
90. الحفناوي أبي قاسم ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة ببيير فونتانة ، الجزائر ، 1906م.
91. الخطاب الإمام ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، ضبطه و إخراج آياته وأحاديثه، زكرياء عميرات ، ج.8، مكتبة الباز مكة مكرمة ، 1995م.
92. خوجة حسين، ذيل البشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تح : الطاهر المعموري ، تونس، الدار العربية للكتاب ، 1975م.

-:
93. دالفان قايتان، القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط، تح: بوكعبر تقي الدين، دار خيال للنشر والترجمة ، الجزائر، 2022م.
94. الراشدي ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث ، الجزائر ، 1973م.
95. الزبيدي مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ،تح: مجموعة مؤلفين ، مج.15، مطبعة كويت، الكويت ، 1975م.
96. السخاوي شمس الدين ، فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث ،تح: عبد الكريم بن عبد الله الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد ال فهد، ط.1 ، مج.2، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع ، السعودية ، 2005م.
97. سعيد المنداسي أبو عثمان، ديوان ، تح: رابح بونار ، ش ، و ، ن ، ت ، الجزائر، [د.س].
98. سفياني الطيب ، "الإفادة الأحمدية"، تعليق محمد الحافظ التيجاني، القاهرة، 1979م.
99. سكيبرج العياشي أحمد بن الحاج ، كشف الحجاب عن تلاقي مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، دار الكتاب العلمية ، 2015م.
100. السيوطي جلال الدين، الحاوي للفتاوي، تح: عبد اللطيف حسن، ج.1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.1، 2000م.
101. السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج.1، ط.1، 1926م.
102. شارل وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع: إسماعيل العربي ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1982م.
103. الشرقاوي محمد المعطي، سفر الإجازات والمرائي، تح: عبد المجيد بوكاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان، 2008م.

-:
104. الشريف جعفر الكتاني، الموسوعة الكتانية بتاريخ فاس (الشرب المختصر والسر المنظر من معين أهل القرن 13م)، تح: محمد حمزة علي الكتاني ، [د.ن. ش]، [د.م]، [د.س].
105. علب بن هبة الله ابو النصر، لإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والانساب، ط.1، مجلس دائرة المعارف العثمانية للهند تصوير : الكتاب الاسلامي، الهند، 1963م.
106. الشيخ عبد رب البوزيدي، اتحاف ذوي النهى والبصائر ، تراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر، تح: درويش العلاوي، نسخة خاصة بأحباب الشيخ العلوي، الناشر A.C.A.A، [د.م]، [د.س].
107. الطرنباطي ، إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، تح: سعيد منصور ، ج.3، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1971م.
108. ظافر الازهري محمد البشير ، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، ط.1، مطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية، العروة الوثقة، مصر، 1325هـ.
109. عبد الكبير الفاسي، مجمع الشيوخ المسمى رياض الجنة المدهش المطرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2003م.
110. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية ، تح : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط.1، 1987م.
111. العسكري ابو الحسن، كتاب التصحيف و التحريف ، ج.1، [د.ن.ش]، القاهرة ، 1808 م.
112. عياض القاضي ، الإماع ، تح: سيد أحمد صقر ، ط.1، المكتبة العتيقة، تونس ، 1970م.
113. الفاسي ابن زاكور ، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الأعيان، صدر الكتاب بدعم من وزارة الثقافة، تلمسان، 2011م.
114. الفيومي أحمد بن محمد ، المصباح المنير ، دار الحديث ، القاهرة ، [د.ط]، [د.ت].

-:
115. القشيري ازين الدين أبي القاسم ، الرسالة القيشيرية ، تع: القاضي زكريا بن محمد الأنصاري ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، 2007م.
116. كمال الدين محمد الحريري، مجمع الطرق الصوفية المفصل (تبيان وسائل الحقائق في بيان سلسل الطرائق)، ج.1، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2024م.
117. محمد السنوسي، ايقاض الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، ط2، القاهرة ، مصر 1960م.
118. محمد بن أحمد أبو عبد الله، ديوان ابن مسايب ، تق: الحفناوي السحنون وأسماء سيقاوي ، م . و . ك ، الجزائر ، 1989م .
119. محمد بن عبد الله ابن بطوطة ، رحلة النظر في غرائب الأمصار ، تح: طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، ط.2، لبنان ، 1992م.
120. مخلوف الشيخ محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تخريج عبد المجيد الخيالي ، ج.1، دار الكتب العلمية ، 2002م.
121. مخلوف محمد، شجرة النور الزكية، ج. 1، المطبعة السلفية ، القاهرة، 1349م.
122. المزاري الأغا بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر إسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر، تر: يحيى بوعزيز، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.
123. الناصري ابو راس ، الشقائق النعمانية في الشرح الروضة السلوانية في علم الصيد، تح: حمدادو بن عمر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010م.
124. الناصر أبو راس، الدرة الأنيفة في شرح العقيدة، تح: وتق: أحمد أمين دلالي، المركز الوطني للبحث في الأنثرو بولوجيات وهران، الجزائر ، 2007م.
125. الناصر أبو راس، جمل من الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية، ج.1 تح: الطيب بلعدل ، مؤسسة البلاغ للنشر والدارسات والبحوث ، [د.ط]، الجزائر ، 2011م.
126. الناصر أبو راس ، زهرة الشماريخ في علم التاريخ ، تح: الحبيب يعقوب ، دار الحمراء للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014م.

127. الناصر أبو راس ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، تق ، تح: محمد غانم ، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبوجيا الإجتماعية والثقافية، الجزائر ، [د.س].
128. الناصر أبو راس ، نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تح : محمد الحبيب العالين، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس 2012م.
129. الناصر أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تح: مهدي بوعبدلي ، ن، م، ص ، ش ، قسنطينة- الجزائر ، 1990م.
130. النووي شرف الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار عالم للكتب ، المملكة العربية السعودية ، [د.ط] ، [د.ت] ، ص 2014.
131. الوزان حسن ، وصف افريقيا ،تر: محمد حجي، محمد الاخضر، ج.1، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1933م.
132. بن علي السنوسي محمد، السلسيل المعين في الطرائق الأربعين على هامش كتاب مسائل العشر، القاهرة، مطبعة المعاهد، 1940م.
133. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج.15، [د.د.ش]، [د.س].

ثانيا : المراجع :

134. أحمد عميراي ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدينا نموذجا، دار الهدى ، الجزائر ، 2003م.
135. أفا عمر، محمد المغراوي ،الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، 2007م.
136. أكرم محمد ، الأرجوزة في الأدب العربي ، دار الكتاب ، مصر ، 2009م.
137. الالفي أبو صالح ، الفن الإسلامي أصوله فلسفته ومدارسه، ط.2، القاهرة ، دار المعارف ، [د.ت].

138. البارون دي كولاصو ماكنمارا، الملوك المغاربة ، تر: عثمان المنصوري، ط.1، مطابع الرباط ، 2016م.
139. البدوي عبد الرحمن ، مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1963م.
140. بن بكار بلهاسمي، كتاب حاشية النزهة على منظومة نسيمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة ، منشورات ضمن مجموع مطبعة ابن خلدون، تلمسان ، 1961م.
141. بن بكار بلهاسمي ، كتاب مجموع الحسب والنسب ، مطبعة بن خلدون ، تلمسان، 1961م.
142. بن حمدي الصاعدي أحمد، دعائم التمكين، الجامعة الإسلامية ، ط.32، المدينة المنورة، 2000م.
143. بن خالد الناصري أبو العباس أحمد ، الإستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ، ج.5، تح: جعفر الناصري ، ومحمد الناصري، [د.ط.]، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.
144. بن عزوز عبد القادر، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي ، دار الثقافة ، عين الدفلة ، 2006م.
145. بن محمد الأصفهاني الحسين، المفردات في غريب القرآن ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1981م.
146. بنين أحمد شوقي، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيلوغرافي ، ط.1، المطبعة والورقة الوطنية الحي المحمدي، مراكش، 1993م.
147. بو كعبر تقي الدين، تفسير سورة الفاتحة للشيخ أبو راس الناصر من خلال مخطوط الإبريز والإكيسر في علم التفسير، ألفا للوثائق، الجزائر ، 2002م.
148. بوعبدلي المهدي ، تاريخ المدن ،جم: عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية الجزائرية، الجزائر، 2013م.

-:
149. بوعبدلي المهدي ،قسم التراجم، جم: عبد الرحمن دويب ، ط.3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2013م.
 150. بوكعبر تقي الدين ، مجموع تقايد ورسائل الشيخ أبي راس المعسكري الجزائري، الفا للوثائق، الجزائر، ط.1، 2024،.
 151. بوكعبر تقي الدين، المجموع الميسر لمدونات الأنساب والتراجم بفضاء الراشدية معسكر ، دار السادة المالكية ، 2022م.
 152. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، تر حمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر بيروت، 1989م.
 153. جاك س.ريسler ، الحضارة العربية ، تر: غنيم عبدون ، مصر : الدار للتأليف والنشر ، 1993م.
 154. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.
 155. الجيلاني عبد الرحمن ، محمد أبي شنب ،حياته وأثاره ، مكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر ، 1988م.
 156. الحلوجي عبد الستار، المخطوط العربي، مكتبة مصباح ، ط.2، السعودية ، 1998م.
 157. سابق السيد ، فقه السنة ، ط.1، دار الإعلام العربي ، مصر، 2004م.
 158. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
 159. سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي، ج.2، لبنان ، 1998م.
 160. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998م.
 161. سعيد الشريفي محمد ، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع العاشر الهجري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م.

-:
162. سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين ، ط.1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1999م.
163. بن شهرة المهدي ، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، دار ربحانة للنشر ، الجزائر ، 2009م.
164. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى ، وموريتانيا، السودان) ، دار المعارف ، ط.1، القاهرة ، [د.س].
165. الطوبي مصطفى، مقالات في علم المخطوطات، ط.1، دار القلم للطباعة والنشر ، الرباط، 2000.
166. الطوبي مصطفى، من اجل دراسة حفرية للمخطوطات العربية محاولات تطبيقية في علم المخطوطات ، مركز نجباويه للبرمجة الدراسات والطباعة والنشر، مصر، 2010م.
167. عبد الفتاح فتحي، الأحياء بعد الأنبياء في أعقاب طبقة الأشراف المنسوبيين الحسنيين: (للقصة بقية)، ج.1، دار الكتاب ، 2011م.
168. عبد الكريم راشد بن حسين، الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية، دار الصميقي، ط.4، السعودية ، 2010م.
169. عبد اللطيف أحمد ليلي، دراسات في تاريخ و مؤرخي مصر، مكتبة الخانجي، مصر، 1989م.
170. عبد اللطيف منصور علي، العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، ج.61، الجامعة الإسلامية، السعودية، 1404هـ.
171. عبد الله بركة عبد الفتاح، مبادئ الأخلاق الصوفية وأثرها في الحضارة الإسلامية، دار الإمام الرازي للنشر والتوزيع، 1900م.
172. عبد الله لحسايني، بنو يزناش - القصة الكاملة - ، ط.1، مكتبة الطالب، 2020م.
173. عبيد بوداود ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق15/13) دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي -الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2001م.

-:
174. فاقر لوسيان وهنري جان مارتان، ظهور الكتاب، تر: اللواء محمد سميح السيد، دار طلا، ط.4، دمشق، 1988م.
175. فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا، ج.1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008م.
176. لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، دار الناقد الدين للكتاب ، [دم]، 2008م.
177. لومال جاك ، مدخل إلى علم المخطوط، تر: مصطفى الطوبي، ط.1، مطبعة الوراق الوطنية، مراكش، 2006م.
178. مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهراو ومعسكر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2009م.
179. محفوظ علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة الاسلامية، مصر، 1984م.
180. مرايدي محمد الهادي، فن المقامات النشأة والتطور، دراسة وتحليل التراث الأدبي العدد 4، جامعة العلامة الطباطبائي للطباعة، 1288هـ.
181. الودرني أحمد ، شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 20 م، دار الكتاب الجديد لبنان ، ط.1، 2009م.
182. يحي بوعزيز ، مدينة وهران عبر التاريخ ويليها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليها المساجد العتيقة في الغرب الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2009م.

ثالثا: المصادر باللغة الأجنبية:

183. Henry léon bey :Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole, orantypography Adolphe perrier éditeur, 1958.
184. Luis Rinn, le royaume d'alger sous le dernier Doy, Adolphe Jourdan Imprimer Libraire éditeur, Alger, 1900.

-:
-
185. show, voyage de mons show M dans plusieurs pronine de la larbarie et du la vant , traduit jean Meauline , t.1, la laye , 1743
 186. Catalogue, raisonne des objets archeologiques du musée de la ville d'oran .
 187. Gustave Sandras , histoire des hopitaux d'oran .
 188. Le coommamandant i derien les francais a oran depuis 1830, jusqu a nos jours.
 189. André (p,j) cotrubutiona l' étude des conbéries religieuses musulmanes, ed, la maison des livres. Alger, 1906.
 190. Hamdane khodja , le miroir apercu historique sur la régence d'Alger paris ed la bibrothèque arabe sindbad, 1985.
 191. Moulay Belhamissi , Histoire de Mazouna , une petite ville, un lonque histoire, alger, 1982
 192. Garrot Henri , les juifs Algériens , leurs origines libraire louis relin , Alger, 1889
 193. Show : voyage dans la régence d'alger .triaduit de l' anghait par j. mc carthy 2ené edition , edition bouzlana tunis .
 194. E.coyne : Le Sahara de l'oueste, Revue Africaine, N° Alger : Jourdan, 1889.
 195. Rachid doukali , les mosquées de la période turque a alger , li11
 196. Maracel Enerit l'algerie a l'epoque d'abal el kader présentation de rené gallissot alger ; edition bouchene , 2002.
 197. E.Destaing, fête et costunes chez beni snous E.DESTAINA , in R.A.N50 , année 1906.
 198. Shaw : Voyage dans la Régence d'Alger .traduit de l'anglais par J Mc Carthy 2^{ème} Edition, Edition bouzlama Tunis.
 199. Hamdane khodja , Le Miroir Apercu Historique sur la Régence d'Alger paris Ed la bibrothèque arabe sindbad, 1985.
 200. Moulay Belhamissi , Histoire de Mazouna , une petite ville, un lonque histoire, alger, 1982.

-:
201. Henry Léon Fey : Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole, Oran Typography Adolphe perrier Editeur, 1858.
 202. Figures. traduits de l'anglais : Jean Neaulme , t.1, la laye , 1743.
 203. Marcel Emerit l'Algerie a l'Epoque d'Abd El kader présentation de René Gallissot, Alger ; Edition Bouchene , 2002.
 204. Marial ,w, " La Mosquée de Sidi Mohmed –el – kébir à Oran" , in B.S.G.A.O , 1893.
 205. DOKALI, Rachid, Les Mosquées de la période turque à Alger, Edité par SNED. Alger – 1974 .
 206. Lemaire jacques , introduction à la codicologie, louvain la neuve institit d'etide , 1980.
 207. Catalogue, Raisonne des Objets Archeologiques du musée de la ville d'oran.
 208. Gustave Sandras , Histoire des hôpitaux d'Oran, Éditeur: Impr. de P. Perrier, Oran, 1910.
 209. Le Commandant L, Derrien, les francais a ORAN depuis 1830, jusqu a nos jours, imprimerie j nicot, rue du louvere, 1886 .
 210. Louis Rinn, Marabouts et khouans études sur L'islam en Algérie, E.d. Gourdan; Alger; 1884.
 211. André (p,j) , Contrubution a l' étude des Conféries religieuses musulmanes, E.d, la maison des livres. Alger, 1906.

رابعاً: الدوريات باللغة العربية:

212. إبراهيم فائزة ، " أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف ، ومراحل تطورها" ، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان ، ع.6، 2018م.
213. أسامة تتي، بونقاب مختار، " الخزائن الشعبية بمنطقة معسكر ودورها في الحفاظ على التراث المخطوط" ، مجلة عصور الجديدة ، جامعة وهران، العدد 2، المجلد 14، 2024م.

214. بن شريف هاجر، " الجمالية الفنية للرحلة الجزائرية في العهد العثماني ، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي لابن الهطال التلمساني نموذجاً " ، مجلة العلوم الانسانية، ع 3، مج.09، ديسمبر 2022م.
215. بوجلال قدور، " جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الإنسان بوهران على ضوء مؤلفه بهجة الناظر " ، مجلة الباحث في العلوم الانسانية، ع 1، مج.13، 2022م.
216. بوعبياد محمود ، " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " ، مجلة الأصالة ، ع 26، 1975م.
217. بونقاب مختار، " انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري " ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع.3، 2008.
218. بونقاب مختار، " واقع المخطوطات الجزائرية دراسة المخطوطات في الخزائن الخاصة والمكتبات العامة " ، مجلة الحوار المتوسطي ، العدد. 15 مارس 2017م.
219. الجيلالي زواوي ، " نافذة على علماء معسكر رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمر الترابي المشرفي " ، المجلة الجزائرية المخطوطات، جامعة وهران، 2005م.
220. حماش خليفة. " اهداف البحث العلمي ومبادئ الكتابة عند المسلمين " ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر العلوم الاسلامية . ع.6. 1999 م.
221. خديجة موصدق ، مخطوط الإبريز في علم التفسير لأبو راس الناصر العسكري ، المجلة الجزائرية المخطوطات ، جامعة وهران، مج.5، ع.6، 2009.
222. زينب جعلي، " ثورة ابن الأحرش ببائلك الشرق 1800-1807م "، مجلة العصور الجديدة، قسنطينة ، ع.18، 2015.
223. سعد الله ابو القاسم، " مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي أبو راس الناصري " ، مجلة التاريخ وحضارة ، المغرب، ع. 12، 1974م.
224. سليمان عبد الحميد ، "الحياة الفكرية في الولايات العربية" ، المجلة المغربية ، ع 57، 58، زغوان -تونس، 2002م.

-:
225. شتوح ليلية، " الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الصوفي " ، مجلة الحوليات، الجزائر ، ع.32، 2018.
226. عبد الحق شرف، " تراجم لبعض علماء مدرسة البايع في وهران من خلال بعض الأثار المخطوطة "، مجلة كان التاريخية، ع.23، 2014.
227. عبد القادر بكاري، " الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية ،أبو راس الناصر أنموذجا" ، المجلة الخلدونية ، جماعة ابن خلدون ، تيارت ، ع.6، 2013م.
228. عبد القادر سرير عبد الله، " أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، "حياته مؤلفاته رحلته"، مجلة التواصلية ، المدية ، ع. خاص، مج.2، 2018م.
229. عمر حمدادو ، " التعريف بالتراث المخطوط للشيخ مصطفى عبد الله بن مؤمن الرماصي "، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، 2014م.
230. فاطمة غانم ، عبد القادر بوباية ، " مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية" ، مجلة العصور الجديدة ، وهران ، ع.23، 2016م.
231. محمد التمر علي حسن ، " الوصايا في عصر صدر الإسلام" ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، العراق ، المجلد 20، العدد 1، جانفي 2002م.
232. مختار جبار ، " أبو حامد المشرفي ومخطوطه ياقوتة النسب الوهاجة" ، مجلة الاداب والعلوم الانسانية ، وهران، ع.1، 2001م.
233. المسلوقي مصطفى، " الإجازات العلمية وإسهامتها الفكرية بالمغرب" ، مجلة دار الحديث ، المغرب، ع.7، 1898م.

خامسا: الدوريات باللغة الاجنبية:

234. L.Guinn, Manuscrit d'Anwar Al-Barjis, R. A, N° 31, 1887.

-:
235. E.Destaing, « Fête et costumes chez Beni Snous », R.A .N⁰ 50 , 1906.
236. Jacques Berque, L'intérieur du Maghreb (XVe–XIXe siècles)", Gllimrd, ,paris 1978,in -80.
237. De Paradis(V),"Alger au XVILLE Sieche", R, A,1989,
238. Ernest Mercier, La khanga de S. Nadji, in R. S. A. C, 1915.
239. E.Mangim : « Notes sur l’histoire de la ghoutat » ; R. A , N°37
Alger : Jourdan, 1861.
240. E.coyne : « Le Sahara de l’oueste », R.A , N° Alger :
Jourdan, 1889.

سادسا: الموسوعات والمعاجم:

241. أبادي الفيروز ، القاموس المحيط ، ج.2، الهيئة المصرية العامة للكتابة، مصر، 1978م.
242. البستاني بطرس ، محيط المحيط ،مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1987م.
243. بن منظور جمال الدين محمد ، لسان العرب ، ط.3، مج.5، دار الصادر ، بيروت ، 1993م.
244. بنبين أحمد شوقي ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي قاموس كود يكلوجي ،المطبعة والوراقة الوطنية ، ط.1، مراكش ، 2003م.
245. حجي محمد ، موسوعات أعلام المغرب، ط.1، ج.3، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1996م.
246. خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.3، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002.
247. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جوهر القاموس، مج10، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م.

-:
248. عادل النويهض، مجمع الأعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، ط.2، لبنان ، 1980م.
249. عبد العاطي شعبان وآخرون، المعجم الوسيط ، مكتبة شروق الوطنية، ط.4، 2004م.
250. بن فارس أحمد ، معاجم مقياس اللغة، تح: محمد عوض مرعب، تح: الانسة فاطمة محمد احسلان، ج.6، ط.1، دار احياء التراث العربي، لبنان، 1422هـ/2001م.
251. الفاروقي إسماعيل ، أطلس الحضارة الإسلامية ، تر: عبد الفتاح لؤلؤة ، الرياض ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1998م.
252. محمد الأمين بلغيث وآخرون ، موسوعة العلماء والادباء الجزائريين ، ج.2، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2014م.
253. محمود خضر موسى محمد ، معجم الدر الثمين في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العلمية، لبنان، 2019م.
254. محمود عزت محمد فريد ، قاموس المصطلحات الإسلامية، دار الشروق، جدة، [د.س].
255. موريس شربل، موسوعة المكتشفين والمخترعين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، [د.س].
256. النويهض عادل ، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980م.

سابعاً: الرسائل الجامعية

257. أحمد بحري ، حاضرة مازونة دراسة تاريخية في العصر الحديث 1500-1900م، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، 2012-2013م.

-:
258. بركان إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تح: من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009-2010م.
259. بوكعبر تقي الدين، تلخيص الجمان من حياة الحيوان لصاحبه دحاوي محمد مصطفى، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، احمد بن بلة ، 2017م.
260. بوكعبر تقي الدين ، تحقيق مخطوط رد الشيخ العربي المشرفي على ابو راس الناصر في قضية نسب المشارف، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م.
261. ربة خالدي، الشعر في الجزائر خلال العهد العثماني، شعر ابن عمار أنموذجا " دراسة موضوعاتيه وأسلوبية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه الادب الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس ، 2017-2018م.
262. سارة بولفعة، الكتابات التاريخية الجزائرية أواخر القرن 18 وبداية القرن 19، مذكرة لتخرج لنيل شهادة الدكتوراه التاريخ الحديث، جامعة الجيلالي بلعباس ، 2019م.
263. قدور بوجلال ، العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830م : معسكر ومازونة نموذجاً، مذكر مقدمة لنيل شهادة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطembولي معسكر، 2008-2009م.
264. قدور بوجلال ، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران ، 2016-2017م.
265. معاذ عمراني ، أسرة بني جلاب في منطقة واد ريغ خلال القرنين 19 و 20، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، 2003م.
266. نمير حسين ، الواقع الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي (1578-1603م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في

تاريخ بلاد المغرب الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر
بسكرة ، 2022-2023م.

ثامنا: الموقع الالكتروني:

.267

1. <https://mascara.mta.gov.dz/fr> تم الاطلاع عليه : 2025/08/10 الساعة :

09 :02 صباحا



فهرس المحتويات



الإهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة:.....أ-و

مدخل: الإطارين الجغرافي والتاريخي لبائلك الغرب من خلال التراث المخطوط

- أولا: الإطار الجغرافي:..... 10-08

ثانيا: الإطار التاريخي:..... 13-10

الفصل الأول: واقع المخطوطات الجزائرية ببائلك الغرب الجزائري.

- أولا: المخطوط مفاهيم ومصطلحات:..... 26-15

- ثانيا: الجانب العلمي والثقافي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني - ببائلك الغرب -

..... 32-26

- ثالثا: الأسباب والعوامل المساهمة على تأليف المخطوطات ببائلك الغرب..... 41-32

- رابعا: منهج التأليف التاريخي من خلال مخطوطات البائلك الغربي..... 48-41

- خامسا: نماذج لاعلام المخطوطات:..... 54-48

- سادسا: المصادر والمراجع المعتمدة من خلال تأليف المخطوط ببائلك الغرب:..... 59-54

- سابعا: علاقة أصحاب المخطوطات بالدولة العثمانية:..... 66-59

- ثامنا: دور الخزائن العامة والخاصة في الحفاظ على المخطوط في بايلك الغرب:..... 77-66

تاسعا: وصف ببليوغرافي لبعض مؤلفات بايلك الغرب في العهد العثماني:..... 80-77

عاشرا: مخطوطات بين الضياع والفقدان درء الشقاوة وكتاب انوار البرجيس نموذجا:.. 85-80

الفصل الثاني : المؤسسات الثقافية لبائلك الغرب على ضوء المخطوطات.

اولا: المساجد:..... 93-87

ثانيا: أهم الزوايا ببائك الغرب من خلال المخطوط وعلاقة شيوخ الزوايا بالدولة

العثماني:..... 119-93

ثالثا : المدارس : نماذج عن علماء درسوا ببائك الغرب:..... 133-119

رابعا : الاجازات والتقريض:..... 148-133

خامسا : الكتاتيب وعلاقة الدولة العثمانية بها:..... 151-148

سادسا : الوقف والاحباس في متون المخطوطات :..... 158-151

الفصل الثالث: التراث الفكري والأدبي للمخطوطات الجزائرية خلال العهد العثماني.

أولا: أهم القضايا التي تناولتها المخطوطات في باييك الغرب:..... 174-160

1-الجانب الاجتماعي:..... 168-160

2-الجانب العسكري:..... 171-169

3- الجانب الاقتصادي:..... 174-171

ثانيا: العلوم التي تناولتها المخطوطات في باييك الغرب :..... 225-175

1-العلوم النقلية : 168-175

أ- واقع الأدب من خلال المخطوطات:..... 168-175

1-الشعر:..... 168-176

2-النثر:..... 204-178

2-العلوم العقلية:..... 225-204

أ-علم الحساب:..... 205-204

ب-علم الفلك:..... 207-205

ج-الطب والجراحة والصيدلة:..... 211-207

د-المنطق:..... 213-211

هـ-الجغرافيا والتاريخ:..... 225-213

234-225.....	ثالثا: الفنون:
227-225.....	أ-فن الرسم:
230-227.....	ب-الخط :
234-230.....	ج-الزخرفة:
رابعا: الفكر الديني عند علماء بايلك الغرب قراءة في التصوف على ضوء مخطوط: كنز الأسرار	
241-235.....	في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار:
الفصل الرابع: الحياة الدينية من خلال المخطوطات الجزائرية: بايلك الغرب أنموذجا	
273-243.....	أولا: مخطوط حاشية الرماصي على سيدي خليل للشيخ مصطفى الرماصي:
ثانيا: فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها الشيخ المجاجي من صحيح البخاري.....	
289-274.....	ثالثا: مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير للشيخ أبي رأس الناصري:
314-290.....	رابعا: مخطوط إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين للشيخ محي الدين بن مصطفى المختاري
333-315.....	الحسني:
341-335.....	خاتمة:
362-343	الملاحق:
388-364	قائمة المصادر والمراجع:
398-396	فهرس المحتويات:

1-المخلص باللغة العربية:

تعالج هذه الدراسة الموسومة ب: " الأهمية الثقافية والدينية للمخطوطات الجزائرية خلال العهد العثماني بايلك الغرب الجزائري انموجا". اهتم العلماء الجزائريون خلال العهد العثماني اهتماماً بالغاً بمختلف العلوم، وخاصة العلوم الشرعية بأقسامها المختلفة .وكانت لهم إسهامات خلفوها ضمن مخطوطات لا تزال شاهدة على أعمالهم.

وفي هذه الدراسة، سوف نسلط الضوء على جانب التأليف، وكيف استطاع علماء بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية أن يحافظوا على معالم وأسس الدين الإسلامي الحنيف رغم الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة في ذلك العهد. فقد كانت لهم إسهامات كبيرة في حفظ هذا التراث.

كلمات المفتاحية: المخطوطات، الحياة الدينية، الثقافة، العلماء ، بايلك الغرب، العهد العثماني.

2-Abstract in English:

This study, titled **“The Cultural and Religious Significance of Algerian Manuscripts during the Ottoman Era: The Beylik of Western Algeria as a Case Study,”** addresses the profound interest that Algerian scholars during the Ottoman period showed in various fields of knowledge, particularly the different branches of religious sciences.

They left behind contributions in the form of manuscripts that stand as a testament to their work. This research will shed light on the aspect of scholarly authorship, demonstrating how the scholars of the Beylik of Western Algeria were able to preserve the principles and foundations of the true Islamic faith, despite the difficult political, economic, and social conditions of that era. Indeed, they made significant contributions to the preservation of this heritage.

Keywords: Manuscripts, Religious life, Culture, scholars, Bilk West, Ottoman era.

3-Résumé en français:

Cette étude, intitulée « **L'importance culturelle et religieuse des manuscrits algériens à l'époque ottomane : le Beylik de l'Ouest algérien comme cas d'étude** », traite de l'intérêt profond que les savants algériens de cette époque ont manifesté pour les diverses sciences, en particulier les sciences religieuses dans leurs différentes branches.

Ils ont laissé derrière eux des contributions sous forme de manuscrits qui témoignent encore de leurs œuvres. Dans cette étude, nous mettrons en lumière l'aspect de la production littéraire pour montrer comment les savants du Beylik de l'Ouest algérien ont pu, pendant la période ottomane, préserver les principes et les fondations de la vraie religion islamique, et ce, malgré les conditions politiques, économiques et sociales difficiles de l'époque. En effet, ils ont grandement contribué à la sauvegarde de cet héritage.

Mots-clés: Manuscrits, vie Religieuse, Culture, Universitaires, Bilk West, ottoman Era.